القطعة الثانية من تفسير ثعالبي

١٢

هذه المجلّدة مشتملة على هذه السّور

سورة الانعام سورة الاعراف سورة الانفال

سورة التّوبة سورة يونس سورة هود سورة يوسف

سورة الرّعد سورة ابراهيم سورة الحجر سورة النّحل

سورة الاسرى سورة الكهف

٢٧٤ عدد اوراقه

نخی کرد

38

يا كبيكج

استصحبه يوما العبد الفقير الى الله ... محمد عارف ...

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Hasan Hüsnü P.
Eski kayıt No: 38

سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات و
الارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع صفات الكمال
وغيره وهامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام
وآثاره الجسام ايضا حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض مع انها مثلها في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة
على ما ورد في الاخبار دون الارض واما دلالة آثارها وحركاتها على تعددها فمبناها على
اصول فلسفية باطلة وقدمها لا لتقدمها وجودا لانه على خلاف ما ورد في الاخبار
الصحيحة على ما مر بيانه في تفسير سورة البقرة لشرفها وعلوها ومكانها وعبر بهما باعتبار
انهما قطري العالم عن جميع الاجسام لطيفها وكثيفها كما عبر بالظلمات والنور عن جميع
الاعراض محسوسها بالبصر وغايبها عنه وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق
بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والتسوية والجعل
المذكور فيه معنى التعلق والارتباط بالغير بان يكون فيه او منه او اليه لا بان يصير اياه لانه
معنى آخر للجعل فانه يتعدى الى مفعولين ولهذا اي ولكون الارتباط بالغير معتبرا في
معناه اثره ههنا تحقيقا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير وتضمينا للرد على الثنوية
بتقدير عدم صلاحيتهما للقيومية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف اجناس ما غاب
عن البصر اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهرها من القوى الظاهرة والباطنة بخلاف
النور وقدمها لتقدم جنس الغايب عن البصر ظهورا فانه يظهر للانسان وهو جنين
ولا يظهر له ما يدرك بالبصر ما لم يولد ولرعاية المناسبة لما تقدم ثم الذين
كفروا يعني بالآخرة على ما افصح عنه قوله تعالى والذين لا يؤمنون بالآخرة
بربهم يعدلون عطف على خلق وفي ثم معنى استبعاد ترك الايمان بعد ما
كانه قيل حصل ما اوجب توحيده من خلق السماء والارض وما بينهما
انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا بربهم يعدلون حذف المفعول حفظا على
الفواصل تقديره يعدلون غيره اي يشركون به واصل العدل المساواة اي ساووا

بين

بين الله تعالى وبين اصنامهم العاجزين عن الخلق ثم ان هذا العطف ليس
على قصد انه صلة اخرى او بعض الصلة بل على قصد انه من الروادف لتلك
الصلة ولهذا حسن كلمة الاستبعاد دون كلمة التشريك وتمحضها له تمحض الفاء
للسببية في قولنا ما تاتيني فاكرمك انقطع عنه علقة التشريك فلم يكن في معنى
الحمد لله الذي عدلوا به ولتضمنه البشارة بالاشارة الى غاية لطفه ونهاية حلمه
زاد وجه ذلك الارداف حسنا ولطافة ويجوز عطفه على الحمد لله والمعنى انه تعالى
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
وحذف صلة يعدلون ايقاعا للانكار على نفس الفعل ووضع المظهر موضع الراجع
الى الموصوف تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد
عليها ولا يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي
خلقكم من طين اي خلق اصل مادتكم وهو الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة
اصلكم وهو آدم عليه السلام كائنة من طين ولقد عبر عنه بين الخلق الصوري والتقدير
المعنوي قال ثم قضى اجلا نوعا من الاجل يحتمل التجاوز عنه واجل آخر لا يحتمل ذلك
على ذلك قوله مسمى اي مثبت معين وقد افصح عن هذا التفصيل قوله تعالى ويؤخركم
الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون على ما نقف على ما بين
الفاصلتين من المواصلة المعنوية في تفسير سورة نوح والذي عبر عنه ثمة باضافة الاجل
الى الله تعالى هو المعبر عنه ههنا بقوله عنده اي ثبت تعيينه ثم اخبر بان ذلك التعيين عنه
حسما لطمع التغيير ولكون ذلك الاجل مبهما نظرا الينا ذكره منكرا وانما قدم وهو نكرة على
خبره وهو ظرف للفاصل بينهما بما هو مخصص له ثم انتم تمترون الامترا التردد في
المتقابلين ماخوذ من مري الضرع اي مسحه والفرق [illegible] الريب والشك قد مر
بيانه في تفسير قوله تعالى لا ريب فيه والامترا لهم فيما ذكر حقيقة اللائق بهم لانهم في حق
الحياة كانهم شاكون في الموت وانما ذكر مع زيادة الالتفات في انتم تنبيها على نهاية الاستبعاد
وهو الله الضمير له تعالى والله خبره في السموات والارض متعلق بمعنى اسم الله
[illegible] المستحق للعبادة لا غير فان دلالتهما كل من دليل المبدا والمعاد على المراد فيهما
وان كانت ظاهرة الا انه ما يوخذ مباديه من الانفس اقرب الى الناظر مما يوخذ مباديه

من الآفاق كانه قيل خالقهم من جماد لا حظ له من الحياة وعشتم فكيف تشكون
مع ذلك وترددون في امر البعث باعادة تلك الحياة الزائلة وهي اهون من
الاحداث ابتداء او هو المتوحد بالالوهية فيهما لا غير ويجوز ان يتعلق
الظرف بقوله يعلم ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت
الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او بالمصدر وهو بمعنى المفعول
فليس بمقدر بحرف مصدر وصلته حتى يلزم تقدم صلته عليه والجملة خبر
ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان يكون الظرف مستقرا وقع خبرا بمعنى هو
انه لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما والجملة الفعلية الواقعة حالا عن ضمير الاستقرار
في الظرف بيان وتقرير له سركم باطنكم اي نفوسكم وجهركم ظاهركم اي ابدانكم
وعلى تقدير تعلق الظرف بالفعل المذكور يكون المعنى يعلم نفوسكم المفارقة في السموات
ونفوسكم المقارنة لابدانكم في الارض ويعلم ما تكسبونه بالقوى النفسانية
والجوارح البدنية لانه تعالى خالق والخلق كاسب ولما كان مقتضى العلم بذلك
كونه خالقا له وهو مظنة الاشتباه حتى ضل فيه كثير من الناس اعاد الفعل
اهتماما لتحقيق ذلك المقتضى ولما اثبت المبدأ مع ما يتوقف عليه المبدأ من
التوحيد ثم اثبت المعاد مع ما يتوقف عليه الاعادة من العلم بين ثبوت النبوة
بشهادته واوعد المنكرين بقوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاول مزيدة
للاستغراق دل عليه وقوع آية في سياق النفي والثانية للتبعيض كانه قيل وما تاتيهم
بعض من الآيات اي بعض كان فلا منافاة بين هذا التبعيض والاستغراق والآيات
هي المعجزات الظاهرة لهم واسنادها الى الرب للتعظيم والتنبيه على انها صادرة عنه
تعالى تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين تاركين لها غير ملتفتين
لكونهم اليها غير مبالين بالعواقب وفي العدول عن صيغة الفعل وزيادة كان دلالة
على شدة اعراضهم وقوة ثباتهم فيه وزيادة تمرنهم عليه فقد كذبوا بالحق كلام
كاللازم لما قبله اي اذا اعرضوا عن الآيات كلها فلا عجب فقد كذبوا بما هو اعظم
الآيات كلها واجلها وهو الحق لما جاءهم اي القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عن
الاتيان بمثله وكانه لوضوحه معلوم عند الكل ان الحق هو لا احتاج الى تسميته و

من الآيات كلها فقد كذبوا بالحق اي بما او كالدليل عليه اي انا اعرضوا م

على

على هذا معنى الابهام في انباء ما كانوا تعظيم القرآن وتفخيم شانه اي سيعلمون باي
شيء استهزؤوا وينكشف لهم انه لم يكن في موضع استهزاء فسوف ياتيهم يعني ان
الاتيان كائن لا محالة وان تاخر ففائدته تاكيد الوعيد وتنبيه لا بيان كونه
متاخرا انباء ما كانوا به يستهزؤون اخبار ما استمروا على تجديد الاستهزاء به حينا
فحينا تارة بنسبته الى السحر والكهانة واخرى الى الشعر واساطير الاولين ان هو
الا ذكر وقرآن مبين ولتعلمن نبأه بعد حين والمراد من اخباره ما فيه من الوعد
للمصدقين والوعيد للمنكرين آجلا وعاجلا وهذا منهم غاية العصيان ونهاية التمادي
في الطغيان حيث اعرضوا عما هو آية بينة اولا وكذبوه ثانيا واستهزؤوا به ثالثا ومن
الرحمن زيادة فضل واحسان اذ اخرهم الى حين ولم يعجل لهم بالعذاب المهين شدد عليهم
النكير وهددهم ثم جاءهم بالموعظة والتذكير بقوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر
قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الشمس وهو اعلاها واول ما
يبدأ منها وقال الزجاج عندي القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلماء
قلت السنون او كثرت والتقدير يرده قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني يعني اصحابه
ثم الذين يلونهم يعني التابعين ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين مكناهم في الارض اي
اثبتناهم فيها بتمكيننا اياهم واثباتهم فيها كناية عن طول عمرهم كان تاليه كناية عن
بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ من مكن له اي جعل له مكانا فكانه قال اثبتناهم
ما لم نثبت لكم ما يقرب منه والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين المحكي عنهم والخطاب
لاهل مكة وارسلنا السماء عليهم مدرارا السماء هو المظلة والمرسل والمدرار
هو المطر او السحاب فلا بد من التجوز في المسند اليه او في الارسال والمدرار مفعال
يستوي فيه المذكر والمؤنث معناه كثير الدرور وجعلنا الانهار لم يقل واجرينا الانهار
جريا على مجرى قرينته السابق لان النهر انما يطلق على الماء حال كونه جاريا فليس له ان
يجري وان لا يجري بخلاف الماء النازل من السماء والسحاب فانه قد يحبس وقد
مقام م يطلق وهو ... وانما ... بالواو الدالة على الاستقلال دون الفاء لان المقام مقام
النعم العظام ... الاشارة الى ان الانهار ... لا يلزم ان تكون من الامطار ...

بهذا الاعتبار يجري من تحتهم خص هذا الوصف بالذكر لانه مما يتعاظمه الناس الا يرى
الى قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فاهلكناهم بذنوبهم الفاء فصيحة تفصح
عن محذوف تقديره بطرت معيشتهم كما ورد في قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتهم وانشأنا من بعدهم تحقيق لام الوعيد بتسهيل شان الاهلاك فان من قدر
على انشاء القرون لا يتعاظم عنده اهلاك بعضهم بذنوبهم وفي عبارة الانشاء اشارة
الى انهم قلعوا من اصلهم واستوصلوا فلم يبق احد من نسلهم ويعضد ذلك ما رواه
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى لم يهلك
قوما او نعذب قوما فجعل لهم نسلا قرنا اخرين بعمر به بلادهم وحاصل الوعيد انه
تعالى كما يقدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده
قدر ان يفعل مثل ذلك بكم ثم قيل جماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تؤتنا
بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك
رسوله فنزلت ولو نزلنا عليك نزل ههنا بمعنى انزل لخبر بمعنى اخبر كتابا مكتوبا في
قرطاس ورق لم يقتصر على رؤيتهم الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه التقييد
بقوله فلمسوه تقوية للادراك البصري بالادراك اللمسي مبالغة في الظهور وليس
فيه دفع ما عسى ان يقولوا سكرت ابصارنا وما نزل من السماء شئ اذ باللمس انما يندفع
احتمال كون المرئي مخيلا واما نزوله من السماء فلا يثبت به ثم ان اللمس ابلغ من المس
لانه لصوق باحساس والمس لصوق فقط ولذلك آثر اللمس عليه بايديهم انما قيد به لان
اللصوق بالاحساس يكون بجميع الاعضاء ولليد خصوصية في الاحساس ليست في
سائرها واما التجوز باللمس عن الفحص كما في قوله تعالى وانا لمسنا السماء فلا يندفع
به اذ لا بعد في ان يكون ذلك لبيان مباشرتهم للفحص بانفسهم بل يندفع بكون التحقيق المعنى صح
انسب للمقام ولما سيق له الكلام لقال الذين كفروا عدول عن الظاهر حيث لم يقل
لقالوا تنبيها على ان هذا ليس باول كفر منهم ويجوز ان يكون تعريف الموصول للعهد
والمراد به اشخاص باعيانهم توغلوا في التعنت والمضار على وفق ما ذكر في سبب
النزول فيكون التوصيف بيانا للسبب تقولهم هذا ان هذا الا سحر مبين توصيف
السحر بالمبين في مقابلة توصيف المنزل بكونه ملموسا بايديهم فكانهم عارضوا تاكيده

الفعلى

الفعلى في الاظهار بتاكيده القولى بالانكار وهذا دليل غاية عنادهم ونهاية خبثهم
وفسادهم وقالوا لولا انزل هلا انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي
الامر جواب لقولهم وبيان المانع من انزال مقترحهم والقضاء الاتمام والالزام
والمعنى لتم امرهم لوجوب العذاب بعد ذلك وهذا لانهم لا يومنون ولو نزل عليهم الملك لنتم صح
كما اخبر الله تعالى في قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وسنة الله تعالى في الكفار قد جرت على انه متى اقترحوا
اية قاهرة فظهرت ثم لم يومنوا استوصلوا بالعذاب كما افصح عن ذلك آية المائدة و
لكن الله تعالى ابى عن استيصالهم به تعظيما لنبيه كما اخبر به في قوله تعالى وما كان صلى الله عليه وسلم صح
الله ليعذبهم وانت فيهم ثم لا ينظرون اي لا يوجلون ولا يمهلون قال قتادة لو انزلنا
ملكا ثم لم يومنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين يعني بعد عدم ايمانهم لا بعد
نزول العذاب وفي لفظ ثم اشارة الى ان لهم مهلا قدر ان يتاملوا فيما نزل فيومنوا
بالاختيار والاختيار لا بالالجاء والاضطرار فافهم هذا الاعتبار ولو جعلناه اي الرسول
ملكا لجعلناه اي لمثلناه رجلا كما مثل جبريل عليه السلام في صورة دحية وذلك لان ابصار
عامة البشر لا يقدرون على النظر الى صورة الملك للطفه وضعف شعاع ابصارهم جواب
اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة واحتمال ان يكون جوابا ثانيا على ان الضمير للملك المقترح انزاله يأباه عبارة جعلنا
ملكا فان المناسب حينئذ ان يقال ولو انزلناه ملكا لجعلناه رجلا وانما لم يقل بشرا مع انه
المناسب لمقابلة الملك تضمينا للكلام معنى زائدا على اصل المرام وهو الاشارة الى شان الرسالة
البراءة عن النقصان ولا بد من رعايته على التقدير المذكور حتى لا يصح ان يكون الرسول
المفروض في صورة امرأة ولا في صورة صبي ولما كان تفصيل ما ذكر انه لا نفع لهم فيما
سالوا لانه اذا كان في صورة رجل لا يعلمون انه ملك ولا يجدي نفعا في دفع شبهتهم اتجه
ان يقال يجوز ان يكون له اثار الملك في صورة الرجل فيندفع الاشتباه بذلك تداركه
دفعه بما مرجعه الى انه لا بد من الالتباس والاشتباه كيلا يفوت حكمة التكليف فقوله
وللبسنا من تتمة الجواب وقرئ بلامين على تقدير شرط آخر وقرئ بلام واحدة على
العطف وبالتشديد فيهما للمبالغة عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على

انفسهم الان فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم ثم قال تسلية له صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم
به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء عليهم السلام وتنبيها لنا على ان قولهم ذلك على سبيل الاستهزاء والا فهم عقلاء
يعلمون ان رسول قوم لا يكون الا من جنسهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
اى احاط بسبب ذلك الاستهزاء بالذين سخروا منهم والمراد الاهلاك من احاطة
العدو فالحيق لا يستعمل الا في الشر منهم تنبيه على ان ضرر سخريتهم لا يتعدى انفسهم
وهو مدلول القول الآتي وان يهلكون الا انفسهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب
الذى كان الرسل تخوفهم بنزوله فلا تجوز لا في الاسناد ولا في المسند اليه لما ذكر
اهلاك المكذبين المستهزئين امر بالسير في الارض للاعتبار بحالهم من مساكنهم فقال
قل سيروا في الارض الى ان تشرفوا ديار قوم نزل بهم العذاب فاعتبوا واعتبروا ولما كان عليه
في هذا السير المامور به من الامتداد جئ بكلمة التراخي في قوله ثم انظروا فان النظر وان
لم يكن متراخيا عن السير باعتبار الانتهاء لكنه متراخ عنه باعتبار الابتداء واما قوله تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا فلعل المراد من الارض فيه ما هو المشهور من ارض قوم نزل
العذاب بساحتهم فجئ بحرف التعقيب تنبيها على ان السير انما امر به لاجل النظر فحقه ان
لا يتاخر عنه وما قيل معناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب
النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح يأباه سلامة
الذوق لان اقحام امر اجنبي وهو بيان اباحة امر السير للتجارة بين الاخبار عن حال
المستهزئين وما يناسبه وما يتصل به من الامر بالاعتبار بآثارهم مما يخل بالبلاغة اخلالا
ظاهرا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب الاستيصال وانما
عبر عنهم بالمكذبين دون المستهزئين اشارة الى ان مآل من كذب ان كان كذلك فكيف
الحال في مآل من جمع بينه وبين الاستهزاء قل لمن ما في السموات والارض الزام وتبكيت
لانهم لا يقدرون ان يضيفوا خلقهما وملكهما الى غيره تعالى ولذلك عقبه بقوله قل لله
تقريرا لهم اى لا خلاف بيني وبينكم في ذلك وفيه انه مع كونهم مقرين بذلك على ما افصح عنه
قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله تناقلوا في الجواب وانقطعوا
لما ظهر من كونهم محجوجين فقرر ذلك عليهم كتب على نفسه الرحمة في الدارين اى التزمها

تفضلا

تفضلا واحسانا لا لان ذاته اوجبتها على نفسه بمقتضى حكمته وهذا استعطاف منه
تعالى للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل في العقوبة ويقبل
الانابة والتوبة ليجمعنكم ضمن الجمع معنى الحشر ولذلك قال الى يوم القيمة الى
واقعا في موقعها كيوم بعد استعفيا في قسم للوعيد على اشراكهم كانه قيل وما تلك
الرحمة فقيل هي انه تعالى يجمعكم الى يوم القيمة وذلك لانه لولا خوف الحساب والعذاب
لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط فتقدير العقاب في العقبى من اعظم
اسباب الرحمة في الدنيا ولك ان تقول بين بقوله كتب على نفسه الرحمة كمال رحمته بالامهال
ودفع عذاب الاستيصال بعدما قدم بيان كمال قدرته بقوله قل لمن ما في السموات والارض
ليتعين من اول الامر ان امهاله ذلك عن رحمة لا عن عجز ثم بين بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة
فيجازيكم على شركم انه يمهل ولكن لا يهمل بل يحشرهم ويحاسبهم على نقير وقطمير لا ريب
فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع عليه او مبتدا خبره
فهم لا يؤمنون والفاء للسببية فان الخسران بتضييع راس مالهم وهو نور الفطرة
يوجب الاصرار على الكفر وله ما سكن في الليل والنهار لما ذكر ان له ملك ما حوى المكان
من السموات والارض ذكر ان له ما حوى الزمان واشتمل عليه الملوان وكل واحد من الزمان
والمكان وان كان مستلزما للآخر لكن التنصيص عليهما ابلغ في مقام التقرير والبسط
وقدم المكان لانه اقرب الى العقول والاذهان من الزمان والظاهر انه استيناف اخبار
وليس مندرجا تحت قل وسكن من السكنى وهو يتعدى بفي كما يتعدى بنفسه يقال سكنوا الدار
وسكنوا فيها لا من السكون على الاكتفا باحد الضدين عن الآخر لانه لا يناسب البسط الظاهر
قصده من تفصيل قطري المكان وصنفي الزمان وهو السميع العليم وعيد للمشركين على
اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا ادخل همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل
لان الانكار متوجه الى اتخاذ الغير وليا لا لاتخاذ الولى مطلقا ولا دخل في ذلك لتقديم
المفعول لانه لازم لدخول همزة الاستفهام فكان تابعا تبعا له وانما عبر عن المعبود بالولى لان
اول درجة العبادة لشخص اتخاذه وليا فكان نفيه ابلغ فاطر السموات والارض مبدعهما وجره
على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ويؤيده قراءة فطر ويجوز ان يكون بدلا ويرجحه ان الفصل بين
المبدل منه والبدل اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت بناء على ما هو المشهور من ان

لان العرب يطلقون الايام على الوقايع ومنه قوله
شهد لهم يوم ... بمعنى الرحمة المشهورة بعد
الى ... من معنى الخصب والسعة ورخا
نفيسة ... ان ارجاعها ... العرف ... هم
فرو ... ما نطق ... الاعاريب ... سعد

البدل على تكرار العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح والجملة تقرير لانكار اتخاذ غير الله
وليا وتعليل له وكذا قوله وهو يُطعِم ولا يُطعَم اى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع
فخصوص الطعم غير ملحوظ بل هو من باب تنزيل جزء الشئ منزلة كله وقرئ ولا يطعم بفتح
الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى فان الكلام وان كان مع عبدة
الاصنام الا انه نظر الى عموم غير الله تعالى وتغليب اولى النهى لان فيه انكار ان تصلح
الاصنام للالوهية بطريق الاولى والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض
ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية وبيناتهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى
استطعم او على انه يُطعِم تارة ولا يُطعِم اخرى اى وهو الباسط والقابض بحسب
الحكمة والمصلحة كقولك هو يطعم وهو يعطى ويمنع قل انى امرت ان اكون اول
من اسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الاسلام وهذا على طريق
التحريض على الاسلام كما يامر الملك رعيته بامر ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل
ذلك ليحملهم على فعله ولا تكونن من المشركين عطف على معنى قوله قل
انى امرت فانه بمعنى قيل لى كن اول من اسلم فلا حاجة الى تقدير قيل لى لا تكونن
اى امرت بالمسارعة الى الاسلام ونهيت عن الشرك ولتعلق الامر بالمسارعة
دون نفس الاسلام لم يوكد تاكيد النهى المتعلق لنفس الشرك وقيل يجوز عطفه
على قل ويرد عليه ان سلامة النظم تابى عن فصل الخطابات التبليغية بعضها
عن بعض بخطاب ليس منها قل انى اخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم
الشرط معترض بين الفعل والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبياء
عليهم السلام وان كانوا معصومين عن الكفر الا انه قد يفرض اذا تعلق به غرض صحيح
من المبالغة فى قطع اطماعهم والتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبوا العذاب
فلا دلالة فى الاية على انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف على نفسه من الكفر من يصرف عنه
اى العذاب وهذا ابلغ لتضمنه معنى ان يقال ان انصراف العذاب رحمة من الله سواء
كان الصارف هو او غيره فان فيه تنبيها على ان الغير كالشفعاء وان كان صارفا
للعذاب عن العصاة لكن صرفهم ذلك باذن الله تعالى يومئذ وقرئ يَصرِف
مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه لله تعالى ويعضده القراءة باظهاره ويناسبه

الجزاء والمفعول به محذوف لظهوره مما قبله او يومئذ على ان يراد منه هوله فلا حاجة الى
تقدير المضاف وفى عبارة اشارة الى ان الاية فيمن استحق العذاب فقد رحمه رحمة هى
ذلك الصرف نفسه ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولد والده الا ان يجده
مملوكا فيشتريه فيعتقه يعنى بالاشتراء المذكور ووجه ذلك ان اختلاف العنوان يكفى
فى صحة الترتيب والتعقيب وذلك ان تقول ان الرحمة سبب للصرف سابق عليه على ما
لوح اليه حيث اوتيت بصيغة الماضى وصيغته مستقبل والترتيب باعتبار الاخبار
عنها وذلك اى صرف العذاب عنه وهو مستحق له الفوز المبين ظهور الفوز يزداد بازدياد
الاستحقاق المعتبر فيمن صرف عنه العذاب وان يمسسك الله بضر الضر وهو سوء
الحال اخص من الشر المقابل للخير وانما خصه بالذكر لشدة الحاجة فيه الى الكشف فلا
كاشف له فلا مزيل له عنك الا هو وان يمسسك بخير حذف جوابه لدلالة جواب
مقابله عليه ثم اكد الجوابين بشمول قدرته على كل شئ فقال فهو على كل شئ قدير فلا يقدر
غيره على مخالفته وهو القاهر فوق عباده معنى الفوقية ههنا تصوير للقهر والعلو
بالغلبة والقدرة لا بالجهة وفى القهر معنى زائد ليس فى القدرة الا بالجهة وهو منع غيره
عن بلوغ المراد وهو الحكيم فى امره وتدبيره اياهم الخبير باحوالهم وخفاياهم قل اى شئ
اكبر شهادة روى ان قريشا قالوا يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت
والشئ يطلق على كل موجود وقد تقدم تفصيله فى تفسير سورة البقرة ووضعه موضع
شهيد للمبالغة فى التعميم قل الله هو الجواب ثم ابتدئ شهيد بينى وبينكم كرر البين
ولم يقل بيننا للايماء الى معنى التفصيل المرتب على الشهادة المقبولة ويجوز ان يكون الجواب
الله شهيد فهو على الاول للتسلق من اثبات التوحيد الى اثبات النبوة بان هذا الشاهد
الذى لا اصدق منه شهد لى بايحاء هذا القران وعلى الثانى من الاسلوب الحكيم
لان الوهم لا يذهب الى ان هذا الشاهد يحتمل ان يكون غيره تعالى بل الكلام فى انه هل
يشهد لنبوته ام لا واوحى الى هذا القران لانذركم به اى بالقران والخطاب للكفار
مكة وليس فيهم ما يصح ان يبشروا به ولذلك خص الانذار بالذكر ومن بلغ فى موضع ثمن ـه
نصب عطفا على مفعول لانذركم به اى ومن بلغه هذا القران من العرب والعجم وقيل

بها من لم يبلغه م

وهو دليل على ان احكام القران تعم كل من يبلغه الى يوم القيمة م

من الثقلين ممن وجد ويوجد الى يوم القيمة واما انه لا يواخذ فلا دلالة فيه عليها الا عند
من قال بحجية المفهوم ويجوز ان يكون في موضع رفع عطفا على الضمير المستكن في لانذركم
وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير اى ولينذر به من بلغه القران انكم لتشهدون
ان مع الله الهة تقريرهم مع انكار واستبعاد ولما كانت الالهة حجارة وخشبا
اجريت مجرى المفرد تحقيرا لها فوصفت بما يوصف به المفرد وقيل اخرى قل لا اشهد
شهادتكم بان معه الهة قل انما هو اله واحد اى قل اشهد ان لا اله الا الله وانني
برئ مما تشركون امر اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم في الشهادة ولا يلزم من ذلك
افراد الله تعالى بالالوهية فامر به ثانيا ثم اقر به ثالثا بان يخبرهم بالتبري من
اشراكهم وهو التاكيد لما قبله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعني اليهود و
النصارى يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين
معرفة حقة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من المشركين و
اهل الكتاب بتضييعهم ما يكتسب به الايمان من النور الفطري فهم لا يؤمنون
تقدم وط السببية المستفادة من الفاء على انه لا يلزمها السببية بل يكفي ان يكون
ما بعدها لازما لما قبلها كما في قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بقولهم الملائكة بنات الله تعالى و
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وغير ذلك او كذب باياته بالقران او بالمعجزات
وانما جاء باو مع كونهم جامعين بين الكذب والتكذيب تنبيها على ان كلا منهما
وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس لا ظلم فوقه انه لا يفلح الظالمون جاء
بضمير الشان مع ان للاجمال والتفصيل والتنبيه على ان الظالم قط لا يفلح فمن لا
احد اظلم منه ويوم نحشرهم منصوب بمضمر حذف تهويلا للامر ومبالغة في التخويف
تقديره كان ما لا يدخل تحت الوصف والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان
واحد ثم نقول للذين اشركوا وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما اين شركاؤكم
سؤال توبيخ وانما اضيف الشركاء اليهم لانه لا شركة في الحقيقة بين الاصنام والمعبود
بحق وانما وقع عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم لها شركاء فاضيف اليهم بهذه
النسبة ويعضده التعبير من اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم في الباطل ولا يخفى ما فيه

يكون م

جميعا م

يكون م

من التهكم

من التهكم الذين كنتم تزعمون انهم شركاء لله حذف المفعولات لدلالة سياق الكلام
عليه وهذا السؤال ظاهر في غيبة الشركاء وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم الذين
الى قوله وضل عنهم ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل يجوز ان يحضروا ولذا هددوا
ولكن لما لم ينتفعوا بهم ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كانهم غيب عنهم وهو
ابلغ في التوبيخ اذ وجودهم اضر من العدم واما ما قيل يجوز ان يحال عنهم وبينها حينئذ
ليتفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيرد عليه انه ح ينكشف الحال عندهم
ويعلمون ان لا منفعة لهم في الهتهم التي توهموا تخلصهم بها فلا تفقد ثم لم تكن فتنتهم جوابهم
وانما سمي فتنة لانه معذرتهم التي توهموا تخلصهم بها من قولك فتنت الذهب اذا
خلصته وقيل كفرهم والمراد عاقبته الا ان قالوا وقرئ يكن بالياء التحتانية و
فتنتهم بالنصب على ان الاسم ان قالوا وقرئ تكن بالتاء الفوقانية والنصب على ان
قالوا مؤنثا اى ثم لم تكن فتنتهم الا مقالتهم وهذا احسن من اعتبار التانيث في
الخبر وقرئ بالتاء الفوقانية والرفع على انها الاسم والله ربنا ما كنا مشركين
كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع حيرة ودهشا وقرئ ربنا بالنصب على النداء
او المدح انظر كيف كذبوا على انفسهم بنفي الشرك عنها وضل عنهم يحتمل ان يكون عطفا
على كذبوا فيدخل في حيز انظر ويحتمل ان يكون اخبارا مستانفا فلا يدخل في حيزه ما
كانوا يفترون اى غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الشركاء اى يفترون الهيته وشفاعته
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران روى ان جماعة من كفار قريش استمعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما يقول الا اساطير الاولين مثل
ما احدثكم عن القرون الماضية وكان صاحب اخبار فنزلت وجعلنا على قلوبهم
اكنة جمع كنان وهو ما يستر الشئ كالغطاء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان
يكون مفعولا لما دل عليه الكلام المذكور اى منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا
الاكنة في القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد
صحته وما قيل لما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن
فهم المعنى وادراك اللفظ يرد عليه انهم ما عجزوا عن ادراك اللفظ المسموع على ما دل
عليه ما مر في سبب النزول انما عجزوا عن ادراك اللفظ المطبوع الحامل للخواص والمزايا

بل مضرة فلا احتمال م

تقدير م

اه صح م

وان يروا كل اية لا يومنوا بها لفرط عنادهم ولابد من تخصيص الاية بغير الملجئة دفعا للمنافاة
بينه وبين قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين حتى
اذا جاؤك يجادلونك حتى هي التي يقع بعدها الجمل والجملة بعدها هي الشرطية يجادلونك
في محل الحال وجواب الشرط يقول الذين كفروا وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالكفر والعناد مع وضوح الايات ويجوز ان يكون حتى هي الجارة واذا الجر الظرف في محل
الجر فلا يكون له جواب اي حتى وقت مجيئهم ويقول تفسير ليجادلونك ان هذا الا اساطير
الاولين الا الاباطيل الواحدة الاسطورة بالضم واسطورة بالكسر وجعل اصدق
الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجيء الاساطير جمع اسطار جمع سطر بالتحريك
بمعنى الخط والكتابة وعلى هذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق واما السطر بالسكون
فجمعه على اسطر وسطور وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول
واتباعه والايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون
وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرر ذلك لا يتعداهم الى غيرهم وان كانوا
يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ترى اذ وقفوا من وقفه اي حبسه
لانه قال في موضع آخر ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يحبسون والقران
يفسر بعضه بعضا وضمنه معنى الاطلاع دل على ذلك قوله على النار والمعنى اذ وقفوا مطلعين
على النار وقرئ على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا وانما حذف الجواب تهويلا اي لو
تراهم حين يوقفون عليها حتى يعاينوها او يطلعون عليها وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفوا
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا لا يدخل تحت الوصف فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع
الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين وقرئ بنصب نكذب ونكون باضمار
ان بعد الواو لا على جواب التمني لان الواو لا تقع في جواب الشرط ولا ينعقد ما قبلها وما
بعدها شرط وجواب وانما هي واو الجمع تعطف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها
والافعال الثلثة متمناة على سبيل الجمع بينها الا ان كل واحد متمنى على حدة اذ التقدير
يا ليتنا يكون لنا رد مع انتفاء التكذيب وكوننا من المومنين او واو الحال على ان مدخولها
حال من الضمير في نرد اي يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المومنين وقرئ برفعهما
عطفا على نرد فيكونان داخلين في التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني

من

من الوعد او على الاستيناف ونصب الثاني عطفا على مصدر متوهم مقدر من الجملة
السابقة وتكون ان مضمرة بعد الواو فالتقدير يكون منا رده وكون من المومنين بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني اي ظهر لهم في صحفهم
وشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس من فضايحهم وقبايحهم فلذلك
تمنوا ما تمنوا ضجرًا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما
نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا استيناف
او عطف على انهم لكاذبون لا على لعادوا اولا لما نهوا اذ ح حق قوله وانهم لكاذبون ان
يوخر عن المعطوف او يتقدم على المعطوف عليه ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة
وما نحن بمبعوثين الى الحشر والجزاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للتوبيخ والسؤال
كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه ضمن الوقوف معنى العرض ولذلك
قال على ربهم والمعنى اذ عرضوا على ربهم موقوفين وقد افصح عن هذا المعنى قوله تعالى
وعرضوا على ربك صفا وقوله تعالى انا المجرمون موقوفون عند ربهم وقيل معناه
وقفوا على قضاء ربهم وجزائه او عرفوا حق التعريف وجواب لو محذوف قال
اليس هذا بالحق استيناف كانه قال قائل ماذا قال لهم ربهم حينئذ فقيل قال
والهمزة للتقريع والتعيير من الله تعالى على التكذيب وانكار البعث والجزاء حين سمعوا
حديثه وقالوا ما هذا بحق والاشارة الى البعث والجزاء قالوا بلى وربنا اقرار موكد
باليمين قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
بالبعث وما يتصل به من احوال الاخرة حتى اذا جاءتهم الساعة القيمة وحتى غاية لكذبوا
لا لخسران خسرانهم لا غاية له والكلام فيها وفيما بعدها من الجملة كما مر في حتى اذا
جاؤك بغتة فجاءة وهي مجيء الشيء بسرعة من غير خطور ببالك حال اي باغتة او
مصدر لانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا تعال فهذا اوانك والحسرة شدة الندم
على ما فرطنا قصرنا مع القدرة على عدم التقصير فيها اي في الحياة الدنيا اضمرت لانها معلومة
وان لم يجر لها ذكر او في الساعة اي في شانها والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب الله
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم من قال بالميزان او اعتقد وزن الاعمال والاعراض حصول
الثقل لها يوم الجزاء فليس له ان يقول انه تمثيل لثقل اوزارهم والمعنى انهم يقاسون عذاب

ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقلا على ظهره لانه مظنة الانكار بما ذكر والجملة حال من الضمير في
قالوا الا ساء ما يزرون اعتراض والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يزرون وزرهم
او الذين يزرونه وساء على وزن فعل متعد تقديره ساءهم وما الحياة الدنيا اراد
بالحياة الدنيا اعمالها المخصوصة بها بحيث لا يظهر اثرها في الحياة الاخرى ولذلك قال
الا لعب ولهو فان مطلق اعمالها المخصوصة الشاملة للعبادة ليس كذلك ومن ههنا
ظهر وجه السلوك الى طريق المجاز شبهت اعمال الدنيا باللعب واللهو لقلة جدواها
وسرعة زوال منافعها او لانه يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون ايراد لام
الابتداء واثبات ما فيها للذين يتقون والتاكيد بقوله افلا يعقلون اشعار بان ما سوى
اعمال المتقين لهو ولعب يشتغل به من لا يعقل وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرئ
ولدار الاخرة على الاضافة اى دار الاخرة وقرئ تعقلون بالتاء على خطاب المخاطبين
به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه قد ههنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه
للمبالغة لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادته كما تستعمل ربما كذلك كانه ايماء الى ان كل ما يفهم
من وقوع مراد الفعل وزيادته بالنسبة الى ما يراد منه قليل وتقويه في تفخيم الفعل
وكثرته ايراد ضمير الشان ولام الابتداء في المعلوم المفيد للاعتبار به وتحقق وقوعه
ليلزم من كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم به ومن دوامه دوام العلم ليحزنك وقرئ بفتح
الياء وضمها من احزن الذى يقولون اى كثيرا ما نعلم حزنك من قولهم ساحر كذاب او
كاهن وامثاله فتسل واله عن حزنك فانهم لا يكذبونك المراد بنفي تكذيبه صلى الله عليه
وسلم استعظام تكذيبه بجعله تكذيب الله تعالى لا نفيه حقيقة ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون بل يكذبون الله تعالى بجحود اياته والاستهانة بكتابه فتكذيبك تكذيبه ووضع
الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالظلم وان جحودهم مسبب عن تمرنهم وافراطهم
في الظلم والالتفات في اسم الله تعالى لبيان لعظم ما ارتكبوه والباء لتضمن الجحود
معنى التكذيب وقرئ لا يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى
التكذيب ومعنى كذبه جعله كاذبا في زعمه روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك ولك
عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية

لرسو

لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التكذيب ومبناها على وقوع التكذيب فدل هذا على ان المعنى ما
قدمناه فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر كما صبروا فان
مع الصبر النصر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء الى وعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله
اى لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات الثلاث ولقد جاءك
من نبأ المرسلين اى بعض انبائهم وما كابدوا من مصابرة اعدائهم ويجوز ان يكون
الفاعل ضميرا يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا الخبر
من تكذيب اتباع الرسل الرسل والصبر على الايذاء الى ان نصروا ومن في موضع الحال وذو
الحال ذلك الضمير وان كان كبر شق وثقل عليك اعراضهم عما جئت به فان استطعت
ان تبتغى نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض فتطلع لهم آية او سلما في السماء
فتاتيهم باية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية جواب فان استطعت محذوف
اى فافعل اى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه على اسلام قومه و
الشرطية جواب الشرط الاول وفي الارض صفة نفقا او متعلق بتبتغى وكذا في السماء
صفة سلما او متعلق بالفعل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن لم يشأ فلا تتهالك
على ايمانهم فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون خلافه اى لا تحرص
على ما لا يكون ولا تجزع في مقام الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين
يسمعون اى لا يستجيب دعوتك الى الايمان الا الذين يسمعون فيفهمون ويتدبرون
دون الموتى وهؤلاء الذين تحرص على ايمانهم موتى كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى والموتى
استعار الموتى للجهال لان العلم حياة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون لان
قلوبهم موتى بالحقيقة يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا تقدر على
اعلامهم ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه مع كثرة ما انزل
اليهم من الآيات لعدم اعتدادهم بها عنادا كانه لم ينزل عليه شئ او آية مما اقترحوها
قل ان الله قادر على ان ينزل وقرئ بالتشديد على ان نزل بمعنى انزل آية مما اقترحوا
او آية يجحدوها اخذهم العذاب وهو من لوازم الآيات الملجئة ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على انزالها ولكن يفعل على مقتضى حكمته وما من دابة في الارض [illegible]
فيها وفائدته تحقيق المقابلة بينها وبين قرينها المقابل فان بعض الطائر يتحرك على

وجه الارض الا انه لا يستقر فيها ولا طائر وقرئ بالرفع على المحل يطير بجناحيه تصوير لتلك الهيئة
الغريبة الدالة على القوة الباهرة والمقام مقام بيان كمال قدرته تعالى وقيل انه لقطع مجاز
السرعة وقيل للتعميم ويرد عليهما انه لو قيل ولا طائر في السماء لكان اخصر وفي افادة ذينك
الامرين اظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة بين القرينتين بذكر جهة العلو في احدهما وجهة
السفل في الاخرى الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود
من ذلك بيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل
اية وحمل امم على المعنى وجمع تقوية للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي مصحوبة
بمن التي للاستغراق والمدلول بها على كمال القدرة واحاطة علمه او عدهم على ما فرط منهم من
الانكار بقوله ما فرطنا وقرئ بالتخفيف في الكتاب اى ما اغفلنا وما اهملنا في اللوح
المحفوظ من شيء مما لم نكتبه ولم نثبته اى شيء كان فلا بد من كتابة اعمالكم وعقايدكم
واحوالكم ثم الى ربهم اى الى ذلك القادر لا الى غيره يحشرون كلهم فيجازيهم وانما اجرى
مجرى العقلاء لاطلاق الامم عليهم او غلب العقلاء لكونهم المقصودين ومن مزيدة وشيء
في موضع المصدر او مفعول به على تضمين فرط معنى اهمل او اغفل والمقصود ان ينضبط
احوال الدواب والطير كلها واعمالها ويحشرها فينصف بعضها من بعض كما روى انه
ياخذ للجماء من القرناء ويجازي كلها كيف يهملكم سدى وقيل حشرها موتها ويرده ان
الحشر بعث من مكان الى آخر وتعديته بالى تنصيص على هذا المعنى والذين كذبوا باياتنا
صم وبكم في الظلمات خبر ثالث كناية عن عمى البصيرة ناظر الى عمي في قوله تعالى صم بكم
عمي وهذا ابلغ اذا جعلت الظلمات ظرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الضلالة من الكفر
والجهل والعناد والتقليد لما لخص من الدلائل القاطعة على ربوبيته وقدرته وعظمته
ووجوب التيقظ لما اوعد عليه والاقرار به وبالحشر قال والمكذبون باياتنا صم والاصم
كلامه المنبه فاستيقظوا ورجعوا وبكم والا نطقوا بالاقرار بالحق خابطون في ظلمات
انواع الضلالة فلا ينتهون لذلك ولا يتاملون ولا يتفكرون فيه ثم اكد ما بين من شدة
جهلهم وعميهم واحتجاجهم بقوله من يشاء الله يضلله ايذانا بانهم من اهل الطبع
والختم ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم كان
الظاهر ان يقول ومن يشاء يهده وانما عدل عنه لان هدايته تعالى وهي ارشاده الى

تقييد

الهدى

الهدى غير مختصة ببعض دون بعض بل عامة للكل قل ارايتكم اخبروني لما كان
العلم سبب الاخبار وضع طلب العلم موضع طلب الخبر فصورته استفهام ومعناه الامر
لاشتراكهما في الطلب والكاف حرف الخطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب
والفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم
عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة هولها اغير الله تدعون تبكيت
لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف فادعوه بل اياه
تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول للتخصيص
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء واراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون
اى الهتكم التي تشركونها به تعالى لما ذكر في العقول انه القادر على كشف الضر
دون غيره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن مزيدة فاخذناهم الفاء
فصيحة اى كذبوا فكفروا الرسل فاخذناهم والاخذ الامساك بقوة وقهر والمراد هنا
مبالغة العقوبة والملامة بالباساء البؤس الشدة كالقحط والفقر والضراء الضر
الافات وهما صفتان تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن
الذنوب فان البلاء يلين القلوب فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع
في ذلك الوقت مع قيام الداعي وعدم المانع وذلك انه لما جاء بلولا التحضيضية الا
الداخلة على الماضي للتنديم دلت على ان لا مانع لهم من التضرع الذي اقتضاه الحال ولما
كان التضرع من لين القلب كان المعنى لم يتضرعوا ولم يلينوا فاستدرك بقوله ولكن
قست قلوبهم فالاستدراك عن كلام غير ملفوظ بل مدلول عليه معنى وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون يعني لا مانع لهم من التضرع الا قسوة قلوبهم وشدة شكيمتهم
في عنادهم واعجابهم باعمالهم التي زينها لهم الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من
البأساء والضراء اى تركوا الاتعاظ به ولم يزجروا فتحنا عليهم ابواب كل شيء المراد
بكل شيء التكثير دون التعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء والفتح المذكور تعبير
عن تيسير مطالبهم الدنيوية اى امتحناهم بالضراء والسراء وابتليناهم بالشدة والرخاء
مخاشنة وملاطفة الزاما للحجة وازاحة للعلة ويجوز ان تكون التوسعة عليهم مكرا و
استدراجا لما روى في مسند احمد بن حنبل عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا الاية فالتوسعة فهي خفي
في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء لطف خفي في صورة القهر وقرئ فتحنا بالتشديد
للتكثير حتى اذا فرحوا بطروا واعجبوا بما اوتوا من النعم أخذناهم بغتة أي
اهلكناهم فجأة وهو اشد الاهلاك اذ لم يتقدم شعور به فتوطن النفس على العادة
فاذا هم مبلسون المبلس الشديد الحسرة واليايس الحزين فقطع دابر القوم
الذين ظلموا استوصلوا ولم يبق منهم احد والدابر التابع للشيء من خلفه يقال دبر
الولد الوالد يدبره دبرا ودبورا اذا تبعه ووضع الذين ظلموا موضع الضمير للتسبب
اي حق عليهم الدمار والعذاب بسبب تمادي ظلمهم وتناهيه حين لم يبق لهم مطمع
في صلاحهم والحمد لله رب العالمين على هلاكهم وفيه ايذان بان اهلاك الظلمة
من اجل النعم واحقها بان يحمد عليه لان وجودهم في الخلق بلاء وعناء وشرهم
ستعد ومتعدية دينا ودنيا فتخليص المؤمنين من شوم اعمالهم وعقايدهم خير
عظيم ونعمة سنية قل ارايتم ان اخذ الله لما كان هذا التهديد اخف من التهديد
السابق اكتفى هنا بخطاب الضمير ولم يوكد بحرف الخطاب كما اكد ثمة سمعكم
وابصاركم اي اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم غطى عليها ما يذهب فهمكم
وعقلكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة
او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات
نكررها متنوعة بالمقدمات والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد والترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال الامم الماضية ثم هم يصدفون
يعرضون وثم لاستبعاد الاعراض عن الآيات بعد تصريفها وظهورها ولذلك
قدم الضمير على الفعل المضارع وصير الجملة اسمية اي هم المكرر عليهم الآيات
متنوعة لا غيرهم يجددون الاعراض دائما مع تجدد التصريف فما ابعد حالهم عما
فعلنا بهم قل ارايتكم لما كان التهديد شديدا جمع بين اداتي الخطاب ان اتاكم
عذاب الله بغتة او جهرة لما كانت البغتة هجوم الامر من غير ظهور امارة وشعور
به تضمنت معنى الخفية فصح مقابلتها للجهرة وبدء بها لانها اردع من الجهرة

وانما

وانما لم يقل خفية لان الاخفاء لا يناسب شانه تعالى وقرئ بهما والجمع هل
يهلك معنى الاستخبار النفي اي ما يهلك به هلاك سخط وقهر الا القوم
الظالمون بالاعراض عن الايات عنادا لاستحقاقهم ذلك بالزام الحجة وازالة
العذر وقرئ يهلك من هلك وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمطيعين بالجنة
ومنذرين للعاصين بالنار وانتصابهما على الحال وفيهما معنى العلية اي ارسلناهم
للتبشير والانذار لا لان يقترح عليهم ويستهزئ بهم فمن امن واصلح اي ما يجب
اصلاحه مما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يطلب
ايلامهم بالوصول اليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب
خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزينة
وخزانة وهي ما يخزن اي يحرز ويحفظ بحيث لا تناله الايدي وخزاين الله تعالى
مقدوراته اي لا املك ان افعل ما اريد مما تقترحونه وليس المراد التبري عن دعوى
الالوهية والا لقيل لا اقول لكم اني اله كما قيل ولا اقول لكم اني ملك وايضا في
الكناية عن الالوهية بعندي خزاين الله ما لا يخفى من البشاعة بل هو جوابهم عن اقتراحهم
عنه صلى الله عليه وسلم ان يوسع عليهم خيرات الدنيا ولا اعلم الغيب عطف على لا اقول
فليس معمولا له بل للامر ولذلك احتيج الى اعادة لا اقول في قوله ولا اقول لكم اني ملك
فانه على تقدير العطف على عندي خزاين الله لا حاجة الى اعادته وانما اتى فيه بنفي
القول للفرق الدقيق بينه وبين قرينيه وهو ان مفهومي عندي خزاين الله واني ملك
معلوما نفيهما عند الناس فلا حاجة الى نفيهما انما الحاجة الى نفي ادعائهما تبريا عن الدعوى
الباطل بخلاف المفهوم لا اعلم الغيب فانه كان مجهولا عندهم بل كان الظاهر من حاله
صلى الله عليه وسلم الاطلاع على الغيب فلذلك نسبوه الى الكهانة فالحاجة هنا الى نفيه
ثم ان هذا النفي تضمن الجواب عن قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما يقع في المستقبل من
المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفي دعوى الملكية تضمن الجواب
عن قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ان اتبع الا ما يوحى الي في الدعاوي
والاحكام والاخبارات منفيه تتميم لما تقدم من نفي الامور الثلثة وبيان ان منزلة الرسالة

التي هي اقصى لمنازل البشرية قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل الضال والمهتدي
او العالم والجاهل او لمدعي المحال كالملكية ومدعي الممكن الصحيح كالنبوة افلا
تتفكرون فتهتدوا وكالبصير ولا تكونوا ضالين كالاعمى او فتعلموا اني ما ادعيت الا ما
يصح للبشر وان اتباع الوحي واجب فتكونوا بصراء ولا عميانا وانذر به اي بما يوحى
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المقرون بالبعث من المؤمنين المقصرين في
العمل ومن اهل الكتاب او المترددون فيه كالمشركين المستعدين الذين علم
الله تعالى ان ينجع فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفائه ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع النصب على الحال من يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين
من احد من دون الله تعالى ولا مشفوعا لهم لعلهم يتقون يحذرون سوء العاقبة
فيعملون عمل اهل التقوى او يؤمنون فيتقون ولما امر بالانذار غير المتقين ليتقوا
امر باكرام المتقين وتقديمهم تكميلا لامر التحريض على التقوى بالترهيب والترغيب فقال
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة وقرأ ابن عامر وحده بضم الغين واسكان
الدال واثبات الواو بعدها وفيه انها معرفة ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة
كما جاز غداة يوم الجمعة وقال ابو علي الفارسي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة و
تعرف باللام واما غدوة فمعرفة ابدا وهو علم صيغ له وقال ابن خالويه في توجيهه
ان العرب تدخل الالف واللام على المعرفة اذا جاورها فيه الالف واللام لمزدوج الكلام
قال ابن عمر رايت الوليد بن اليزيد مباركا فادخل الالف واللام على اليزيد لما جاور
الوليد ومنهم من قال انها انما تكون معرفة اذا اردت غدوة نهارك وههنا لم ترد
ذلك وكان التعريف حينا وقال الجوهري سير فرسك غدوة وغدوة وغدوةً وغدوةً وما
نون من هذا نكرة وما لم ينون فهو معرفة والعشي اي يعبدون الله تعالى دائما
فان المراد من الغداة والعشي الدوام على اكثر استعمالهما وقيل يصلون الصبح والعصر
وقت دعوتهم بالغدوة والعشي لانها من الاحوال الظاهرة وهي موقتة وادام
ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم لانها من الاحوال الباطنة وهي مؤبدة يريدون
وجهه لا دنياهم بكرايمها ولا عقباهم بعظايمها والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته
والمراد بارادة وجه الله تعالى الاخلاص رتب النهي على مواظبتهم على دعاء ربهم وعبادة

ان ينجع فيهم اى يؤثر الانذار بهم نجع فيه الدواء نفعه

مع الاخلاص اشارة الى انها الموجبة لاكرامهم وان ملاك الامر في العبادة الاخلاص
فلا تعتبر بدونه لما قصر لهم لسان المعارضة سكتوا متضرعين تجلوبهم بين يدي الله
تعالى داعين له بحسن الابتهال فتولى سبحانه وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد الذين
اي لا تنظر يا محمد الى خرقتهم على ظواهرهم وانظر الى حرقتهم في سرايرهم كانوا مستورين
فشهرهم الله تعالى قال الامام ابو منصور ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم هم بطرد فقراء المسلمين طمعا في اسلام روساء المشركين فعاتبه الله
تعالى في ذلك وانزل عليه هذه الاية ولكنه بعيد سمج ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم الى
اقبح فعل واوحشه ولا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يقرب الاعداء ويبعد
الاولياء ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعوا الناس الى الايمان و
التوحيد والاتباع فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا المعنى مدفوع
في عقل كل عاقل ولكن يجوز ان يكون طلب ذلك منه اولئك فاما ان يهم هو به فلا
ويجوز ان يكون هذا من الله تعالى ابتداء تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه رضي الله
عنهم ومعاملتهم واخبارا عن قدرهم عنده ما عليك من حسابهم من شيء وما
من حسابك عليهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا
في دينهم واخلاصهم وشهد الله تعالى لهم بالاخلاص وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
ما عليك من حسابهم من شيء كما لا عليهم من حسابك من شيء اي لا يلزمك اعتبار
بواطنهم واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة المتقين وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله
او عليهم اخلصوا او لم يخلصوا لا عليك فحالهم في ذلك بالنسبة اليك كحالك
بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة وقيل حساب رزقهم اي فقرهم
وقيل الضمير للمشركين اي لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم
فتطرد المومنين لاجلهم فتطردهم جواب النفي اي ما عليك شيء من حسابهم فتطردهم
فتكون من الظالمين جواب النهي اي ولا تطردهم فتكون من الظالمين وجوز عطفه
على فتطردهم على وجه التسبب وليس بعده المعنى فان الطرد انما يستقيم جوابا للنفي على
تقدير ان يكون حسابهم عليه وح لا يكون سببا للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول المشركين

وكذلك اى مثل ذلك الفتن العظيم وهو اختلاف احوال الناس فى الدنيا فتنا بعضهم
بعض اى ابتلينا بعض الناس ببعض فقدمنا فقراء المسلمين على اشراف قريش بالسبق
على الايمان ليقولوا اى ليقول المشركون اللام للعاقبة وان ضمن فتناهم معنى خذلنا
هم فالتعليل على اصل القائلين بصحة تعليل افعاله بالاغراض اى خذلناهم مفتونين
ليقولوا فكان افتتانهم سببا لهذا القول فانه لا يقوله الا مفتون مخذول اهؤلاء
اشارة الى اولئك المؤمنين واستحقار لهم كقولهم اهذا الذى بعث الله رسولا
من الله عليهم من بيننا اى انعم عليهم من بيننا بالتوفيق لما يسعدهم عنده من
الايمان واصابة الحق من دوننا ونحن الرؤساء والمقدمون وهم الضعفاء والعبيد
وهو انكار منهم لان يكون امثالهم على الحق ويمنوا عليهم بالخير دونهم كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للتقرير اى الله اعلم
بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه لذلك وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين
يؤمنون بآياتنا هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة ثم بالايمان
بالله واياته من الحجج والبينات بعد النهى عن طردهم ثم امره صلى الله عليه وسلم بقوله
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة بان تبداء بالتسليم عليهم او تبلغ
سلام الله تعالى اليهم وتبشرهم بسعة رحمته وفضله عليهم وان الله تعالى التزم لهم
ذلك ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك وجب اعزازه
واكرامه وان يبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف تفسير الرحمة وقرئ بالفتح على البدل منها
بجهالة فى موضع الحال اى عمله وهو جاهل او ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده
من بعد العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى مثله وانه غفور
رحيم فتحه من فتح الاولى غير انه على اضمار مبتداء وخبر اى فامره او فله غفرانه وكذلك
مثل ذلك التفصيل المبين نفصل الآيات ايات القرآن فى وصف المطيعين والمجرمين
الاوابين منهم والمصرين ولتستبين سبيل المجرمين استبان يجئ لازما و
متعديا كتبين وقرئ بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وقرئ بالتاء

ونصب السبيل على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو اما عطف على علة محذوف
اى ليظهر الحق ولتستبين او علة لمحذوف اى ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا
ذلك التفصيل واكتفى بذكر سبيل المجرمين لتبين سبيل غيرهم منه ولم يعكس لان
ذكره اهم والنفس الى الترهيب اطوع منها الى الترغيب قل انى نهيت صرفت
وزجرت بنور فطرتى وصفاء عقلى وبما وحى الى ونصب لى من الدلائل ان اعبد
الذين تدعون من دون الله من عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى وتدعونها
الهة قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واستجهال لهم واستركاك لعقولهم
واشارة الى علة النهى وموجب الامتناع عن متابعتهم وبيان لسبب ضلالتهم
وذم لطريقتهم وان ما هم عليه مجرد هوى فارغ عن الدليل مخالف لمقتضى العقل
ومعنى قد ضللت اذا ان اتبعتكم قد ضللت لانه مركوز فى العقل ان كل من اتبع الهوى
فهو ضال وفيه تنبيه على ان كل طالب الحق فليجتنب الهوى وليتمسك بالحجة وليلزم
طريق العقل فانه اهدى ثم اكده بقوله وما انا من المهتدين على الجملة الاسمية
الدالة على المنافاة الكلية بين متابعة الهوى والهدى مع المبالغة بناء على ان من
المهتدين ابلغ من المهتد وهو ابلغ من اهتدى وان القيد دخل النفى اى وما انا
من الهدى فى شئ مادمت انا انا يعنى انتم كذلك وفيه غاية التنفير عن طريقهم
ولما بالغ فى نفى كون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل انى على بينة البينة
الحجة الواضحة التى تفصل الحق عن الباطل فقيد الوضوح معتبر فى مفهومها
لا مستفاد من التنكير وهى اعم من ان تكون وحيا او دليلا عقليا او كشفا من
ربى متعلق بالظرف او صفة لبينة اى انى من معرفة ربى ووحدانيته على يقين و
حجة واضحة وكذبتم به اى بربى حيث اشركتم به غيره او بالبينة حملا على المعنى
وهو القرآن ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه بقوله
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله فى تاخير العذاب
والى والاعجلة يقضى الحق فى كل ما يرجع اليه من التعجيل والتاخير الحق صفة للمصدر
اى القضاء الحق او مفعول به اى يصنع الحق من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيرجع الى
القراءة الثانية معنى قال الزجاج هذه كتبت ههنا بغير ياء على اللفظ لان الياء

سقطت لا النقاء ان كنين كا كتبوا اسنده الربانية وقرئ يقص الحق اى يتبع ما
هو الحق من قص اثره اذا تبعه لا من قص الخبر لعدم ملايمته ما فى السياق واللحاق
من الحكم والفصل وهو خير الفاصلين اى القاضين واصل القضاء الفصل بين الحق
والفصل قل لو ان عندى اى فى قدرى ووسعى ما تستعجلون به من العذاب لقضى
الامر بينى وبينكم لا هلكتكم غضبا عاجلا لربى وانقطع ما بينى وبينكم استعظام لتكذيبهم
اى انتم اذ كذبتم بما هو ابين شئ احقاء بان يعاجلكم بالعذاب المستاصل لكنه لا قدرة لى
ولو كان عندى اشد العذاب لاوقعته بكم معجلا والله اعلم بالظالمين تسجيل عليهم بان
الشرك الذى هم عليه اظلم الظلم والظلم موجب لاستحقاق العذاب لكن الله اعلم بما يجب من
عذابهم وبوقته وعنده مفاتح الغيب المفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن الذى يفتح و
يغلق او جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح استعار المفتاح لما اودع
فيه الغيب من خزاينه او لما يتوصل به اليه وخصصت به بتقديم الظرف لانه لا اطلاع عليه
ولا يمكنه التوصل اليه لا يعلمها الا هو اى هو المطلع على ما كان من غيبه وحده او هو مما به
يتوصل اليه كانه فى مخزن مغلق ابوابه لا يعلم احد مفاتحه الا هو اعنى اسبابه التى توجب
احداثه واظهاره فى عالم الشهادة اى يعلم اوقاتها وما فى تاخيرها وتعجيلها من الحكمة
فيظهرها على ما اقتضته مشيئته بحسب حكمته وهذا الوجه انسب لما قبله قيل فيه دليل
على علمه تعالى بالاشياء قبل وقوعها ويرد عليه ان علمه تعالى ليس بزمانى ولا قبلية بينه
وبين الاشياء الواقعة فى الزمان ويعلم ما فى البر والبحر كما يعلم ما فى الغيب كله يعلم ما
فى الشهادة كلها وما تسقط من ورقة الا يعلمها اى هو المطلع تاكيد لعلمه بالجزئيات
ما فى البر والبحر ولا حبة فى ظلمات الارض اراد ظلمة بطنها وظلمة داخل الشجر و
ظلمة جوف الثمر عبر بالحبة الموصوفة بهذه الصفة عما هو فى مبدا امره من جنس النامى
وبالورقة الساقطة عما بلغ منتهى شانه منه ولا رطب ولا يابس معطوف على ورقة وقوله
الا فى كتاب مبين كالتكرير لقوله لا يعلمها الا هو لان معناه ومعنى الا فى كتاب مبين
متحد واحد اما اذا اريد بالكتاب المبين علم الله تعالى فظاهر واما اذا اريد به اللوح
المحفوظ فلان كونه فيه كناية عن كونه من جملة معلوماته تعالى فهو آيل اليه فى المعنى
وقرئت بالرفع على العطف على محل من ورقة او على الابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو

الذى

الذى يتوفاكم بالليل فى وقت النوم وانما عبر عنه بالليل وعن وقت الكسب بالنهار
لانهما معظما اوقاتهما او خصهما بالذكر جريا على ما هو المعتاد وقد استعير التوفى من
الموت للنوم لمشابهته اياه فى زوال الاحساس والتميز به واصله قبض الشئ بتمامه
ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه ومنه اطلاق الجوارح للاعضاء الكاسبة
والواو حالية لا ناسقة والا لاخرت عن قوله ثم يبعثكم فيه فى النهار والبعث الاثارة
لا الايقاظ غاية بعث النائم يكون بايقاظه فلا ترشيح فيه للتوفى ليقضى اجل
مسمى فى علم الله تعالى وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها وبلزمه البلوغ الى
نهاية تلك المدة وهو المراد بقوله هنا ثم اليه مرجعكم بالبعث بعد الموت والمراد الرجوع
الى موقف حسابه تعالى ثم ينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون من الخير والشر فهذا وعد ووعيد
وقيل الخطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف فى الليل وكاسبون للاثام فى النهار
وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شان ما قطعتم به اعماركم حين الغفلة
والمعاصى فى الليل والنهار ليقضى المدة التى ضربها لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم
اليه مرجعكم بالحساب ثم يخبركم باعمالكم بالجزاء وعلى هذا يكون الضمير فى فيه عائدا الى
مضمون كونهم متوفين وكاسبين وتكون فى بمعنى لام التعليل والاجل المسمى مدة الكون
ولا يخفى ما فيه من التعسف المستغنى عنه بما قدم من الوجه الظاهر وهو القاهر فوق عباده
قد مر فى تفسير هذه السورة تقدمه على ذكر ارسال الحفظة ليعلم ان ارسالهم لم يكن لحاجة الى
ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل لحكمة وهى ان تكون العباد على حذر وهذا ابلغ فى
الزجر لان من علم ان عليه رقباء كان اجلد بالحذر فان العبد اذا وثق بلطف مولاه و
اعتمد على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه ويرسل عليكم حفظة
الجمهور على انهم حفظة الاعمال وقيل انهم الذين يحفظون انفاس الخلق ويعدونها الى وقت
انقضائها ثم يقبضون الروح يناسبه ما بعده وعليكم متعلق بيرسل كما فى قوله تعالى
يرسل عليكما شواظ من نار وهم لتمكنهم منا جعلوا مستولين علينا ويجوز تعلقه بحفظة
اى حافظين عليكم حتى اذا جاء احدكم الموت اى اسبابه توفته قبضت روحه وقرئ
بالف ممالة رسلنا جاء جمعا عنى به ملك الموت واعوانه وفى عبارة رسلنا اشارة
الى ان ذلك بامره تعالى ولذلك اسنده الى نفسه فى موضع آخر وقال الله يتوفى الانفس حين

سوتها وهم لا يفرطون جملة حالية او استينافية قرئ بالتشديد والتخفيف فالتفريط
التوانى والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اى لا ينقصون ما امروا به ولا يزيدون فيه
ثم ردوا الى الله فيه التفات من الخطاب الى الغيبة ومن التكلم اليها وذلك لان الرد يناسبه
اعتبار الغيبة وان لم تكن حقيقة فانهم ما غابوا عن قبضته لحظة ولا خرجوا عن حكمه نظرة
ولا لفظة فالرد من البرزخ الى موقف العرض للسؤال والجواب مولاهم الذى يتولى امرهم والمراد
منه فى قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم بمعنى المعين والناصر فلا منافاة الحق العدل الذى
لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين
اذ لا يشغله حساب عن حساب ولا لبث فى السؤال والجواب قل من ينجيكم استفهام بمعنى
النفى وقرئ بالتخفيف من ظلمات البر والبحر من شدايدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركة ما بينها وبين معنى الظلمة فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ومن
جملة تلك الشدايد الخسف فى البر والغرق فى البحر تدعونه تضرعا وخفية مظهرين
بالسان الضراعة بالكسر وهى شدة الفقر والحاجة الى الشئ ومسرين الطلب على وجه
الاخلاص بالقلب او اظهارا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا وقرئ انجانا ليوافق
قوله تعالى تدعونه من هذه اشارة الى الظلمات لنكونن من الشاكرين جواب القسم المحذوف
ولا حاجة الى تقدير القول لدلالة تدعونه عليه قل الله ينجيكم منها قرئ بالتشديد والتخفيف
ومن كل كرب الكرب الغم الشديد اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر فالغم اذا اشتد يثير
النفس اثارة ذلك ثم انتم تشركون اى لا تخلصون حين تخلصون وثم استبعاد لشركهم
مع اقرارهم بانه لا يكشف الضر الا الله وضع تشركون موضع لا تشكرون مبالغة لان من يشرك
بالله تعالى فهو فى غاية البعد من شكره قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا اى هو
الذى عرفتموه انه الكامل فى القدرة الذى لا قدرة لاحد سواه ومعنى الاية الوعيد باحد
اصناف العذاب المذكورة من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة
او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون واغرق فرعون او من الجهتين معا كطوفان
نوح عليه السلام وقيد ارجلكم لقطع المجاز كما فى تجرى من تحتها الانهار وقال ان تقول
اريد بالاول ظلم السلاطين وبالثانى تسليط السفلة وبالثالث الهرج والمرج ولما
كان بين هذه الثلثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة التفريق او يلبسكم شيعا

فرقا

فرقا بان يخلط امرهم خلط شقاق لا وفاق فيجعلهم مختلفى الاهواء ويذيق بعضكم
باس بعض يقاتل بعضكم بعضا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر
كيف نصرف الايات نحولها من نوع الى آخر من انواع الكلام تقريرا للمعنى وتقريبا
الى الفهم وقيل بالوعد والوعيد ولا يناسبه قوله لعلهم يفقهون وكذب به اى بالقرآن
قومك وهو الحق حال من الضمير فى به او استيناف اخبر بان القرآن الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم عن التكذيب اجبارا انما
انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ النبأ الخبر وخطر مستقر اى لكل شئ ينبأ
به فى القرآن وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون عند وقوعه فى
الدنيا والاخرة وهذا كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون
فى اياتنا بالاستهزاء بها والطعن فيها والخوض اصله فى الماء ثم استعمل بطريق الاستعارة
فى غمرات الاشياء التى هى مجاهل تشبيها لها بغمرات الماء فاعرض عنهم امره صلى الله
عليه وسلم بعدم التوجه اليهم وترك الاقبال عليهم ويلزمه النهى عن مجالستهم بطريق
المبالغة حتى يخوضوا فى حديث غيره الى ان يخوضوا غير القرآن وليس هذا من قبيل عود
الضمير على الايات باعتبار المعنى بل من قبيل عوده على ما علم من سياق الكلام واما
ما زائدة بعد ان الشرطية وما احسن مجئ الشرط الاول باذا التى هى للمحقق او غالب
الوقوع ومجئ هذا الشرط بان التى هى للمشكوك ينسينك الشيطان وان شغلك
بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم وقرئ ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد
الذكرى فقم كما ذكرت مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على
انهم ظلموا بوضعهم التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما على المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم مما يحاسبون عليه من
ذنوبهم واستهزائهم من شئ اى من كان نقى الثوب عن ارتكاب الاثام كان بمعزل يوم
النشور عن ملاقاة الآلام ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون
فيها بالموعظة والنهى ثم القيام واظهار الكراهة فذكرى نصب على المصدر ويجوز ان
يكون مرفوع المحل اى عليهم ذكرى لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء او كراهة
لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى لعلهم يثبتون على التقوى ويزدادون

منها ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه لانه حال من شئ تقدم عليه فصار قيدا للعامل فاذا عطف ذكرى عليه كانت جهة العيد معتبرة فيه بحكم الاشتمال فى عطف المفرد على المفرد لاسيما بحرف الاستدراك فيؤول المعنى الى ان عليهم من حسابهم ذكرى وذكرى ليس من حسابهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام وان نطوف فنزلت **وذر الذين اتخذوا دينهم** الذى كلفوه **لعبا ولهوا** حيث سخروا به وبنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا نفع فيه اصلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اى كِلْهم الى ما اختاروا فانا اعتدنا لهم من خفى المكر ما اذا حللنا بهم كشر ما عليه خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والجهلة ولا ضرورة فى جعله منسوخا باية السيف بحمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم **وغرتهم الحيوة الدنيا** اعتراض لبيان انهم انما بنوا امر دينهم على اللعب واللهو لان الحيوة الدنيا غرتهم حتى انكروا البعث **وذكر به** اى بالقران **ان تبسل نفس بما كسبت** مخافة ان تمنع نفس من النجاة وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها وترتهن بسوء عملها كقوله كل نفس بما كسبت رهينة او تحبس بسوء كسبها وعذابه كقوله وجوه باسرة الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل مانع ان يغلبه قرينه ويقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا ابسل **ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع** يدفع عنها العذاب **وان تعدل كل عدل** وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وكل نصب على المصدر ويؤخذ فى قوله **لا يؤخذ منها** مسند الى منها لا الى ضمير العدل الا بطريق الاستخدام لان العدل ههنا مصدر لو قوعه مفعولا مطلقا وهو ليس بماخوذ بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل لانه المفدى به **اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا** اى اسلموا الى العذاب بسبب قبايح اعمالهم استعمل الابسال للاسلام الى العذاب لان المسلم اليه يمنع المسلم **لهم شراب من حميم** بما شربوا من الشهوات **وعذاب اليم** بما تناولوا من الشهوات **بما كانوا يكفرون** اى هم بسبب كفرهم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم **قل اندعوا نعبد من دون الله**

ما لا

ما لا ينفعنا ان اطعناه **ولا يضرنا** ان عصيناه **ونرد على اعقابنا** اى نرتد عن ديننا ونرجع الى ورائنا **بعد اذ هدانا الله** فانقذنا منه ورزقنا الاسلام والمعنى انكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتداء به الى التوحيد **كالذى استهوته الشياطين** مردة الجن **فى الارض** استهوى استفعل من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هواه وحرصت عليه وزعم ابو على انه من الهوى اى الغتة فى هويه ويكون استفعل بمعنى افعل نحو استزل وازل ويأباه ما بعده **حيران** نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى والحيران هو الذى لا يهتدى لجهة حيرة **له اصحاب** رفقة **يدعونه الى الهدى** الى الطريق المستقيم سمى الطريق بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة **ائتنا** يقولون له ائتنا واضمر القول لدلالة يدعونه على ذلك **قل ان هدى الله** الى الاسلام **هو الهدى** وحده وما عداه ضلال **وامرنا** فى محل النصب عطفا على محل ان هدى الله على انه مقول واللام فى **لنسلم لرب العالمين** للتعليل اى وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائى والفراء ان لام كى تقع فى موضع ان فى اردت وامرت قال الله تعالى يريد الله ليبين لكم قيل بمعنى الباء وقيل زائدة ويقويها عطف **وان اقيموا الصلوة واتقوه** عليه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا وعلى الاول معناه وامرنا بذلك الكلام واقامة الصلوة وتقوى الله تعالى فان ان المصدرية اذا دخلت على الامر ينسبك منه مصدر ولا يلاحظ فيه معنى الامر وقيل موقع العلة موقع المامور به فعطف على موقعها **وهو الذى اليه تحشرون** يوم القيمة **وهو الذى خلق السموات والارض بالحق** فى موضع النصب على الحال اى قائما بالحق والحكمة **ويوم يقول** اى وحين يقول لشئ من الاشياء **كن فيكون** ذلك الشئ ويوم منصوب بما دل عليه بالحق او يخلق اى يقوم بالحق يوم يقول او خلق السموات يوم يقول و **قوله الحق** مبتدا وخبر فقدم فيها الخبر لا للحصر لانه لا يناسب المقام بل لكونه الشايع فى الاستعمال مثل عنده علم الساعة وقيل قوله على هذا الوجه يجوز ان يكون فاعل فيكون والحق صفته اى ويوم يقول بالحق يوم يأمر كل شئ بقوله كن فيكون قوله الحق ولا يخلو عن تعسف او منصوب بمثل الاستقرار على ان قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبر مقدم كقولك يوم الجمعة القتال او قوله مبتداء والحق خبره ويوم ظرف للقول او للحق **وله الملك يوم ينفخ فى الصور** يوم ينفخ ظرف

اى على التبيين

قول من تهوى بتال هوى فى الارض ويهوى اذا هبط تهويا اذا صعد ابن عبد الملك

لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم او بدل من يوم يقول على ان كن تكون بمعنى الاحياء والبعث وقوله الحق قوله يوم القيمة **عالم الغيب والشهادة** رفع على المدح اى هو عالم الغيب او خبر بعد خبر **وهو الحكيم الخبير** كالفذلكة للآية **واذ قال ابرهيم لابيه آزر** وهو عطف بيان لابيه قال الفراء والزجاج ليس بين النسابين اختلاف فى ان اسم اب ابرهيم عليه السلام تارخ والذى فى القران يدل على ان اسمه آزر فكان آزر لقبا له قال ابن الانبارى قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه باسمه فيجوز ان يكون آزر لقبا ابطل الاسم لشهرته فخبر الله تعالى به لذلك وقيل نعت مشتق من الازر ومنع صرفه للعجمة والعلمية او للوصفية ووزن الفعل وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل يضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر **اتتخذ اصناما الهة** تعيير وتقرير ويعضده قراءة أأزرًا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وسكون الزاى ونصب الراء منونة على انه اسم صنم وتوجيهها على الاول انه كان اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقرئ بالضم على النداء وهو ظاهر فى حذف المضاف لما فى نداء الابن اباه باسم العلم غلظة واستخفاف لا يليق بشان ابرهيم عليه السلام الموصوف بغاية الحلم المعروف بمحبة ابيه ورعايته يرشدك الى هذا قوله **انى اراك وقومك فى ضلال مبين** ظاهر الضلالة حيث لم يقل انت وقومك فى ضلال مبين رعاية لحسن الادب فى مخاطبته **وكذلك نرى ابرهيم** مثل ذلك التبصير نبصر ابرهيم قد سبق ان اسم الاشارة فى مثل هذا المقام اشارة الى هذه الارادة لا الى شئ آخر يشبه به وهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ومعنى الاعتراض بيان الارشاد والهداية بطريق الاستدلال الموصل الى مرتبة الايقان الذى انكشف به ضلال قومه ولذلك استحضر الماضى حالا فقال نرى على الحكاية تصويرا وتعظيما وقرئ بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصر دلائل الربوبية **ملكوت السموات والارض** فعلوت من الملك وزيادة التاء للمبالغة ومعناه ما يملك به الشئ اى نرى ربوبية الله تعالى للسموات والارض وما يدبرهما ويملكهما من عجايب الملكوت **وليكون من الموقنين** اى وفعلنا ذلك ليكون من المحققين قيل اى وليستدل وليكون وياباه اللام والواو فانهما لا يذكران بين الاستدلال وما يترتب عليه **فلما جن عليه الليل**

اى ستره بظلامه **رأى كوكبا** قيل كان الكوكب الزهرة او المشترى **قال هذا ربى** على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم ينكر عليه بالافساد وفى تقديم الاعتراض المذكور تنبيه على هذا فانه لولا ذلك البيان لسبق الى الوهم انه استدلال لنفسه واما بعد تقديمه فلم يبق ذلك الاحتمال ومن ههنا تبين انه لا مجال لان يكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا وبيانا لذلك لانه ذكر طريق النظر والاستدلال الشايع الرايج بين اصحاب الظواهر المقصور نظرهم على عالم الملك فلا يصلح بيانا لحال من ترقى منه الى درجة الوقوف على سراير عالم الملكوت والمشاهدة لاسرار الربوبية فتعين عطفه على قال ابرهيم فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال **فلما افل** الافول الغروب **قال لا احب الافلين** الارباب المنتقلين من حال الى حال المحتجبين بالغروب والانتقال فضلا عن ان اعبدهم فالتعبير بالانتقال من مكان الى مكان من خواص الاجرام المحتاجة الى الرب فلا يصلح للربوبية **فلما راى القمر بازغا** البزوغ الطلوع **قال هذا ربى فلما افل** كانه غاب عن نظره اولم يكن حين رآه فى ابتداء الطلوع بل كان فى وراء الجبل ثم طلع منه او من جانب آخر لا يراه والا فلا احتمال لان يطلع القمر من مطلعه بعد افول الكواكب ثم يغرب قبل طلوع الشمس **قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين** تنبيها لقومه على ان من اتخذ الافل المتغير الها فهو ضال وان الهداية الى الحق انما تكون من فضل الرب وعطائه وهذا طريق من يتلطف فى البحث والارشاد باظهار المناصحة لنفسه وامحاض النصح حين اراد لصاحبه ما اراد لنفسه ويجتنب الذم والتقريع الى نفسه لا يواجه بالخصم ليكون ابعد من استغاظه وعناده واشد تليينا لعريكته وكسرا لعود شكيمته كما قال صاحب يس وما لى لا اعبد الذى فطرنى وفيه تقريع قوى **فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى** ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر او لانه لا يعرف فى غير لغة العرب بين المذكر والمؤنث فى الاشارة فاجرى الكلام على قاعدة تلك اللغة فى مقام الحكاية وعلى قاعدة لغة العربية فى مقام الاخبار واما ما قيل فكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث فيرد عليه ان هذا الوجوب فى الرب الحقيقى مسلم واما الذى فرض ربا للابطال باظهار ما فيه من الاوصاف المنافية للربوبية فالوجوب المذكور فيه ممنوع بل المناسب اظهاره

اقول يحتمل ان يكون هذا الوجه على تقدير ان يكون [illegible] صلوات الرحمن عليه [illegible] كمال الصيانة [illegible] لفظ الرب وان لم يطلق [illegible] وانضم [illegible] فصانه عن تلك الشبهة [illegible] لسهو فيه سطحى [illegible]

علامة التانيث لما فيه من الاشارة الى ما سيق له العبارة هذا اكبر من باب مراعاة النصفة
ايضا مع الخصم ويحتمل ان يكون تجريد اسم الاشارة عن علامة التانيث ايضا من هذا الباب
كانه يفرض ما يفرضه ربا متجنبا عما يمكن التجنب عنه مما يوهم ما لا يليق بشان الرب
فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المتغيرة المحتاجة الى
محدث ومدبر مغير وهذا صريح في ان الكلام مع القوم وقد دل قوله لئن لم يهدني ربي
على انه كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية وان قومه على الضلالة واشعر
بان محاجته كانت مع منكر مبالغ في الانكار حيث احتيج الى القسم فان اللام في لئن
موطئة للقسم وفي لاكونن جواب القسم لما تم استدلاله وظهر بالمحجة ولم يبق شبهة يتمسك
بها الخصم صرح بالمقصود واظهر التبري عما كانوا يشركون به عن اخرها والتوجه الى
من دلت عليه الممكنات المتغيرة من موجدها ومبدعها فقال اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين انما استدل بالافول دون
البزوغ مع دلالته ايضا على التغير والانتقال من حال الى حال لتعدد دلالته من جهة الانتقال
والاختفاء وانتفاء النورية ولانه لا مجال للاستدلال بالبزوغ في الكوكب لانه راه في وسط
السماء وحين قرر الاستدلال وحاجه قومه خاصموه في توحيد الله تعالى ونفي
الشركاء عنه قال اتحاجوني وقرئ بتخفيف النون في الله في وحدانيته تعالى انكر
مخاصمتهم فيها بعد ان حج عليهم بالبرهان كما اشار اليه بقوله وقد هدان الى توحيده
وكانوا خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به
اي ولا اخاف معبوداتكم وقتا ما لانها لا تضر ولا تنفع الا ان يشاء ربي نصب على
الظرف اي الا وقت مشية ربي شيئا يخاف من جهتها مثل ان يصيبني مكروه من
جهة الكواكب والشمس والقمر فان كان فذلك منه تعالى لا منها وسع ربي كل شيء علما
اعتراض كالتعليل للاستثناء اي لا اعلم والله احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون
في علمه ان يصيبني مكروه من جهتها افلا تتذكرون ابعد ما لخصته من الدليل
لا تتذكرون مؤداه وهو ان لا موثر الا الله تعالى او الفاء للعطف على مقدر اي
اتخوفونني فلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ثم تعجب
من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تاثير له في شيء ولا تخافون انكم

اشر

اشركتم بالله وانتم لا تخافون ما يوجب كل الخوف وهو اشراككم بالله القادر
على كل شيء ما لم ينزل به باشراكه عليكم سلطانا تهكم بهم فان اقامة الحجة على
الشرك ممتنع وتعريض بوجود الحجة على نفيه ولما دل الكلام على انهم يخافون المامون
من كل وجه ولا يخافون المخوف من جميع الوجوه قال فاي الفريقين احق بالامن
الموحدون ام المشركون ولم يقل فاينا انا ام انتم حفظا للادب واحترازا عن تزكية
النفس ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه ثم استانف جواب الاستفهام بقوله
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي ولم يخلطوه بشرك كنسبة التاثير الى
الغير بعد التصديق بالله تعالى لما روي ان الاية لما نزلت شق على الصحابة رضوان
الله عليهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما
هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقيل
بمعصية ويؤيد الاول كونه جوابا للاستفهام من المشرك والموحد اولئك
الموحدون لهم الامن دون غيرهم وهم مهتدون خاصة وتلك اشارة الى ما
احتج به ابرهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم
مهتدون حجتنا خبر تلك اتيناها ابرهيم الهمناها اياه ووفقناه لها
على قومه متعلق بحجتنا واتيناها خبر بعد خبر او جملة مبينة او حجتنا بدل
واتيناها خبر وعلى قومه متعلق بمحذوف دل عليه مفعول اتيناها اي اتيناها
حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرئ درجات بالتنوين
ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال المرفوع والمخفوض واستحقاق كل
منهما بما فعل به ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما هدينا
ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عليه السلام قوم نوح عليه السلام اول قوم
عبدوا الاصنام ووحده هو الله تعالى ففي عبارة من قبل اشارة الى ان فيه اسوة
حسنة لابرهيم عليه السلام وانما عد هداه نعمة لابرهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد فحقه ان يذكر نوح عليه السلام لعلاقته لابرهيم كما ذكر
بعده كذلك ومن ذريته الضمير لابرهيم عليه السلام لان الكلام فيه ويونس عليه السلام
ايضا من ذريته لما ذكر في جامع الاصول انه كان من الاسباط في زمن شعيب عليه السلام

ارسله الله تعالى الى نينوى من بلد الموصل ولا بعد فى عدّ لوط عليه السلام من ذرية
ابرهيم عليه السلام باعتبار انه كان ابن اخيه هاجر معه الى الشام فلا ضرورة داعية الى
تخصيص البيان بالمعدودين فى الاية الاولى والثانية وعطف المذكورين فى الثالثة
على نوح عليه السلام وقيل لنوح عليه السلام لانه اقرب وفيه انه يلزم خروج افراد اسمعيل
عليه السلام عن باقى ذرية ابرهيم عليه السلام داود وسليمان وايوب بن اموص من اسباط
عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك ومثل ذلك الجزاء العظيم
الذى جزينا ابرهيم من رفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم نجزى المحسنين
الذين احسنوا فى عبادتنا وزكريا ويحيى وعيسى هو المسيح بن مريم عليه السلام
دلّ ذكره على تناول الذرية لاولاد البنت والياس هو من سبط هرون عليه السلام
وقيل هو ادريس جدّ نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية
كلٌّ من الصالحين من الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا
ينبغى وفى توصيف الانبياء عليهم السلام بالصلاح تنويه بشان تلك الصفة
وتنبيه على عظم قدرها كما فى وصف الانبياء عليهم السلام والملائكة بالايمان
فان اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب
وقرئ الليسع كضيغم وعلى القراءتين هو علم اعجمى قيل ادخل عليه اللام كما ادخل
على اليزيد فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا ويرده لزوم اللام له فالوجه
ما قال ابن مالك ما قارنت الى نقل كالنضر والنعمان او ارتجاله كاليسع و
السموأل فان الاغلب ثبوت ال فيه ويونس وهو يونس بن متى عليه السلام
ولوطا هو ابن هاران بن اخى ابرهيم عليهما السلام وكلا فضلنا على
العالمين بالنبوة على من ليس من الانبياء ولا بد من هذا القيد لئلا يلزم
تفضيل كل منهم على الاخر او تفضيل كل من المعاصرين على الاخر ومن ابائهم
وذرياتهم واخوانهم فى محل النصب عطفا على كلا او نوحا ومن للتبعيض
لان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا وهديناهم
الى صراط مستقيم تقرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة
الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده فيه دليل على ان الهداية بمشيئته

تعالى

تعالى واما انه يتفضل بها فمبناه على عدم لزوم المشيئة لذاته تعالى وذلك غير
غير ظاهر من الكلام ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وعلو درجاتهم لحبط
عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى بطلان اعمالهم بسقوط ثوابها عنهم اولئك
الذين اتيناهم الكتاب اى جنسه والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
والنبوة قد بان الفرق بينها وبين الرسالة فى سورة الاعراف فان يكفر بها اى بهذه
الثلثة او بالاخير منها هؤلاء يعنى اهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم مؤمنوا اهل المدينة قاله
ابن عباس رضى الله عنهما ومعنى توكيلهم توفيقهم للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل
بالشئ ليقوم به ويتعهده معنى المراعاة داخل فى مفهوم التوكيل ليسوا بها بكافرين
الباء الاولى صلة الكافرين والثانية لتوكيد النفى اولئك الذين هدى الله الاشارة الى الانبياء
المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده تقديم فبهداهم للتخصيص اى فاخصص هداهم بالاقتداء
ولا تقتد الا بهم والمراد بهديهم الايمان والتوحيد واصل الدين مما اشترك الكل فيه
دون الفروع من الشرائع المختلفة والاديان فانها تختلف بحسب الازمان تبقى ثم
آخر وهو الفروع المتفق عليه كالصوم والصلوة وحرمة الكذب والزنا فيدخل هذا
القسم من الفروع مع الاصول تحت مطلق الهدى من المشترك المضاف الى الكل فيصلح
متمسكا فى الجملة لمن قال انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بشرائع من قبله والهاء فى
اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف ومن اشبعها
ان يجعل كناية عن المصدر قل لا اسالكم عليه اى على التبليغ اجرا جعلا من جهتكم
كالمرسلين الانبياء عليهم السلام السابقون قبل وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه بيضاوى
وفيه اعتراف بعدم اختصاص الهدى المذكور بالاصول فلا وجه لنفى التمسك لما ذكره
ان هو اى التبليغ او القران الا ذكرى للعالمين تذكرة وعظة لهم وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده والانعام عليهم ببعثة الرسل
وانزال الكتب او فى السخط على الكافرين والبطش بهم حين انكروا الوحى والنبوة
واقدموا على تلك المقالة العظيمة اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ والقائلون
هم اليهود بدليل الزامهم بانزال التورية على موسى عليه السلام وقيل القائلون
قريش وانما الزموا بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك

يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم **قل من انزل الكتاب الذى جاء به**
موسى نورا وهدى للناس نورا وهدى حالان اى جامعا بين كونه نورا تتبين به
الاحكام والشرايع وبين كونه هدى للناس الى التوحيد والمعاد **تجعلونه** لاغراض
لبيان سوء حملهم للكتاب وفعلهم به ما ينافى كونه نورا وهدى للناس توبيخا لهم وتعبيرا
قراطيس ورقات متفرقة ليتمكنوا بتفريقها على ما قصدوا من الابداء والاخفاء **تبدونها**
وتخفون كثيرا قراة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون نعتا لكلامهم و
الزاما لهم وقراء بعضهم بالياء التحتانية حملا على قالوا وما قدروا ولتضمن الالزام
توبيخهم على تبعيض التورية وتحريفها وابداء بعض واخفاء بعض وعلى هذا التفت الى
الغيبة تبعيدا لهم بسبب فعلهم القبيح ثم التفت ثانيا الى الخطاب تنبيها على ان الغائبين
هم المخاطبون وما احسن الالتفاتين حيث اريد نسبة القبح اليهم اعرض عنهم حتى لا يواجهوا
به وحيث نسب اليهم الحسن وهو علم ما لم يعلموا به خاطبهم به **وعلمتم** خطاب لليهود اى على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم **ما لم تعلموا انتم** مع كونكم حملة الكتاب **ولا اباؤكم** الاقدمون
الذين كانوا اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس
عليكم لقوله تعالى ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وعلى القول
الثانى الخطاب لمن آمن من قريش لقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم **قل الله** امر بالجواب
عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يلتبس عليهم ولا يناكرون فيه هو الله انزله حذف
الخبر لدلالة انزل فى السؤال عليه لكنهم بهتوا محجوبين ملزومين لا يقدرون على الجواب
فوق العضيحة **ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون** ثم لاستبعاد الكلام بعد الالزام
اى لا كلام الا هذا ولهذا سمى كلامهم غير هذا خوضا فى الباطل اى هواء وهذيانا
وسماهم لاعبين لان الكلام الذى ليس بنافع ولا معقول لعب ومعنى فذرهم لا
عليك بعد الزام الحجة ان لم يسكتوا فاتركهم يلعبون حال من ذرهم وفى خوضهم
صلة له او ليلعبون او حال منه او من خوضهم وهو صلة لذرهم **وهذا** اى القران
والتعظيم الذى قصد بذلك فى قوله تعالى ذلك الكتاب حصل من تنكير **كتاب**
فحصل التعادل بين القولين **انزلناه مبارك** كثير المنافع الثابتة والفوايد الباقية
فان البركة ثبوت الخير على الازدياد **مصدق الذى بين يديه** من الانجيل وسائر الكتب

الالهية

الالهية المخبرة عن رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم والمبشرة عن بعثته ومرجعه الى
تصديقه صلى الله عليه وسلم فى دعوى النبوة وهو من المقاصد الاصلية من انزال القران
ولتنذر عطف على ما دل عليه صفة الكتاب اى للبركات وللتصديق وللانذار لكنى
بذكره عن مقابله وخصه بالذكر لعمومه وقيل يجوز عطفه على طريج الوصف اى
كتاب مبارك وكائن للانذار وعطف الظرف على المفرد فى باب الصفة والخبر كثير
او علة لمحذوف اى ولتنذر انزلناه وقرى بالياء والضمير للكتاب **ام القرى** اهل مكة
وانما سميت به لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومكان اول بيت وضع للناس ولانها
اعظم القرى شانا **ومن حولها** من العرب وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانزال
للانذار العام لان نزوله عربيا لاجلهم على ما افصح عنه فى قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها **والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به** لان التصديق
بالاخرة يحمل صاحبه على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بالكتاب وبالنبى صلى الله
عليه وسلم ويحافظ على الطاعات **وهم على صلوتهم يحافظون** المراد بالمحافظة على الصلوة
المحافظة على الطاعات كلها وانما خص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين فارقة بين الكفر
والاسلام ناهية عن الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على كلها **ومن اظلم ممن**
افترى على الله كذبا بانه بعثه تعالى نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة والاسود كذاب صنعا
او اختلق عليه احكامه كعمرو بن لحي وتابعيه **او قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء** هو
عبد الله بن سعد بن ابى سرح القرشى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى
فلما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يملى عليه حتى اذا بلغ قوله ولقد انشأناه خلقا آخر فعجب عبد الله من اطوار
خلقة الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها
فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فقد اوحى الى كما اوحى اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح
مكة **ومن قال سانزل مثل ما انزل الله** كالنضر بن الحارث واشباهه حيث قال
لو نشاء لقلنا مثل هذا **ولو ترى اذ الظالمون** اللام اما للعهد والاشارة الى المذكورين
من اليهود والمتنبئة وسائر المدعين واما للجنس ودخل هؤلاء تحته دخولا اوليا وحذف

جواب لو وهو لرايت امرا عظيما الى انه لا يمكن وصفه لشدته وحذف مفعول ترى
لدلالة اذ الظالمون عليه اى ولو ترى الظالمين في غمرات الموت اصل الغمرة ما يغمر
من الماء فاستعير للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اليهم حال اخرجوا
انفسكم على تقدير القول اى يقولون اخرجوها اى ارواحكم الينا من اجسادكم وقيل
باسطوها بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اى لا تقدرون على
الخلاص تشبيه لهم بالمطالب المضيق والغريم الملدد الذى لا يمهل ولا يخفف
بل يلح ويبرح تصويرا لعنفهم فى ازهاق الروح والغلظة فى المطالبة والعنف
من غير تنفيس او بالمواخذ الباطش القائل لاسيره تهكما اخلص نفسك عنى
يريد تعجيزه وانه لا يقدر على الخلاص البتة اليوم يريد وقت الاماتة او الوقت
الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اضافة العذاب الى
الهون وهو الهوان لافادة الاصالة فيه والتمكن والعراقة كما تقول رجل سوء بما كنتم
تقولون بسبب قولكم على الله غير الحق كنسبة الولد والشريك بالله ودعوى النبوة والوحى
كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون وباستكباركم عن الايات فلا يؤمنوا بها ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وسائر ما اثرتموه من دنياكم واعوانكم
واوثانكم التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد او جمع فريد كقرين وقرانى ورديف وردافى
والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادى بالتنوين كرخال وفيه انه بالضم اسم جمع رخل وقد
يقال للرخال بالضم انه جمع اما تجوزا واما لغلبة الكسرة ضمة وقرئ فراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة صفة للمصدر اى مجيئا مثل خلقنا لكم اول مرة او صفة
لفرادى او بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية او حال عن
الضمير فى فرادى اى متشابهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما وانتصب اول مرة
على الظرف وتركتم ما خولناكم اعطيناكم وتفضلنا عليكم به فى الدنيا فشغلتم به
عن الاخرة وراء ظهوركم مبالغة فى الترك وعدم الانتفاع به بحيث لا يمكنه النظر اليه
وما نرى معكم شفعاءكم صريح فى انه يحال بينهم وبينهم ابتداء والاستقصار عندهم
عند ذلك ثم انهم يجيئون معهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم وقد عرفت ما يتعلق بهذا فى هذه السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء فى

ربوبيتكم

وربوبيتكم واستحقاق عبوديتكم شركاء الله لقد تقطع بينكم اكثر القراء رفع بينكم على
اسناد الفعل الى الظرف على الاتساع كما يقال قوتل خلفكم وامامكم والمعنى وقع التفرق بينكم
ومن نصب فعلى تاويل اسناد الفعل الى المصدر كما تقول وقع التقطع بينكم كما يقال
جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وقيل
ان البين مصدر وهو من الاضداد يجئ بمعنى الفصل والوصل فمعناه تقطع وصلكم
وتشتت جمعكم ولا يأباه قراءة النصب اذ يكون حركته بناء لاضافته الى المبنى
وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا لتقطع فتستوى القراءتان وضل غاب عنكم ما
كنتم تزعمون انها شفعاؤكم يرشدك الى هذا قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر اخبر عنه بشق النواة مع شدتها
وصلابتها ويخرج منه نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق على اخراج مثله ما
قدروا عليه وقيل المراد به الشقاق الذى فى النواة والحنطة مثلا يخرج الحى من
الميت جملة مبينة لما قبله لان فلق الحب بالنبات والنواة بالشجر اخراج الحى من
الميت لان النامى فى حكم الاحياء لقوله تعالى يحيى الارض بعد موتها الا انه اعم ليكون
كالدليل ومخرج الميت مما لا ينمو من النطف والحب من الحى من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب ذلكم الله اى ذلكم القادر على تلك الامور العجيبة
هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره وفيه دلالة على ان هناك
صارفا لهم عن مقتضى فطرتهم وانها غير الله تعالى فالق الاصباح شاق ظلمة الاصباح
وهو الغلس فى اخر الليل الذى على الافق عن الصبح او شاق عمود الصبح عن بياض النهار
يقال انشق عمود الصبح وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق الظلمات والاصباح
فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا السكن ما يسكن اليه ويستانس به ومنه قيل
للنار سكن لانه يستانس بها والليل يستانس به التعب ويسكن اليه للاستراحة فيه ونصبه
بفعل يدل عليه جاعل لا به لانه قصد به معنى المضى ويعضده قراءة وجعل الليل حملا على
معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل
مستمر فى الازمنة وما يقال لما بعد بمعنى المضى عن شبه الفعل بمعنى الاستمرار اولى ليس بشئ

لان شبهه الخاص انما هو بالمضارع وباعتباره يعمل ولهذا يشترط معنى الحال والاستقبال
الذي هو حقيقة المضارع عند الجمهور والمضارع قد يجيء بمعنى الاستمرار كثيرا فاسم
الفاعل بالاستمرار كلا يبعد عن شبه الفعل بخلاف معنى المضي وعلى هذا التقدير يجوز
ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل والاحسن نصبهما على اضمار فعل
دل عليه جاعل وقرئ بالجر عطفا على الليل ولا دلالة فيه على ان نصبهما عطفا
على محل الليل حتى بنا في حسن نصبهما على اضمار فعل وقرئ بالرفع على الابتدا والخبر
محذوف اي والشمس والقمر مجعولان حسبانا اي جعلا حسبانا اجعلهما على
حسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما يعني على ادوار مختلفة يحسب بها
الاوقات ويكونان على الحسبان وعلى قراءة الجر نصب حسبانا بفعل مقدر اي جعلا كما في
فسكنا والحسبان كالكفران مصدر حسب بفتح العين واما مصدر حسب بالكسر
فالحسبان كالغفران ذلك اي جعلهما حسبانا يعني ذلك التسيير بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما على الادوار المختلفة
وهو الذي جعل لكم النجوم اجمال اي خلقها لاجلكم فان لكم فيها منافع وهو دليل
اضماره في الكل من فالق الحب وجاعل الليل والشمس والقمر لانه في معرض الامتنان
وتعديد النعم على الانسان لتهتدوا بها تبيين بافراد بعض منافعها بالذكر اشارة
الى انه اكثر منافعها واجلها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليها للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة قد فصلنا
الايات بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون لما علمت ان ذلك التفصيل
في معرض الامتنان وهو لا يكون الا للعالم بما امتن به وهو الذي انشاكم من
نفس واحدة هو ادم عليه السلام فمستقر ومستودع فلكم استقرار في الرحم
او فوق الارض واستيداع في الصلب او تحت الارض وقال ابن الحنفية المستقر
الصلب والمستودع الرحم لتقديم ذكره المستقر على المستودع او فلكم محل استقرار
واستيداع وعلى قراءة كسر القاف فمنكم مستقر اسم فاعل ومنكم مستودع اسم مفعول
لان الاستقرار منا دون الاستيداع وهو جعل الشيء في الشيء للاحتفاظ به قال
الحسن رحمه الله المستقر من مات والمستودع انتم وانشد

فجع

فجع الاحبة الاحبة قبلنا   فالناس مفجوع به ومفجع
مستودع او مستقر قد خلا   فالمستقر يزوره المستودع

وكان يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك وينشد

وما المال والاهلون الا ودائع   ولا بد يوما ان ترد الودائع

قد فصلنا الايات لقوم يفقهون فرق بين الفاصلتين فذكر مع ذكر النجوم
والاهتداء بها يعلمون لظهورها ومع انشاء الخلق من نفس واحدة يفقهون لان تصريفهم
بين اطوار واحوال مختلفة يحتاج الى دقة نظر وروية وهو الذي انزل من السماء
ماء من جانبها او من السحاب فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل
شيء نبت كل صنف من اصناف النامي وفيه ايماء الى عجيب صنعه وبديع خلقه
من كون السبب واحدا والمسببات اشياء مختلفة كقوله تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر وهو
ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو
كالسنبل ومن النخل من طلعها الطلع اول ما يخرج من النخلة في اكمامه قنوان
وهو الاعذاق جمع قنو مبتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة
من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي مخرجة
من طلع النخل قنوان ومن قراء حب متراكب عطف قنوان على حب وقرئ بضم
القاف وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة التناول
لان النخل تمر على قصرها او قريبة بعضها من بعض ووصف القنوان بالدانية لان النعمة
فيها اكثر واهنى واستغنى بها عن ذكر مقابلها كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من
اعناب بالكسر في محل النصب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي
ولكم او وثمة جنات من اعناب اي مع النخل ويجوز عطف على قنوان ولا يلزم ان يكون
المعنى ومن النخل جنات من اعناب اذ حينئذ يكون من اعناب عطفا على من النخل فيصير
من عطف مفرد على الابتداء واخر على خبره وقدم الظرف في المعطوف عليه للتخصيص
واخر في المعطوف لعدم الاختصاص بالجنات غايته ان المعطوف على المبتدا يكون نكرة
غير مخصوصة ولم يعرف منع ذلك كيف وقد قال الشاعر

عند اضطبار و سكوى عند قاتلتى   فهل يا عجب من هذا امرئ سمعا
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على المدح لعزة هذين الصنفين
عندهم مشتبها وغير متشابه حال وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابه
والرمان كذلك كقوله كنت منه و والدى بريًا اى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه
فى القدر واللون والطعم والشكل وذلك دليل القدرة ومتشابها والاشتباه و
التشابه بمعنى واحد وكثيرا ما تشترك الافتعال والتفاعل بمعنى انظروا الى ثمره الى ثمر
كل واحد من ذلك وقرى بضم الثاء جمع ثمرة كخشب وخشبة او ثمار ككتاب وكتب
اذا اثمر اذا اخرج ثمره نظر استبصار واعتبار واستدلال على قدرة مقدره و
مدبره وناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حقيرا لا ينتفع به وينعه والى حال
نضجه كيف يعود شيئا جامعا المنافع وملاذ واليَنع مصدر ينع بفتح الياء فى لغة
اهل الحجاز وضمها فى بعض لغة نجد يقال ينعت الثمرة اذا ادركت ونضجت وقيل جمع
يانع كتجر وتاجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم لايات لقوم يومنون
اى لايات دالة على وجود قادر حكيم و توحيده بمعنى نظر واعتبر وظهور الايات لا
ينفع الا من قدر الله تعالى له الايمان فنبه على ذلك بتوصيف القوم بالايمان فهو
من قبيل هدى للمتقين ولما ذكر ما دل على صانع قادر حكيم لا ندّ له ولا ضد وبخ من
اشرك به او استعظم ذلك فقال وجعلوا لله شركاء الجنّ لله شركاء مفعولا ن
لجعلوا والجنّ منصوب بمحذوف جوابا عن سؤال كانه قيل من جعلوه شركاء
لله فقيل الجنّ او بدل من شركاء او شركاء الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا
او حال من شركاء وشركاء ثانى مفعوليه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل
الجن اى هم الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وفائدة تقديم لله استعظام
ان يكون لله شركاء اى شى كان جنيا او انسيا او غير ذلك وكذا فائدة
تقديم شركاء على الجن والظاهر ان المراد به الملائكة وسماهم جنيا لاجتنانهم
تحقيرا لشانهم ويجوز ان يراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوهم كما يجب ان يطاع
الله تعالى وعبدوا الاوثان بتحريضهم وتسويلهم فهم عبدوه فى الحقيقة وقيل
المراد به الثنوية القائلون بيزدان واهرمن الذين زعموا ان الله تعالى خالق

كل

كل خير ونافع وابليس خالق كل شر وضار وخلقهم اى الجاعلين معناه وقد
علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن فكيف يجعلون من لا يخلق شريك الخالق او
الجن يعنى وخلق الله الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له وقرئ وخلقهم بسكون
اللام عطفا على شركاء على الوجه الاول اى لاختلاقهم للافك معناه وجعلوا لله افتراءهم
وهو ما نسبوا قبايحهم الى الله تعالى فى قولهم ان الله حرم هذا وقولهم والله امرنا بها
وامثال ذلك وخرقوا له افتعلوا الافك يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه
بمعنى ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ
وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات على الجمع وقرئ وحرّفوا له اى وزوّروا
له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل فهو قول اهل الكتابين فى المسيح وعزير
عليهما السلام وقول قريش فى الملائكة بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه اى
قولا عن جهالة وعمىً من غير فكر وروية وهو فى موضع الحال اى خرقوا متلبسين بالجهالة
او المصدر اى خرقا بغير علم ولما ذكر اثباتهم الشركاء له تعالى واختلاقهم نسبة ما لا يجوز
نسبته اليه تعالى نزهه عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له
شريكا و ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اى بدعت
سمواته وارضه او الى الظرف اى بديع فيهما بمعنى عديم النظير فيهما كقولك فلان ثبت
الغدر اى ثابت فيه وقيل بمعنى المبدع وقد مر ان فعيلا يجئ بمعنى المفعِل كاليم وحكيم
وهو خبر مبتدا محذوف اى هو بديع او مبتداء خبره انى يكون له ولد اى من اين او
كيف يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر صفة لله تعالى او بدلا من ضمير سبحانه
وبالنصب على المدح ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان
الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا تخفى عليه خافية
وانما قال بكل شئ ولم يقل به لان الاول اختص بالمخلوقية وفى الاية استدلال على نفى الولد
من وجوه احدها انه تعالى مبدع الاجسام كلها ومبدع الاجسام كلها لا يكون جسما والولادة
انما تكون من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام مبدعة والمبدع هو الذى
لا يوجد من مادة والولد لا يكون الا من مادة شخص والمبدع ليس بوالد وثالثها ان الولد
لا يكون الا عن زوجة تجانس الوالد وهو غير مجانس فلا زوجة له فلا ولد ورابعها انه تعالى

خالق الكل والمخلوق ممكن محتاج الى الخالق والخالق واجب مستغن فلا يشابهه شئ من
خلقه وخامسها انه تعالى عالم بكل شئ لذاته ومن عداه ليس كذلك بالاجماع فلا
يجانسه غيره والولد انما هو مجانس للوالد فلم يكن له ولد ذلكم اشارة الى الموصوف
بما سبق من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا
هو خالق كل شئ ويجوز ان يكون البعض خبرا والبعض بدلا او صفة فاعبدوه
مسبب عن مضمون الجملة اي من استجمع هذه الصفات وجب عبادته ولا تحق العبادة
الا له وهو على كل شئ وكيل اي هو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوا اليه اموركم و
توسلوا الى عبادته يجازيكم بها لا تدركه لا تحيط به الابصار فاذا لم تحط به الكل فعدم
احاطة كل واحد منها بطريق الاولى وهذا هو الوجه للعدول عن المفرد الى الجمع واذا كان
المنفي الادراك الخاص فلا تمسك فيه لمن انكر الرؤية واما الجواب عنه بتخصيص الحكم ببعض
الاوقات او ببعض الاشخاص فلا يحتمله الكلام على الوجه المذكور المناسب للمقام والابصار
جمع بصر وهو حاسة العين اي قوتها التي بها تدرك وقد يطلق على العين مجازا وهو
يدرك الابصار يحيط بها علما وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك بالبصر
يجوز ان يكون الاول ناظرا الى قوله لا تدركه الابصار والثاني الى قوله وهو يدرك
الابصار كانه قيل لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير بكل
خفية وجلية والمراد باللطيف ما لا تتعلق به حاسة البصر لعدم حظه من الكثافة
بطريق الاستعارة قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي نور للقلب
يدرك به الحق ويستبصر وهي للقلب بمنزلة البصر للعين سميت بها الدلالة لانها يجلى
بها الحق ويبصر بها فمن ابصر اي ابصر الحق بهذه الدلائل وآمن به فلنفسه ابصر
واياها نفع ومن عمي اي عمي عن الحق وانكر فعليها عمي واياها ضر اذ ليس وباله
الا عليها وهذا الكلام وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم
بحفيظ وما انا عليكم برقيب يحفظ اعمالكم ويجازيكم بها بل الله الحفيظ وما انا الا
منذر وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اداء المعنى الدائر
في المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال وليقولوا درست علة فعل
محذوف اي ليقولوا درست نصرفها واللام للعاقبة كذا قالوا والظاهر انها لام

الام

الامر والفعل مجزوم بها لا منصوب باضمار ان ويؤيده قراءة من قراء بتسكين اللام والمعنى
عليه متمكن كانه قيل ومثل ذلك نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون وهو امر
معناه الوعيد والتشديد وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون والدرس استمرار
التلاوة وقرئ دارست العلماء ودرست من الدروس اي قدمت هذه الايات و
عفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست
على البناء للمفعول اي قرئت هذه الايات وعفيت ودارست بمعنى دارست اليهود
محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان اليهود كانت مشهورة عندهم بالدراسة
ويجوز ان يكون الضمير للايات والمراد اهلها وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد
صلى الله عليه وسلم ودرسن اي عفون ودارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة
راضية ولنبينه اللام للتعليل على الحقيقة او بطريق الاستعارة على اختلاف الاصلين
في جواز ان يكون فعل الله تعالى معللا بالغرض واعيد الضمير مفردا على معنى الايات وهو
القران ولما كان التصريف اعتبر فيه وحدة المعنى كان لتوحيد الضمير فيه ههنا باعتبار
المعنى موقع حسن لقوم يعلمون وجه التخصيص ما ذكر في قوله لقوم يؤمنون اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي او حال مؤكدة
من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين اي لا تحتفل باقوالهم ولا
تلتفت اليهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولا
ضرورة فيه ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا دليل على ان الله
تعالى لا يريد ايمان الكفار وان مراده تعالى واجب الوقوع وما جعلناك عليهم
حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم باموره ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي لا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا
الله ليتسبب سبكم لان يسبوا الله فيه تلوين الخطاب بالعدول عن خطابه
صلى الله عليه وسلم وحده الى الخطاب في ضمن الكل لما في مواجهته صلى الله عليه
وسلم بما ذكر من خلاف ما كان عليه من الاخلاق الكريمة اذ لم يكن فحاشا ولا سبابا
قال الامام ابو منصور كيف نهانا الله تعالى عن سب من يستحق السب لئلا
يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق

منكر وكذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم وان كانوا
يكذبونه ثم قال في جوابه ان السب لاولئك مباحٌ غير مفروض وقتالهم فرض وكذا
التبليغ وما كان مباحًا فانه ينهى عمّا يتولد منه ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عن
المتولد منه وعلى هذا يقع الفرق لابي حنيفة رحمه الله فيمن قطع يدَ قاطع يده
قصاصًا فمات منه فانه يضمن الدية لان استيفاء حقه مباح فاخذنا بالمتولد منه
والامام اذا قطع يدَ السارق فمات لم يضمن لانه فرض عليه فلم يوخذ بالمتولد منه الى
هنا كلامه وعلى هذا لا دلالة في الاية على ان الطاعة الواجبة يجب ان تترك اذا
ادّت الى معصية راجحة كالنهي عن المنكر بقي ههنا شيء وهو انهم كانوا مقرّين
بالله تعالى وعظمته وان الاصنام انما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله تعالى
فكيف يسبّونه واجيب عنه بانهم لا يفعلون ذلك صريحا لكن ربما يفضي فعلهم
الى ذلك كما قالوا اتَرُكْ شَتْمَ الهتنا والا شتمناك ومن يامرك بذلك ويعضد
ذلك قوله عَدْوًا بغير علم اى تجاوزا عن الحق الى الباطل على جهالةٍ حالٌ اى
عادين او مفعول له اى لعدوان فيهم او مصدر للنوع اى سبا عدوا وقرئ
عُدُوًّا بضم الدال وتشديد الواو وبما قرّرناه تبين الخلل فيما قيل انه صلى الله عليه
وسلم كان يطعن في آلهتهم فقالوا لَتَنْتَهِيَنَّ عن سب آلهتنا او لنهجون الهك
فنزلت فان عبارة لنهجون تابى عن التاويل المذكور وقد ذكر في التيسير سبب
النزول على وفق ذلك النا ويل كذلك زينا لكل امة عملهم اى مثل ذلك التزيين
العظيم وهو تزيين سب الله تعالى زيّنّا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم بالخذلان
والتخلية بينهم وبين اعمالهم حتى تزين لهم وقيل هو عام اى زينا لكل امة عملهم من
الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويقوى الاول كون الكلام
في الكفار والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم والتهديد بقوله ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة والمعاقبة واقسموا بالله جهد ايمانهم
مصدر في موقع الحال اى جاهدين ايمانهم جهدا وانما اقسموا بالله موكدين تحكما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الايات واقتراحها وعدم الاعتداد
بما اوامنها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليومنن بها قل انما الايات عند الله

لا عند

لا عندي اى هو القادر عليها لا انا حتى اتيكم بها وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يومنون استفهام انكار للسبب بمبالغة المسبب اى لا تدرون ايها المومنون
ان الايات المقترحة اذا جاءتهم لا يومنون بل انا اعلم ذلك يعني ان سبب عدم انزال الآية
التي يقترحونها على الله تعالى انها اذا جاءت لا يومنون بها وذلك ان المومنين كانوا
يطمعون في ايمانهم ويتمنون مجيئها ليومنوا فاجيبوا بذلك ودليله قوله تعالى
كما لم يومنوا به اول مرة ومنهم من جعل لا مزيدة في القراءة بالفتح وقرئ لا تومنون بالتاء
على ان الخطاب للمشركين وقرئ وما يشعرهم اى وما يعلمون ان قلوبهم اذا جاءت
كانت كما كانت مطبوعا عليها فلا يومنون بها وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب
ائت السوق انك تشتري لحما ويويده قراءة ابيّ رضي الله عنه لعلها وقرئ انها
بالكسر على ان وما يشعركم كلام قديم اى وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتداء فاعلمهم
بقوله انها اذا جاءت لا يومنون البتة ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على
لا يومنون داخل في حكم الاستفهام وكذا نذرهم اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
اى نطبع على قلوبهم ونعمي ابصارهم كما كانت ولم يذكر اسماعهم اذ لا يناسبه التقليب
ولهذا ايضا لم نقل قلوبهم بدل افئدتهم ويجوز ان يكون كما في قوله كما لم يومنوا به
اول مرة للتعليل وما مصدرية اى يفعل بهم ذلك لكونهم لم يومنوا به اى بما انزل من
الايات اول وقت جاءهم هدى الله تعالى وبما سبب هذا المعنى آخر الاية ونذرهم
نخليهم في طغيانهم يعمهون متحيرين لا نهديهم هداية المومنين وقرئ ويقلب ويذرهم
على الغيبة وقرئ وتقلب على البناء للمفعول ورفع افئدتهم وابصارهم ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا والقُبُل جمع قبيل
بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل جمع قبيلة اى جماعات او مصدر
بمعنى مقابلة وقرئ قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء اى عيانا حال على القراءة على الوجوه
كلها من كل شيء لعمومه ما كانوا ليومنوا لما سبق عليه القضاء بالكفر لان فيه تعليل
الحوادث بالتقدير الازلي ولا يخفى فساده بل لبطلان استعدادهم وتبدل فطرتهم القابلة
بسوء اختيارهم الا ان يشاء الله ظرف اى الا وقت ان يشاء الله ولكن اكثرهم

قال الامام ابو منصور ودل هذا على ان الاية وان عظمت فانها لا تضطر الى الايمان فلا آية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ويكون معنى قوله ان نشاء ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اى ان شاء الله ان يجعلها تضطرهم الى ذلك ودل انهم انما لا ان الاية [illegible]

لا يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يومنوا فيقسمون ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
اسند الجهل الى اكثرهم مع ان يعمّهم لان المقسمين بعضهم او ولكن اكثرهم يجهلون انهم
لا يومنون عند مجئ الايات فيقطعون في ايمانهم ويتمنون نزولها يعني ان الآيات وان
توالت وشموس البرهان وان تعالت عن قسمة الغيرة وكسة القسمة لم يزده
ذلك الا ضلالا فلم يجد الالقسوة حالا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما
جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا والحكمة في ذلك الابتلاء والامتحان
ليظهر الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر شياطين الانس والجن متمردي
الصنفين بدل من عدوا او هما مفعولاه وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال
منه يوحي يلقي في خفية بعضهم الى بعض شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض
احد الصنفين الى بعض اخر منه زخرف القول مزينه ومموهه بالاباطيل غرورا حال اي
غارين او مغرورين او مفعول له اي للغرة ولو شاء ربك حذف المفعول لدلالة
ما فعلوه عليه اي لو شاء ربك ان لا يفعلوا معاداة الانبياء وايحاء الزخارف
وفي الاية دلالة على ان الشرور صدورها عنه تعالى بمشيئته فذرهم وما يفترون اي
اذا عرفت ان ذلك بمشيئته تعالى ومشيئته تابعة للحكمة فاتركهم وكفرهم وفيه تهديد
ووعيد ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطفا على غرورا ان
جعل علة او علة محذوف اي ولتصغى اليه جعلنا لكل نبي عدوا واللام للتعليل او للعاقبة
على الاختلاف في جواز ان يكون فعله تعالى معللا بالاغراض وليست لام الامر والا لقيل
ولتصغ بحذف اللام ولا لام القسم لان عطف قوله وليرضوه يأباه وهذا يدفع كونها
للامر ايضا والضمير في اليه وليرضوه لما له الضمير فعلوه والصغو الميل لغرض من الاغراض
يقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا
ما هم مقترفون من الاثام فيتميز الشقي من السعيد وترتيب هذه المفاعيل في غاية
الفصاحة لانه اولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون فعل الاقتراف
فكان كل واحد مسببا عما قبله افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم
يا محمد والهمزة للانكار والفاء للعطف على ما دل عليه ما قبله اي اسلك لكثرة
الجاحدين المفترين فغير الله تعالى ابتغي اي اطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل

المحق منا من المبطل روي ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل
بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك
بما في كتابهم عن امرك فنزلت وغير مفعول ابتغي وفي تقديمه ايماء الى وجوب تخصيصه
تعالى بالابتغاء والرضى بكونه حكما وحكما حال منه ويحتمل عكسه ويجوز ان يكون حكما
تمييزا عن غير كقولهم ان لنا غيرها ابلا وهو ابلغ من الحاكم قيل ولذلك لا يوصف به الا
العادل وفيه ان المبالغة من جهة التكرار ولا دلالة فيه على الوصف وهو الذي انزل
اليكم لو او للحال الكتاب اي القران مفصلا مبينا فيه الحق والباطل مميزا به الصادق
من المفترى وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات ثم اكد
الدلالة على ان القران حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته
لهم من غير قراءته صلى الله عليه وسلم لكتابهم بجملة استئنافية وهو قوله والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل قرئ بالتخفيف والتشديد من ربك بالحق انما
وصف الكل بالعلم تنزيلا للجاهلين منهم لتمكنهم عنه منزلة العالم وقيل المراد مؤمنوا اهل
الكتاب فلا تكونن من الممترين انهم يعلمون ذلك او انه منزل من ربك بالحق لكثرة جحودهم
وكفرهم فهو من باب التهييج والالهاب او خطاب لكل احد اي لما تعاضدت الادلة
وبهرت فلا ينبغي لاحد ان يرتاب فيه وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد امته
وتمت كلمات ربك اي تمت كل كلمة من ربك ومعنى تمت استمرت لانه كان بها نقص
نكملت وبلغت الغاية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاحكام والاقضية نصبا
على الحال او التمييز او المفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يقدر ان يحرف شيئا منها شيوعا
وذياعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا من الله بحفظه اذ لا نبي
ولا كتاب بعده ينسخه ويبدل احكامه وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به او القران
وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان امهلهم وان تطع اكثر
من في الارض اي اكثر الناس يضلوك عن سبيل الله لان اكثرهم يتبعون اهواءهم
وقيل المراد بالارض ارض مكة ان يتبعون الا الظن اي الاراء الفاسدة والاهواء
الباطلة وظنوا ان اباهم كانوا على الحق وهم يقلدونهم فان الظن يطلق على ما يقابل
العلم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شئ او يكذبون في قولهم ان الله حرم كذا

واحل كذا فان الخرص التقدير والكذب ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومَن اما موصولة او موصوفة وهى فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به لان افعل لا يعمل فى الظاهر فى مثل هذه الصورة او فى محل الجر لا باسقاط حرف الجر وابقاء عمله لدلالة بالمهتدين عليه لان مثله لا يجوز الا فى ضرورة الشعر بل باضافة اعلم اليه او استفهامية فى محل الرفع بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وعلى هذا صرفه عن وفاق قبيه تجيبا بين شان المضلين المتبعين للظن الكاذب وابعاداً لهم وقرئ من يضل بضم اليا اى يضله الله تعالى اى اعلم المضلين من قولهم من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا و التفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى من شان العلم ان يتعلق بها ولدوامه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكارهم اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى باسم الله تعالى ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضى ما ذكر وقد دل هذا على شرط محذوف جوابه فكلوا وما لكم ان لا تاكلوا واى غرض لكم فى ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجوا من اكله قيل هو كلام على القلب اذ المراد وما لكم ان تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فقلب مبالغة فى صونهم عن اكل ما حرم عليهم وانهم ليسوا مما يهمون بذلك فيحتاجون الى التنبيه وانهم لشدة الاحتراز عن الحرام كادوا يتركون ما احل لهم تورعا ولهذا رتب الوعيد على تجاوز الحد وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم يعنى فى هذه السورة لانها على ما نقل مكية ونزلت فى مدة واحدة والتفصيل الواقع فى البقرة والمائدة متاخر فى النزول لانهما مدنيتان وقرئ فصّل على البنائين وكذا حرّم الا ما اضطررتم اليه استثناء متصل اى مما حرم عليكم ويجوز ان تكون ما مصدرية وما اضطررتم فى محل النصب على الظرف والاستثناء مفرغ اى ما حرم عليكم فى جميع الاوقات الا وقت اضطراركم اليه يعنى فى

حال الضرورة فانه حلال وان كثيرا ليضلون فيحللون ويحرمون باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل يفيد العلم وقرئ ليضلون بضم الياء وفتحها ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن به وما يسر او ما يعمل بالجوارح او ما بالقلب وقيل الزنا فى منازلهن واتخاذ الاخدان قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون ما كان من الزنا حلالا فحرم بهذه الآية ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر فى تحريم المتروك عليه اسم الله تعالى عمدا او نسيانا وعليه احمد ومالك وداود خلافا للشافعى لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله تعالى عليه لقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به وانه لفسق الواو للاستيناف او للعطف على جملة استينافية للتعليل حذفت لدلالة باقى الكلام عليها اى انه حرام وانه لفسق الضمير لمصدر الفعل اى وان اكله واما ان تحمل ما لم يذكر اسم الله عليه نفس الفسق ويجوز ان يكون الضمير الثانى على تقدير لعدم ذكر اسم الله تعالى وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم المنقول فيما سبق وهو يويد التاويل بالميتة وان اطعتموهم فى استحلال ما حرم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله فى دينه فقد اشرك جواب القسم المقدر قبل الشرط سادّ مسدّ جوابه اى والله وقيل حذف الفاء لدخول الشرط على الماضى ورد بانه يقع ضرورة فلا يكون فى القران اومن كان ميتا فاحييناه الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر دل عليه اى هل يكون المهتدى كالضال ومن كان ميتا فاحييناه وقرئ ميّتا على الاصل وجعلنا له نورا يمشى به انما زاد فى الناس تقوية للنور فان المشى بينهم يحجز عنه ما فى نور بصره ضعف كمن مثله صفته وهو مبتدا وخبره فى الظلمات على سبيل الحكاية يعنى انه اذا وصف يقال له ذلك والجملة صفة من اى كمن صفته هذه وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن فى الظرف والعامل معنى الاستقرار لا من البارز فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى فى الضلالة لا يفارقها بحال وما سبق مثل لمن هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور البصيرة يميز به بين الحق

والباطل بالتأمل في الايات والبينات وكلاهما من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ لا ذكر للمشبه
صريحا ولا دلالة بحيث ينافي الاستعارة وهذا كما تقول في الاستعارة الافرادية ايكون الاسد
كالثعلب اي الشجاع كالجبان كذلك اي مثل ذلك التزيين والاشارة اليها في قوله زينا
لكل امة عملهم او قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم زين للكافرين ما كانوا
يعملون والاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر وعمار رضي الله عنهما وابي جهل
وكذلك اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا بمعنى صيرنا ومفعولها الاول اكابر مجرميها وفي كل قرية مفعولها
الثاني ويجوز ان يكون في كل قرية ظرفا لغوا والمفعول الثاني ليمكروا على ان الجعل بمعنى التمكين
واكابر على هذين الوجهين مضاف الى مجرميها واجاز ابو البقا ان يكون مجرميها بدلا من
اكابر واجاز ابن عطية ان يكون مجرميها المفعول الاول واكابر المفعول الثاني والجعل
بمعنى التصيير او بمعنى التمكين على ان يكون الكلام من قبيل اعمم خيرا ويرد هما ان افعل
التفضيل اذا كان من ملفوظا بها او مقدرا او مضافا الى نكرة كان مفردا مذكرا دائما
سواء كان لمذكر او مؤنث مفردا ومثنى او مجموع فاذا انث او ثني او جمع طابق ما هو له
في ذلك ولزمه احد الامرين اما الالف واللام او الاضافة الى المعرفة وعلى الوجهين ١١
المذكورين يلزم ان يبقى اكابر مجموعا وليس فيه الالف واللام ولا هو مضاف على معرفة
واللازم باطل وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس في المكر بهم وقرئ اكبر
مجرميها وعلى هذه القراءة يمكن تمشية الوجهين المرد ودين على القراءة السابقة وما يمكرون
الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن
نومن اي بتلك الاية حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله لم يقولوا مثل ما اوتي محمد لانهم
كانوا في مقام الانكار لذلك وفيما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى
اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان ياتينا
وحي كما ياتيه فنزلت قوله كما ياتيه لا يناسبه النكتة المذكورة وعلى صحة ما روي الجمع في قالوا
لان من تبعه من قريش رضوا بقوله فنزلوا منزلة القائلين الله اعلم حيث يجعل
رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بكبر النفس ولا بالمال والجاه
انما هي بخصايص يخص الله بها من يشاء من عباده ويصطفي بها من يعلم انه يصلح

لها

لها وهو يعلم بالمحل الذي يضعها فيه فانتصب حيث بعلم محذوفا مدلولا عليه باعلم لا به لان
افعل التفضيل لا يعمل في المفعول به وحيث هنا مفعول به لما عرفت ان المعنى انه تعالى
يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا يثبتا في المحل وقرئ رسالته سيصيب
الذين اجرموا من اكابرها صغار هوان وحقارة بعد كبرهم وعظمتهم مكان ما
يفترون من عز النبوة وحشمة الرسالة وفيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل والهوان
وان الرسل انما فازوا بتلك العزة لعصمتهم عن الجرايم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره
من عند الله وياباه الفصل بين الصغار والعذاب لان كلاهما من عند الله تعالى ويمكن ان
يقال انه من قبيل الفصل بين المعطوفين بالمتعلق بها ويأتي نظيره في هذه السورة وعذاب
شديد في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء
عليه فمن يرد الله ان يهديه يوفقه للايمان ويعرفه طريق الحق يشرح صدره للاسلام
شرح الصدر وتوسيعه كناية عن تنوير الباطن وتصفية الاستعداد عما ينافي قبول الحق
من ظلمات الشكوك والشبه فيصدق الرغبة في الايمان ومن يرد ان يضله اي يخذله ولا يوفقه
يجعل صدره ضيقا قرئ بالتخفيف والتشديد ضيق الصدر كناية عن تكدر الباطن
ويزيل الاستعداد ويميل النفس الى الشهوات فيتبرأ عن الحق وينقبض عنه فلا يقبله حرجا
شديد الضيق وقرئ بفتح الراء وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء مثل لمن يزاول
امرا ممتنعا لا تسعه قدرته لان صعود الانسان الى السماء امر خارج عن طوقه العادي وقيل
لمن ينبو عن الشيء ويتباعد مبالغا في الهرب منه والتجافي واصل يصعد يتصعد وقد قرئ
به وقرئ يصعد من صعد ويصعد من اصعد ويصاعد بمعنى يتصاعد ومعنى في السماء
في مدارج السماء وهذا ابلغ من الى السماء كذلك مثل ذلك التضييق يجعل الله الرجس
العذاب او الخذلان او الفعل المؤدي الى العذاب على الذين لا يومنون وضع الظاهر موضع
المضمر للتعليل وهذا الاسلام او ما ذكر من التوفيق والخذلان صراط ربك طريقه الذي
ارتضاه او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه ولا ميل الى شيء من الجوانب او
عادلا مطردا وهو حال موكدة لان صراطه تعالى لا يكون الا مستقيما والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون انه القادر على ما يشاء وان الخير والشر
بقضائه وقدره وانه عالم باحوال العباد عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام اضافة

صرح بذلك في مغني اللبيب وفيه نظر لاعتراض سعد الدين بان فيه اخراج حيث من الظرفية مطلقا

زاوله اي عالجه وحاوله وطالبه قاموس

الدار ان كان الى السلام الذى هو اسم من اسماء الله تعالى فتعظيم ورفع من شانها واشارة الى انها دار لا نقص فيها ولا افة ولا عيب والا فمعنى السلامة من المكاره او دار تحيتهم وضيافته ويحتمل ان يكون قوله عند الله فيما سبق من قوله تعالى صغار عند الله بهذا المعنى على التهكم وقيل فى ضمانه كقولك له عندى حق وهو وليهم محبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها ويوم نحشرهم جميعا منصوب باضمار نقول او قائلين يا معشر الجن وهذا اولى من اضمار اذكر مفعولا به لخروجه ولطراحه عن الظرفية والحاجة الى تقدير القول فى ربط ما بعده والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرئ يحشر بالياء والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم يقال استكثر الامير من الجند وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض استمتع الانس بالجن لدلالتهم على شهواتهم وما يتوصل به اليها من الحيل واستمتع الجن بالانس لطاعتهم ومساعدتهم على مرادهم وما يشتهون من اغوائهم وقيل استمتاع الانس بهم ما فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن واستمتاع الجن بهم اعترافهم بالجن بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وَبَلَغْنَا اَجَلَنَا الَّذِى اَجَّلْتَ لَنَا اى البعث وهو اعتراف منهم بطاعة الشياطين فى الدنيا والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات منزلكم خالدين فيها حال عاملها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله من عصاة المومنين واستعمال ما فى ذوى العقول شايع كما فى قوله تعالى الا ما رحم ربى وفى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم او من الاوقات التى يخرجون فيها من النار وهو ما ذكر فى تفسير قوله تعالى الله يستهزئ بهم من انه يفتح لهم وهم فى النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقيل من الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وفيه من الحاجة الى صرف النار من معناها العلمى الى معناها اللغوى وقيل الا ما شاء قبل الدخول ولا وجه له لان حكم الخلود والابد بعد الدخول او من جهة المنتهى لا من جهة المبدا ان ربك حكيم فى افعاله واقواله عليم بافعال عباده واحوالهم وكذلك اى مثل ما فعلنا من تمكين الجن من اغواء الانس نولى بعض الظالمين بعضا اى نجعل بعض الظالمين

واليا

والياً على بعض يسخرونهم ويعدونهم او يجعل بعضهم يتولى بعضا بغويهم او نجعل بعضهم اولياء بعض وقرناءهم يوم القيمة كما كانوا فى الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس قدم الجن لان الخطاب للتوبيخ الم ياتكم رسل منكم من جملتكم وهم رسل الانس عن الكلبى كانت الرسل قبل نبينا صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس وهو صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين وقيل من الجن ايضا رسل ولا دلالة فى الاية على ذلك اذ لم يقل رسل منكما حتى يحتاج القول الاول الى التاويل بمثل ما ذكر فى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعنى يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان ارادوا شهادتهم عند توفيهم على ما نطق به قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ولذلك قالوا شهدنا بلفظ الماضى وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم وتخطئة لرايهم وتحذير لمن سمع للاتعاظ بهم ذلك اشارة الى ما تقدم من ارسال الرسل وانذارهم وهو خبر مبتداء محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل وان هى الناصبة للافعال اى كيلا يكون او المخففة من الثقيلة اى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى ويجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وان يكون خبر ذلك اى ارسال الرسل والانذار لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم والباء للسببية اى بسبب ظلم او ظلم حال اى ملتبسين بظلم يعنى انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو تعالى منزه عن الظلم ولكل اى ولكل عامل بطاعة او معصية درجات اى مراتب فى الجزاء مما عملوا من اجل اعمالهم بحسبها فالمحسن فى روح الثواب متنعم والمسيئ فى نوح العقاب متالم وما ربك بغافل عما يعملون قرئ بياء الغيبة ردا على الاية التى قبلها وبتاء المخاطبة ردا على قوله يا معشر الجن والانس والمعنى وما ربك بغافل عما تعملون من المعاصى ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم الاية او انه تعالى على علم باعمالهم خلقهم لا عن جهل لما ان ضرر اعمالهم ترجع اليهم لا اليه تعلق ابو يوسف ومحمد رحمهما الله

بظاهره فى ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة رحمه الله ذهب الى التخصيص والقراءة
بتاء المخاطبة تشهد لها وربك الغنى فلا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر بالمعصية فليس
التكليف لمصلحة نفسه بل لتكميلهم وتبليغهم الى الدرجات والكمالات ذو
الرحمة فلا يعاجل بالعقوبة بل يمهلهم عسى ان يتداركوا ما فاتهم اخبر بالاول عن
جلاله وبالثانى عن افضاله فهم فى سماع هذه الاية بين احتياج وارتياح وهذا تكملة
لما قبله من ارسال الرسل للرحمة عليهم لا لانتفاعه بطاعتهم وتاسيس لما بعده
من قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُم ايها العصاة اى لغناه عنكم ويستخلف من
بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع لكنه ابقاكم ترحما عليكم كما انشاكم من ذرية
قوم اخرين اى من نسل قوم كانوا قبلكم وقيل من للبدل كما يقال اعطيتك من دينار
ثوبا اى كما انشاكم بدلا منهم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة
وما انتم بمعجزين بفائتين طالبكم به اى يدرككم حيث كنتم يقال قصدت فلانا
فاعجزنى اى سبقنى ففاتنى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن
مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وقد يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام
ومقامة اى على غاية تمكنكم واقصى استطاعتكم او على مقامكم وحالتكم التى انتم عليه
من كفركم وعداوتكم لما يقال للرجل اثبت على مكانتك اى اثبت على ما انت عليه من
حال ولا تنحرف عنه وقرئ مكاناتكم على الجمع انى عامل ما اعمل على قدرتى واستطاعتى
او على مقامى وحالى فى الاسلام والمصابرة معكم حذف للاختصار والمبالغة فى
الوعيد وللاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيد على مر الايام قوة ونصرة و
معنى الاية على الاول اظهار التجلد للعدو وعدم المبالاة به غاية الوثوق بحفظ
الله تعالى والاعتماد على نصرته اى لا تبقوا على وانفذوا وسعكم فى عداوتى فانى فاعل
بكم ما اقدر عليه هذا غاية فى التهديد وتعجيز الخصم وعلى الثانى التخلية والتسجيل على
المامور به بانه لا ياتى منه الا الشر فكانه مامور به واجب عليه ذلك لا يسعه خلافه و
الاعراض عنه بالكلية للاشعار بانه لا مطمع فى خيره كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار من اما استفهامية علق عنها الفعل ومحلها الرفع
على الابتداء ما بعده خبره اى فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة التى لها هذه

الدار

الدار واما موصولة محلها النصب على المفعولية اى فسوف تعرفون الذى تكون له العاقبة
وعيد وانذار لطيف المسلك مع مراعاة حسن الادب والانصاف للخصم فى القول عند الوثوق
بسوء عاقبته وحسن عاقبة الموعد وكذا قوله انه لا يفلح الظالمون اشعار بظلم المخاطبين
وان ظلمهم سبب امتناع فلاحهم مع حسن العبارة وارخاء العنان والمسامحة والابهام بانى
ان كنت انا الظالم فلا فلاح لى ولهذا ذكر الظلم دون الكفر ثم بين ظلمهم وكفرهم فى الاية
بعدها وجعلوا اى مشركو العرب لله مما ذرأ خلق فيه ايماء الى انهم يرجحون ما لم يخلق
شيئا ولم يقدر على شئ على من خلق اشياء فيؤثرونه عليه بما خلقها وزكاها جهالة وكان
العكس اولى ولهذا قال ساء ما يحكمون من الحرث والانعام نصيبا لم يذكر هنا نصيب
الشركاء ايجازا واكتفاء بذكره فى التفصيل الاتى وايماء الى جهالتهم بانهم جعلوه لمن
الكل نصيبا مما خلقه وان التسوية شئ لا يليق بالادب التلفظ به مراعاة للحشمة
فقالوا هذا لله بزعمهم وقرئ بضم الزاى وهى لغة فيه وهو الظن الخطا وقد جاء
فيه الكسر ايضا كالود وفيه تنبيه على ان ذلك من جهالاتهم وشرعهم ما لم ياذن به الله تعالى
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم كانوا يعينون من حرثهم ونتاجهم نصيبا لله تعالى ونصيبا لالهتهم فاذا
راوا ما عينوه لله ازكى رجعوا وجعلوه لالهتهم واذا راوا ما عينوه لالهتهم ازكى
تركوه لها معللين بان الله تعالى غنى وانما فعلوا ذلك حبا لالهتهم وايثارا لها ساء
ما يحكمون ما مصدرية وساء متعدية حذف مفعولها لدلالة المعنى تقديره ساءهم
حكمهم اى جلب لهم السوء وكذلك ومثل ذلك التزيين والاشارة الى مضمون قوله
وجعلوا لله الاية او الى نفس هذا التزيين الذى هو تزيين قتل الاولاد وقدم مثل هذا
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن
او من السدنة قرئ زين على البناء للفاعل وهو شركاؤهم ونصب قتل وعلى البناء للمفعول
وهو قتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه المذكور كانه قيل من زينه فقيل زينه
شركاؤهم واما قراءة ابن عامر زين على البناء للمفعول وهو القتل ونصب الاولاد وجر
الشركاء على اضافة القتل اليه والفصل بينهما بغير الظرف فقد رد بان ذلك غير
مقبول فى غير الضرورة كما فى قوله زَجَّ القَلُوصَ ابى مَزَادَهْ فكيف به فى [illegible]

لانه مختلف فيه بين النحويين على ما ذكره ابو حيان ووقوعه فى قراة متواترة دل على
الصحة لان العربية تثبت بالقران وفهم العكس من عكس الفهم ثم انه لا ضرورة فى
الشعر المذكور كما توهم لاستقامة الوزن القافية بجر العلوص ورفع ابى واعتقاد
الضعف فى مثل تلك القراءة من ضعف الاعتقاد مبناه عدم الاعتماد على القراء
والطعن فى الاسناد ولا يخفى ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
والاضلال واللام للتعليل ان كان التزيين من الجن والعاقبة ان كان من السدنة
وليلبسوا وليخلطوا عليهم دينهم وهو ما كان عليه فى الاصل من دين اسمعيل عليه
السلام او دينهم الذى وجب عليه ان يتدينوا به ولو شاء الله ما فعلوه اى ما فعل
المشركون او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الوأد او اللبس والاولى ان يجرى
الضمير مجرى اسم الاشارة ويراد به الجمع فذرهم وما يفترون وافتراءهم او الذى
يفترونه من الافكة وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام
من الحجر وهو المنع فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوى فيه المذكر والمونث والواحد
والكثير لان حكمه حكم الاسماء لا الصفات وقرئ حجر بالضم وعن ابن عباس حرج
اى ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنى خدم الاوثان او الرجال دون النساء بزعمهم
اى بقولهم الباطل وانعام حرمت ظهورها من البحاير والسوائب والحوامى وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون عليها اسماء اصنامهم وقيل
لا يحجون ولا يلبون على ظهورها اى قسموا انعامهم اجناسا بهواهم فقالوا هذه
حجر وهذه محرمة الظهر وهذه لا يذكر عليها اسم الله تعالى افتراء عليه اى نسبوا
ذلك التجنيس الى الله تعالى افتراء عليه نصب على المفعول له او حال اى مفترين
على الله تعالى او مصدر موكد لان قولهم ذلك محض الافتراء والجار متعلق بقالوا
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنى ما فى بطون
هذه البحاير ونحوها من الاجنة وفى قول ابن عباس والشعبى هو الالبان وبابا ه
قوله وان يكن ميتة خالصة لذكورنا حلال للذكور خاصة لا يا كلهم فيها الاناث ان ولد
حيا لقوله وان يكن ميتة ومعنى الاختصاص للذكور منهم فى المقام لانه قرينة لارادة
الاناث من الازواج وهو لا يفاد بعبارة المباح فلذلك اورد عبارة خالصة عليها مع

حتى

حتى المقابلة مع عبارة محرم لها والتاء فى خالصة ليست للتانيث بل يقال فى الاسم
خالص وخالصة او حمل خالصة فى التانيث على المعنى لان ما فى بطونهم فى معنى الاجنة
ومحرم على اللفظ او كانت التاء للمبالغة كراوية الشعر او كان مصدرا كالعافية وقعت
موقع النصب اى ذو خالصة بمعنى خالص ويؤيده قراة من قراء خالصة بالنصب على انه
مصدر مؤكد والخبر لذكورنا ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذى هو فاعل الاستقرار فى
قوله فى بطون لا من الذى فى لذكورنا لان العامل المعنوى لا يتقدم معموله عليه ولا من لذكور
لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقراء ابن عباس رضى الله عنهما خالصة على الاضافة وهو
بدل من ما او مبتداء ثان وفى مصحف عبد الله خالص وقرئ خالصا على ازواجنا لم يقل
على اناثنا مع ان المراد من الازواج الاناث وهى المناسب ان يذكر فى مقابلة الذكور لان المقصود
الاشارة الى وجه تحريمها على الاناث وهو كونهن ازواج الرجال فى الجملة لا بيان حرمتها على
الاناث فانها قد فهمت مما تقدم وهذا صدره باداة الوصل فانه لو اريد به بيان الحرمة على
الاناث لكان حقه الفصل لما بينه وبين ما تقدم كمال الاتصال وان يكن ميتة الضمير لما فى
بطونها وقرئ بالتاء الفوقانية على تاويل الاجنة وقراء ابن عامر بها ورفع ميتة على كان
التامة وتذكير الضمير فى فهم فيه لان الميتة قد تكون ذكرا فغلب وقرئ بالياء التحتانية
ورفع ميتة شركاء اى الذكور والاناث فيه سواء سيجزيهم وصفهم الكذب اى جزاء
وصفهم الكذب على الله تعالى فى التحريم والتحليل انه حكيم فى جزائهم عليم بافعالهم قد
خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين يدفنون بناتهم احياء فبعضهم يفعل
ذلك لخوف العيلة والاقتار وبعضهم خوف السبى والعار وقرئ قتلوا بالتشديد سفها
مفعول له والسفه خفة الحلم بالعجلة اى لما ينبغى ان يعجل اليه بغير علم حال او صفة مصدر
اى قتلا بغير علم فيه اشارة الى فعلهم ذلك لجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق والمقدر للسبى
وغيره وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله قد مر وجوه الاعراب
فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وزيادة كان للدلالة على الاستمرار
اى استمروا على عدم الاهتداء على ان القيد المذكور داخل على النفى فى الاعتبار وان كان
مدخولا له فى الظاهر وبهذا اندفع وهم القصور والتكرار وهو الذى انشأ جنات
من الكروم معروشات مرفوعات على عرايش وغير معروشات متروكات على الارض

قال العلامة وقراء ابن عامر بها ورفع ميتة على كان التامة وقال فى الكشاف وحينئذ [illegible] وهو ان [illegible] قراءة ابن كثير [illegible] قال الطيبى [illegible]
سعد جلبى

وقيل الاول ما غرسه الناس وعرشوه والثاني ما نبت في الجبال والبراري ولم يغرس
والنخل والزرع مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك حال الانشاء اكله ثمره الذي
يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للنخل والزرع داخلٌ في حكمه لكونه معطوفا عليه لان
الاصل ان يطلق الاكل على الثمرة والحبّات بالحقيقة تغلب فيه الزرع او للزرع والباقي
مقيس عليه او الجميع على تاويل ذلك او كل واحد منهما والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه يتشابه بعض افرادها في الكم والكيف ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره الضمير لكل
واحد اذا اثمر قد كان من المعلوم انه لا يوكل قبل ان يثمر ففائدة القيد المذكور التنبيه على
ان اباحة الاكل تثبت قبل الادراك والايناع بخلاف وجوب الحق الشرعي المذكور في قوله
وآتوا حقه يوم حصاده وهو ما يتصدق به وقت الحصاد وكان ذلك الحق واجبًا
حتى نسخت بالزكوة وقيل هو الزكاة والاية مدنيّة والظرف لحقه ليعلم ان الوجوب
وجوبه بالادراك لا بالتبقية لا للايتاء للحاجة الى التاويل والتوفيق في الامر حقه ان يحافظ
على ظاهره كيلا يشتبه الموقّت بالمطلق وقرئ حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا اى في التصدق لا في الاكل ولذلك اقتصر على نفي المحبة عنهم وقد قيل
انهم كانوا يعطون شيئا سوى المقدر ويسرفون فيه فنهى عنه انه لا يحب المسرفين
الموصوفين بهذه الصفة فانه من امارات الممكورين لا المشكورين ومن الانعام عطف
على جنات وانشاء من الانعام حمولة وفرشا ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او
ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الاول الكبار التي تصلح للحمل والثاني الصغار
مثل الفرش هي الارض المستوية التي يتوطاها الناس كلوا مما رزقكم الله اى ما احل لكم
منه ولا دلالة فيه على ان كل رزق ماكول حتى ينتهض حجة للمعتزلة في ان الحرام ليس برزق
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتفوا اثاره في التحليل والتحريم عند انفسكم
اعتقادا وقولا وعملا وكان في الاتيان بعبارة الجمع اشارة الى هذه الثلثة انه لكم
عدوٌّ مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه آخر
من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد هنا الاول من الضأن اثنين اى زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو مع ما بعده عطف بيان لثمانية ازواج او من الضأن بدل
من الانعام واثنين من حمولة وفرشا او من ثمانية ازواج ان جوزنا للبدل بدلا وقرئ

اثنان

قوله لا بالتبقية ان تبقى وتدخر بعد الحصاد

اثنان على الابتداء والضأن جمع ضائن كالتجر جمع تاجر وقيل هي جمع لا واحد له
من لفظه ويجمع على ضئين كالعبد يجمع على عبيد وقرئ بفتح الهمزة وهي لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وهو جمع ماعز وقرئ بالفتح وهو ايضا جمع له كحارس
وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن والمعز والهمزة للانكار حرم ام الانثيين
ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرّم وتقدم المفعول للتخصيص اما اشتملت
عليه اى حوته وانضمت عليه ذكرا كان او انثى ارحام الانثيين الارحام جمع رحم وهو موضع
الولد وما كان في الحيّ منه عضو واحد فالاضافة الى الاثنين بالجمع كما في قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما نبّئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على انه تعالى
حرّم شيئا من ذلك عبّر عنه بالعلم مبالغة للتنبيه على ان دليل التحريم لا بد ان يكون
قطعيا وهو اعتراض لطيف بين اقسام التفصيل للتاكيد في الاحتجاج على من حرّم
ما احل الله لعباده ومنّ بالتفضل به عليهم مبالغة في التحليل ان كنتم صادقين
في زعمكم ان الله تعالى حرّم هذا ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم
ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمراد انكار التحريم
تحريم الله تعالى شيئا من الاجناس المذكورة وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور هذه
الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا وينسبون تحريمها
الى الله تعالى فانكر ذلك عليهم ام كنتم شهداء معنى بل في ام المنقطعة للاضراب عن
طلب العلم والدليل القطعي الدال على التحريم من عند الله على سبيل المسامحة ومعنى
الهمزة انكار المشاهدة وذكرها تهكّم بهم وبدينهم لانهم لم يومنوا بنبيّ ولا كتاب
وزعموا ان الله تعالى حرّم هذا فلم يبق الا طريق المشاهدة والسماع فقيل لهم
اشاهدتم ربكم اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم وامركم والوصيّة
مقدمة موكدة فيما يفعل او يترك ولما اثبت انه لا علم لهم اصلا في هذا فلم يبق الا الافتراء
وهو ظلم قال فمن اظلم ممن افترى على الله نسب اليه تعالى تحريم ما لم يحرّم وهو
عمرو بن لحيّ بن قمعة المؤسس لتبحير البحاير وتسييب السوايب كذبا كاذبا لا مخطئا
في ظنّه فان فيه مندوحة عن الكذب ليضل الناس اى عمل عمل القاصد اضلالهم
من اجل دعائهم الى ما فيه الضلالة وان لم يقصد الاضلال ولذلك قال بغير علم

قال ابو حيان في النهر نفي هدايته فاذا ثبت انه
منه وجد الظالم اولى بان يهدى
منه الا الكاذب
لا يهديه

ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى دار الثواب لانهم يستحقون العقاب قل
لا اجد كنى بعدم الوجدان عن عدم الوجود ومبنى هذه الكناية على ان طريق التحريم
التنصيص من الله تعالى عليه ولا مساغ للرأي فيه ففيها ثبوت ذلك المبنى اقتضاء ثم
ان فيها اشارة الى ان من الاحكام المنزلة ما في العثور عليه حاجة الى التفقد والتتبع
لكونه بطريق الدلالة الخفية وانما قال فيما أوحي إلي دون ما انزل علي لان النص المحرم
لا يلزم من ان يكون من جنس الكتاب محرما طعاما محرما على طاعم نكره تجريدا له عن
قيد زائد حتى ينتظم الطاعم الظالم وغير الظالم فيؤول المعنى الى انه ليس من جنس المطعوم
من حيث انه مطعوم محرم الا هذه الاربع فلا يتجه النقض بحرمة المأكول ظلما لان حرمته
من قيده لا من نفسه وفائدة التوصيف بقوله يطعمه قطع المجاز كما في طائر يطير
فان الطاعم يطلق على المطعم مجازا إلا ان يكون اي الا ان يكون المطعوم فالاستثناء
من المفهوم وقرئ بالياء لتانيث الخبر وبرفع ميتة على ان كان هي التامة و
المراد من الميتة هنا ما فقد حياته بلا ذبح اصلا اي شرعيا كان او غير شرعي ولهذا
احتيج الى ذكر المحرم الرابع وفي قوله على طاعم يطعمه دلالة على ان جلد الميتة قبل
الدباغ يحرم لانه قد يشوى فيؤكل واذا دبغ خرج عن قابلية الاكل او دما
عطف على ميتة او على ان مع ما في حيزه على اختلاف القرآتين فيهما وانما ذكرهما
ههنا منكرين وفي سورة البقرة والمائدة معرفتين لان هذه السورة مكية
وهما مدنيتان فناسب ان يذكرا فيهما معرفتين بتعريف العهد وتعريفهما في سورة
النحل مع انها ايضا مكية بناء على تاخر نزول ما فيها من الاية المشتملة من نزول
ما في هذه السورة مسفوحا مصبوبا ضايعا يرشدك الى اعتبار هذا القيد
الزائد على معنى الصب في مفهوم السفح اطلاقهم السفاح على الزنا باعتبار تضييعه
الماء قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح واذا تقرر هذا ففي العبارة
المذكورة اشارة الى ان حق هذا الدم التضييع والاهدار لا الحفظ والادخار
وانما خص الدم بالقيد المذكور لان ما اختلط باللحم منه وقد تعذر تخلصه من اللحم
معفو مباح واما الطحال فليس بدم حقيقة وكذلك الكبد فلا حاجة الى الاحتراز
عنهما الى القيد المذكور او لحم خنزير انما زيد عبارة اللحم لا لان كله غير ماكول والا

لناسب

لناسب زيادتها في الميتة ايضا للاشتراك في العلة المذكورة لئلا يسبق الى الوهم انه من
قبيل صيد البر حتى لا يبقى محرما بعدما صار لحما ولما كان الماكول المحرم من الخنزير
غير منحصر في اللحم تدارك الحكم في الباقي بالتعميم دلالة حيث علل المذكور بقوله
فإنه اي فان الخنزير رجس اي قذر ينفر عنه الطبع السليم لتعوده اكل النجاسة
ولا يخفى ما في الاعتراض بين المعطوفين للتعليل من الدلالة على سائر اجزائه القابل
للاكل ويجوز ان يراد باللحم ما يوكل منه مطلقا على طريقة التعبير عن الكل بالجزء وعلى
هذا لا حاجة الى صرف الضمير عن المضاف فان قلت اليس في هذا التعليل غنى عن اقحام
اللحم لافهام ما ذكر آنفا قلت لا لان التعليل النحوي لا يلزم ان يكون بالعلة الشرعية بل
قد يكون بالحكمة التي لا يلزمها الاطراد ولا الانعكاس وانما خص هذا والذي يليه
بالتعليل عبارة واشارة لان الطبع يساعد السمع في الاولين بخلافهما في الاخرين
او فسقا نصب عطفا على لحم خنزير لا على انه مفعول له دل على ذلك قوله تعالى في
موضع آخر وانه لفسق سمي بالمصدر مبالغة فهو بعبارته تحذير منه وباشارته
تعليل لحرمته اهل لغير الله به صفة موضحة له والاهلال به كناية عن ذبحه وهو
في الاصل رفع الصوت بالشيء فمن اضطر دعته الضرورة الى اكل شيء من ذلك غير
باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة في تناوله فان ربك غفور رحيم لما عسى ان
يفرط عند العلل بالرخصة فيه وقد استدل بهذه الاية على انتساخ الكتاب بالسنة لان
عبارتها وان كانت ساكتة عن عدم محرم آخر لكن دلالتها ناطقة بانه لا محرم غير هذه
وليس فيها توقيت فلما زيد محرم آخر بالسنة انتسخ حكم تلك الدلالة وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة هي ذات الظلف كالابل و
النعام وما ليس بذي اصابع منفرجة كالبط والاوز ونحوهما واختاره الزجاج وفي
قوله حرمنا تكذيب لليهود في قولهم ان الله تعالى لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا
ما حرمه اسرائيل على نفسه ومن البقر والغنم عطف على كل ذي ظفر وقوله حرمنا
عليهم شحومهما تبيين للمحرم منهما ولا بد من الاضافة للربط وفي الاجمال ثم التفصيل
زيادة تقرير وتاكيد ولولا القصد الى ذلك لكان الظاهر ان يقال وشحوم البقر والغنم او
يقال ومن البقر والغنم الشحوم والمعنى حرمنا لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه

وتركنا البقر والغنم على التحليل لم يحرّم منهما الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم
الكلى وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم بعم التحريم بسبب ظلمهم لقوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وتدعي النصارى ان ذلك نسخ في
شرع عيسى عليه السلام ويشهد لذلك التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او
الحوايا ان قدّر وزنها فواعل جمع حاوية كزاوية وزوايا او جمع حاويا كقاصعاء
وقواصع وان قدّر وزنها فعايل جمع حوية كطيّة ومطايا وهي الدوارة التي
تكون في بطون الشاه وقيل هو عطف على شحومهما واو للتفصيل فصل بها ما حرم
من البقر والغنم او ما اختلط بعظم كالالية وما في القوايم والجنوب والراس و
العيون والاذان والمخ ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فيما اخبرنا به فان كذبوك في ذلك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي لا نعرض عنهم ولا
تؤيسهم عن رحمتي بل كن ثابتا في مقام الدعوة على قدمي الابشار والانذار وذلك
ان ما ذكر كلمة جامعة لهما اما الابشار فلما فهم من العبارة المذكورة من انه تعالى يقبل التوبة
ويغسل الحوبة فان رجعوا عن التكذيب الى التصديق فلهم الفوز والنجاة واما الانذار
فلما فهم منها ايضا وتنبيها الى انه تعالى لسعة رحمته يمهل لا انه يهمل ولما كان في الامهال
مظنة الاندفاع تداركه بقوله ولا يرد باسه حين ينزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا
بامهاله او فان كذبوك في الانذار وايعاد العصاة واعتلوا بان الله تعالى واسع
الرحمة فلا يؤاخذ بالبغي فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين
فلا يرد رحمته باسه عليهم بل ربما اودع قهره في صورة لطفه استدراجا فلا
تغتروا سيقول الذين اشركوا في رد الدعوة وتكذيب الرسول لو شاء الله ما
اشركنا ولا آباؤنا عطفا على الضمير المرفوع في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا حرمنا
من شيء اي ما صدر منا ومن ابائنا ما صدر الا بمشيئته تعالى وارادته اصابوا فيما قالوا
على وفق ما مر في هذه السورة من قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك
ما فعلوا ولكن اخطاوا في تمسكهم به في الرد على الرسول صلى الله عليه وسلم وزعمهم ان
فيه حجة عليه بناء على ظنهم ان ما اراده الله تعالى لا يكون منهيا عنه وما لم يرده الله

تعالى

تعالى لا يكون مامورا به فلا مساغ للنهي عن شركه دل وقوعه على انه مراد الله تعالى والامر
بتوحيده دل عدم وقوعه على انه لم يكن مرادا له تعالى لما تقرر في موضعه انه لا تلازم بين الامر
والارادة بل ينفك كل منهما عن الاخر وكذا بين النهي وعدم الارادة ولذلك اي لعدم
خطائهم في القول المذكور بل في احتجاجهم به صلى الله عليه وسلم ذمهم بالتكذيب دون
الكذب حيث قال كذلك اي مثل ذلك التكذيب العظيم لك كذب الذين من قبلهم
للرسل وهذا دليل على ان مرادهم التكذيب دون ابلاء العذر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا
عليهم العذاب بتكذيبهم وبيّن ان احتجاجهم ليس من علم ويقين بل عن ظن وتخمين بقوله
قل هل عندكم من علم اي ليس عندكم بذلك علم فتخرجوه فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون وما انتم الا تخمنون و
تقدرون ان الامر كما زعموا وليس كذلك لما مر من بطلان مبنى ذلك الظن فلا متمسك
فيما ذكر لاهل الزيغ والضلال من اصحاب الاعتزال ولا حاجة الى التوجيه والتاويل بتقييد
المشية اولا اي فيما مر واجراؤها على اطلاقها اخرا اي فيما يستمر قل فلله الحجة البالغة
الفاء للسببية والجملة مسببة عما دل عليه الكلام السابق والمعنى اذ قد ظهر عدم تمام حجتكم
فالحجة التامة مختصة به تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين الفاء قامت مقام ان في تحقيق
ما دل عليه الكلام السابق من كونهم محجوجين وذلك ان هذا الزاما لهم بناء على قولهم اي بل
قد صدقتم ولكن كما شاء كفركم لو شاء هدايتكم لهداكم كلكم فباي شيء علمتم انه لم يشاء
هدايتكم حتى اصررتم وهذا تهييج لمن عسى ان يكون استعداد منهم فينقمع ويهتدي فيرجع
عن الشرك ويؤمن وفيه فائدة اخرى وهي تدارك لما يخطر بالبال من ابطال احتجاجهم
ان يكون الاختلال في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بتصديقهم في ذلك المقال فيه حجة
دامغة لاصحاب الاعتزال قل هلم شهداءكم هلم من اسماء الافعال يجيء متعديا كما
ههنا بمعنى هاتوا ولازما كقوله هلم الينا اي تعالوا وانما اضاف الشهداء اليهم لانها لو
اطلقت لكان المعنى هلم ناسا يشهدون فكان ظاهره طلب الشهداء بالحق وذلك
فاسد الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني مرتضاهم وقدوتهم وامرهم باحضارهم
ليلزمهم الحجة ويبكتهم فيظهر للمشهود لهم عند انقطاعهم انهم ليسوا على شيء ولهذا
قال فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم ولا تسلم لهم كيلا يعد ذلك بالشهادة معهم

مبالغة فى النهى دلالة على ان الاصغاء اليهم دخول فى عداد الشهداء بالباطل ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا بآياتنا من باب وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان المكذب
بايات الله تعالى لا يكون الا متبع الهوى اذ لو اتبع الدليل والعقل لكان مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له تعالى
عديلا قل تعالوا من التعالى واصله امر من كان فى مكان عال لمن كان اسفل منه فعم استعماله
فيه لكثرة الاستعمال اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل او استفهامية منصوبة
بحرم والجملة فى محل النصب باتل لان التلاوة من باب القول اى اقل اى شئ حرم ربكم
عليكم متعلقة بحرم وان فى ان لا تشركوا به شيئا مفسرة ولا للنهى لعطف
الاوامر عليه فى قوله وبالوالدين احسانا لان تقديره احسنوا بالوالدين احسانا
وعطف الاوامر على النواهى الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان
المامور به لا يكون محرما دل على ان التحريم راجع الى اضدادها وذلك لما انه علق التلاوة
بالتحريم اجمالا ثم فسره بالتفصيل وجب ان يكون التفاصيل كلها منهيات محرمات
لكن عدل فى بعضها الى الامر باضدادها مبالغة فى النهى وتنبيها على ان اضدادها واجبة
فيلزمها النهى عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان تكون الاوامر معطوفة على المناهى وداخلة
تحت ان التفسيرية وشيئا يحتمل المصدر والمفعول ولك ان تقول انها معطوفة على قوله
اتل ما حرم امرهم اولا بامر ترتب عليه ذكر معناه ثم امرهم ثانيا باوامر وبالوالدين احسانا
اى واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للدلالة على ان ترك
الاساءة فى شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ويتبعها المبالغة فى النهى ولا تقتلوا
اولادكم النهى مطلق وانما قال من املاق اظهارا لسوء صنيعهم فانهم كانوا يفعلون
ذلك من اجله فى الاساس املق الرجل انفق ماله حتى افتقر ولما كان الاملاق باعتبار
بدايته انفاقا وباعتبار نهايته فقرا جاز استعماله فى كل منهما وقد قيل الخطاب هنا للفقراء
ولذا قدم رزقهم فقيل نحن نرزقكم واياهم منعا لموجب ما كانوا يفعلون لاجله و
احتجاجا عليهم فناسب ان يفسر الاملاق هنا بالفقر والخطاب فى لا تقتلوا اولادكم
خشية املاق للاغنياء ولذا قدم رزق اولادهم فقيل نحن نرزقهم واياكم فناسب
ان يفسر الاملاق ثمه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه

والظاهر

والظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الحق ولا تقتلوا النفس لما كان
فى اطلاق النفس شمول للنفوس الحيوانية والاصل فى قتلها الاباحة قيدها بقوله التى حرم
الله يعنى النفس الانسانية الا بالحق اى بما يحق به قتلها الكفر بعد ايمان ورجم بعد احصان
وقتل نفس ذلكم اشارة الى ما ذكر تفصيلا وصاكم به لما كان فى الوصية معنى الاهتمام
والمحافظة زيادة على معنى الطلب استعيرت للامر المؤكد والموصى به نفس ما ذكر لا حفظه
لعلكم تعقلون ترشدون فان غاية العقل الرشد ولا تقربوا مال اليتيم نهى عن القرب
الذى يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعة الا بالتى اى بالخصلة التى هى احسن فى حق
اليتيم وانما جئ بصيغة التفضيل مراعاة لمال اليتيم حتى يبلغ اشده غاية من حيث
المعنى اى احفظوه عليه حتى يبلغ اوان الحلم مع الرشد فادفعوه اليه والاشد جمع شدة
كانعم ونعمة واوفوا الكيل والميزان الايفاء مخصوص بالكيل والميزان عطف
عليه على طريقة ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب
ما يقتضيه لفظ حتى كانه شريكه فى اصل الفعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقوله
بالقسط بالعدل والتسوية متعلق بالفعل المحذوف اى وزنوا الميزان بالقسط فانه
مظنة البخس فانه لا يتفطن له صاحبه بخلاف الكيل لا نكلف نفسا الا وسعها الوسع
ما احتملته الطاقة وذكر عقيب الامر للدلالة على انه لا يواخذها بتقصير يقع من غير
تقصد بعد الاجتهاد فى مراعاة العدل واذا قلتم اريد بالقول هنا ما لا يطلع عليه الا
بالقول من امر وحكم وشهادة وخبر وسفارة وغير ذلك فاعدلوا فيه ولو كان المقول
له او عليه ذا قربى من ذوى قرابتكم وبعهد الله اى بما عاهدكم الله من امره ونواهيه
اوفوا او بما عاهدتم الله عليه من ايمانكم ونذوركم ذلكم وصيكم به اى امركم به واكد
الامر لعلكم تذكرون لما كان فى هذه الامور نوع خفاء بالقياس الى ما سبق بحيث يحتاج
الى الاجتهاد والذكر الكثير ضمت بتذكرون وان هذا صراطى مستقيما الصراط السبيل
ما لا التواء فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد وانما يوصف بالاستقامة للاحتراز
عن الميل الى شئ من الجوانب الاربعة بالصعود والهبوط ونحوهما الا ان الاحتراز المذكور
حصل هنا بالاضافة فقوله مستقيما حال مؤكدة والاشارة الى ما ذكر فى السورة فانها بابرها
فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ ان بالكسر على الاستئناف وبالفتح بتقدير

اللام على انه علة للامر فى قوله فاتبعوه وقرئ ان مخففة من الثقيلة وفيها ضمير
الشان ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى والطريق
كل ما يطرقه طارق معتادًا كان او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد
السلوك اعم من ان يكون على جهة القصد اوّلا وبهذا التفصيل تبين ناصّا بة
كل من الصراط والسبل بحرفه فتفرق الفاء جواب النهى والمضارع المحذوف التاء
منصوب باضمار ان وفاعله ضمير السبل ومنهم من لم يحذف التاء بل ادغمها فى تاء
التفعل فقراها بتشديد التاء والباء بكم للتعدية وتعديته بعن لتضمنه معنى
الازالة اى فتزيلكم متفرقين عن سبيله فيه التفات وتفنن وتنبيه على ان الطريق
المنسوب اليه تعالى لا يكون الا صراطا مستقيما ذلكم الاشارة الى مجموع الامر والنهى
وصيكم به لعلكم تتقون ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم يعقلون
ثم يتعظون ثم يتقون المحارم والمهالك ثم اتينا موسى الكتاب عطف على
ذلكم وصيكم به فثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم
به قديما ثم آتينا او ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة
على الذى احسن على من احسن القيام ويؤيده قراة ابن مسعود رضى الله عنه على الذى
احسنوا وقرآة ابى رضى الله عنه تماما على المحسنين او على الذين احسن بتبليغه
وهو موسى عليه السلام او تماما على الذى احسنه اى اجاده من العلم والشرايع
اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على ان تقديره على الذى هو احسن وقيل
فى وجه النصب انه خفض لكنه لا ينصرف ففتح وحينئذ يكون بدلا عن الذى و
ترجمة عنه كقولك مررت بالذى خير منك بالخفض وتفصيلا بيانا فى غاية
التفصيل عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر لكل شى يحتاج
اليه فى الدين فقيه دلالة على انه لا اجتهاد فى شريعة موسى عليه السلام لانه فرع الاجمال فى
بعض الامور الدينية وهدى ورحمة يهون عليهم مقاسات التكليف بما ذكر من التعريف
لعلهم لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم بلقاء ثوابه وعقابه يوم الجزاء يومنون يصدقون وهذا
اى القران كتاب عظيم الشان انزلناه اسنده الى نفسه بنون التعظيم مبارك كثير النفع
انما فرق بينه وبين قرينه بانزلنا لان الانتفاع به بعد نزوله فاتبعوه واتقوا مخالفته

لعلكم

لعلكم ترحمون بذلك علقها بكلمة الترجى لان حصولها بالحتم على الايمان وفيه خطر ان
تقولوا كراهة ان تقولوا المقدر علة لمصدر دل عليه انزلناه فيما تقدم وقرئ بالتاء والياء
وعلى الثانى فيه التفات من الخطاب فى فاتبعوه واتقوا فى فقد جاءكم التفات من الغيبة
الى الخطاب وكلاهما فى محزه حيث اعرض عنهم وجعلهم غائبين عند حكاية اقوالهم
الردية ثم خاطبهم عند قصد توبيخهم وتبكيتهم انما انزل الكتاب جنس الكتاب المنحصر فى
التورية والزبور والانجيل لقولهم من قبلنا واما الصحف فليست من جنس الكتاب فى العرف
على طائفتين من قبلنا اى اليهود والنصارى ودل هذا على ان المجوس ليسوا من اهل
الكتاب اذ لو كانوا منهم كانوا ثلث طوايف وان كنا ان هى المخففة دل عليه دخول اللام
الفارقة خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى لانه لم يكن
على لغتنا فلم نقدر على قراءتها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى ارشد واسرع اهتداء منهم لحدة اذهاننا ونقابة افهامنا ولهذا
تلقفنا فنونا من العلم كالتواريخ والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم
بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها تبكيت لهم والزامهم الحجة وفيه ايجاز بحذف
الشرط اشعارا بتصديقهم فى دعوى الذكا وحدة الذهن وان من يدعى ذلك فليلتزمه
بمثل هذه النكتة وليدرك البينة وبعث الافهام وتهييجا وايذانا بان الاهم
هو الجزاء لا الشرط والمعنى ان صدقتم فى الدعوى فقد جاء اوان اظهار صدقه و
هدى ورحمة كالذى انزل على من قبلكم فمن اظلم اى لنفسه ولغيره وقد مر فى
تفسير قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله تحقيق هذا النوع من الاستفهام
ممن كذب بايات الله بعدما عرف صحتها وتمكن من معرفتها وصدف صدّ عنها
الناس فضل واضل واما معنى الاعراض فقد حصل بالتكذيب سنجزى الذين يصدفون
عن اياتنا سوء العذاب اى العذاب السيئ وهو الموصوف بنهاية النكاية بما كانوا
يصدفون بسبب استمرارهم على تجديد الصد واحداثه حينا فحينا هل ينظرون اى
ما ينظرون يعنى الذين قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الا ان
تاتيهم الملائكة او ياتى ربك هذا ما ذكروه بقولهم او تاتى بالله والملائكة قبيلا
او ياتى بعض ايات ربك هذا ما ذكروه بقولهم او تسقط السماء كما زعمت وانما عبر عنه

ببعض ايات ربك تعظيما لانه اعظم الايات القاهرة قبل قيام الساعة يوم ياتى بعض
ايات ربك يعنى الاية المذكورة آنفا لا بعض اشراط الساعة مطلقا لان الايمان نافع
بعد ظهورها كيف ونزول عيسى عليه السلام لدعوى الخلق الى دين الحق بعد
خروج الدجال لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان
المقبول برهانيا كان او تقليديا يكون بالغيب لم تكن امنت صفة نفسا
من قبل متعلق بالمعطوفين او كسبت عطف على امنت فى ايمانها خيرا اريد
بالايمان المعرفة يرشدك الى هذا قراءة لا تنفع بالتاء وبكسب الخير الاذعان
والقبول ونحن معاشر اهل السنة نقول بما هو موجب النص من ان الايمان النافع
مجموع الامرين فلا حجة فيه للمخالف لان مبناها على حمل الايمان على المعنى الاصطلاحي
المخترع بعد نزول القران وتخصيص الخير بما يكون بالجوارح وكل منهما خلاف الاصل
والظاهر ولو سلم فنقول الايمان النافع لابد فيه من امرين الاعتقاد بالقلب والاقرار
باللسان وقد عبر عن الاول بقوله امنت وعن الثانى بقوله او كسبت فان الكسب
بالالات البدنية ومنها اللسان فمنطوق الاية على وفق مذهبنا والله تعالى اعلم
قل انتظروا اى انتظروا اتيان احد هذه الثلثة انا منتظرون له وعيد لهم ووعد
لنا ان الذين فرقوا بددوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال
صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق
امتى على ثلث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرئ فارقوا وكانوا شيعا
فرقا جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد بها الكبار لست منهم من امر دينهم
فى شئ اى ليس اليك شئ من مجازاتهم والعفو عنهم انما عليك انذارهم وتبليغ الوحى
اليهم انما امرهم الى الله ان شاء عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرهم الى الاخرة وان
شاء وفقهم للرجوع عنها فعفى عنهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون اى فى الآخرة
ويجازيهم على ذلك من جاء بالحسنة لم يقل من عمل بالحسنة ليعلم ان النظر على
ما ختم به وعلى ذلك القول قال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالخواتيم فله عشر امثالها

على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها لم يرد به
القصر بل اراد به التفضل بالتضعيف وهذا اقل ما وعد بالاضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب وقرئ عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها اى واحدة بواحدة هذا بحكم الوعد لا باقتضاء
العدل كما توهمه المعتزلة اذ لا حق للخلق على الخالق وهم لا يظلمون بنقص ما وعدلهم من
الاجر وبالعقاب بلا استحقاق قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم اى ارشدنى
الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا لقوله ويهديكم
صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر دل على الملفوظ او حال من صراط لاختصاصه
بالصفة او نصب على المدح اى اعنى او اخص دينا قيما فيعل من قام كسيد من ساد
وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة لانه نص فى
الاستقامة وقرئ قيما وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ملة ابرهيم عطف بيان
لدينا انما ذكر ذلك حثا لهم على اتباعه لانه دين ابيهم حنيفا حال من ابرهيم وما كان
من المشركين عطف عليه قل ان صلاتى ونسكى عبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى و
جمع بين الصلوة والذبح كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل وحجى من مناسك
الحج وانما خصه بالذكر لان المشركين كانوا يدخلون الشرك فى التلبية وكذا تخصيص
الذبح بالذكر على القول الاول ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حياتى واموت عليه
من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير
وقرئ محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له
خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك الاخلاص امرت بداء بقوله قل وختم بهذا بيانا انه
يقول ايتمارا لا افتخارا وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل
اغير الله ابغى ربا هذا ابلغ من اغير الله اعبد لدلالته على معناه بطريق البرهان
وهو جواب عن دعائهم له صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاصنام وهو رب كل شئ
فلا يصلح غيره ان يكون معبودا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا له تعالى فى العبودية وهو
مستحق لان يكون معبود كل شئ جملة حالية فى مقام التعليل للانكار المذكور ولا تكسب
كل نفس الا عليها اى لا تكون جناية نفس الا عليها ومعناه السلب الكلى لا سلب الكل فاداة

السّورد اخلة على النفى وان كانت مدخولة له لفظا **ولا تزر وازرة وزر اخرى**
اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى قال عطاء قال وليد بن المغيرة اتبعوا سبيلى
احمل عنكم اوزاركم فنزل هذا فالمعنى نفى القدرة عن الغير على ذلك التحمل واما نفى
التحميل من الله تعالى فالآية ساكتة عنه فلا منافاة بينها وبين حديث ابى موسى رضى الله
عنه المذكور فى صحيح مسلم هو هذا يجئ يوم القيمة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال
فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى **ثم** متعلق بقوله ولا تكسب كل نفس الا
عليها وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اما معترض تاكيد لما ذكره **الى ربكم** لا الى غيره
مرجعكم يوم القيمة **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ببين الرشد من الغى ويميز
الحق من المبطل **وهو الذى جعلكم خلايف الارض** خلايف الامم الماضية فى الارض
لقوله تعالى ثم جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اى استخلفنا
كم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر ولا يلزم من هذا ان يكون
الخطاب للمومنين خاصة وكل من جاء بعد ما مضى فهو خليفته والجمع الخلايف جاوا
به على الاصل مثل كريمة وكرايم وقالوا ايضا خلفاء من اجل انه لا يقع الا على مذكر وفيه الهاء
جمعوه على اسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفاء لان فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء
ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الخلقة والمكنة والعلم والعمر **ليبلوكم** اى ليختبركم
فيما اتاكم اى فيما اعطاكم من النعم بالشكر وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر **ان ربك
سريع العقاب** اى لاعدائه وانما كان عقابه سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال الالات و
لا يتوقف على استعمال الادوات **وانه لغفور رحيم** اى لاوليائه وصف العقاب
ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة
وعلى التاكيدات واللام تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير
الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها بحمد الله تعالى على الكمال والتمام
لتفسير سورة الانعام وصلى الله على سيدنا محمد خير الانام واله واصحابه وسلم

سورة الاعراف بسم الله الرحمن الرحيم

المص قد سبق الكلام فى مثله **كتاب** خبر مبتدا محذوف **انزل اليك** صفته والمراد
بالكتاب السورة وهذا اولى من ان يراد به القران لان البعض اذا استقل بالكمال والاعجاز فالكل

اولى به **فلا يكن فى صدرك حرج** اى فلا تكن شاكا او خائفا على طريقة الكناية فان الشاك
والخايف ضيق الصدر او فلا يكن فى قلبك شك او خوف على ان الصدر مجاز عن القلب
والحرج مجاز عن الشك او الخوف وتوجيه النهى اليه لايهام ان الحرج لو كان مما ينهى عنه
لنهيناه عنك فانته انت عنه ولا يخفى ما فى هذا الاعتبار اللطيف من تعظيم شانه الشريف
والفاء للسببية اى اذا انزل اليك من الله تعالى فلا يحرج صدرك لانه سبب الانشراح او
فلا يكن فى صدرك ضيق على ان يكون النهى للتكوين لا للنفى ويعضد هذا الوجه قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك **منه** اى من انه منزل من الله تعالى او من تبليغه مخافة ان تكذب
فيه او تقصر فى القيام بحقه وفائدته التشجيع **لتنذر به** علة لانزل وانما اخر تنبيها على
انه ينبغى ان يزيل الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار او للنهى لانه اذا تيقن انه من عند الله
تشجع على الانذار وكذلك اذا امنه الله تعالى **وذكرى** نصب باضمار فعلها اى وتذكر تذكيرا
فان الذكرى اسم بمعنى التذكير او جر عطفا على المصدر المنسبك من ان والفعل المنصوب باضمارها
فى قوله لتنذر اى لانذارك لا على محل لتنذر لان محله النصب او رفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف
اى هو ذكرى **للمومنين** اطلق الانذار لعموم الفريقين وخص التذكير بالمومنين لانهم المنتفعون
به **اتبعوا ما انزل** من القران والسنة لا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى لانه لا ينتظم السنة
الغير نزيه بل لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولهذا عدل
عن الضمير وقيل **اليكم من ربكم** لما شجعه صلى الله عليه وسلم امر الجميع باتباع جميع ما يريحه
ليكون ادعى لانشراح صدره ورحب ذراعه **ولا تتبعوا من دونه** اى من دون ربكم **اولياء**
من شياطين الجن والانس فيضلونكم عن دين الله تعالى ويحملونكم على عبادة الاوثان واتباع
الهوى والبدع او من دون ما انزل اليكم اى من دون دين الله دين اولياء وقرى ولا تبتغوا
قليلا صفة للمصدر اى تذكرا قليلا او للزمان اى زمانا قليلا حيث يتركون دين الله تعالى
ويتبعون غيره **ما** مزيدة لتاكيد القلة **تذكرون** صفة لاولياء وقرى بحذف التاء وقرى
يتذكرون على ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم **وكم من قرية** كم خبرية منصوبة بفعل
مقدر يفسره **اهلكناها** اى وكثيرا من القرى اهلكناها **فجاءها باسنا** فيه استخدام
وقلب اما الاول فلان الضمير فى اهلكناها للقرية باعتبار معناها الحقيقى والضمير
فى فجاءها لها باعتبار معناها المجازى وهو اهلها واما الثانى فلان اصل الكلام وكم من قرية

جاءها باسنا فاهلكناها ويجوز ان يكون الفاء تفصيلية ويكون الكلام على اصله بياتا في
موقع الحال اى بايتين او هم قائلون في محل النصب عطفا على بياتا قال بايتين او قائلين وانما
وقعت الجملة الاسمية حالا بغير واو ولا اكتفاء بالضمير لانه غير فصيح بل لعطفها على حال قبلها
فاستثقل اجتماع حرفي عطف لان واو الحال واو العطف استعيرت للوصل وتخصيص الوقتين
بنزول العذاب لانهما وقت دعة وغفلة فيكون نزوله فيهما اشد وافظع واما المبالغة في
التعبير فلا اختصاص لها بالوقتين فما كان دعواهم دعاؤهم على انفسهم بالويل اذ جاءهم
باسنا وقت ظهور طلايع العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا قولهم هذا يرشدك
الى هذا ان المعنى هذا قوله تعالى وكم قصمنا من قرية الى قوله يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت
تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين فلنسألن الفاء فصيحة اى لنجمعن الخلايق
فلنسألن الذين ارسل اليهم هم الامم يسألهم عما اجابوا به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم
المرسلين والمراد به التوبيخ والتقريع لا الاستخبار ولا التقرير لقوله تعالى فعميت عليهم
الانباء يومئذ ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم والمنفي في قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون السوال عن الذنب لا مطلق
السوال فلا ينافي هذا حتى يحتاج الى التوفيق بالاختلاف في الاوقات او في معنى السوال
فلنقصن لما كان سوال الفريق الاول سوال تعنيف وتعذيب وسوال الفريق الثاني
سوال تشريف وتقريب لا الاستخبار والاستفسار سكتوا عن الجواب وتركوا الخطاب
فناسب المقام تصدير الكلام بالفاء الفصيحة عليهم اى على الفريقين ما كانوا عليه بعلم
كامل شامل لظواهرهم وسرايرهم وما كنا غائبين حال في مقام التعليل اى اذ لم نكن عنهم
غائبين لم يقل وما كانوا عنا غائبين تنبيها على ان المنشاء لهذه الحال لما في شانه تعالى
من الكمال لا امر عن جانبهم وعدم الغيبة بينهم عنهم مجاز متفرع عن الكناية عن الاحاطة
التامة باحوالهم وافعالهم واقوالهم وفيه دفع ما عسى ان يخطر بالبال من ان وزن
الاعمال لخفاء الحال فله تعلق تام لجانبي الكلام مورث لكمال الحسن في النظام وتمام
الالتيام والوزن مبتدا يومئذ ظرفه الحق خبره اى والوزن يوم يسأل الله الامم و
رسلهم هو الحق الثابت الواجب الوقوع او الحق صفته والخبر يومئذ اى الوزن العدل
كاين يومئذ والاول اولى لان المقام مقام الاخبار عن الوزن الواقع يومئذ بانه الحق لا غيره لا

عن

عن اليوم المذكور بان الوزن الحق فيه لا في غيره قيل يوزن صحف الاعمال بميزان له لسان
وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف
بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم وبه اخذ الجمهور ويصدقه ما ورد في الخبر عن خير
البشر ان الرجل يوتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة فمن ثقلت موازينه اى رجحت موزوناته وهي الاعمال التي لها
وزن واعتبار وقدر اى الحسنات او ما يوزن به اعماله على ان الموازين جمع موزون او جمع
ميزان وتوحيد الضمير باعتبار لفظ من لان معناه جمع لقوله فاولئك هم المفلحون الفايزون
بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه عن الحسن وحق الميزان توضع فيه الحسنات بان يثقل
وحق الميزان يوضع فيه السيئات ان يخف وهذا على ثاني معنى الموازين فاولئك الذين
خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطروا عليها بما كانوا باياتنا يظلمون اى
يكذبون ظلما ولقد مكناكم في الارض اقدرناكم على التصرف فيها بالسكنى والزرع
وغيرها وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به جمع معيشة وهي وصلة من جهة
مكسب المطعم والمشرب والملبس الى ما فيه الحياة وقد يطلق على ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لاصالتها ومن همزها فقد شبهها بما فيه الياء
زايدة كصحايف قليلا ما تشكرون نصب قليلا بتشكرون وما مزيدة لتاكيد القلة
والشكر اعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم
ادم عليه السلام غير مصور ثم صورناه والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة نزل
خلقة ادم عليه السلام وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لقوله ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم عليه السلام ثم صورناه ثم
قلنا للملائكة اسجدوا له وكان الظاهر ان يقول ثم امرنا الملائكة بالسجود لادم وانما عدل
عنه لان الامر بالسجدة كان قبل خلق ادم عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره انما هو قوله تعالى للملائكة
اسجدوا لادم لتعيين وقت السجدة المامور بها قبل هذا فلا صارف لكلمة ثم عن معناها
الاصلي وعلى تقدير الصرف عنه حقها ان تصرف الى معنى التفاوت في الرتبة لا على التراخي

في الاخبار فسجدوا اي سارعوا في الامتثال واتوا بما امروا به على معنى الاستعجال ولما كان في بعقبة
الاحتمال ان يكون الاستثناء بقوله الا ابليس عن المقيد راجعا الى قيده لا الى الاصل احتيج
الى قوله لم يكن من الساجدين دفعا لذلك الاحتمال فلا صارف فيه للاستثناء عن الاتصال
بناء على انه لا حاجة الى هذا المقال وكان يكفي ان يقال لم يسجد الا انه قصد مع الاخبار
عن عدم الايتمار الاشعار بانه على تقدير اظهاره السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه
من اضمار الاستكبار بل يكون معدودا من الساجدين فنفي ذلك الكون فافهم هذا
الاعتبار قال عدل عن التكلم الى الغيبة ايماء بعدم اسناد القول الى نفسه ظاهرا ان هذه
المخاطبة مع ابليس لم تكن بالذات وكان المجابي تنبه لهذا الايماء حيث قال ان هذه
المكالمة كان على لسان بعض الملائكة ما منعك أن لا تسجد منع نظيره صرف فحمل عليه
في التعدية بالى كانه قيل ما صرفك عن ان تسجد الى ان لا تسجد ولا يخفى ان اعتبار التضمين
ابلغ في الكلام وانسب للمقام ومن هنا تبين انه لا دلالة في قوله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي على زيادة لا في هذا القول لانتظام معنى الصرف على كلا القولين إذ
معمولة لقوله منعك اي ما منعك عن السجود في وقت امرتك بالسجود فيه فلا دلالة فيه
على ان مطلق الامر للفور ولا على انه للوجوب اما الاول فلان الفور انما لزم من تعيين
وقت نفخ الروح في بدن آدم عليه السلام في قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فان فيه دلالة على ان المامور به السجدة في الحال وفي تضاعيف المقال
تلويح الى انها كانت لتعظيم امر النفخ وما يظهر عنده من اثار القدرة الباهرة في الحقيقة
وان كانت في الظاهر لتعظيم ادم عليه السلام واما الثاني فلان معناه على ان تكون صيغة
الاستفهام للتوبيخ وان يكون التوبيخ على عدم الايتمار وكل منهما في معرض المنع اما الاول
فلان الظاهر من قوله استكبرت ام كنت من العالين الاستفسار والاستخبار عن سبب
المنع واما الثاني فلاحتمال ان يكون التوبيخ على مخالفته لمن هم اعلا منه وترك متابعته اياهم
كما هو الظاهر من قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ابى عن متابعتهم في امر السجود
وفي قوله امرتك دلالة على ان ابليس كان مامورا بالسجود لادم عليه السلام بقوله تعالى
للملائكة اسجدوا لادم عبارة كان ذلك او دلالة والظاهر من قوله تعالى استكبرت
ام كنت من العالين هو الثاني على ما نقف عليه في موضعه قال انا خير منه لما كان

ولم يستثن ولم يورد نظيره
وحل
لحرره
منه

هذا القول منه جوابا من حيث المعنى عن السؤال على وجه التفصيل عن المانع المذكور في قوله
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين مستانفا فيه
باختيار الشق الثاني من الترديد المذكور اي كنت من الذين لم يتناولهم الامر دلالة لعلو
شانهم كما لم يتناولهم عبارة ذكره هنا في معرض الجواب عن السؤال على وجه الاجمال عن المانع
ومن غفل عن هذا قال انه جواب من حيث المعنى مستانف فيه استبعادا منه لان يومر
الفاضل بسجود المفضول فهو الذي قال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار
وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك حيث راى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة
بالتوحيد اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما اشار اليه بقوله ونفخت فيه من روحي و
باعتبار الغاية كما اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتثنية اي بقدرتي المتعلقة
في عالمي الشهادة والغيب ولذلك اي ولكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت صار
افضل ممن له حظ من احدهما فقط واستحق لان يسجد له الملك فاللعين في تعليله كمن
قيل فيه حفظت شيئا وغابت عنك اشياء وقيل لعل نسبة خلق الانسان الى الطين
وخلقه الى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد عليه ان المناسب لهذا الاعتبار ان يقال
خلقته من تراب والله اعلم بالصواب قال فاهبط تفريع على جوابه الخارج عن حد الادب
بل نهج السداد افتخر اللعين بما في عنصره من شرف الصعود فجوزي بذل الهبوط وهو
نزول من جهة العلو الى جهة السفل فصح عود الضمير في قوله منها الى جهة العلو ويلزمه
النزول من السماء والخروج من الجنة فلهذا ذهب الى كل منهما ذاهب فلا غبار
في عود الضمير الى واحد منهما بخصوصه بحذور الاضمار قبل الذكر فما يكون يصح لك تعليل
للامر المذكور أن تتكبر فيها لانها مكان المطيعين المتواضعين والتكبر في وصف المخلوق
اظهار الكبر بالتكلف بلا مساعدة من الحال وفي وصف الخالق على وجه الكمال فلهذا صار
ذما في الاول ومدحا في الثاني فاخرج وفي سورة الحجر فاخرج منها اي من زمرة الملائكة
المعززين الساكنين في السماء تفريع على عدم لياقته لان يكون في جهة العلو انك من
الصاغرين من الذليلين لصغر القدر تعليل للامر بالخروج من بين المستحقين للعزة قوبل
في كل من مقامي الامر بضد ما ظهر من المامور قالا وحالا قال انظرني من الانظار بمعنى الامهال

بلغ

المدة فيها المنظر طال ام قصر وقوله الى يوم يبعثون بيان مدة الانظار الذى طلبه
والضمير فى يبعثون عايد على المفهوم من تضاعيف المقام المعلوم بقراين الاحوال وفيه
دليل على اعتقاد اللعين بالبعث وهو فى الاصل الاطلاق فى الامر ثم استعمل مجازا فى
الاخراج عن العدم والمراد باليوم المذكور يوم النشور سال البقاء الى يوم اللقاء على ما افصح
عنه فى قوله لئن اخرتن الى يوم القيمة قال انك من المنظرين اى انك من جملة من
قدر لهم الانظار فلا حاجة الى السؤال وفيه الاشعار بان ذلك ليس من قبيل استجابة
الدعوة فافهم لطف هذا الاعتبار ثم ان فيه الاخبار عن حصول ما رامه من اصل الانظار
ابتلاء للعباد وتعريضا للعباد بمخالفته للثواب لا عن الوصول الى المقصود من امتداده
المعهود وهو الامان من خوف الفوت والم ذوق الموت حيث قال الى يوم الوقت المعلوم
لله تعالى وهو وقت قدر فيه انتهاء اجل المنظرين ويومه يوم النفخة الاولى وانما ابهمه
الله تعالى كيلا يخلو اللعين عن الم المخوف فى كل حين وفى تمام اليوم زيادة فى الابهام
كما لا يخفى على ذوى الافهام قال فبما اغويتنى الباء للسببية تعلقت بفعل القسم
وقد اظهر المقسم به فى قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم اجمعين لا باقعدن لان اللام
تصد عنه وما مصدرية واصل الغى الفساد لقول العرب غوى الفصيل اذا بشم و
البشم فساد اللبن فى البطن والمعنى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى
وجه يمكننى بسبب اغوائك اياى فيهم حتى يفسدوا بسببى كما فسدت بسببهم لاقعدن
لهم القعود كناية عن الترصد بل مجاز متفرع عليها لان المراد من الصراط المستقيم الدين
القويم وهو لا يصلح متعلقا للقعود الحقيقى صراطك المستقيم نصبه على تضمين
معنى اللزوم اى لالزمن صراطك مترصدا كما يفعله قطاع الطريق للسابلة وهذا اولى
من انتصابه على الظرف واما انتصابه على اسقاط على كما قاله الزجاج وشبهه بقول
العرب ضرب زيد الظهر والبطن ففيه ان اسقاط حرف الجر فى مثل هذا لا ينقاس ثم
يستعار لبعد ما بين الاجمال المذكور والتفصيل الاتى فى ضمن التمثيل لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم مثل اتيانه اياهم بقصد التسويل
والاضلال باتيان العدو السابلة بقصد القتل ونهب الاموال محيطا بهم من الجوانب كيلا
يفوت الاستيصال ولهذا خص الجهات الاربع بالذكر والا فقصد التسويل يتيسر له من جميع

الجهات

الجهات وانما قال من بين ايديهم ولم يقل اقدامهم قصدا الى تشبيه اتيانه من تلك الجهة باتيان
عدو لم يتنبه له الخصم الا وهو حاضر بين يديه فانه اشد كيدا واشد نكاية وانما عدى الفعل
فى الاولين بمن لان فيهما معنى طلب النهاية وفى الاخرين بعن لان فيهما معنى الانحراف عن
المقصد ولا تجد اكثرهم شاكرين لم يقل فلا تجد لانه اراد بيان ان حالهم هذا على مقتضى
جبلتهم لا بسبب تسويل واضلال ولا تعلق له بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لان
مظنونه بقرينة تمام ذلك الكلام وهو قوله فاتبعوه الا فريقا من المومنين ما ذكره
بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فان انطباقه عليه لا
يعضون هذا الكلام قال اخرج منها الامر باصل الخروج من زمرة المومنين المتقربين
قد كان فهو هنا منصرف الى قيده المذكور بقوله مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرئ
مذموما ومذوما كمسول فى مسؤل ومكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما وقيل
الذام والذيم اشد العيب كاللؤم مدحورا الدحر الدفع والطرد على وجه الهوان
والاذلال لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام اى لمن تبعك منهم هذا الوعيد
وهو قوله لاملان جهنم على ان لاملان جهنم فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره او على
انه علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف على الوجهين منكم اجمعين اى منك
وممن تبعك لقوله تعالى فى موضع آخر لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين فغلب هنا المخاطب ويا ادم اى وقلنا يا ادم على ما ذكر فى سورة البقرة لا
مساغ لان يعطف على قوله اخرج لانه فى معرض الاستيناف فى جواب ابليس وهذا
ليس من تتمته ولا من تتمة الامتنان فى العطف على ما بعد قلنا بعد اسكن انت و
زوجك الجنة قد سبق ما يتعلق به من اللطايف فكلا من حيث شئتما فى سورة
البقرة وكلا اعتبر ثمة الاستقلال فى امر الاكل تعظيما لشان تلك النعمة الجليلة واعتبر
هنا تفرعه على الامر الاول وفيه زيادة تفخيم لذلك الامر ولا تقربا هذه الشجرة
وقرى هذى على الاصل لتصغيره ذيا والهاء بدل من ياء فتكونا فتصيرا يحتمل الجزم بالعطف
والنصب بالجواب من الظالمين اى بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذى ظلم والطلقه
لينتظم الظلم غيره من ذريته فوسوس اى تكلم كلاما خفيا مكررا اصل الوسوسة الصوت

الخفي ومنه وسواس الحلي وهو غير متعد كولولت المراة وعوعوت الذئب فلا بد من
اداة التعديل ولهذا قيل لهما الشيطان والفاء للترتيب على ما تقدم من النهي
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما الابداء الاظهار والموارات الستر
والسوءة العورة مجاز لانه يسوء صاحبها ظهورها وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الاخر واللام للتعليل ان كان اللعين عالما بذلك والا فلام
العاقبة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة بيان لوسوسته والواو
للاستيناف الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين في حصول الكمالات
الفطرية والاستغنا عن الاطعمة والاشربة اذ لا احتمال لقلب الحقايق فلا
دلالة فيه على فضل الملك على ادم او تكونا من الخالدين من الذين يخلدون في
الجنة ولا يموتون وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اقسم لهما بالنصيحة فاخرجه
على وزن المفاعلة للمبالغة لاجتهاده فيه اجتهاد المبالغة وقيل اقسم لهما واقسما
عليه بالله انك لمن الناصحين فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه دلالة على
انه اهبطهما من درجة عالية المنزلة سافلة لما في معنى التدلية من ارسال الشيء
من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما من القسم بالله وكانا لا يظنان ان احدا يحلف
بالله كاذبا او ملتبسين بغرور اي مغرورين والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش
واصل الغر طي الثوب فان فيه اظهار حال واخفاء اخرى ومنه الغر لخفا ما لا يؤمن
فيه فلما ذاقا الشجرة بالاكل من ثمرتها دل هذا على ان المراد من الاكل في قوله فاكلا
منها بدايته كما دل هو على ان المراد من الذوق هنا نهايته فالقران يفسر بعضه بعضا
بدت لهما سواتهما اخذتهما العقوبة بشؤم المعصية وتساقط عنهما لباسهما و
ظهرت لهما عوراتهما وطفقا عطف على مقدر اي فتداركا واخذا يخصفان عليهما
اي على عوراتهما ورقة فوق ورقة ليستراها بها كما يخصف النعل ويجعل طرفه فوق
طرفه من ورق الجنة قيل كان ورق التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة انما قال تلكما لانه خاطب اثنين واشار الى الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين توبيخ من الله تعالى لهما على الاغترار بقول العدو بعد التحذير وعتاب
على مخالفة النهي الارشادي ولا دلالة فيه على ان مجرد النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا

انفسنا

ثم حتى يجئ اذ لا مانع فيه عند الاشاعرة لتجانس الاجسام

انفسنا بنقص حظها من المنحة وتعريضها للمحنة وان لم تغفر لنا وانما لم يقل فان لم
تغفر لنا لان الحاجة الى المغفرة والرحمة والكون من زمرة الخاسرين عند عدمهما ليس
لما تقدم من النقص والتعريض بل لذلك امر آخر وراء ما ذكر وترحمنا لنكونن من
الخاسرين هذا على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم
من الحسنات لما عرفت ان النهي ارشادي لا تكليفي فلا دلالة فيه على ان الصغيرة من الذنوب
معاقب عليها ان لم تغفر قال اهبطوا خطاب لهما ولذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له
تبعا ليعلم انهم قرنا او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضا بعضكم لبعض عدو في موضع
الحال ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين
انقضاء آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ليعلمهم انهم
لا يعودون الى الجنة الى ان يخرجوا من قبورهم ثم يصير السعيد الى الجنة والشقي
الى النار يا بني ادم اراد نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بدء خلقته وابتداء
ولادته لتذكر خلقته عريانا فانه المناسب بمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس
قد انزلنا عليكم لباسا جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي وقدر ثمة و
خلق بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد يواري سواتكم
التي قصد الشيطان ابداءها اي يستر ما يسوءكم انكشافه من الجسد ويغنيكم
عن خصف الورق وريشا وقرئ رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش
لباس الزينة والجمال استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم
لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا يجملكم ويزينكم والزينة غرض صحيح
في الشرع كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى هو الاكتفاء
بالصوف والخشن من الثياب ورفعه بالابتداء خبره ذلك خير وذلك خير الامور
اوساطها او خبره خير وذلك صفته عدل به عن التغليب وفخم بالاشارة اليه و
قرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو ما يتقى به في الحروب والايمان به
الترجيح والتفخيم انما ذكروه رجحانا انما يناسب الاول وقيل هو لباس الورع و
لا يا عده ذلك من آيات الله اي تحصيل اللباس من مواد ارضية حاصلة باسباب
سماوية واتصال منافع احديهما بالاخرى مع بعد ما بينهما دليل على كمال القدرة

منشئهما وحكمة مدبرها لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته ولعترفون بقدرته ويحترزون عن نقمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت فعلى هذا تكون قصة ادم عليه السلام تقدمة لذلك تنبيها على ان الكشف في العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابوهم وان الفطرة السليمة اقتضت سترها بخصف الورق عليها ليتعظوا بها يا بني ادم لا يخفى على الفطن ما في هذا التعبير من الاشارة الى انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم لا يمنعكم الشيطان دخول الجنة بالافتتان اي بالاغواء كما اخرج اي فتن ابويكم بما ادى الى اخراجهما من الجنة والمراد بنهي الشيطان المبالغة في نهيهم عن مظان الافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجازي للتسبيب والعدول عن صيغة الماضي لاستحضار تلك الصورة الفظيعة والنزع قلع الشيء عن موضعه الذي هو ملابس له انه ان الشيطان يريكم تعليل للنهي على سبيل الاستيناف وتاكيد للتحذير من فتنته اي بانه بمنزلة العدو والمواجي بكيدكم من حيث لا تشعرون هو الظهر ليصح عطف قوله وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم اي من مكان لا ترونهم فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما صدر الانسان له مسكن ويجري منه مجرى الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسر رؤيتهم لنا مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم والاية مقصود القصة واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا اعتذروا بتقليد الاباء ولما راوا ما فيه من الضعف ايدوه بقولهم والله امرنا بها قيل هما جوابا سؤالين مقدرين مرتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل من اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق النظم حينئذ والله امرهم بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال اقتصر على رد الثاني لما عرفت ان الاول

لايعول

قوله تعالى انه يريكم هو وقبيله الاية في الكشاف قال الضمير في انه يريكم ضمير الشان قال ابو حيان لا ضرورة تدعوا الى هذا بل الظاهر انه ضمير عايد على الشيطان قال ابن هشام في المغني وهو عندي ان الضمير ان قرى وقبيله بالنصب محمد...

لا يعول عليه بدونه وفي الاية دلالة على ان في بعض الافعال قبحا يثبته العقل مع قطع النظر عن السمع وانه يدل على ترتب الذم عليه اجلا قبل النهي عنه اتقولون اتفترون على الله انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون اظهارا لما في افترائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي بالقسط بالعدل الذي هو الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط في كل شيء واقيموا وجوهكم معطوف على ما ينحل اليه المصدر الذي هو القسط اي بان اقسطوا واقيموا كما ينحل الى المصدر الى ان والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج اي من ان قام زيد وخرج كذلك ينحل الى ان والفعل المضارع نحو للبس عباءة وتقر عيني اي لان البس عباءة وتقر عيني عند كل مسجد موضع سجود اي لا تسجدوا الا سجود اليهود على انصاف الوجوه وقدم وجه ذلك في تفسير سورة البقرة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجه الله تعالى خالصا فانكم مبعوثون مجزيون على اعمالكم فحذف التعليل وذكر ما يدل على البعث اكتفاء بالعبارة عن الاشارة كما بداكم اي كما ابداكم ابتداء تعودون باعادته اي فيبعثوا الاعادة كالابداء فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية الفطرية لا باقتضاء القضاء الازلي كما زعمت الجبرية لان القضاء تابع للمقتضي لا متبوع له وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي اضل كقولك زيدا مررت به انهم اي ان الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فاطاعوهم تعليل للتفسير او تحقيق للتفسير ويحسبون انهم مهتدون ولولا حسبانهم هذا لكان فيهم تاثير لانذار النذير فهو تتميم للتعليل او التحقيق وتنبيه على ان الضلال انما حق على من ضل وزعم انه اهتدى ومن هنا ظهر ان المكلفين غير محصورين في الفريقين فاذا المعاند بمعزل عن الحسبان المزبور يا بني ادم انما خاطبهم بهذا تذكيرا لسنة ابيهم ادم عليه السلام في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم الموارية لعوراتكم والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها والمامور باخذه هنا ما يستر العورة عند كل مسجد اي عند

فيه رد ولقن على من زعم ان الاية على ان الكافر المتخلي والمعاند سواء في استحقاق الذم منه

كل قصده الطواف دل عليه سبب النزول فانهم كانوا يدعون ثيابهم وراء
المسجد عند الطواف او الصلوة فان ستر العورة فيها واجب والسنة ان
ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة اعتبارا لظاهر عبارة الزينة وكلوا و
اشربوا اى ولا تضيقوا على انفسكم فيما وسعه الله تعالى من الاكل والشرب روي
انهم كانوا لا يصلون في ثيابهم ويقولون لا نصلي في ثياب اذنبنا فيها ولا ياكلون
من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال
المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك ان نفعل فنزلت الاية ولما كان حذف
المفعول في الموضعين مظنة التعميم والتوسيع لدائرة الرخصة في الاكل
والشرب كما وكيفا تدارك دفعه بقوله ولا تسرفوا اى في التعدي بالتعدي من
الحلال الى المحظور بل من الطيب الى المحذور انه اى ان الله تعالى والاضمار قبل
الذكر للتفخيم لا يحب المسرفين لا يرتضيهم لاسرافهم وهذا ابلغ في ذم الاسراف
وصيغة الجمع للتعميم لانواعه فانه مذموم في كل امر حتى في التصدق على ما
مر في سورة الانعام قل من حرم معنى الاستفهام انكار تحريم هذه الاشياء
وتوبيخ محرميها والاستفهام اذا تضمن الانكار لا جواب له زينة الله والاضافة في
اليه تعالى تعظيما لهجة الزينة للدلالة على عدم التحريم من جهته تعالى التي اخرج
من الحيوان كالحرير والصوف والنبات والقطن والكتان والمعدن كالحديد
وسائر الاجساد لعباده في عبارة العباد اشارة الى ان الاخراج المذكور
لمصلحة العبادة فلهذا اثرها على الناس والطيبات اى المحللات فان
المحرم ليس بطيب وان كان مستلذا من الرزق من الماكل والمشارب
فوصف الطيب هنا في مقابلة الاضافة الى الله تعالى قرينة في افادة المعنى
المهم في المقام وهو كونهما غير محرمين في الشرع فلا دلالة في الاية على ان الاصل
في المطاعم والمشارب والملابس وانواع التجملات الاباحة قل هي اى جملة ما ذكر
من الزينة والطيبات للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لكون الكفار
تشركائهم فيها وانما لم يقل للذين امنوا ولغيرهم تنبيها على انها خلقت لهم بالاصالة
والكفار تبع لهم فيها والحام الحياة للاشعار الى وجه التشريك بافهام انها الحاجة

اليها

اليها في الحياة خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال من الضمير
المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا لهي وقرئ بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل
الايات اى كتفصيلنا لكم هذه الاحكام في الحلال والحرام نفصل لكم جميع ما بكم حاجة اليه
من شرايع الاسلام وانما قال لقوم يعلمون تفضيلا للعلماء على غيرهم بتخصيص
التفصيل اليهم وتغليبا للذكور على الاناث لاصالتهم في اهلية الخطاب باعلام
الاحكام وافهام الحلال والحرام قل انما حرم ربي الفواحش اى لم يحرم الزينة
والطيبات وانما حرم القبائح التي زاد قبحها والتحريم المنع من الفعل باقامة الدليل
على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل ببيان جوازه ولو
ما ظهر منها وما بطن قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يرون بالزنا سرا
باسا وكانوا يستقبحونه علانية فنهوا عنها جميعا وتخصيصها بالذكر مع انتظامها
في سلك الاتي ذكره للاهتمام والاثم اريد به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب
والبغي اريد به ما بينه وبين الغير وهو التعدي مبتديا كان او منتصرا وقوله
بغير الحق زيادة بيان لان ما كان بحق لا يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بهم اذ معلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل
ولا ترى الضب بها ينجحر واذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكر
ذلك استهزاء ثم ان في السلطان مزية على البرهان من حيث ان البرهان اظهار
صحة المعنى وفساد نقيضه والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال
ولا يخفى ما في اعتبار هذه المزية واشتراط نزوله دون ظهوره من تفظيع امر الشرك
وان تقولوا على الله وان تفتروا عليه ما لا تعلمون انما ذكره اظهارا لزيادة قبح ما
تفعلوه والا فالافتراء لا يكون عن علم ولكل امة اجل الامة الجماعة التي على مقصد
واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل ففيه اشارة الى تقاربا اعمار اهل العصر
الواحد واما الوعيد فبناء على ان يكون المراد من الاجل مدة نزول العذاب ولا
يساعده اخذ الكلية على ظاهرها فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون اى لا يتقدمون ولا يتاخرون وانما قال ساعة لانها اقصر الاوقات
في العرف يقول المستعجل لصاحبه في الساعة اى اقصر وقت وانما قال فاذا جاء اجلهم

لانه قبل المجئ يقبل التقدم والتاخر بخلاف ما بعده على ما افصح عنه فى قوله ويؤخركم
الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والمراد من مجئ الاجل مجئ قربه على ما دل
عليه قوله ولا يستقدمون وهذا كما يقال جاء الشتاء وجاء الصيف اذا قارب وقته
يا بنى ادم واثر هذا التعبير لما فيه من التذكر لاول الرسل منهم اما ياتينكم هى ان
الشرطية زيد عليها ما التاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
وجواب الشرط الجملة الشرطية الآتية رسل منكم انما جاء فى اتيان الرسل بحرف الشك تنبيها
على انه غير واجب كما زعم اهل التعليم يقصون عليكم اياتى القصص وصل الحديث بالحديث
واصله اتباع الشئ بالشئ فمن اتقى الشرك والمعاصى واصلح العمل والاسلام فلا خوف عليهم
من الوقوع فى العقوبات وهذا ثمرة الاتقاء ولا هم يحزنون بفوات الثواب وهذا ثمرة الاصلاح
وليس فيه ابطال مخافات القيمة لان المراد به العافية فهو كقول الطبيب لا باس عليك و
لا خوف وان كان فى وجع وضعف والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى تعظموا
عن قبولها والمعنى استمروا على التكذيب فان الاستكبار يلزمه الاستمرار على خلاف من
اتقى واصلح اولئك اصحاب النار الملازمون لها لتكذيبهم باياتنا هم فيها خالدون
لاستمرارهم عليه وانما اورد فى جواب فمن اتقى الفاء دون جواب والذين للمبالغة فى الوعد
والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم افحش ظلما والفاء للترتيب على ما فهم مما تقدم من عظم شان
الافتراء حيث قرن بالشرك بالله وشان التكذيب حيث اخبر ان جزاءه الخلود فى النار
والاستفهام للاستعظام وقد مر بيان طريقته فى تفسير سورة الانعام ممن افترى على الله
الافتراء اختراع امر لا اصل له فهو حق من نسيه ولهذا يتعدى بعلى فقوله كذبا تصريح بما
علم التزاما اظهارا لما فى الافتراء من مزيد قبح حيث جمع بين القبيحين او كذب باياته لم
يقل او كذبه لان من كذب كلام الله تعالى انما كذبه منكرا لكونه كلامه وانما قال باياته ليتناول
المعجزات الفعلية اولئك ينالهم النيل هو وصول النفع الى الغير اذا اطلق وان قيد وقع
على الضرر لان اصله الوصول الى شئ نصيبهم من الكتاب اى مما كتب لهم من الارزاق
والاعمار اى هؤلاء مع نهاية ظلمهم لا يحرمهم فى الدنيا بل يصل اليهم حظهم فى الدنيا مما كتب
لهم فى الكتاب السابق حتى اذا جاءتهم غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائه رسلنا اى ملك
الموت واعوانه يتوفونهم يستوفون ارواحهم حال من الرسل وهى التى تقع بعدها الجملة قالوا

جواب

جواب اذا اينما كنتم حقها ان تفصل لانها موصولة ولكن وقعت موصولة فى خط
المصحف باين فاتبع سنته تدعون من دون الله اى تعبدونه من الالهة ترجون
شفاعتهم ومعونتهم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين اى اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى تحقيق الخبر ولا يخالف هذا ما
تقدم فى سورة الانعام من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لان انكارهم ذلك عند غيبة آلهتهم
على ما بين فيما سبق واعترافهم هذا عند حضورهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا راى
الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك قال اى يقول
الله تعالى لهم على السنة الملائكة يوم القيمة ادخلوا ويجوز ان يكون الامر للتسخير كما فى
قوله تعالى اهبطوا فيكون دخولهم فى النار بلا قدرة واختيار منهم كما هو الظاهر
من قوله تعالى كلما القى فيها فوج فى امم اى كائنين فى عدادهم ومصاحبين لهم فان
كلمة فى تجئ بمعنى مع قد خلت من قبلكم اى مضت لان من مضى بالهلاك فقد انتفى عن
مكانه فخلا مكانه عنه الا انه قلب فنسب الخلو اليه من الجن والانس قدم الجن على
الانس لاضلالهم فى الاغواء والاضلال لان المقام مقام التحقير فى النار متعلق
بادخلوا والدخول فى النار وان لم يعتبر كون الفريقين من الكفار لكن الامم المشركين
بالكون عنهم فى معرض العقاب دل على ذلك كلما دخلت اى فى النار امة من تلك
الامم لعنت اختها مثلها فى الدين التى ضلت هى بها وقيل بالاقتداء بها ويرد
عليه انه يلزم حينئذ ان تكون سلسلة الامم الداخلة فى النار غير متناهية حتى اذا
اداركوا وقرئ تداركوا اى لاحقوا وهو الاصل ثم وقع الادغام فاحتيج الى الف
الوصل فيها جميعا قالت اخراهم منزلة وهم الاتباع والسفلة لاوليهم لاجل اولاهم
لان الخطاب مع الله تعالى لا معهم وهم الرؤساء والقادة ربنا هؤلاء اضلونا
بان دعونا الى ذلك وامرونا به قال الله تعالى خبرا منهم اذ نامروننا ان نكفر بالله
ونجعل له اندادا فلا حاجة الى الصرف عن الظاهر المتبادر فآتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل اى لكل منكم ومنهم ضعف مثل
زايد على مثل لان كلا من الفريقين ضال ومضل وهذا فى حق القادة ظاهر واما فى
حق الاتباع فلانهم بالاتباع لهم وصدورهم عن رايهم زادهم فى طغيانهم وبناتهم

على الضلال وقوتهم على الاضلال وقد افصح عن هذا المعنى في قوله تعالى وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا واما التقليد في الباطل فلا
يصلح وجها العدم اختصاصه بالاتباع فان القادة ايضا قد يكونون مقلدين ولكن
لا تعلمون ذلك كيلا يحصل لهم نوع سلوة وسرور فانه لو علم كل منهم ما بالآخرين
بسبب اضلالهم اياهم لكان لهم فيه تسلٍ وخفة وقرئ بالياء على الانفصال وقالت
اولاهم لاخراهم مرتبا كلامهم على جوابه تعالى لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل
اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا بل انا واياكم متساوون في الضلال والاضلال
واستحقاق العذاب بهما فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون كما نحن نذوقه بما كنا
نكسبه فليس هذا القول منهم تشفيا كيف والمقام لا يحتمل الاخبار عن حال فيها
نوع سرور لهم ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قد سبق تفسيره لا تفتح
لهم اي لادعيتهم واعمالهم اولارواحهم كما يفتح للمومنين وهو بمنطوقه وعيد للكفار
وبمفهومه وعد للمومنين اذ لولاه لما كان نوعيدا لهم والحاجة الى صيغة الجمع في قوله
ابواب السماء لمصلحة المفهوم اذ لا حاجة اليها في المنطوق وقرئ تفتح بالتشديد
لكثرة الابواب وبالياء لان تانيثها غير حقيقي والفعل مقدم وبالبناء للفاعل ونصب
الابواب وبالتاء على الفعل للابواب وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل الولوج التقحم وانما خص الجمل من جنس البعير بالذكر لانه اكبر واصلب من الناقة في سم
الخياط في ثقبة الابرة وهو من باب التعليق بالمحال في النفي اذ المعنى لا يدخلون الجنة حتى يدخل
ما هو مثل الجمل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق المسلك وذلك لا يكون ابدا فكذلك
ما علق به وقرئ الجمل كالجُبُل والجُمْل كالنغر والجُمَّل والجمل كالنصب والجمل كالقمل
وهي الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر في سم الخيط وهو
المخيط لما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
اي الكافرين الموصوفين بالجرم الكامل وانما وضع المجرمين موضع الضمير تسجيلا على
المكذبين بالاجرام وايذانا بان الاجرام هو السبب الموجب للحرمان الموصل الى العقاب
المؤبد في النيران وكذلك كرر الجزاء وسجل عليهم بالظلم تاكيدا لهم من جهنم مهاد جمع مهد
وهو الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها فهو على

طريقة

طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولهذا اي ولما في لفظ المهاد من التهكم آثره على لفظ
الفراش مع ما فيه من صنعة التجنيس اعتبارا لجانب المعنى وترجيحا للمزية المعنوية على
اللفظية ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي لباس تخلل والتنكير فيها وفي مهاد
للتعظيم والتهويل ولما كان في المهاد اختصاص لجهة التحت بخلاف الغاشية فانها خلو عن
الاختصاص بجهة وكان المراد التغطية من جانب الفوق فلا جرم احتيج الى قوله من فوقهم
دون من تحتهم وقد ذكرا في قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل الغمام لحاجة
الى تعيين الجهة في الموضعين قوله ومن تحتهم ظلل يرشدك الى ارادة معنى الجمع من المهاد و
كذلك نجزي الظالمين لانفسهم بالاصرار على عدم الايمان والاستكبار عن الاذعان والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للارشاد
اولا الى ان المذكور في معرض الشرط الاعمال التكليفية وثانيا الى انه غير معتبر في حق غير المكلفين
والمعذورين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى في ان يشفع الوعيد
بالوعد واولئك اشارة الى ان استحقاق الخلود في النعيم بسبب اتصافهم بالايمان والاعمال
الصالحة مع سهولتهما وعظيم شانهما ونزعنا ما في صدورهم من غل النزع دفع الشيء
عن مكانه المتمكن فيه اما بتحويله عنه واما باعدامه والمراد هو الثاني والغل هو الحقد
الذي يصل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة
والصدر ما يصدر من جهة التدبير والراي ومنه قيل للرئيس الصدر تجري من تحتهم
الانهار زيادة في حبورهم وسرورهم والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء ومنه النهار
لاتساع ضيائه والجريان انحدار المائع وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا بالدلالة
الى ما يوصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله زيادة
اللام لتاكيد النفي اي وما كان يصح ويستقيم لنا ان نكون من المهتدين الى ذلك مع سيره
لولا هداية الله تعالى وتوفيقه وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرئ ما كنا بغير
واو على انها جملة مبينة للاول وعلى القراءة المشهورة اعتراضية للتاكيد لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فاهتدينا اليه هذا بارشادهم وهو كلام وارد على سبيل الاغتباط
والتبجح بما نالوا والسرور بما شاهدوا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها النداء
الدعاء على طريقة يا فلان كانه قيل لهم يا ايها المومنون وان هي المخففة من الثقيلة

تقديره بانه والضمير ضمير الشان او المفسرة لان النداء في معنى القول والجنة صفة
تلكم وهي مبتداء خبره اورثتموها او الجنة خبر واورثتموها حال والعامل معنى
الاشارة في تلكم اي موزنة لكم والاشارة بتلك لقصد التعظيم وانما سماها ميراثا لانها ليست
مما يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله ووعده على الطاعة كالميراث من الميت لا يكون
عوضا مستحقا عن شيء بل هو عطية خالصة ففيه حفظ السامع عن المتبادر الى الفهم
من الباء السببية في قوله بما كنتم تعملون من ان تكون تلك الاعمال اسبابا حقيقية لما
يعطى لهم في الدار الاخرة فان سببيتها ليس انما هي بحكم الوعد وهذه طريقة بليغة سميناها
في بعض رسائلنا المعمولة في اسرار البلاغة بالتقدم بالحفظ وهي ابلغ من طريقة التدارك
وقد غفل عنها القوم ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقد مر ان نادى بمعناه دعى
غير ان في النداء معنى امتداد الصوت ورفعه وليس كذلك الدعاء لانه قد يكون بعلامة
كالاشارة من غير صوت ولا كلام والصاحب هو المقارن على نية طول المدة والصحبة
والمقارنة نظيران الا ان في الصحبة الارادة أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ان
في المواضع الاربعة محتملة الوجهين كالتي مرت آنفا ووجدنا من الوجود وحقا مفعوله
الثاني او من المصادفة وحقا حال فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ الوعد عند الاطلاق
ينتظم الخير والشر بخلاف الوعيد فانه مختص بالثاني رَبُّكُمْ حَقًّا انما قالوا تبجحا
بحالهم وتحسرا لاصحاب النار ولذلك ذكر مفعول وعد في الاول وترك في الثاني
فان اهل الجنة يستبشرون بحصول موعودهم فذكروا ما وعدهم الله تعالى
مضافا اليهم واطلقوه حين سالوا اهل النار ليشمل كل موعود من البعث والحساب
والثواب والعقاب وسائر ما في احوال القيمة من الاهوال تنبيها على تكذيبهم
بامور كثيرة ليست مخصوصة بهم ساوهم كلها وتكون اجابتهم بنعم تصديقا بجميع ما
وعد الله بوقوعه في الاخرة للصنفين واعترافا منهم بحصول موعود المومنين ليتحسروا
على ما فاتهم من نعيمهم اذ نعيم اهل الجنة مما يحزنهم ويزيد في عذابهم قالوا نعم
وقرئ نعم بكسر العين فرقا بين نعم التي هي جواب وبين نعم التي هي اسم للابل والبقر
والغنم فاذن موذن ابهم للتنكير ونكر للتعظيم وهو ملك ينادي بامر الله
تعالى نداء يسمعه اهل النار زيادة في تحسرهم بمعنى بينهم بين القائلين نعم

ولوكا

قوله ان لعنة الله على الظالمين يحتمل الحكاية ويحتمل غيره وليس في قوله
الا الخبر وليس لنا الى معرفته حاجة
[illegible]

ولو كان المعنى بين الفريقين لقيل بينهما كما قيل وبينهما حجاب ان لعنة الله على الظالمين
اي الكفار اطلاقا لاسم الجنس على الفرد الكامل وهم بالاخرة كافرون وقرئ ان بالتشديد
والنصب وقرئ إنّ بالكسر على ارادة القول واجراء الناذين مجراه الذين يصدون عن
سبيل الله صفة مقررة للظالمين او نصب على الذم او رفع عليه والصد المرفوع عن
الخير خاصة ويبغونها اي يبغون بها والضمير للسبيل وهو يذكر ويونث عوجا
العوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح اي يطلبون بها زيغا وميلا الى الباطل وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها
جاحدين لما كان منادات الفريقين منبئة عن القرب بينهما ومظنة ان يتوهم وصول
روح الجنة الى اهل النار ونحوها الى اهل الجنة دفعه بقوله وبينهما اي وبين الفريقين
لا بين الدارين لانه قال في موضع آخر وبينهم حجاب الحجاب هو الحاجز المانع عن الادراك
والمراد هيهنا هو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف اي اعراف
الحجاب وهو اعاليه جمع عرف وهو ما ارتفع من الشيء فانه بارتفاعه وظهوره اعرف
من غيره ومنه عرف الديك رجال قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم السلام والشهداء
او خيار المومنين او ملائكة يرون في صورة الرجال وقيل قوم قصروا في العمل وتساوت
حسناتهم وسيئاتهم وياباها عبارة الرجال لان الامر المذكور لا يختص بالذكور يعرفون كلا
من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او فعلى من وسم على القلب كالجاه
من الوجه وقد دل الباء السببية على انهم يعرفونهم بالامارات الظاهرة فلا وجه لما
قيل وعرفانهم ذلك يجوز ان يكون بالالهام من الله تعالى او بتعريف الملائكة و
نادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا الى اهل الجنة نادوهم بالتسليم
عليهم وقد دل على هذا تمام الكلام فلا حاجة الى تقديره لم يدخلوها استيناف
او صفة لاصحاف اي لم يدخلوها وفيه رفع ما يتبادر الى الفهم من عبارة اصحاب الجنة
ورفع وهم مخالفته لما ياتي من قوله ادخلوا الجنة وهم يطمعون حال منهم والطمع
توقع المحبوب ونقيضه الياس وهو القطع بعدم حصوله واذا صرفت الصرف
امالة الشيء من جهة الى اخرى ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي حذاهم وهي جهة

بدليل قوله تعالى
م

اللقاء تفعال استعمل ظرف مكان وفيه دلالة على ان نظرهم الى اهل الجنة نظر رغبة وارتضاء
واما نظرهم الى اهل النار فليس كذلك بل لا ينظرون اليهم لكراهتهم ونفرتهم منهم ولا يتأتى
منهم النظر اليهم طوعا حتى كان صارفا صرف نظرهم اليهم كرها ليعلموا قدر ما هم فيه ولهذا
كان الاول متقابلا بالتسليم والثانى بالاستعاذه قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين استعاذوا بالله تعالى من مصاحبتهم صريحا وفى ضمنها الاستعاذه من النار
ولا يخفى ما فى هذا الاعتبار من تقديم الفرار من عذاب صحبة الفجار على الفرار من عذاب
النار بناء على ان الاول روحانى والثانى جسمانى والروحانى اشد ايلاما ونادى
اصحاب الاعراف رجالا من رؤس الكفرة واعيان الفجرة يعرفونهم فى الدنيا
بسيماهم المعهود عندهم فهذه معرفتهم باشخاصهم وما سبق معرفتهم من حيث
انهم من اهل الجنة او من اهل النار قالوا ما اغنى عنكم استفهام فى بيان ما نودى
به جمعكم كثرة خدمكم واعوانكم او جمعكم المال وما فى ما اغنى استفهامية للتوبيخ
والتقريع ويجوز ان تكون نافية وفى وما كنتم تستكبرون مصدرية اى وكونكم
تستكبرون عن الحق وعلى الخلق وقرئ بالثاء المثلثة اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى فقراء اهل الجنة و
الخطاب لرؤساء الكفرة الذين كانوا يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم
يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة وقد مر تفسير النيل ادخلوا الجنة لما اشاروا
اليهم بهؤلاء معيرين لرؤساء الكفرة قالوا لهم اخبارا من الله تعالى ملتفتين اليهم
ادخلوا الجنة وقرئ ادخلوا على البناء للمفعول وقرئ دخلوا على الاستيناف
والتقدير ادخلوا او دخلوا مقولا لهم لا خوف عليكم فيما ياتى ولا انتم تحزنون
على ما فات وفيه تعريض لاصحاب النار انهم يحزنون ونادى اصحاب النار
اى الكفار على ما سنقف عليه اصحاب الجنة ان قلت كيف النداء وبينهما حجاب
قلت ان فى الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار ان افيضوا من الفيض
والسيلان عن الامتلاء ولما فيه من معنى الاحسان قالوا علينا اى احسنوا علينا
مما ازداد منكم من الماء فلا دلالة فيه على ان الجنة فوق النار او من فضلة
ما رزقكم الله من نوع آخر من جنس المشروب وانما خصهم بالطلب لما بهم من غلبة

رد وهو دليل على ان الجنة فوق النار بيضاوى فيه تأمل سعدى

العطش

العطش وشدة الحرارة ولهذا اتوا باداة التنويع ولو كان المراد
الطعام لما عدلوا عن العطف باداة الجمع اذ لا بد لهم من طلب الماء و
لما كان فى سؤالهم ما دل على ان التماسهم من الفضلة وما لا حاجة لهم به
وكان الامتناع عن الاجابة فى مثله مظنة البخل اجابوا بما يندفع به هذا
الوهم ثم انهم عدلوا عن الجواب بالمنع الصريح الى ذكر سببه محافظة
لجانب الكرم مهما امكن وقطعا لاطماعهم على وجه احسن قالوا ان
الله حرمهما على الكافرين لم يقل عليكم تضمينا لمعنى التعليل وتعميما
للجواب لغير السائلين من جنسهم والتحريم المنع وتعديته بعلى كتعدية
الشهادة بها كما فى قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ولا خفاء فى
ان المنع اللغوى ابلغ من التحريم الشرعى فلا وجه لما قيل منعهما عنهم منع
المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم الاتخاذ اخذ الشئ باعداد الامر
من الامور ولا يخفى لطف موقعه ههنا من حيث تضمنه الاشارة الى ان
حق الدين الجد والاهتمام بشانه دون الهزل واللعب فكان فيه نعى
لهم بتقبيح صنيعهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت
واصل اللهو الانصراف عن الشئ والمراد ما ينصرف اليه لا يعنى واللعب
طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من لعاب وهو المرور
على غير الاستواء وغرتهم الحياة الدنيا الغرير تزيين الباطل للوقوع
فيه فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين بتركهم فى النار ترك المنسى
كما نسوا لقاء يومهم هذا اى كما فعلوا به فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا
له ولم يهتموا به والمراد من اليوم الواقعة ولهذا اضافه اليهم وما كانوا باياتنا
يجحدون معطوف على كما نسوا وما فيهما مصدرية والكاف فى كما للتعليل
اى لنسيانهم وكونهم جحدوا بايات الله ولقد جئناهم بكتاب التنكير
للتعظيم والتعبير بجئنا به زيادة تعظيم له فصلناه اى جعلناه فصولا
هى اصول الامور الدينية والدنيوية على علم عالمين كيف يجب ان يفصل
حتى جاء حكيما وقرئ فضلناه اى رجحناه على سائر الكتب عالمين بوجه

رجانه وانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يومنون حال من الهاء
او مفعول له اى لاجل هدى هل ينظرون اى ما ينتظرون والانتظار
هو الاقبال على ما ياتى بالتوقع وانما قيل لهم ينتظرون وان كانوا جاحدين
لانهم بمنزلة المنتظر فى انه ياتيهم لا محالة اتيان المنتظر الا تاويله التاويل ما
يوول اليه حال الشئ يوم ياتى تاويله اى يتبين صدقه بظهور ما نطق به من
الوعد والوعيد يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناس قد جاءت
رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم جاؤا بالحق وظهر ما اخبروا عنه فهل لنا من
من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم حذف النون للنصب بالفاء جوابا للتمنى
او نرد او هل نرد الى الدنيا وجوابه فنعمل وقرئ او نرد بالنصب عطفا على
يشفعوا اى فيشفعوا لنا او نرد او حملا لاو على معنى الى اذ اى فيشفعوا حتى نرد
فنعمل وقرئ بنصب نرد ورفع فنعمل اى فنحن نعمل فالمعنى على الرفع تمنى الشفاعة
او الرد على اول وجهى النصب تمنى الشفيع للشفاعة بدون الرد او للرد على ثانيهما
تمنى الشفيع للشفاعة مفضيا الى الرد وسببا ووسيلة اليه غير الذى كنا نعمل
من الكفر والمعاصى قد خسروا انفسهم فى الدنيا بابطال استعدادهم فلا يجرى
الرد على ما افصح عنه فى قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه استيناف
لبيان حالهم على وجه يتضمن الحكمة فى عدم استجابتهم وضل اى وغاب عنهم فى
الآخرة ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الهتهم ان ربكم الله اى ليس
ربكم ومدبركم وحافظكم ما عبدتموه من الاصنام والكواكب والملائكة والجن
بل كل ذلك مربوب ومخلوق محتاج الى المدبر وحافظ بل ربكم وحافظكم وخالقكم
الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما على ما بينه فى موضع آخر
جعل الخبر موصولا بناء على كون ذلك معهودا مشهورا عند السامع ومفروغا
من تحقيق النسبة والعلم به فى ستة ايام فى مسلم عن ابى هريرة رضى الله
عنه قال اخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله عز
وجل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر
يوم الاثنين وخلق الظلمة يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث

عن الكسائى فنعمل برفع اللام اى فنحن نعمل ونصب الجمهور على ما انتصب عليه فيشفعوا واتفق على رفع نرد على انه عطف فعلية على اسمية وهى هل لنا انتهى

صحيح م

فيها

فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة
من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل والمراد من اليوم مقدار ورد العرش من الزمان
ثم استوى على العرش استوى عليه بالتاثير فى ايجاد الاشياء باثبات صورها عليه
قصدا مستويا من غير ان يلوى الى شئ آخر فهو شانه الذى عليه كل يوم ولما ذكر الاستواء
على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه والمراد تدبيره بين ذلك فى عيان فقال
يغشى الليل النهار اى يغطيه به ولم يذكر عكسه لا لان اللفظ يحتملها اذ لا بد من ارادة
احدها على التعيين بل للعلم به يطلبه حثيثا من الحث وهو الحمل على السرعة حال من
الليل تقديره حاثا او من النهار وتقديره محثوثا ويجوز ان ينتصب نعتا لمصدر محذوف
اى طلبا حثيثا اى حاثا او محثا والمراد من طلب الليل النهار معاقبة اللازم فكانه طالب
له لا يدركه بل هو فى اثره بحيث يكاد يدركه والشمس والقمر والنجوم عطف على السموات
مسخرات حال منها بامره متعلق بمسخرات وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق
والامر اى هو الذى اوجد الاشياء وصرفها بارادته كيف يشاء جملة اعتراضية مبينة لما
لما ذكر من التوحيد كالمقصود منه ولذلك صدرها بحرف التنبيه وقدم فيها الظرف
للتخصيص ايذانا بان اهم الاشياء اعتقاد التوحيد فى الخلق والتدبير تبارك الله
رب العالمين اى فذلك هو الرب للجميع لا رب سواه فليجب تعظيمه اعتراض آخر لبيان
تعظيمه بالوحدانية فى الالوهية والربوبية للكل اى تعاظم الواحد الموجد للكل المتصرف
فيه بالربوبية وتوجيهه ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة
والحجة وصدر الاية بان لانكارهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو
الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على العلم والحكمة والقدرة الذى انشا
ملكه على ما نشاهد ثم عمد الى تدبيره كالملك المتمكن فى مملكته لتدبير ملكه فصرف الدهر
على ما نرى من تصريف الملوين وسخر الاجرام السماوية بامره ونفاذ امره بقضائه وقدره ثم
صرح بما هو فذلكة التقرير فى بيان التوحيد بالجملة الاعتراضية الاولى وافصح
عن المقصود من التركيب كالنتيجة بالجملة الاعتراضية الثانية ثم امرهم بتخصيصه
بالعبادة والدعوة متضرعين متذللين ذوى خفية بقوله ادعوا ربكم تضرعا التضرع
التذلل وهو التكلف فى اظهار الذل الذى فى النفس وخفية كيلا يشوب الدعاء معنى

انه لا يحب المعتدين استيناف لتعليل ما قدمه عبارة واشارة والاعتدا تجاوز الحد م

الرئا والاخفاء اغماض الشئ بحيث لا يقع عليه الادراك وفى التعبير عن قسيم الدنيا خفية بما ذكر اشارة الى ان الدعا جهرا انما يصلح مامورا به اذا كان مقرونا بالاستكانه والتذلل الذى لا ينبغى تجاوزه اى ان الله تعالى لا يحب المجاوزين ما امروا به فى كل شئ من الدعاء و غيره ففيه تنبيه على انه لا ينبغى الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وطلب ما لا يليق ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء عليهم السلام وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا خائفين من عقابه طامعين فى ثوابه والخوف هو الانزعاج بما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب وانما قدم الخوف لانه اهم ان رحمة الله قريب من المحسنين استيناف لتعليل ما قدمه من القيدين عبارة واشارة اما الاول فظاهر فان الاخبار التاكيدى عن قرب رحمته تعالى مطمع واما الثانى فلان اشتراط الاحسان وهو وراء الايمان والاسلام مظنة الخوف لعامة المومنين وقد قال كثير من العلماء ينبغى ان يغلب الخوف على الرجا طول الحياة فاذا جاء الموت غلب الرجاء ومن هنا اتضح وجه آخر لتقديم الخوف على الطمع وتذكير قريب لان تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لاكتسابها التذكير من المضاف اليه كما ذكروا فى قرآة ما ان مفاتحه لينوء بالياء التحتانية او لكونها صفة محذوف اى بشئ قريب او على تشبيهه بفعيل بمعنى مفعول او بفعيل الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره واما التذكير لكون التانيث غير حقيقى فوهم لوجوب التانيث فى نحو الشمس طالعة والموعظة نافعة وهو الذى يرسل الرياح وقرى الريح على الوحدة والاول اولى لان الغالب استعمال الجمع فى الرحمة واستعمال المفرد فى العذاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا نُشُرًا بضمتين جمع نشور بمعنى ناشر ونُشْرًا بالتخفيف نُشُر كرُسُل ورُسْل ونَشَرًا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول ونَشْرًا بفتح النون على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان النشر والارسال متقاربان وبُشُرًا جمع بشير وبُشْرًا الخفيفة وبَشْرًا بفتح الباء مصدرا من بشره بمعنى بشّره وبُشْرَى بين يدى رحمته امام نعمته وهى الغيث الذى هو من اهم النعم واعمها نفعا وقد سبق بيان ما فى عبارة بين يدى من الدلالة على القرب ولهذا نؤثر على عبارة الامام والقدام قيل

ان الصبا

ان الصبا يثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالماء وجمعه لان السحاب جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ونسبة السوق اليه تعالى بنون العظمة التفاتا لما فيه من عظيم المنة وجليل النعمة لبلد اى لاجله ولا يلزم ان يصل له بل يكفى ان يكون وصوله لما وصل له لمصلحته فينتظم السوق الى الجبال والاودية ومن هنا ظهر وجه فرية اللام على الى ميت استعير الموت لجدبه وعدم نباته لان من حيث عدم الانتفاع به كالجسد الذى لا روح فيه وانزلنا به اى بالبلد او بالسوق او بالسحاب والباء للسببية وعلى الاول تحتمل الظرفية والالصاق الماء المعهود وهو ما نقل بالسحاب فاخرجنا به اى بالماء ولانه اقرب لفظا ومعنى لا الى البلد على ان الباء للظرفية لقوله من كل الثمرات فان جميع انواعها لا تخرج فى البلد وقوله وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ صريح فى المعنى الاول والقران يفسر بعضه بعضا كذلك اى مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى من الاجداث قال الكلبى وذلك اذا مات الناس كلهم مطرت السماء اربعين يوما كمنى الرجال فينبتون فى قبورهم بذلك المطر كما ينبتون فى بطون امهاتهم ثم يخرجون فى النفخة الاخرة وبينهما اربعون سنة لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد الطيب الارض الكريمة التربة وتخصيص البلد بالذكر لانه اصلح منبتا على ما نبه عليه فى اخبار الماثور وهو قوله الرجال من القرى ولهذا اسقطه فى مقابله يخرج نباته باذن ربه بتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث السبخة التى لا تنبت ما ينتفع به لا يخرج الا نكدا النكد الذى لا خير فيه ونصبه على الحال تقديره لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل اذ تقديره ونبات الذى خبث وقرى يُخرج من اخرج فيكون نكدا مفعولا وقرى نكَدا بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكدٍ ونكْدا باسكانها للتخفيف كذلك مثل ذلك التصريف والترديد نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى ويتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر

الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم ينا ثر بها لقد ارسلنا نوحًا جواب
قسم محذوف ولا تكاد تقع هذه اللام الا مع قد لان الجملة القسمية مظنة
التردد ونوح عليه السلام اول من شرعت له الشرايع وسُنّت له السنن وليس بينه
وبين ادريس نبي وانما قال الى قومه لان بعثته كانت مخصوصة لقومه كبعثة سائر
الانبياء عليهم السلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم فان بعثته عامة اُخاصة و لا
ينا في هذا قول نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارًا الا من لم يعم
له دعوته لا يدخل تحت هذا الدعاء فقال يا قوم اتى هنا بالفاء الدالة على التعقيب
بدون الاهمال دلالة على الاستعجال في الامتثال اعبدوا الله اى وحدوه وافردوه
بالعبادة لتفرده بالالوهية مالكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة و
قرئ غيره بالجر على اللفظ والرفع على المحل كانه قال مالكم اله غيره وبالنصب على الاستثنا
اى مالكم من اله الا اياه انى اخاف عليكم وعيد وبيان للداعي الى العبادة تعالى و
موقعه الاعتراض عذاب العذاب هو الالم الجارى على الاستمرار يوم عظيم هو يوم القيمة
او يوم نزول العذاب وهو الطوفان قال الملاء الملاء الجماعة الشريفة لانهم يملئون
النفس والعين بجلالهم وجالهم على انه ماخوذ من الملاء ويحتمل ان يكون ماخوذا من
تمالى القوم على امرٍ اى توافقوا ومنه قول على رضى الله عنه ما قاتلت عثمان ولا مالات
في دمه والملاء صفة غالبة وجمعه املاء وليس من باب رهط وان كانا اسمين للجمع
لان رهطا لا واحد له من لفظه وملاء يوجد من لفظه مالى قال احمد بن يحيى المالى
الرجل الجليل الذي يملاء العين فهو كفارب وخادم فان اسم جمعهما غرب و
خدم من قومه القوم الجمع الذي يقوم بالامر لا نسوة فيهم وفائدة التقييد
بالوصفين تجريد المسند اليه عن ناقصات العقول كيلا يتوهم ان هذا
القول صدر عن بعض ضعفائهم في العقل والراى فاسند الى الكل اسناد
فعل واحد الى الجماعة انا لنريك استعار والرؤية للعلم بلا شبهة تمهيدا لما
ادعوه من الظهور في المعلوم في ضلال منغمسا فيه والضلال الذهاب
عن صوب الصواب والتنكير للتعظيم مبين بالغ فيه كيفا بعد ما بلغ كما قال
يا قوم اضافه الى نفسه تمهيدًا لما ياتي من دعوى الاخلاص والاخلاص ليس

قرئ بالنصب عن عيسى بن عمير والثاني قارى

بى

بى ضلالة تقدم الجار والمجرور للتعريض لهم به وزيدت التاء للتقليل اى ليس بي
اقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال العظيم الظاهر وما يتخايل من ان نفى
الماهية ابلغ لان نفى الشيء مع قيد الوحدة قد يكون بانتفاء الوحدة مضمحل
بان الوحدة ليست صفة مقيدة بل اللفظ موضوع للجزء الاقل المتحقق مع الكثرة
ولكنى رسول استدراك بطريق الكناية كانه قال ولكنى رسول على هدى كامل
في الغاية لانى رسول قابل تصريحهم بالتعريض الذى هو ابلغ في البلاغة وبالكناية
التي هي اقوى في النكاية واداة ظرفه باداة الملابسة لانها اوسع دائرة فنفى النفى
يكون اقطع لدابر احتمال الضلال وارادة تعظيمه في التضليل باداة التحقير والتقليل
ولا يخفى ما في هذه المقابلة على وجه المقابلة من المبالغة في المغالبة من رب
العالمين فيه اشارة الى ان رسالته لمصلحة تربيتهم ففيه اظهار مكابرتهم وفرط
عنادهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى الباهر بالضلال المبين
الظاهر ابلغكم استيناف لبيان كونه رسولا والابلاغ ايصال ما فيه بيان الابهام و
منه البلاغة وهى ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ رسالات الرسالة
جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيرها وانما جمعها باعتبار تعددها
بحسب الاوقات او باعتبار تنوعها بحسب المعانى وفى قوله ربى بعد قوله من
رب العالمين اشارة الى ان في الرسالة تربيتا عامة وهى للمرسل اليهم وخاصة وهى
للرسل وانصح لكم النصيحة الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهى عما فيه الفساد ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة والنصح كذلك وخلافه الغش وفى زيادة
اللام تاكيد في اخلاص النصح لهم ومبالغة في انها خالصة للمنصوح له مقصود
بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح به واعلم من الله ما لا تعلمون
وعيد تنزيلا في قوله عليكم عذاب يوم عظيم اى اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته
بالوحى اشياء لا يتيسر لكم علمها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره
اكذبتم وعجبتم والعجب تغير النفس بما خفى سببه وخرج عن العادة مثله ان جاءكم ذكر
موعظة من ربكم كلاما ياتى من الله تعالى في حكم النزول فكان جاءكم معناه نزل ونحن معان
بقال على رجل ولا حاجة الى تقدير لسان منكم من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارساله

البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين اي بارسال
البشر وانما لم يُقل على بشر بل اثر الاطناب على الوجه المذكور لان المناسب لانكار تعجبهم
ان يبين مجي الرسالة على مقتضى الحكمة وهو ان يكون الرسول من جنسهم ولا يكون انثى
ولا صغيرا لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي اكتفى باحد القرينين عن الآخر
وانما خص الانذار بالذكر دون الايثار لانه اعم واهم ولتتقوا وليوجد منكم التقوى
ولم يعتبر سببية الانذار والا لقيل فتتقوا ولعلكم ترحمون لتقواكم والعطف بالواو
دون الفاء للتنبيه على ان الترحم من الله تعالى تفضل لا يوجبه التقوى فهو في بقعة
الامكان وكلمة الترجي لترجيح جانب الوقوع حتى يزداد الرغبة في تحصيل التقوى او
لا يعتمد عليه كل الاعتماد فكذبوه الفاء فصيحة وقد ذكر ما حذف هنا في موضع آخر
وذلك ان تقول في الوصل بينهما باداة التعقيب تنزيل للتكذيب منزلة العذاب الذي يترتب
عليه ولا يخفى ما فيه من التهويل والتعظيم لامر التكذيب فانجيناه والذين معه من البشر
وسائر انواع الحيوان وفي العبارة المذكورة اشارة الى نجاتهم بسبب متابعتهم وبركة
مصاحبتهم فقوله في الفلك متعلق بمعه اي الذين صحبوه في الفلك واشتقاقه من
فلك ثدي المرأة اذا استدار سميت السفينة فلكا لانها تدور على الماء وكيفما اديرت
واغرقنا الاغراق الغوص المتلف في الماء الذين كذبوا بآياتنا كان اغراقهم بسبب
تكذيبهم على ما اشير اليه واغراق سائر انواع الحيوان بشوم معاصيهم انهم كانوا
قوما عمين استيناف على سبيل التعليل وانما قال قوما على تغليب الذكور على الاناث
تنبيها على تبعيتهن للرجال في الضلالة الحاصلة بسبب كونهم عمي القلب غير مستبصرين
وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه
وهم قوم سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ومعنى
اخاهم نسيبهم وانما جعل منهم لانهم افهم لمقاله واعرف بحاله وارغب في اقتدائه
هودا عطف بيان لاخاهم قال يا قوم استيناف على تقدير سوال سائل قال فما قال
لهم فقيل قال يا قوم وكذا جوابه هنا فان قلت ما وجه اختصاص قول نوح عليه السلام
بالعطف والربط اللفظي وقول هود عليه السلام بالاستيناف والربط المعنوي قلت
قصة نوح عليه السلام ابتداء كلام فليس مظنة سوال بخلاف قصة هود عليه السلام

فانها

الانذار [illegible] الاعلام بموضع المخافة [illegible] عن موضع المخافة والغرض من الانذار انما هو التحذير [illegible] فيجوز الاستفادة

فانها معطوفة على قصة نوح عليه السلام فكانت اذ يقال فما قال هود مثل ما قال نوح
عليه السلام ام لا اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره افلا تتقون
عاقبة الشرك الهمزة للانكار والفاء لترتيبه على ما تقدم من موجب التوحيد
فهي مقدمة على الهمزة معنى وان اخرت عنها لفظا محافظة على حق صدارتها
وكانهم كانوا موقنين على نزول العذاب على مشركي قوم نوح عليه السلام لقرب عهدهم
منهم فلهذا انكر عليهم بهذه الصيغة قال الملأ الذين كفروا من قومه التقييد
بالذين كفروا للتنبيه على ان في اشراف قومه من آمن به كمرثد بن سعد الذي اسلم
وكتم ايمانه ولا مساغ لهذا التنبيه في قصة نوح عليه السلام ولهذا لم يذكر ذلك
القيد ثمه واما ذكره فيها وفي سورة المومنين فللذم والتميز وان كان في معرض اللزوم
فلا كذلك الزام انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث
خالفت اشراف قومك واسلافك ولما كان هذا تخطئة له عليه السلام في فعله قالوا
انا لنراك على سبيل القطع واليقين وقوله وانا لنظنك من الكاذبين تخطئة في قوله
ولا علم عندهم بحقيقة الحال انما تمسكهم فيه التقليد بايديهم قالوا وانا لنظنك قال
يا قوم ليس بي سفاهة النفي بنفي السفاهة ايماء الى ان الاقدام على الكذب في مثل
هذا الامر الخطير لا يخلو عن سفه فنفيه راسا يغني عن نفي الكذب ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من
ربكم على رجل منكم لينذركم قد سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء عليهم السلام اممهم
المكذبين عن كلماتهم الحمقى بما اجابوا به والاعراض عن مقابلتهم كمال الشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وكرم الخلق ليقتدي بهم المومنون في آداب المناظرة والمعاشرة مع الخلق
وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انه مشهور فيما بينهم بالنصح والامانة واذكروا
حذرهم من انتقام الله تعالى ثم ذكرهم بانعامه اذ جعلكم مفعول به لا ظرف اي اذكروا
ذلك الوقت خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في مساكنهم او في الارض او جعلكم
ملوكا فان منهم شداد بن عاد وزادكم في الخلق بسطة في القامة والقوة والبدانة
وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله اي فاشكروا على نعم الله تعالى فان الذكر
هنا كناية عن الشكر لان الذكر حقيقة لا يتخلف عن التذكر فلا حاجة للامر به بعده بلا وجه

اذ جعلكم اي اذكروا وقت [illegible] مفعول به ليس بظرف [illegible] لازم [illegible] سعدي

للتقريع عليه بنعم الله تعالى وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على ان هذه النعمة بحيث
يستتبع ذكرها الشكر عليها فنفي تذكرها غني عن الحث على الشكر عليها لعلكم تفلحون
لعل الشكر عليها يفضي الى الفلاح قالوا اجئتنا كان له عليه السلام مكان يتحنث فيه
معتزلا عن قومه كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا فلما اوحي اليه جا وقومه
يدعوهم ويحتمل ان لا يراد حقيقة المجيء ولكن التعريض بذلك والقصد كما يقال
ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده
وتعرضت لنا بتكليف ذلك ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا واستبعدوا اختصاص
الله تعالى بالعبادة والاعراض عن الالهة التي اعتكف عليها اباؤهم حبا لما نشأوا
عليه والفا لما صادفوا اسلافهم يدينون به فأتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين استعجال منهم لما خوفهم منه من العذاب تكذيبا قال قد وقع قد حق و
وجب عليكم او على جعل المتوقع الذي لابد من وقوعه بمنزلة الواقع من ربكم رجس
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء
سميتموها انتم واباؤكم اي اسماء بلا مسميات لانكم سميتموها الهة واستحال
فيها معنى الالوهية ما نزل الله بها من سلطان تهكم بهم لان المستحيل لا يمكن اثباته
بالحجة ولا نزول الوحي به فجمع بينهما اظهارا لفرط جهالتهم فانتظروا اي لما تبين
الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين هذا
غاية في التهديد والوعيد ونهاية في الوثوق بما حل بهم وانه كائن لا محالة فانجيناه
الفاء فصيحة وما حذف هنا مذكور في موضع آخر والانجاء التخليص من الهلاك و
اصله من النجوة وهي الارتفاع من الارض والذين معه اي الذين اتبعوه برحمة
منا عليهم لا بقوة وتدبير منهم فيه اشارة الى ان هودا عليه السلام مع رتبته في النبوة
ودرجته في الرسالة انما نجي برحمة من الله تعالى ليعلم ان النجاة لا يكون باستحقاق الذات
ولا باستيجاب الصواب من العمل وانما يكون بفضل من الله ورحمة ابتداء وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا قطع دابرهم استيصالهم عن آخرهم لان الدابر الذي يدبر
القوم ويأتي خلفهم فاذا انتهى القطع الى ذلك لم يبق احد وفي قوله بآياتنا دلالة على انه
كانت لهود عليه السلام معجزات ولكن لم يذكر لنا بخصوصها وما كانوا مؤمنين تعريض

لمن امن منهم كرثد وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان وان النجاة
مرتبة عليه كما ان الهلاك مسبب عن التكذيب كانه قيل فقطعنا دابر الذين كذبوا
بآياتنا ولم يكونوا ممن آمن والى ثمود بمنع الصرف اسم القبيلة وقرئ ثمود بالصرف
بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر اخاهم صالحا قال قد سبق
وجه الاستيناف يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي حيث جاءتكم من ربكم لتصديقي في دعوى
النبوة هذه ناقة الله استيناف لبيانها واضافة الناقة الى الله تعالى
للتعظيم ولانها وجدت معجزة من عنده تعالى من غير اسباب ووسايط معهودة
فاضيفت اليه لكم اية نصب على الحال من ناقة الله والعامل فيها معنى الاشارة ولكم
بيان لمن هي له اية وهم ثمود فان دعوته كانت مخصوصة لهم فمعجزته كانت لاجلهم
ومن وهم انها كانت معجزة لهم خاصة لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها فقد
وهم اذ بعد ظهور المعجزة الاخبار المتواترة كافية بغير المشاهدة وهو حال من اية
او ناقة بدل من هذه او عطف بيان والخبر لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فذروها تاكل
فيها من العشب فليست الارض ارضكم ولا ما فيها من النبات نباتكم ولا تمسوها
بسوء قد سبق ان في المس امرا زائدا يدل على معنى الاصابة وهو تاثير الحاسة به
وان سوء العذاب لاحق فلا وجه لما قيل نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء
الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب النهي
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد لم يقل من عاد لما بينهما خلايق هو خلايق
عاد بالذات وبوأكم انزلكم المباءة المنزلة في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها
السهل ما ليس فيه مشقة على النفس من عمل او ارض قصورا القصر هو الدار الكبيرة لسور
تكون به مقصورة قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وتنحتون
الجبال بيوتا اي من الجبال فحذف الجار واوصل الفعل اليه دل على ذلك قوله في سورة
الحجر وتنحتون من الجبال والنحت النجر والنشر في الشيء الصلب كالحجر والشجر فاذكروا
ما مر من الذكر اللساني وهذا من الذكر القلبي آلاء الله انواع نعمه من التمكين في الارض

ولا يلون فيه الا العلية سعدي

كانه قيل ما هذه البينة سعدي

والتسخير حتى تبوؤا القصور وشيدوا المنازل والدور مع طول الآمال وتبليغ الآجال والمراد الامر بالشكر على تلك النعم بطريق الكناية وفيها ايماء الى انها من النعم الجسام التى لا مانع عن القيام بشكرها الا الغفلة عنها **ولا تعثوا فى الارض مفسدين** قد سبق تفسيره فى سورة البقرة **قال الملاء الذين استكبروا** اى عن متابعة صالح عليه السلام لان الاستكبار طلب الكبر فوق القدر حتى يودى الى انكار ما دعى اليه من الحق انفة من اتباع الداعى الى الحق **من قومه للذين استضعفوا** الاستضعاف طلب الضعف بالاحوال التى يقعد صاحبها عما يمكن غيره من القيام بالامر وبناء المجهول لانهم غير مقصورين على من استضعفهم تلك الملاء واستذلهم **لمن امن منهم** بدل من الذين استضعفوا ابتكرير العامل بدل البعض من الكل سواء كان الضمير للذين او لقومه لان من المستضعفين من لم يومن وانما اثر اختلاف المرجعين من حيث انه على الاول لا يكون الاستضعاف مقصورا عليهم بحكم دلالة اللفظ بخلاف الثانى **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** كلام قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش ولهذا لم يقولوا نعم بل اجابوا بما نقل عنهم فى قوله **قالوا انا بما ارسل به مومنون** ايذانا بان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على احد فيحتاج الى السؤال عنه لغاية وضوحه وانارة برهانه انما الكلام فى وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون **قال الذين استكبروا انا بالذى امنتم به كافرون** كان الجواب المطابق انا بما ارسل به كافرون الا انهم لما عدلوا عن الظاهر بان جعلوا الارسال مسلما معلوما كان جواب الكفرة ايضا معدولا به عن الظاهر اى ليس ما جعلتموه معلوما مسلما من ذلك القبيل وايضا لم يريدوا ان يتفوهوا باثبات الرسالة له **فعقروا الناقة** اسند الفعل الى الجميع لانهم امروا صاحبهم فتعاطى فعقر على ما ياتى التفصيل فى سورة القمر ومن غفل عن هذا زعم ان الاسناد اليهم للملابسة والعقر الجرح الذى ياتى على اصل النفس وهو من عقر الحوض وهو اصله **وعتوا عن امر ربهم** وهو ما بلغه صالح عليه السلام بقوله فذروها وعتو الامر مخالفته على وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله **وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا** من العذاب والابهام لقلة الاهتمام وذريعة الى التحقير فى امثال هذا المقام والوعد

يذكر

يذكر فى الخير والشر ويعرف بالقرينة عند الاطلاق **ان كنت من المرسلين** استعجالهم للعذاب اظهار للجزم فى تكذيبهم **فاخذتهم الرجفة** الزلزلة المحركة **فاصبحوا فى دارهم** اى فى بلدهم ولذلك وحد **جاثمين** باركين على ركبهم غير قادرين على الحركة لقوله تعالى فى سورة الذاريات فما استطاعوا من قيام ثم صاروا كهشيم المحتظر وهو المذكور فى سورة القمر **فتولى** صالح عليه السلام **عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** حكاية حال ماضية والظاهر انه كان يتولى عنهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب تولى ذاهبا عنهم منكرا لاصرارهم **ولوطا** اى وارسلنا لوطا **اذ قال لقومه** وقت قوله لهم **اتاتون الفاحشة** من اتى المراة اذا غشيها انكار وتوبيخ لهم وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح واللام فى الفاحشة للجنس كانها الفاحشة على الحقيقة وما عداها ليس من جنسها نظرا الى تحقق التفاوت بينها فى ذلك المعنى **ما سبقكم بها من احد من العالمين** الباء للتعدية ومن الاولى زائدة لتاكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض اى ما عملها احد قبلكم قط وهو جملة استينافية مقررة للانكار وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ والخنى لعدم المجال للاعتذار بالتقليد **ائنكم لتاتون الرجال** بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة فى مثلها للانكار والاستقباح كررت لتاكيد الانكار تفصيلا واجمالا وهى مع ان ابلغ فى الانكار وقرئ انكم على الاخبار المستانف وفى التقييد بقوله **شهوة** دعوى مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة زيادة استهجان ووصف لهم بالبهيمية الصرفة ولانه اعظم منه اى لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة لا طلب النسل وبقاء النوع الذى هو مقتضى العقل فهو مفعول له او مصدر فى موقع الحال اى مشتهين تابعين للشهوة وقوله **من دون النساء** نصب حالا من الرجال اى منفردين والمعنى تطئون الرجال لمجرد الشهوة البهيمية ولكم عنها بدل ففيه تذكير لتجاوزهم المعتاد والمطبوع المشروع واظهار لعدم الضرورة الداعية الى ذلك الفعل القبيح وفى ذكر الرجال دون الذكور المقابل للنساء زيادة تقبيح لصنيعهم الشنيع باظهار انهم

يفعلونه بامثالهم في الرجولية وذلك لا يخلو عن الايماء الى انهم يفعلونه كرها لان
مقتضى الرجولية الامتناع عنه **بل انتم قوم مسرفون** انكر عليهم مخالفة العقل
ثم اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بحالهم التي هي اتم الرذائل وموجب ارتكاب جميع
القبائح اي فليست هذه غريبة عن عادتهم حتى تنكر عليهم وهي انهم قوم عادتهم
الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثمه اسرفوا في باب الشهوة ايضا **وما كان**
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي وما جاؤا بما هو جواب له عما
كلمهم به ونصح لهم فيه من انكار الفاحشة واستعظامها لغاية دعارتهم وخبثهم و
لكنهم قابلوا نصيحته ووعظه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم وهي من
القرى وهو الجمع سميت بها ما فيه من الابنية لانها يجتمع الناس في الاقامة الا انه
صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس في منازل متجاورة بقرب ضيعة ياوي اليها
الاكثر **انهم اناس يتطهرون** استيناف بطريق الاستهزاء كانه قيل لهم لم تخرجوهم
من قريتكم فقالوا لانا قوم ملوثون بالفواحش وهم اناس يبالغون في التنزه منها
فلا وجه لاختلاط الطاهرين بالخبائث وهذا غاية السخرية منهم وهذا ليس بجواب عن انكاره
وتوبيخه لكنهم قالوا تضجرا منه عقيب انكاره وتوبيخه وفي اطلاق الجواب عليه اشارة الى انهم
كانوا ملزمين مبهوتين حتى لم يقدروا على ان يتكلموا في معرض الجواب بشيء سوى هذا و
هذا قريب من اسلوب الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ولما كان مآل المعنى انهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك الى الطريقة المذكورة للمبالغة
في عدم قدرتهم اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله وبين قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لان
المنقول فيهما ايضا ليس بجواب حقيقة وان كان مذكورا في معرض الجواب والله اعلم بالصواب
فانجيناه الفاء فصيحة والمحذوف هنا مذكور في موضع آخر والمراد من الانجاء اخراجه
من بينهم قبل نزول العذاب **واهله** اهل بيته لا من تبعه في الدين لقوله **الا امراته** فانها
كانت تسر الكفر **كانت من الغابرين** من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور **وامطرنا عليهم** يقال في العذاب امطرت وفي الرحمة مطرت وتعديته بعلى لما فيه
من معنى النزول **مطرا** نوعا من المطر عجيبا غير معهود اذ كان الممطور عليهم الحجارة على ما بين

فيمو

الدعر محركة الفساد والفسق والخبث كالدعارة والدعارة والدعرة قاموس

التلويث التلطيخ والخلط قاموس

في موضع آخر **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** من قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم
السلام والمراد نظر التفكر او نظر البصر فمن بقيت له آثار ومنازل ومساكن وفيه اتعاظ
وانزجار ان تسلك هذه الامة ذلك المسلك الفظيع **والى مدين اخاهم شعيبا** اي ارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين بن
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
قد سبق تفسيره **قد جاءتكم بينة من ربكم** معجزة شاهدة بنبوتي ولم يذكر في القرآن
ان ما ذكر فيه وفي التفاسير متأخر عن هذه المقاولة **فاوفوا الكيل والميزان** اي الة
الكيل لا لقوله والميزان لانه يجيء بمعنى الموزون بل لقوله في سورة هود والمكيال ويجوز
ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد والميلاد والمراد الايفاء في الكيل والوزن او يراد الكيل
ووزن الميزان على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش هذا ما عند
القوم والذي هو عندي ولعله هو ادق وبالقبول احق قد سبق في تفسير سورة الانعام
والمراد بايفاء الكيل والميزان ايفاء ما يكال او يوزن نسب الى الفعل مجازا او الى الالة للملابسة
كانوا اهل بخس للمكاييل والموازين فامرهم بالايفاء ولما كان المحظور بالامر المذكور التعدي
الى جانب النقصان لا الى جانب الزيادة نبه على ذلك بقوله **ولا تبخسوا الناس اشياءهم**
ولا تنقصوا حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم لانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل
والكثير او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه **ولا تفسدوا في الارض** بالكفر والحيف
بعد اصلاحها بعد ما اصلح فيها الانبياء بالايمان والعدل **ذلكم** اشارة الى العمل بما امرهم به و
نهاهم عنه **خير لكم** مطلقا **ان كنتم مؤمنين** بزعمكم لان فضيلة الايمان العدالة او خير لكم في
الانسانية وحسن الاحدوثة وفيما تطلبون من التكسب والتربح وزيادة المال لان الناس اذا
عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا في متاجرتكم ان كنتم مصدقين فيما اقول لكم **ولا تقعدوا**
بكل صراط ولا تقعدوا قعود الشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم تقعدوا بكل منهج
من مناهج الدين لقوله **توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها**
عوجا وطريق الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى عقائد ومعارف حقة وفضائل
واخلاق جميلة وحدود واحكام كثيرة فكانوا اذا راوا احدا يسلك طريقا منها ويتكلم
فيها منعوه واوعدوه وصدوه وقيل كانوا يقعدون بالمراصد ويقولون لمن يريد

شعيبا عليه السلام انه كذاب لا يفتننك عن دينك كما كان يفعل قريش بمكة وتوعدون من
امن به وقيل يقطعون الطريق ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اى
لا تقعدوا موعدين وصادين وباغينها عوجا ومن امن مفعول يصدون على اعمال
الاقرب ومفعول توعدون محذوف لدلالته عليه ولو كان مفعول توعدون لقال
وتصدونهم الا ان يجعل تصدون بمعنى تعرضون لازما والضمير في به لله اى توعدون و
تصدون من امن بالله عن سبيله تبغونها اى تطلبون سبيل الله عوجا تصفونها
للناس بالعوج وانها معوجة وغير مستقيم فلا تسلكوها او بالقاء الشبه وقيل الضمير
المذكور راجع الى كل صراط اى توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذى
هو سبيل الله موضع الضمير تقبيحا لما كانوا عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه
وتبغونها عوجا تهكم بهم اى تطلبون ما هو محال واذكروا اذ كنتم قليلا عددا وعُددا
فكثركم بالبركة والنسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من قوم نوح و
هود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بما اصاب المؤتفكة والمراد من النظر الاعتبار بهم
وان كان طائفة منكم من الطوف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف ماخوذة من
الاجتماع على الطواف امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا اطلقه هنا ايماء
الى ان عدم الايمان بما ارسل به نبى يستلزم عدم الايمان بما ارسل به سائر الانبياء عليهم
السلام لان كلا منهم يصدق الاخرين فاصبروا الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع
حتى يحكم الله بيننا اى تربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين بنصر المحقين على
المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه
حيفا ولا ميلا الحكم المنع من الخروج عن الحق قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك اى امنوا بما ارسلت به تابعين لك من قريتنا او
لتعودن في ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية واما عودكم في الكفر
والعود هو الرجوع الى الحالة التى كان عليها لما اشركوا شعيبا عليه السلام في الاخراج
مع الذين معه شركوه في العود تغليبا للجماعة على الواحد وان لم يكن عليه السلام في ملتهم قط
لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا ولذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه
على التغليب ويجوز ان يكون قولهم على زعمهم وقوله عليه السلام على المشاكلة ويجوز ان يكون

العود

العود بمعنى الصيرورة كما في قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم اى صار في بلوغه الى
لدلالته على الاستقرار والتمكن كانهم لم يرضوا بان يتظاهروا انهم من اهل ملتهم قال
أولو كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام الانكارى اى انعود فيها ونحن
كارهون لها او اتعيدوننا فيها على كراهتنا اياها قد افترينا اخبار مقيد بالشرط و
هو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من
الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود في ملتكم بعد ان وفقنا الله تعالى للنجاة
منها بالتوحيد ولانا علمنا ان لا شريك له فان زعمنا ان له ندا فلا افتراء اعظم من
افترائنا وقد سبق معنى الافتراء ووجه تقييده بقوله على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
شرط جوابه محذوف دل عليه قد افترينا وهو استئناف في معنى التعجب كانهم قالوا
ما اكذبنا على الله تعالى ان عدنا لانا تحققنا التوحيد وتيقناه فادعاء الند مع اعتقاد
التوحيد افتراء في غاية القبح وقيل هو جواب قسم على تقدير حذف اللام اى
لقد افترينا على هذا التقدير بعد اذ نجانا الله منها اى خلصنا عنها فان النجاة
بالحقيقة انما يكون بعد الابتلاء ولا ابتلاء هنا فلا بد من المصير الى قرب المجاز
وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا وقت ان يشاء الله ربنا عودنا
هذا هو الذى يقتضيه المساق وتقدير الخذلان من خذلان التقدير وسع ربنا كل
شيء علما لم يقل قدرة او ارادة لان الاخبار عن سعة قدرته او ارادته لكل
شيء انما يناسب المقام اذا كان مساق الكلام للاشعار بوقوع المستثنى واما
اذا كان مساقه للاشعار بعدم وقوعه فلا يناسب ذلك انما المناسب حينئذ
الاخبار عن سعة علمه وحكمته وفائدة هذا الاشعار حسم طمعهم في العود
بالتعليق على ما لا يكون وفي زيادة ربنا مع تمام الكلام بدونه نوع تأييد للاشعار
المذكور وفضل تاكيد للحسم المذكور من حيث ان الرب في الاصل بمعنى التربية
وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا على الله خاصة توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويحفظنا عن الشرور والعدوان ربنا افتح بيننا وبين قومنا
احكم بيننا وبينهم بالحق والفتاحة الحكومة والفتاح القاضي او اظهر امرنا
بفتح ما بيننا وينكشف ويتميز المحق من المبطل بانزال العذاب عليه وانجاء المحق

من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المغنيين وقال الملاء الذين كفروا
من قومه اى قال بعضهم لبعض لئن اتبعتم شعيبا فيما امركم به ونهاكم عنه في معاملاتكم
انكم اذا اى حينئذ هو اسم زمان لخاسرون الاموال وهو ساد مسد جواب الشرط
والقسم الموطا باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة الحادثة من الصيحة المذكورة في
سورة هود عليه السلام فاصبحوا في دارهم جاثمين قد سبق تفسيره الذين
كذبوا شعيبا مبتداء كان لم يغنوا فيها خبره وكذا ما بعده اى كان لم يقيموا فيها
يقال غنى بالمكان اذا اقام به والمغانى المنازل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين بالغ في تقديرهلاكهم بوجوه بالاستيناف وابتداء الموصول كانه قال الذين
كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال لاجل تكذيبهم وبقوله كان لم يغنوا
فيها اى ما بقى اثر منهم كان لم يكونوا قط وبالتكرير على الوجه الاول بكونهما اسميتين
وتعريف الخاسرين بلام الماهية وباطلاقه اى الخاسرين في الدارين وبتوسيط هم
في الثانية اى هم الاخصاء بالخسران المطلق لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا
كانهم الرابحون فيهما كل ذلك ردا لمقالة الملاء فيما بينهم وتسفيها لرأيهم و
استهزاء بنصح بعضهم لبعض فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم كلام قاله بعد هلاكهم تاسفا وتحزنا عليهم ثم انكر على نفسه
التأسف وشدة الحزن عليهم بقوله فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا باهل للحزن
عليهم لاستحقاقهم ما حل بهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم اى
لقد اعذرت اليكم وبالغت في الابلاغ وبذلت وسعي في النصح لكم والتحذير عما نزل
بكم فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم اى فلا احزن عليكم بعد النهي والتبليغ لكفركم
وكونكم غير مستحقين لذلك وما ارسلنا في قرية من نبي تعديته ارسل بالى وانما
اتى بفي اعتبارا لمعنى الاستمرار في امر الابشار والانذار وعند ذلك يظهر استحقاقهم
بالاخذ الاتي ذكره الا اخذنا اهلها الا اخذين اهلها فهو استثناء مفرغ من الاحوال
بالبأساء بالبوس والفقر والضراء والضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع النبي
وتعززهم والشدة والبلاء تلين القلوب القاسية الابية وتذلل النفوس
الطاغية القوية لعلهم يضرعون لكي يتذللوا ويضعوا تيجان العز والكبر والنخوة

ثم بد

التاسف ظ

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لفظ ثم للدلالة على امتداد تلك الحالة وتوييده ما
في عبارة المكان من الاشعار بالتمكن اى ثم اوردنا مكان الحالة السيئة الحالة الحسنة
مبدلين احديهما بالاخرى كالالام الابتلاء قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات والحكمة
فيه ان النفوس الجافية الغليظة تتعهر وتنكسر بالبلاء والشدة والنفوس اللطيفة تنقاد
وتطيع بالسعة والنعمة حتى عفوا اكثروا عددا وعددا بالنمو في انفسهم واموالهم من عفى
النبات اذا كثر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء
والسراء بطرا واشرا بالنعمة ونسيانا للنقمة واعتقادا ان هذه عادة الدهر يضيق تارة
يوسع اخرى ويتعاقب فيه المحنة والمنحة كما عليه حال ابائنا فلم يروا ذلك الابتلاء من الله
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون لما لم ينتبهوا من غفلتهم باجرى الحالتين
فلم يبق الا ان اخذناهم اشد الاخذ بالعذاب وهو الاخذ فجاة من غير شعور لانهم
اعظم حسرة ولو ان اهل القرى اللام للعهد والاشارة الى القرى التي دل عليها وما
ارسلنا في قرية امنوا وصدقوا بدل كفرهم وتكذيبهم واتقوا بدل عصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير في كل شيء ومن كل جهة و
يسرنا لهم وقيل لاتيناهم المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون بسوء كسبهم المعتاد من التكذيب والعصيان افامن اهل القرى الفاء
للعطف على فاخذناهم وكذا الواو في اوامن ولو ان اهل القرى اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه والهمزة للانكار اى بعد اخذنا اياهم بتكذيبهم امن اهل هذه القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا البيات اذا كان بمعنى البيتوتة فظرف اى وقت بيات وان كان
بمعنى التبييت فحال اى مبيتا او مبيتين او مصدر لان التبييت نوع من الاتيان
كانه قال ان يبيتهم باسنا تبييتا وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في
بياتا اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى نصب على الظرف والضحى بين
البكرة والضحوة وهم يلعبون يشتغلون بامور الدنيا قال الله تعالى انما الحيوة
الدنيا لهو ولعب والعدول الى الصيغة المضارع على التجدد والمناسب للعب افامنوا
مكر الله تكرير للتاكيد وتقرير للجملتين على سبيل التعميم باستعارة لطيفة وهي استعارة
المكر للاخذ بغتة بلا شعور منهم استدراجا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون

الكمي بضم اللام وكسرها جمع لحية
يكسرها اى وفروها وانزلوا
نشرها

اى اذا كان استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يامن مكر الله الا الذين خسروا انفسهم
بالكفر وترك النظر والاعتبار وفى تكرير مكر الله تهويل وتربية للمهابة اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم قرئ يهد بالياء على ان
قوله ان لو نشاء فاعله وبالنون على انه مفعوله وان مخففة من الثقيلة مفعول ضمير الشان
وتعدية فعل الهداية باللام الى المفعول الاول لما فيها من معنى التبيين اى اولم يهد ولم يتبين
للذين يخلفون من مضى قبلهم فى ديارهم ويرثون ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين اواذ
تبين لهم ذلك ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية
ونطبع او كلام مبتدأ عطف الجملة على الجملة اى ونحن نطبع ولا يستقيم عطفه على
اصبناهم بمعنى وطبعنا لانه فى سياق لو فيؤدى الى نفى الطبع والقوم مطبوع على قلوبهم
واما عطفه على يرثون فيلزمه الفصل بين ابعاض الصلة بالاجنبى لان المعطوف على الصلة
صلة ولا تعلق لقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم بشئ من الصلة فهم لا يسمعون
سماع تفهم واعتبار تلك القرى اى قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها
حال منها كقوله هذا بعلى شيخا او خبر ثان او القرى صفة تلك ونقص خبر ومن
للتبعيض اى نقص عليك بعض انبائها اذ لهم انباء وغيرها لم نقصصها عليك ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجئ الرسل بالبينات
بما كذبوا من قبل بما كذبوا من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا
ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين مجئ الرسل اى استمروا على التكذيب مع
تكرار المواعظ وتتابع البينات ولم تلن قلوبهم حتى ماتوا وتاكيد النفى باللام للدلالة
على ان الايمان منافيا لحالهم فى تصميمهم على الكفر طول عمرهم وشدة شكيمتهم فى عنادهم
كذلك مثل ذلك الطبع العظيم نطبع على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات و
النذر وفيه ايذان بان سبب الطبع كفرهم الاصلى وما وجدنا لاكثرهم اى لاكثر الامم المذكورين
لان الاقل من كل منهم امنوا او للناس على الاطلاق والجملة اعتراضية من عهد اراد بنفى
العهد نفى الوفاء به على سبيل المبالغة يقال ماله عهد اذا نكث العهد والمراد من العهد
اما ميثاق الفطرة فى الايمان والتقوى واما قولهم عند الضر والمخافة لئن انجيتنا

من

من هذه لنكونن من الشاكرين او عهدهم مع الانبياء عليهم السلام كقولهم لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اى علمناهم من وجدت زيدا ذا
الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة فيه وذلك لا يجوز الا فى المبتدأ والخبر والافعال
الداخلة عليها وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا البعث الارسال وهو فى
الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشئ من بعدهم الضمير للرسل او للامم موسى
باياتنا بمعجزاتنا الى فرعون وملائه اى الاشراف من قومه وفرعون كان لقبا لمن ملك
مصر من العمالقة فظلموا بها الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وتعديته بالباء لتضمينه
معنى الجحد والمراد من ظلمهم اختيارهم الكفر على الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
النظر تحديق القلب الى العين لادراكه فكانه قيل فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم بسبب
افسادهم وموضع كيف نصب لانه خبر كان وتقديره انظر اى شئ كان اخر امر الذين افسدوا
وقال موسى يا فرعون خطاب له باحسن ما يدعى به واحبها اليه لما عرفت انه من الالقاب
الشريفة المخصوصة بملوك العمالقة فخيمة ايتمارا بالامر الوارد فى قوله تعالى فقولا له قولا
لينا انى رسول من رب العالمين لم يقل اليك لعدم اختصاص رسالته عليه السلام
له ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى عليه السلام بما ينبهه على انه مبطل فى
الوصف الذى ادعاه حقيق على ان لا اقول جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة
المفهوم من قوله فظلموا بها وقرئ علىّ بالتشديد اى واجب علىّ وعلى قراءة التخفيف
معنى حقيق جدير وخليق الا انه ضمن معنى المجبول ولذلك عدى بعلى او مجبول على
ذلك جديرا به وفيه اشارة الى ان من هو فى مقام الرسالة يكون فى غاية العصمة عن
وصمة الكذب حتى لو قصده لا يقدر عليه على الله الا الحق انما قال على الله لان فى
الرسالة من تحميل العهد على المرسل الذى نقل عنه الرسالة قد جئتكم ببينة من ربكم اى
بما يبين انى رسول من رب العالمين ادعى الرسالة ثم اردفها بما يدل على صحتها ولما قرر رسالته
فرع عليها تبليغ الحكم بقوله فارسل اى فاطلق معى بنى اسرائيل اى يرجعوا معى الى
الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال
تغلبا منذ توفى يوسف عليه السلام وانقرضت الاسباط قال ان كنت جئت باية
من عند من ارسلك فات بها فاظهرها واحضرها عندى ليثبت بها صدقك ان

وجدت زيدا ذا الحفاظ قال الجوهرى قال
وجدت زيدا ذا الحفاظ اذا كان ذا انفة او
حمية ... معنى كريم

والحفيظة الغضب والحمية والحفظة
الحمية والغضب واحتفظ
غضبه فاحتفظ قاموس

كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه اصل القى من اللقاء الذى هو
الاتصال فالقى عصاه ازال اتصالها مما كان وعصا عود يابس واصله الامتناع لُيبُسه
يقال عصى اذا امتنع ومنه العصى لمن عصى فاذا هى اذا للمفاجاة والفاء للتعقيب ثعبان
حية عظيمة يقال انثعب الماء اذا جرى بالاتساع والمثعب هو المجرى الواسع ومنه
الثعبان لانه يجرى باتساع لعظمته مبين ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شى يشبه
الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر ونزع يده اى اخرجها من
جيبه لقوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء والنزع اخراج الشئ مما كان
متصلا به وملابسا له فاذا هى بيضاء لها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق
وفى قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة عن النظر اليه لخروجه
عن العادة وقيل بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء حقيقة ويرده قوله تعالى في موضع
آخر تخرج بيضاء من غير سوء لانه صريح في انقلابها ابيض لا من مظنة السوء عند ذلك قال
الملاء من قوم فرعون وفى موضع آخر قال للملاء حوله وذلك انه قال هو واشراف قومه على
سبيل التشاور في امره فحكى عنه تارة وعنهم اخرى وفى عبارة الملاء نوع اشارة الى هذا من
حيث ان الملاء جماعة يجتمعون ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر وهو لطف الحيلة
فى اظهار اعجوبة توهم خرق العادة يخفى سببه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقى
العداوة والفرقة بينكم ويستميل المحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون
ماذا مفعول ثان لتامرون على سبيل التوسع فيه بان حذف منه حرف الجر والمفعول الاول
محذوف اى باى شئ تامروننى من امرته فامرنى بكذا اذا شاورته فاشار عليك براى تحير
عند غلبته سلطان المعجزة فنسى دعوى الالوهية ومرتبة كونه امرا وناهيا حتى خاطبهم
خطاب الاذلاء المقهورين المامورين قالوا ارجه من الارجاء وهو التاخير اى اخره
امره وهذا يدل على تقدم همّ فرعون بقتله على ما دل عليه قوله تعالى وقال فرعون ذرونى
اقتل موسى فقالوا اخر قتله واغلبه بالحجة كيلا يدخل على الناس الشبهة توهموا انهم التاخير
وتقدير التدبير وبذل الجد والتشمير يعرفون شيئا من التقدير واخاه يعنى هرون وكان
معه على ما ذكر في موضع آخر وارسل في المداين حاشرين الحشر السوق من جهات
مختلفة الى مكان واحد وتعدية ارسل بالى وانما الى بفى تضمينا بمعنى الاكثار لتعيد

الشعوذة ليست من كلام اهل البادية وهى خفة فى اليدين مجمل

الاهتمام فى امر الحشر ولان المقصود اتيان مهرة السحرة ومن هم فى الطبقة العليا
من ذلك الجنس وهو لا يكون الا بالتتبع والتفحص فلابد من مكث فى مظانهم من المداين
ياتوك بكل ساحر عليم مثله فى السحر وعلمه وفى سحار وهو ابلغ لان اعتبار
المبالغة فى وصف من يوتى للمغالبة اولى وفى دخول كلمة كل على المفرد دلالة على ان
كل واحد منهم منفردا عن الاخرين مطلوب بالاتيان ومقصود اصالة وبالذات وجاء
السحرة فرعون اى فارسل الحاشرين وجاء السحرة فالواو فصيحة كالفاء فى قوله
فجمع السحرة قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استيناف على تقدير سائل
سال ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا استفهاما والقراة بالاخبار
اوقع للدلالة على ايجابهم عليه اجرا عظيما كانهم قالوا لابد لنا من اجر كثير ومثل هذا التنكير
فى افادة التعظيم والتكثير قولهم ان له لابلا وان له لغنما والاجر الجزاء بالخير فان الجزاء
قد يكون بالخير والشر بحسب العمل وبحسب ما يقتضيه العدل والغلبة ابطال المقاومة
بالقوة قال نعم مجيبا لهم عما سالوه وانكم الواو للعطف كانه قال نعم لكم ذلك وانكم
لمن المقربين الى مراتب الجلالة التى تكون فيها الخاصة ولا يتخطى اليها العامة حقق
امنيتهم وزاد على ذلك ما لم يتصوروه مع المبالغة بان واللام اى لا اقتصر على الثواب
العظيم وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم تحريضا لهم قالوا
ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين الالقاء ارسال المعتمد الى جهة السفل
وضده الامساك واما للتخيير والتعديد اما ان تلقى انت اولا واما ان نلقى نحن اولا
دليله ما فى موضع آخر واما ان نكون اول من القى قيل اظهروا الاقتدار وقالوا ان بدات
انت او بدانا فلا خوف علينا ولا حذار وقيل بل احترموا وببركة ذلك اسلموا ولما كانت
رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما فيه رجحان طرفهم فى الالقاء من
الجملة الابتدائية والتاكيد بتوسيط الضمير وتعريف الخبر قال بل القوا لما كادوه
بالتخيير كرمهم موسى عليه السلام وسوغ لهم ما رغبوا فيه اظهارا للفضيلة وتحقيرا لهم
وازدراء بشانهم وثقة بالله تعالى وما خصه به من التاييد السماوى وان المعجزة
لن يغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا اليهم بالحقيقة بخلافه و
اروهم بالحيل والشعوذة ما لا وجود له ومن هنا ظهر ان السحر لا يقلب عينا وانما هو

من باب التخييل واسترهبوهم اي ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم
وقيل استفعل هنا بمعنى افعل كابيل واستبيل والرهبة الخوف مع الفزع وجاؤا
بسحر عظيم وصفه بالتعظيم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه حتى وجس موسى
عليه السلام في نفسه خيفة واوحينا الى موسى ان الق عصاك ان مصدرية ويجوز
ان يكون المفسرة لان في الوحي معنى القول فاذا هي اذا فجائية والفاء فصيحة اي فالقاها
فاذا هي ونكتة الحذف في مثل هذا قد مر بيانها في تفسير قوله تعالى فانفجرت منه من
سورة البقرة تلقف تبتلع تناولا فيها بسرعة منها ويؤيد قراءة تلقم اي تبتلع
كاللقمة ما يافكون الافك قلب الشيء عن وجهه وما موصولة اي ما يافكونه او مصدرية
اي افكهم تسمية للمافوك افكا مبالغة فوقع الحق الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا
الى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي تقتضيه الحكمة وبطل ما كانوا يعملون
من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك اي عند ذلك المجمع وانقلبوا صاغرين اي
رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه وانما قال والقي السحرة
ساجدين دون وخروا سجدا للمبالغة كانما القاهم ملق لشدة خرورهم لان الحق
بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك وقد وفقهم الله تعالى لذلك
ودبر الامر ليكسر فرعون وقومه بالذين ارادهم كسر موسى عليه السلام قالوا امنا
برب العالمين لما استشعروا ان يتوهم انهم ارادوا فرعون تداركوا بقولهم رب
موسى وهرون بان ابدلوه منه قال فرعون امنتم استفهام على سبيل الانكار
والتوبيخ اي افعلتم هذا الفعل الشنيع وقرئ بالاخبار وهو ايضا تقريع وتشنيع بدلالة
ما بعده به اي بموسى عليه السلام لا بالله تعالى لان قوله في سورة الشعراء انه لكبيركم
الذي علمكم السحر لا ينتظمه قبل ان اذن لكم فيه بايذان بوهن امره حيث جعل ذنبهم
مفارقة الاذن دون نفس الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي صنعكم هذه
الحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد وتواطأتم عليها
لتخرجوا منها اهلها القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل قاله تمويها على الناس لئلا
يتبعوا السحرة في الايمان فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وعيد مجمل مفصله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا وذلك للتشديد في العذاب

والتغليظ فان الانسان لا يعيش بيد واحدة ورجل واحدة اذا كانتا من جانب
واحد بخلاف ما اذا كانتا من جانبين ولهذا يقطع رجل السارق في المرة الثانية من خلاف
واذا كان القطع من وفاق يئسا من الانتفاع بالحياة الباقية يكون الموت
بعده راحة بخلاف ما اذا كان القطع من خلاف فان في الموت بعده خصوصا
اذا كان متراخيا الما جديدا فاراد فرعون ان يضمن وعيده الشديد تجديد
العذاب بالقتل بعد ما زال الم القطع وعاد لذة الحيوة على ما دل عليه كلمة ثم
في قوله ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من
قطع وصلب قالوا انا الى ربنا منقلبون انا لا نبالي بوعيدك لانقلابنا الى
ربنا ورحمته كانهم استطابوه شغفا الى لقاء الله تعالى او انا جميعا اي انا
واياك منقلبون اليه فيحكم بيننا وما تنقم منا النقمة الاخذ بالعقوبة وتعدية
بمن لتضمنه معنى تنال وعلى هذا يكون قوله الا ان امنا بايات ربنا لما
جاءتنا مفعولا من اجله استثناء مفرغا اي ما تنال منا اخذا ايانا بالعقوبة
بشيء من الاشياء الا لان امنا وهذا ما اشار اليه عطا في تفسيره حيث
قال اي ما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا ان آمنا ثم فزعوا الى الله تعالى
بقولهم ربنا افرغ علينا صبرا على وعيد فرعون لعلمهم ان الصبر مطهرة لهم
استعارة بالكناية شبه الصبر بالماء فاورد الافراغ اي افض علينا من الصبر
ما يغمرنا ويفيض علينا كما يفرغ الماء افراغا والتنوين للتعظيم اي صبرا واسعا
كثيرا وما يطهرون من اوضار الاثام كما يطهر الماء من الاقذار وتوفنا مسلمين
ثبتنا على الاسلام الى الممات قيل انه فعل بهم ما وعدهم وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وفيه نظر لان المراد من اتبعهما قبل غلبتهما
فلا يتناول السحرة وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على
يفسدوا في الارض بدعوا اولا بالعلة العامة ثم اتبعوه بالخاصة د
قدحوا بذلك يريد تغيظه على موسى عليه السلام وقومه ليكون ذلك ابقى عليهم
منازلهم اذ هم الاشراف وبترك موسى عليه السلام وقومه بمصر يذهب ملكهم

وشرفهم وانما نسبوا الفساد الى الجميع والترك الى موسى خاصة لان الترك المذكور
راجع الى امر الدين وقومه تابعون له فيه فذكر تركه كاف بخلاف الفساد لانه من
جهة الدنيا والملك وهم مستقلون فيه او جواب للاستفهام بالواو على معنى
ان يكون منكرا بترك موسى عليه السلام وقومه وتكون تركه اياك والهتك وقرئ
بالرفع عطفا على اتذر اى اتذره ويذرك بمعنى يطيق له ذلك او استينافا
او حالا اى وهو يذرك والهتك وقرئ بالجزم كانه قيل يفسدوا ويذرك
جوابا للاستفهام كقوله تعالى فاصدق واكون والهتك قيل كان يعبد الكواكب
وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا
ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اى عبادتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به ليعلموا وانا فوقهم قاهرون اى وانا على
ما كنا عليه من القهر والغلبة عليهم وان لا اثر لغلبة موسى في ملكنا وان لا تتوهم
العامة انه هو المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
قال موسى لقومه لما جزع قوم موسى عليه السلام من قول فرعون سنقتل ابناءهم
وتضجروا سلاهم بقوله استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده ذكر ما وعده الله تعالى من املاك القبط وتوريثهم
ارضهم وديارهم فاللام في الارض للعهد والا فيصح ان تكون للجنس فيتناول
المعهود وهو ارض مصر تناولا اوليا وعلق الايراث بالمشية واجمل ثم بينه
بقوله والعاقبة للمتقين للبشارة بعد الابهام بان العاقبة التي لنا هل ان
شيء عاقبتنا اى العاقبة المحمودة كان ما عداها ليست بعاقبة مخصوصة با
بالمتقين منكم ومن القبط اشعارا بانهم هم المتقون والعاقبة لهم وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا بقتل الابناء والاستعباد
والامتهان بالخدمة وانواع التعذيب والاذى ضرر لا يبلغ بصاحبه ان يأتي
على نفسه من قبل ان تاتينا بالرسالة والاتيان ينتظم المجيء وما يقابله وهو الذهاب
ومن بعد ما جئتنا باعادته علينا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة وهو اهلاك فرعون

وقومه

وقومه واستخلافهم في الارض فينظر كيف تعملون شكرا او كفرا طاعة او معصية
فيجازيكم بحسبه ولقد اخذنا ال فرعون آثر عبارة الال على عبارة القوم لانتظامها
الاناث حقيقة ولا نكتة للتغليب والتنبيه على ان اخذهم بذلك لاتباعهم فرعون
فيفهم منه سلامة من آمن من قومه ودخول فرعون في الحكم المذكور بطريق الدلالة
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والنبات السنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به فصارت كالدابة والنجم ثم اشتقوا منها فقالوا اسنت
القوم اذا قحطوا وجمعت على سنين ونقص من الثمرات قال ابن عباس رضي الله
عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واما نقص الثمرات فكانت في امصارهم لعلهم
يذكرون لكي ينتبهوا ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم او يتعظوا فتلين قلوبهم
وترق بالشدايد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فاذا جاءتهم الفاء فصيحة لترتيب
مدخولها على مقدر دل عليه سياق الكلام ولحاقه من عدم تنبههم لما ذكر وتفصيل ذلك
الحسنة الخصب والرخاء والسعة قالوا لنا هذه اى لكرامتنا خاصة واستحقاقنا
بها وان تصبهم سيئة جدب وشدة وضيق يطيروا بموسى ومن معه وقالوا هذا
بشومهم ولولا مكانهم فينا لما اصابنا التطير التشاؤم واصله التفاؤل بالطير ومنه
الطاير الذي هو سبب الخير والشر فغلب التطير على الشر واصل يطيروا يتطيروا
فادغم وانما عرف الحسنة بلام العهد الذهني مع اذا الدالة على الوقوع وصيغة الماضي
الدالة على الاستمرار بان جنسها مقطوع الوقوع لكثرته واتساعه ونكر السيئة مع حرف
الشك وصيغة المضارع لقلتها وندور وقوعها وتجددها يناسب الايقاظ والاتعاظ
والحسنة لا يخلو عنها احد والسيئة لا يقع منها الا شيء وهذا اعتراف بالقساوة والجفوة
والغباوة بان الشدائد التي ترقق القلوب وتذلل النفوس وتلين العرايك وتكسر
الشكايم لم تؤثر فيهم ولم يزدادوا بها الا انهماكا في الغي وعتوا في الكفر ولذلك بولغ
في انكار التطير بموسى عليه السلام ومن معه باسناد الشر والخير الى الله تعالى على النظم
بانما وتصدير الجملة بحرف التنبيه حيث قال الا انما طائرهم سبب خيرهم وشرهم
عند الله تعالى اى كل بقضائه ومشيئته وهو الذي اتيحها شاء اصابهم به وليس بيمن
احد ولا بشومه والتاكيد بقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى

او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم
قلبت الفها هاءً لئلا يتوهم التكرير وهو مبالغة في التعميم ومحلها الرفع على الابتدا
والنصب بفعل يفسره تاتنا به اى اى شىء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما
سموّها اية استهزاء ولذا قالوا لتسحرنا بها اى لتسحر بها اعيننا والضميران لما
الاولى باعتبار اللفظ والثانى باعتبار المعنى وعدلوا فى الجزاء عن ان نومن الى الجملة
الاسمية مع تاكيد النفى بالباء وتحقيق الجزاء بزيادة ما حيث قالوا فما نحن لك
بمؤمنين اى فلا نشتغل بايرادها فما نحن لك بمصدقين انها من عند الله وهذا منهم
غاية الضلالة والعناد اذ كذبوه بما لم يات به بعد واظهروا انهم مصرّون على كفرهم
ابدا غير منقادين للحق وان ظهر وبدا فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس رضى
الله عنهما الطوفان هو الماء المغرق وقال جماعة هو المطر المتتابع المضر وهو فى
اللغة ما طاف بالقوم وقلبهم من ماء او مرض او غيرهما والجراد والقمل هى كبار القرد
والضفادع جمع ضفدع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة
لا يرون شمسًا ولا قمرًا ولا يقدر احدهم ان يخرج من داره ودخل الماء فى بيوتهم
حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخلها
قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى عليه
السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نومن بك فدعى فكشف عنهم ونبت لهم من الزرع
ما لم يعهد مثله فلم يومنوا فبعث الله تعالى الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اخذت
تاكل الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شىء ففزعوا الى موسى
عليه السلام ووعدوه التوبة فرفع عنهم ثم لم يومنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه عليه السلام
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا
ينكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلى منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه عليه السلام وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعى
فكشف الله تعالى فنقضوا العهد ثم ارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما
حتى كان يجتمع القبطى مع السبطى على اناء فيكون ما يليه دمًا وما يلى السبطى ماء ويمص

الماء

الماء من فم السبطى فيصير دمًا فى فيه ايات نصب على الحال مفصلات مميزات بعضها
من بعض بين كل آيتين فصل ومدة ليتامل فى كل واحدة حق التامل كان اذا اتتهم اية
منها اقامت عليهم اسبوعا ثم تنقلع عنهم شهرا ثم تاتيهم اخرى تاكيدًا للحجة عليهم كانه
يقول قد قالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك لكنا تابعنا لهم الايات
ولم نقطع عنهم البراهين بما اظهروا من الجهالات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
تعاظموا عن الانقياد للحق والايمان بموسى عليه السلام وكانوا قد اعتادوا الاثام و
الاجرام واكتساب اعظم العذاب اللزام ولما وقع عليهم الرجز اى الطاعون فمات من القبط
سبعون الفا انسان وقيل هذا العذاب المفصل وفيه ان المناسب حينئذ تصدير الكلام بكلما
قالوا يا موسى ادع لنا ربك فيه ابانة غاية عنادهم حيث قالوا وتمك دون ربنا
اظهارا للاصرار على الانكار فى مقام العجز والاضطرار بما عهد عندك اى بزمانك وميلاد
اليه فهو يعم جميع الوسائل بين الله تعالى وبينه عليه السلام من طاعة منه ونعمة من الله
وهو صلة لادع اى ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما عندك من عهد الله او
بمعنى الحال اى متوسلا اليه بعهده عندك او قسم جوابه لنومنن لك اى بعهد الله
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك ويجوز ان تكون موصولة اى بالذى
عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك وفى اسناد الكشف اليه عليه السلام صدّه
عن اسناده الى الله تعالى لعدم اقرارهم به ولنرسلن معك بنى اسرائيل انما زاد
قوله معك لانه عليه السلام كان طالبا لارسالهم معه حيث قال ان ارسل معنا بنى اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الفاء فصيحة عاطفة على مقدر كانه قيل فدعى موسى ربه
فكشف عنهم الرجز فلما الى اجل الى حد من الزمان هم بالغوه يهلكون فيه وهو وقت
الغرق لا يقال ان من مات قبل الغرق ومنهم من بقى بمصر لان لحاق الكلام يدفعه على ما
ستقف عليه بولغ فى وصف الاجل بالجملة الاسمية مع تجريد الخبر عن شائبة الحدوث
اشارة الى ضرورة بلوغهم الحد المقدر لهم ولزومه اذا هم ينكثون جواب لما اى لما
كشفنا عنهم الرجز فاجأوا بالنكث وبادروه من غير توقف وتامل فانتقمنا منهم اى
احللنا بهم النقمة وهى ضد النعمة فاغرقناهم الفاء تفسيرية كما فى قولك رزق زيد
المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك قعره وقيل

[illegible]

هو لجة البحر ومعظم مائه وهذا صريح في ان الغاركين كلهم هلكوا بالغرق بانهم
بسبب انهم كذبوا باياتنا والايات هي المعجزات التي ظهرت على يد موسى عليه السلام و
كانوا عنها اي عن آياتنا غافلين غفلتهم من جهة دلالتها على صدق موسى عليه السلام
في دعوى الرسالة غفلة عن تلك الايات في الحقيقة لانها بدون الدلالة المذكورة
لا تبقى ايات هذه الغفلة هي سبب التكذيب واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون بالاستعباد وهم بنوا اسرائيل مشارق الارض يعني ارض الشام
ومغاربها ملكها الله تعالى بعد الفراعنة والعمالقة نواحيها الشرقية والغربية
وتصرفوا فيها كيف شاؤا وصيغة الجمع للمبالغة في وسعتها من جهة الخصب
والبركة التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وهذا ظاهر في ان المراد ارض
الشام لا ارض مصر لان القوم المستضعفين لم يعودوا الى ديار مصر بل اقاموا في
الارض المقدسة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل تحققت عدته الحسنى
بالتمكين في الارض وتقررت بالانجاز وهي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون
وقرئ كلمات ربك لانها كانت مواعيد بما صبروا بسبب صبرهم وكفى به حاثا على
الصبر ودمرنا خربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات و
ما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان و
اصل التعريش الرفع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي البحر الذي غرق فيه
فرعون وقومه وهو بحر القلزم لم يقل وجاوز بنوا اسرائيل البحر بنبيها على ان
جوازه كان خارقا للعادة عن طوق البشر ثم ان جاوز به ابلغ من اجازه كما ان خارجا
ذهب به ابلغ من اذهبه ذكر ما احدثوه بعد اهلاك عدوهم وانجائهم من الامور
الشنيعة عقيب ما راوا من الايات العظام والنعم الجسام تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مما راى منهم بالمدينة وايقاظا للمؤمنين كيلا يغفلوا عن سياسة نفوسهم
ومحاسبتها ومراسة احوالهم ومراقبتها فاتوا على قوم مروا عليهم يعكفون
يقيمون على اصنام على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وانما
قال لهم تنبيها على غاية حماقتهم حيث عبدوا ما يملكون قالوا يا موسى اجعل لنا

الها

الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولم
يقل كما لهم لان مشابهتها غير مقصودة انما مقصودهم ان يكون لهم ايضا آلهة
قال موسى عليه السلام انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم بعد ما راوا الاية العظمى
والمعجزة الكبرى فجهلهم واكد جهلهم بالاطلاق وتكرير النسبة وتقويتها بان وايراد
الفعل المضارع الدال على التجدد الدائم اشعارا بان ذلك منهم كالطبع والغريزة
لا ينتقلون عنه في حال ان هؤلاء اي عبدة تلك التماثيل متبر مكسر مدمر ما هم
فيه اي يتبر الله الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم ويجعلها ركاما وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها بالغ في تحذيرهم وتنفيرهم عما طلبوا اليه
بايراد هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر في الجملتين بعده وايقاع كانوا اي ان هؤلاء
الذين عبدوا الاصنام هم المعينون المعرضون بوسمهم وعبادتهم لها للتتبير وانه
لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازم وهباء ما هم فيه وما عملوا من شيء من عبادتها
فيما سلف من الزمان الا وهو باطل مضمحل وان كان في زعمهم انه تقرب الى الله
تعالى ثم انكر عليهم ما طلبوا وتعجب من طلبهم عبادة غير الله تعالى مع كونهم مغمورين قابلوا ن
في نعمه بالهمزة وتقديم المفعول فقال قال اغير الله اي اغير المستحق للعبادة
ابغيكم اطلب لكم الها معبودا وهو فضلكم على العالمين وهو الذي فعل بكم ما فعل
دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم ينعم بها على احد من العالمين وفيه تنبيه على
سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من امثالهم بما لا يستحقوه تفضلا
بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته والمراد من العالمين عالمي زمانهم
وانتصب غير مفعولا لابغيكم والها تمييز عن غير او حال او على الحال والها مفعول
فكان غير صفة فلما تقدم انتصب حالا ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه واذ انجينا
كم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت يسومونكم يبغونكم استئناف
لبيان ما انجاكم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما سوء العذاب شدته
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين والمعنى مبين فيما سبق وفي ذلكم
اشارة الى الانجاء او العذاب بلاء نعمة او محنة من ربكم عظيم وزيادة قوله من ربكم
يرجح المعنى الاول وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة واتممناها الضمير للمواعدة

المفهومة من واعدنا **بعشر** من ذي الحجة وحذفت الهاء من عشر لان العدد مونث
فتم ميقات ربه الميقات وقت قدر فيه عمل من الاعمال وفي عبارة ربه اشارة الى
انه لمصلحته عليه السلام وتربيته **اربعين ليلة** مفعول به لتم لان معناه بلغ ويجوز
ان يكون تميزا منقولا من الفاعل واصله فتم اربعون ميقات ربه اي كملت ثم اسند
التمام الى الميقات وانتصب اربعون على التميز ودلت الاية على ان التاريخ بالليالي
دون الايام وهذا لان الليالي اوايل الشهور وروي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل
بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان ما ياتون وما
يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملايكة كنا نشم منك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى
ان يزيد عليها عشرا **وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي** كن خليفتي
فيهم **واصلح** ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا فيهم **ولا تتبع سبيل
المفسدين** اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم كقوله كقوله لا يهدي كيد الخائنين
اي لا يهدي الخائنين في كيدهم وهو اسلوب بديع لم يتنبه له الناظرون في
كلام الله تعالى ويجوز ان يكون على طريقة التضمين اي ولا تسلك سبيل
المفسدين متبعا لهم **ولما جاء موسى لميقاتنا** لوقتنا الذي وقتناه وحددناه
واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا **وكلمه ربه** بغير واسطة كما يكلم
الملايكة وروي انه عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة لان الله تعالى
ليس في جهة وكلامه ليس من جنس كلام المحدثين والعدول عن الظاهر وهو
كلمناه الى ما ذكر كالعدول عن ميقاتنا الى ميقات ربه والنكتة مشتركة بينهما
قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو
دليل على ان رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل على الانبياء عليهم السلام محال
وخصوصا بما يتعلق بمعرفة الله تعالى ويقتضي الجهل به ورده بقوله لن تراني ليس
لامتناع رويته تعالى في نفس الامر والا لقال لن ارى بل لقصور الطالب عن رويته
لبقية الحجاب فهي موقوفة على ارتفاعه وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة ليس بشيء لانه حقه عليه السلام في ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل

به حين

وقد ورد على هذه الطريقة قوله
تعالى في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه
منه

به حين قالوا اجعل لنا الها والاستدلال على استحالتها بالجواب ابعد عن
الصواب اذ لا دلالة فيه على انه لا يراه عليه السلام ابدا ولا على ان لا يراه غيره اصلا
فضلا من ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة
الروية **قال لن تراني** اي لن تطيق انت ان تراني **ولكن انظر الى الجبل** استدراك يريد
ان يبين به انه لا يطيقه فان الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر فالادمي مع
ضعف بنيته اولى ان لا يستقر وهذا تسكين لقلب موسى عليه السلام وتخفيف
عنه ثقل اعباء المنع ولا يذهب على من نظر بعين الانصاف وتجنب عن
التعصب والاعتساف انه ليس بجواب من سال محالا وقد قال الله تعالى
لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
فلو سال موسى عليه السلام محالا لكان في الجواب زجر ما **فان استقر مكانه
فسوف تراني** بعد رفع الموانع من البين علق رويته بالاستقرار وهو امر ممكن
في نفس الامر فيفهم منه انه ممكن في نفسه لكن المانع من جهته على ما دل عليه قوله
تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب حيث قال ما كان لبشر
ولم يقل ما كان لله تعالى اتى بالتعليق ثم بالتسويف مبالغة في تعذر المطلب اما
التعليق فلبيان ان الطاقة البشرية لا تتحمل رويته تعالى واما التسويف فلبيان
انه على تقدير التحمل لا بد من ارتفاع موانع زوالها تدريجي تقتضي مهلة ومدة **فلما
تجلى ربه للجبل** اي ظهر له ظهور المروي للرائي بان خلق الله تعالى فيه حياة وحسا
وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو الموافق لسياق الكلام
المطابق لاصل اهل السنة والجماعة ومن صرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب
الاعتزال **جعله دكا** الدك والدق اخوان كالشك والشق وانما قال دكا مبالغة
كرجل عدل والمجاز عقلي فمن فسره بالمدكوك على انه مصدر بمعنى مفعول والمجاز
لغوي فقد اخرجه الى شيء معقول على طريقة كلامي عامي مرذول فان قلت اليس
صحة المرام وصدق الكلام يقتضي معنى المدكوك قلت لا نزاع فيه انما الخلاف في طريق
افادته وكيفية ارادته من عبارة الدك وقرئ دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا
اي قطعا جمع دكاء تانيث ادك **وخر** سقط **موسى صعقا** مغشيا عليه كحال من

في الدنيا لان البشر خلق ضعيفا
فلا يتحمل عظمته تعالى واما
في الاخرة اعيد في كمال القوة
والاتقان الى الابد لهيوه

نصيبه الصعقة لا لهول ما راى من تلاشي الجبل والا لكان حق النظم العطف بالفاء
ولما عطف بالواو علم انه ايضا ترتب على التجلي للجبل فلما افاق اى من غشيته قال
سبحانك تبت اليك قال الامام ابو منصور خرج هذا الكلام منه عليه السلام مخرج
العادة عند روية الافزاع حسب ما يجرى على السنة الانام عند الاخطار لا عن ذنب
يتذكرونه فيتوبون عنه ونظير هذا التسبيح ما في قول عيسى عليه السلام سبحانك ما
يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق نظير ذكر التوبة من غير ذنب ما في قول النبي صلى الله
عليه وسلم في كل يوم مائة مرة استغفر الله واتوب اليه وانا اول المومنين اى بما اخبرت
به في حق الروية من انه لا يطيقها هذه البنية للبشر وانما اخفى عليه السلام الى ذلك الوقت
انه لا يعطي الخلق رويته في الدنيا مع جوازها ليوجد منه عليه السلام سوال الروية بناء
معرفتها ليتحقق جواز الروية بسواله عليه السلام ذلك فيكون حجة قاطعة لاهل الحق
على المنكرين له من اهل البدعة قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس
الموجودين في زمانك وهرون عليه وان كان نبيا واكبر منه سنا لكنه كان وزيرا
له مامورا باتباعه لا كليما ولا صاحب شرع برسالاتي قرئ على الجمع اذ الذى ارسل
به ضروب وعلى الافراد على ان محل الرسالة محل المصدر الذى هو الارسال وبكلامي
يعني اسفار التورية وانما اخره لان الرسالة اسبق زمانا او للانتقال من الشريف
الى الاشرف فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة والحكمة وكن من الشاكرين
من المعروفين بالشكر وهذا ابلغ من الامر بالشكر على النعمة بوجوه روى ان سوال الروية
كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء لفظ
كل هنا للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل
شيء والالواح جمع لوح وهو الصحيفة المهياة للكتابة فيها وانما قال له لان الموقوف
بالمكتوب فيها على تفصيل كل شيء كان مخصوصا به عليه السلام موعظة تحذيرا بما
يزجر عن القبح وتبصيرا بمواقع الخوف والحذر وهى مفعول له لا البدل من الجار و
المجرور لان المعنى الذى ذكرنا المقصود بالافادة في المقام وتفصيلا لكل شيء من المصالح
الدينية والدنيوية فخذها عطف على كتبنا على ارادة القول اى فقلنا خذها والضمير
للالواح بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها بواجباتها فانها احسن

من غيرها

من غيرها او بما هو واجب وندب فانه احسن من المباح او باحسن ما فيها ما هو حسن
واحسن كالصبر بالنسبة الى الانتصار اى مرهم باختيار الافضل على طريقة الندب
ساريكم من روية العين ولهذا تعدت الى اثنين دار الفاسقين الذين اهلكهم الله
تعالى بفسقهم فينتظم دار فرعون وقومه ودار العمالقة ومنازل عاد وثمود وموعظة
بليغة تجرى مجرى الوعيد على ترك الطاعة اى وامر قومك ياخذوا باحسنها ويطيعوا
ولا يهملوها ولا يفسقوا فساريكم دار من فسق منعوه بهلاكهم ليعتبروا وقرئ
ساوريكم اى سابين لكم من اوريت الزند وهى لغة فاشية بالحجاز وقرئ ساورثكم على
وفق قوله تعالى واورثنا القوم سا صرف عن اياتي في الافاق حتى لا يتفكروا في خلقها
ولا يعتبروا بها وفي الانفس حتى لا يروا ولا فناءها ويتعجبوا بها الذين يتكبرون يتعظمون
عن الانقياد للانبياء عليهم السلام طالبين للعلو والرياسة وانما قال في الارض
اشارة الى كونهم من العالم السفلى الذى لا يليق الترفع بشان من كان منها فعنيه تمهيد
لقوله بغير الحق اى بدون الاستحقاق حال من فاعل يتكبرون او صلة اى يتكبرون بما
ليس بحق اى بباطل وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة المتكبرين الذين طبعوا على قلوبهم
بسبب شامة التكبر فلا يتفكروا في ايات الله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها اذ
لا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرئ الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلاثتها لغة وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اراهم الله تعالى السبيلين قال
تعالى وهديناه النجدين وراوها فاثروا الغي على الرشد وقال تعالى فاستحبوا العمى على
الهدى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم
باياتنا وغفلتهم عنها او نصب على المصدر اى ساصرفهم ذلك الصرف بسببهما ويجوز ان يكون
قوله وكانوا عنها غافلين استيناف اخبار منه تعالى عنهم اى من شانهم انهم كانوا عنها
غافلين عن الايات وتوترها واورثهم الغفلة التكذيب بها هذا ما قيل والوجه عندى
هو ان يكون ذلك اشارة الى التكبر لان سبب الصرف قد علم من قوله الذين يتكبرون بما
تقرر في الاصول ان ترتب الحكم على الموصول يدل على علية الموصول وانما المحتاج الى البيان
سبب ذلك التكبر فالكلام على ما ذكرنا يكون على احسن وجوه الانتظام حيث يشار فيه اولا

الى ان سبب الصرف هو التكبر عن الانقياد للانبياء عليهم السلام ثم يصرح بان سبب
التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم ثم تنبيه على ان سبب التكذيب انهماك المتكبرين
في اسباب الغفلة عن جهة دلالة الايات المذكورة على صدقهم في دعوى النبوة واعراضهم
عن النظر فيها ولا بد من صرف القول المذكور عن ظاهره وتاويله بالوجه المذكور كيلا يكون مظنة
الاعتذار من جهتهم **والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة** من باب اضافة المصدر الى
المفعول به اى ولقائهم الاخرة او الى الظرف اى ولقاء ما وعده الله في الاخرة **حبطت** اى
بطلت وتلاشت **اعمالهم** فلا ينتفعون بها واحتمال عموم الاعمال للسيئات ايضا قد
اندفع بقوله **هل يجزون الا ما كانوا يعملون** استفهام بمعنى النفي اى لا يجزون الا جزاء
ما عملوا من الكفر والمعاصي **واتخذ قوم موسى من بعده** من بعد مفارقته عليه السلام
اياهم الى الطور للميقات **من حليهم** الذى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج عن
مصر واضافتها اليهم للملابسة لانها كانت في ايديهم واما ما قيل على انهم قد ملكوها بعد
المهلكين فلا صحة له لفظا ولا معنى اما اولا فلان التدافع بين الوجهين يابى عن عبارة
العلاوة واما الثاني فلان المهلكين هم الرجال والحلي كانت لنسائهم وقيل هذا الحلي ما
اخذه بنو اسرائيل من فرعون وقومه بعد الغرق وعلى هذا يصح الوجه الثاني والحلي بضم
الحاء جمع حَلْي كثَدْي وثُدِيّ وهو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة وقرئ من حليهم
بكسرها بالاتباع كدلي وقرئ بالافراد **عجلا** لما كان المتبادر منه ان يكون عجلا حقيقة
ابدل عنه قوله **جسدا** لا روح فيه لم يقل بدنا لان الراس وسائر الاطراف خارج عنه **له**
خوار صوت البقر قيل ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل
عليه السلام فصار حيا وقيل صاغ بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت نسبة
الاتخاذ اليهم لا لانهم رضوا بفعله بل لان المراد اتخاذهم اياه الها على ما دل عليه التشنيع
الآتي ذكره وانما حذف قوله الها لدلالة مساق الكلام عليه وفيه ايهام ان ما صنعوا
امر منكر مع قطع النظر عن عبادته وقرئ جؤار اى صياح **الم يروا انه لا يكلمهم و**
لا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالهم واضلالهم بالنظر اى الم يروا حين اتخذوه الها
انه لا يقدر على التكلم ولا على الارشاد كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى
والقدر ولما كان الارشاد الى السبيل ممكنا بالاشارة كان نفي الثاني ابلغ فاخر على طريقة

الترقي **اتخذوه** تكرير للذم اى اقدموا على ما اقدموا عليه من المنكر الفظيع **وكانوا ظالمين**
اى قوما عادتهم وضع الاشياء على غير مواضعها فلم يكن هذا بدعا منهم ولا اول مناكيرهم
ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم وتحسرهم لان من شان النادم الشديد
التحسر ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع في يده بلا اختيار وقرئ
سَقَطَ على البناء للفاعل بمعنى اى وقع العض فيها وقال الزجاج انه تشبيه لما يحصل في
النفس بما يحصل في اليد وتصوير للمعقول في القلب بالمحسوس في العين فمعناه سُقِط
الندم في انفسهم كما حصل في يده مكروه **وراوا** وعلموا **انهم ضلوا** باتخاذه **قالوا لئن**
لم يرحمنا ربنا وقرئ ربَّنا بالنصب على النداء انقطاع الى الله تعالى واعتراف بعظم ما
اقدموا عليه ولما كان ذنبهم اعظم الذنوب بدؤا بالرحمة التي وسعت كل شيء ومن نتايجها
غفران الذنب **ويغفر لنا** بالتجاوز عن الخطيئة **لنكونن من الخاسرين** من المغبونين في
الدنيا والآخرة **ولما رجع موسى الى قومه غضبان** صيغة مبالغة **اسفا** شديد الحزن
على ما كان منهم في غيبته عليه السلام **قال بئسما خلفتموني** اى قمتم مقامي وكنتم
خلفائي حيث لم تمنعوا من عبادة العجل والخطاب لهرون عليه السلام وللمؤمنين
معه او بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى والخطاب
لعبدة العجل **من بعدي** من بعد ذهابي عنكم او من بعد ما رايتم مني من التوحيد و
الدعوة الى عبادة الله تعالى والكف عن عبادة غيره ومن حق الخلفاء ان يسيروا
بسير المستخلف ما نكرة موصوفة مفسرة للمستكن في بئس منصوبة المحل خلفتموني
صفتها والمخصوص بالذم محذوف اى بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام استفهام انكاري يقال عجل عن الامر اذا تركه
غير تام الا انه ضمن معنى سبق فعدى تعديته يعني لم تنتظروا وعد ربكم الذى وعدنيه
من الاربعين فتركتم الميعاد غير تام لقوله تعالى في موضع آخر الم يعدكم ربكم وعدا حسنا او اى انهم
عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا بعدما قال لهم السامري
ان موسى لن يرجع وانه قد مات فغيروا ما غيرت الامم بعد موت انبيائهم **والقى**
الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين قيل ان التورية كانت سبعة
اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها وكان فيها كل شيء

وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام وياباه قوله واخذ الالواح لان الظاهر منه ان
الماخوذ هو الملقى بعينه واخذ براس اخيه ولحيته على ما نص في موضع آخر يجره اليه
لفرط ما دهمه من الامر الذي استفزه ظنا باخيه انه قصر في الكف قال ابن ام في ذكر
الام مع انهما كانا اخوين لاب وام استعطاف واسترحام لتذكير انهما من بطن واحد
بلا شبهة فيه وان مراعاة حقها احق واوجب فانه اعظم لانها هي التي قاست المخاوف
والشدايد لاجله قرئ بكسر الميم وطرح ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وبالفتح لكونها
اخف او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني اي لم يهابوني ولم يحبوا بي
وكادوا يقتلونني اي بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني وقاربوا قتلي قاله ازاحة لتوهم
التقصير في حقه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل ما هو امنيتهم من الاستهانة بي وما
يشمتون بي لاجله والشماتة فرحة العدو بمصايب عدوه ولا تجعلني مع القوم
الظالمين معدودا في عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت
باخي ولاخي ضم اليه اخاه في الاستغفار ان عسى فرط في حسن الخلافة ترضية له ودفعا
للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين ارحم بنا
منا على انفسنا والواو للعطف على مقدر كانه قيل انت الغفور وانت ارحم اه ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب هو ما امرهم به من قتل انفسهم وانما قال من ربهم
اشارة الى ما في ضمنه من اثر الرحمة حيث كان فيه قبول توبتهم ولهذا قدمه على قوله
وذلة اخراجا لها عن حيز الوسيلة لهم في الحياة الدنيا هي خروجهم عن ديارهم وقيل
الجزية وكذلك مثل ذلك الجزاء نجزي المفترين على الله سبحانه ولا فرية اعظم من
فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين
عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وعبارة ثم
للدلالة على ان التمادي فيها لا يضر بعد ما تاب عنها وامنوا اي اخلصوا الايمان لان
اصل الايمان قد ذكر فيما سبق ان ربك من بعدها من بعد تلك العظايم لغفور يمحاها
وان كبرت كعبادة العجل وكثرت كجرايم بني اسرائيل رحيم بالامهال وترك الاستعجال
في الاخذ بالنكال فكان في عبارة ثم تمهيد لهذا وتكرير من بعدها مع ان واللام مبالغة
في شمول غفرانه وسعة رحمته عظمت جريمتهم ولا ثم عقبها بتعظيم مغفرته ورحمته

تعظيما

تعظيما لا كتعظيمها بل ازيد وازيد ليعلم ان الذنوب وان جلت فان عفوه وغفرانه
وكرمه واحسانه اذا تاب صاحبها واخلص اجل واعظم وفيه تحريض على التوبة وحث
على الاخلاص ولما سكت ضمنه معنى زال فعدي بعن اي زال عن موسى الغضب ساكنا
وهو كلام في غاية البلاغة لان فيه تشبيه الغضب بشخص كان يغريه على ما فعل ويقول له قل
لقومك كذا والق الالواح وخذ براس اخيك على طريقة الاستعارة بالكناية فيكون السكوت
على حقيقته غير مجاز عن السكوت ابلغ او طريقة الاستعارة التمثيلية على تشبيه الحال بسكوت
الغضب بحال سكوت الناطق الامر الناهي وشرطه ان تكون اجزاء الكلام على معانيها الاصلية
وقال الزجاج مصدر سكت الغضب سكتا ومصدر سكت الرجل سكوتا وهذا يقتضي انه فعل
على حدة وليس من سكوت الناس ويؤيده قول يونس بن حبيب تقول العرب سال الوادي يومين
ثم سكت فعلى هذا سكت بمعنى سكن وقد قرئ به وقرئ سكت واسكت على ان المسكت
هو الله تعالى او اخوه بالاعتذار او قومه بتوبتهم وفيه اشارة الى حسن امهال الله تعالى
العبد اذا تغير عن حاله وغلب عليه ما لا يطيقه واذا كان اولوا العزم من الرسل يغلبه ما
يخرجه عن الاختيار فكيف ظن بمن دونه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها النسخة
النسخه فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وهي المكتوبة اي فيما نسخ فيها بمعنى كتب والنقل فيقتضي نقل
مكتوب من اصل آخر وقد يطلق على الكتابة وان لم يكن نقل من آخر ويجوز ان يكون المعنى
وفيما انتسخ بنو اسرائيل من الالواح والواو في ونسختها للحال هدى بيان للحق ورحمة
وارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون للذين يخصون رهبتهم بالله
تعالى والرهبة خوف معه تحرز واضطراب واللام في لربهم دخلت جابرة للضعف
العارض للفعل بسبب تاخره عن المفعول واختار موسى قومه اي اختار موسى من قومه
فحذف الجار واوصل الفعل وفيه ايهام تنزيل جلى القوم منزلة كلهم سبعين رجلا
القوم لا يكون الا رجالا فالفايدة قوله رجلا دفع احتمال التغليب والتعميم المستفاد
من التنكير لميقاتنا روي انه تعالى امره عليه السلام بان ياتيه في سبعين من خيار
بني اسرائيل فاختار كل سبط من الاسباط اثني عشر فزاد رجلان فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب
مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا

فسمعوه تعالى يكلم موسى عليه السلام يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة فصعقوا منها فلما
اخذتهم الرجفة الاهتزاز والتقلقل للهول العظيم وقيل هي رجفة الجبل قال موسى عليه
السلام رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى تمنى هلاكه وهلاكهم قبل ان يرى ما راى
كما يقول المبتلى ببلية لو شاء الله لاهلكني قبل هذا واسترحم الله تعالى فقال انك قدرت
ان تهلكنا بسبب آخر كاقدار فرعون علينا والاغراق بالبحر فترحمت وانجيتنا مرة بعد
اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا من التجاسر على طلب
الرؤية وكان القائل بعضهم لسفههم وقيل المراد به عبادة العجل واختيار موسى عليه السلام السبعين
انما كان لميقات التوبة فغشيهم هيبة فالقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى ودعى فكشفها الله تعالى عنهم ان
هي الا فتنتك ابتلاؤك حتى اسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك او احدثت في العجل خوارا
فضلوا به والضمير للفتنة تضل بها بالفتنة من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايل وتهدى من تشاء هدايته فيقوى بها ايمانه وكذا كل الابتلاء انت ولينا مولانا القايم
بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا بدفع العذاب عنا لما كان هو واخوه عليهما السلام
من المعصومين من الذنوب فحين ساله المغفرة له ولاخيه لم يوكد المغفرة بل قال وانت ارحم
الراحمين ولما كان قد اندرج قومه في قوله انت ولينا وفي سوال المغفرة والرحمة وكان قومه
اصحاب الذنوب اكد استعطاف ربه تعالى في غفران تلك الذنوب فقال وانت خير الغافرين
تغفر الذنب الكبير بالعذر اليسير ثم تجوده بالعطاء الجزيل الكثير واكتب لنا اى اثبت لنا
الكتب يستعمل في كل ما يخلد في هذه الدنيا زيادة هذه لتنزيل شان الدنيا عن شان الاخرة
حسنة عافية وحياة طيبة وحسن سيرة وتوفيقا للطاعة وفي الاخرة اى وفيها
حسنة ايضا وهي الجنة وما فيها انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ هِدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى امِلنا انفسنا او امُلنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا
للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه بمقتضى
عدل ورحمتي وسعت كل شيء لا يخلو منها مسلم ولا كافر ولا شيء من الاشياء ولا اختصاص

لرحمة

قوله ويؤتون الزكوة الظاهر من قوله يؤتون انها الزكوة المختصة بالمال وخصها هنا بالذكر تشريفا لها وجعلها مثالا لجميع الطاعات
وقال ابن عباس فيما روى عنه معناه ويؤتون الاعمال التي يزكون فيها انفسهم
ابن عطية ابو محمد

لرحمة الاخرة بمسلم على ما بيناه في تفسير سورة الفاتحة فساكتبها خصيا اثبتها والضمير
للرحمة للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها لانها احق الصلوة
التي هي عماد الدين بل لانها كانت اشق عليهم لحبهم الدنيا والذين هم باياتنا بجميع اياتنا يؤمنون
لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون اما جر صفة للذين يتقون او بدل منه بدل الكل على ان المراد
من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم او البعض او نصب على المدح او رفع عليه اى هم الذين يتبعون
او مبتداء خبره يامرهم الرسول النبي الامي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الاحكام من الله
تعالى وقدمه لانه الاهم حيث يوصف به الملك ثم بالنبوة باعتبار انبائه عن الله تعالى وصفاته
واخباره عن الغيوب واحوال الاخرة وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة في بني ادم فلو اعتبر
بهذه الجهة يكون تقديم الرسالة بالنظر الى انه ارسله الله تعالى الى الخلق فانباهم عنه تعالى ثم بكونه
اميا تنبيها على ان كمال علمه مع انه لم يقرأ شيئا ولم يكتب اصلا ليس الا اختصاصا من عند الله
واصطفاء من لدنه واعجازا والامي الذي هو على صفة امة العرب قال صلى الله عليه وسلم انا
امة امية لا نكتب ولا نحسب كانه نسب الى الام فان الولد يولد من امه غير كاتب ولا قاري ولا
حاسب الذي يجدونه اى يجدون اسمه ونعته مكتوبا عندهم في التورية والانجيل رفع
لذكره واشادة بانه مذكور في كتب الله تعالى اخبر عنه الانبياء السابقون واقروا بنبوته
وزيادة قوله عندهم لافادة انه وجد في الكتابين المذكورين حال كونهما محفوظين عندهم
فلا احتمال لان يكون ذلك ملحقا من خارج يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف ما
عرف بالشرع جهة حسنه والمنكر ما عرف به جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم
كالشحوم وغيرها ويحرم عليهم الخبائث كالخمر ولحم الخنزير ونحوهما ونسبة الحل والحرمة
اليه عليه السلام لانه مظهرها والاختلاف في اداة التعدية لما في الثاني من معنى التكاليف
دون الاول ويضع يحط عنهم آصارهم وقرئ اصرهم لانه جنس فيصلح للجمع والاغلال
التي كانت عليهم الاصار والاغلال استعارتان لطيفتان للثقل الذي كان عليهم من التكاليف
الشاقة المانعة عن حركاتهم بمقتضى الهوى والقيود التي تمنعهم عن اختيارهم والاصر في
الاصل الثقل الذي يأصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة اى يخفف عنهم ما كلفوا به من
التكاليف الشاقة كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة والعقود
الصعبة كقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في

اللحم وتحريم السبت واما تعيين القصاص في العمد والخطاء فتقدم ما فيه فتذكر
ولا خفاء في ان ما اريد بالآصار اشق مما اريد بالاغلال والصق منه فلذلك ذكرها
بالاضافة اليهم دون الاغلال فالذين امنوا به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم تكرير
لتاكيد مدحهم وتعظيمهم بالصفات المذكورة واعلام بانها هي الموجبة لانحصار
الفلاح فيهم والفاء للترتيب على ما تقدم وعزروه منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه
وقرئ وعزروه بالتشديد اى عظموه بالتقوية ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اى مع نبوته اى القران وانما سمى نورا لانه باعجازه ظاهر امره ومظهر غيره او لانه كاشف
الحقايق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا القران مع اتباع
النبي صلى الله عليه وسلم فيكون اشارة الى اتباع السنة اولئك هم المفلحون
الاشارة باولئك الى الموصوفين بالصفات المذكورة والى ان استحقاقهم للفلاح انما هو
بسببها وتوسيط هم وتعريف الفلاح قد مر ما يتعلق بهما غير مرة ومضمون الاية جواب لدعاء
موسى عليه السلام متضمن لتوبيخ بني اسرائيل على ما صدر منهم من انواع الكفر والمعاصي و
التعريض بهم في تكذيبهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام بقوله والذين
هم باياتنا يومنون وترغيبهم في الاخلاص والعمل الصالح ببيان حال اعقابهم الذين يتبعون
النبي المبعوث في آخر الزمان وتحريضهم على التصديق بما في التورية والانجيل من نعته
ليوطنوا انفسهم على الايمان به طمعا في الرحمة التي خصصها بهم في قوله فساكتبها فيحشروا
معهم وهم عبد الله بن سلام واصحابه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب
عام كان كل نبي مبعوثا الى قومه خاصة ورسولنا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بل
الى الانس والجن عامة جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة
الله او بدل منه ولا يمنعه الفصل بما هو في حكم المقدم او نصب على المدح او رفع عليه
او مبتداء وخبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان للجملة التي هي الصلة لان من
ملك العالم كان هو الاله لا غيره وكذلك يحيي ويميت بيان لما قبله لانه تقرير لاختصاصه
بالالوهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي لما
ذكر انه رسول الله امرهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم وبداء بالايمان بالله لانه
لانه اصل يتفرع الايمان بالرسل عليهم السلام والتفت عن التكلم الى الغيبة تعظيما لتكرير

ذكر

ذكر الرسول واعادته صفات المدح وتنبيها على ان الذي وجب الايمان به واتباعه
هو الموصوف بهذه الصفات لاجلها كائنا من كان وايقاظا للسامع لئلا يغفل عنه
فيتمكن وقعه في نفسه الذي يومن بالله وكلماته اى ما انزل الله عليه وعلى جميع الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته اى جنس ما تكلم به او القران او عيسى عليه السلام
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يومن به عليه السلام لم يعتبر ايمانه وقيل كلمته التي
اوجد بها الكل وهي قوله كن واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء
اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط
الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة التنكير للتكثير او للتكبير يهدون
بالحق يرشدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون في الحكم
بين الناس وهم الثابتون في الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر عبدة العجل كما هو عادة القران في الجمع بين السعداء والاشقياء في الذكر تنبيها
على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وفيه دفع ما اوهم
تخصيص الرحمة في جواب دعاء موسى عليه السلام بالذين يتبعون الرسول في آخر
الزمان ان غيرهم كلهم اهل الضلالة وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء
الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم
اثنتي عشرة مفعول ثان على تضمين قطعنا معنى صيرنا وتانيثه على تاويل القطعة
او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز لانه اراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة
اسباط فوضع اسباطا موضع قبيلة للدلالة على ان كل واحد منها اسباط تحقيقا
فعلى هذا اسباطا قائم مقام المفرد امما بدل من اثنتي عشرة او من اسباطا او نعت
لها وفيه اشارة الى ان كل واحد منها من الاسباط كانت امة كثيرة العدد ويؤم كل
واحدة منهم خلاف ما يؤمه الاخرى لا تكاد تاتلف وتتفق والباقي مر تفسيره في
سورة البقرة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست اى فضرب فانبجست وحذفه لتقصير اللفظ وتكثير المعنى وهو
ابلغ وجوه الايجاز وذلك ان فيه اشعارا بان الانبجاس مسبب عن الايحاء مرتب عليه
وان الضرب لا تاثير له بذاته واما ان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال فلا دلالة

عليه فى قوله فضرب محذوفا كان اومذكورا والانبجاس خروج الماء والمجارى بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان البدء بقلة ثم يكثر للاتساع منه اثنتى عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط اسم جمع كرخاء وثناء لا جمع تكثير او جمع انس اصله كسر الهمزة كشعب وشعاب فابدلت الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم الحر وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد مر تفسيره فى سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما فى سورة البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا اسكنوا والسكنى يتعقب الدخول فامروا هناك بالمبداء وهنا بما تسبب عنه هناك فكلوا بالفاء وهنا بالواو وذلك لان الدخول حالة مقتضية يحسن ذكر فاء التعقيب بعده والسكون حالة مستمرة يحسن الامر بالاكل معه لا بعده واثبت رغدا هناك بعد الامر بالدخول لانه حالة قدوم فالاكل فيها الذ بخلاف السكنى المذكور هنا فانها حالة استقرار واطمينان فليس الاكل فيها كالاكل عند الدخول واما تقديم الحطة على الدخول وتاخرها عنه فلا تفاوت فيه لان الواو للجمع لا للترتيب واما قوله واذ قيل فى مقام واذ قلنا على حذف الفاعل للعلم به و اما انزلنا وارسلنا ويفسقون ويظلمون فمن واد واحد نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة قيل وانما اخرج الثانى مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ما امروا به ومبناه الغفول عن الواو الجامعة بينهما فى سورة البقرة الدالة على التشريك فى المقابلة المذكورة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مر تفسيره فى سورة البقرة واسألهم المراد من سوالهم التقريع بتقديم كفرهم واعتدائهم حدود الله تعالى والتقرير والاعلام بان هذا من العلوم التى لا تحصل الا بالتعليم او بالوحى فلم يتعلم عليه السلام قط فهو حجة لانه معجزة عن القرية عن خبرها وحال اهلها وهى

بيضاوى

ايلة

ايلة التى كانت حاضرة البحر قريبة منه على شاطئه بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية اذ يعدون فى السبت اذ يتجاوزون حدود الله فى تعظيم السبت بالاصطياد والظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف ولا يجوز ان يكون بدلا منه بدل الاشتمال لان اذ من الظروف التى لا تتصرف ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول عن عليها لان البدل على نية تكرير العامل وانما يتصرف فيها بان اضيف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يوم اذ كان كذا وقرئ يعدّون واصله يعتدون ادغمت التاء فى الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد اى يعدون الات الصيد فى حال تعظيم السبت او يوم السبت وقد نهوا عنه وامروا بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون واحتمال الابدال قدم وجه بطلانه يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم للسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويرجح الاول قراءة يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنى واشرف وقيل اى مقبلا اليهم مصطفا كما تقول اشرعت الرماح اذا مدت مصطفة والحيتان جمع حوت واكثر ما تستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة واختلف فى اطلاق اسم السمكة على ما سوى الحوت من الحيوانات البحرية والذى نص عليه الشافعى رحمه الله فى الام والمختصر انها تطلق على الجميع قال صاحب الروضة وهو الصحيح كذلك اى مثل ذلك البلاء الشديد والظاهر ان الاشارة الى ابتلائهم باتيان الحيتان يوم السبت وعدم اتيانها فى سائر الايام نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق واذ قالت عطف على اذ قبلها امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين بالغوا فى وعظهم و بذلوا المجهود فى نهيهم حتى ملوا وايسوا من قبولهم وتفرسوا من حالهم ان الوعظ لا يؤثر فيه فتركوهم للآخرين منهم لم يتركوا موعظتهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اى قد اشرفوا على ان يهلكهم الله تعالى فيصطلمهم او معذبهم عذابا شديدا غير مصطلم

اسباتهم بكسر الهمزة هذه قراءة عمر بن عبد العزيز ذكرها ابن عطية تمره

اصطلمه استاصله ووقعة صيلمة مستاصلة قاموس

قالوا معذرة الى ربكم اى موعظتنا معذرة الى الله تعالى لئلا ننسب الى التقصير في
النهى عن المنكر وقرئ معذرة بالنصب اى نعظهم معذرة على انه مفعول له او نعتذر
معذرة على المصدر ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء فلما نسوا
تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصلحاء وجعل الترك نسيانا مبالغة اذا قوى احوال
الترك ان ينسى المتروك انجينا الذين ينهون عن السوء هي عامة في المعاني ويدخل
فيها صيد الحوت دخولا اوليا واخذنا الذين ظلموا بالارتكاب للمنكر وفيه تنبيه على ان
العلة للاخذ هي الظلم بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد
وقرئ بئس كحذر وبئس كظهر على تسكين العين للتخفيف ونقل حركتها الى الفاء
ككبد في كبد وقرئ بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف
به فجعل اسما وقرئ بيئس كريئس على قلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس
على تخفيف بيس كهين وميت بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق
فلما عتوا عما نهوا عنه طغوا وتكبروا عما نهوا عنه وزادوا عصيانا وتفرعنا قلنا
لهم على طريقة الامر التكويني كونوا قردة اى مسخناهم دفعة خاسئين اذلاء مبعدين عن
الناس وقدمنا ما يتعلق بهذا في تفسير سورة البقرة والظاهر من المعنى ان الله عذبهم اولا
بعذاب شديد فلم ينتهوا وعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير وتقرير لقوله فلما
نسوا والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك
تأذن عزم وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يؤذن نفسه به
ويحدثها ومثله في التفعل بمعنى الافعال توعد بمعنى اوعد واجرى مجرى القسم كعلم
الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو ليبعثن عليهم اى عزم
ربك واوجب على نفسه ليسلطن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم يكلفهم
سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله تعالى بعد سليمان عليه السلام
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية
على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله
عليه وسلم فضربها عليهم الى اخر الدهر كما قيل بل الى نزول عيسى عليه السلام لانه بعد نزوله من بيضاوى
السماء يضع عنهم الجزية على ما ورد في الحديث المرفوع وعند ذلك ينقلب تكليف الجزية
الى

الى شده وهو تكليف الاسلام بالقتل وسوء العذاب ينتظمهما ويجوز ان يكون
المراد من يوم القيمة وقت ظهور بعض اشراطها فح لا حاجة الى تعميم سوء العذاب والله
اعلم بالصواب ان ربك لسريع العقاب لا يحتاج الى اعداد الالات واحضار الاسباب
وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب وقطعناهم في الارض وفرقناهم في اقطارها
بحيث لا يخلو قطر منهم تتميما لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع امما مفعول
ثان او حال منهم الصالحون الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم والصالحون فاعل للظرف
واعتماده على الموصوف او مبتداء ومنهم خبره والجملة صفة لامما ومنهم دون
ذلك دون صفة لمبتداء محذوف اى ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عن درجة الصلاح وهم الفسقة والكفار وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا عليه بالانتهاء فخلف من بعدهم من بعد
المذكورين خلف بدل سوء وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد
والكثير وقيل جمع قال ثعلب الناس كلهم يقولون خلف صدق للصالح وخلف
سوء للطالح وكانه غافل عن قول حسان في المدح لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
° لاولنا في طاعة الله تابع ° والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ولا يعملون
وفي عبارة ورثوا اشارة الى انها وصلت اليهم بلا استحقاق منهم كما يصل المال الموروث
من المورث الصالح الى الوارث الطالح يأخذون عرض هذا الادنى اى حطام هذا الشيء
الادنى وهو ما يأخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم وعلى تحريف الكلم للتسهيل
على العامة والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لان الشيء الحقير سهل التناول قريب المأخذ
واما من الدناءة بمعنى الخسة والمراد به الدنيا وما يتمتع به منها والاشارة بهذا المزيد
التحقير والجملة حال من ضمير ورثوا او صفة بعد صفة ويقولون سيغفر لنا اى واذا
عوتبوا على ذلك اعتذروا بما يرجونه من سعة رحمة الله تعالى ويقولون لا يؤاخذنا
الله تعالى بما اخذنا ويتجاوز عنا وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار
والمجرور او الى مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في
يقولون اى يرجون المغفرة جازمين بها وهم مصرون على ذنوبهم لا يتوبون عنها الم يؤخذ

عليهم ميثاق الكتاب اى العهد الذى فى التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان
للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا اى لا يفتروا على الله تعالى وهو القطع بالمغفرة
مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا
نهيا كانه قيل الم يقل لهم ان لا يقولوا الخ وان فسر الميثاق بما بين فيه وهو ان من
ارتكب ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان ان لا يقولوا مفعولا له اى لئلا يقولوا و
درسوا ما فيه الظاهر انه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ اعتراض او حال بتقدير
قد وقيل عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه ومعنى الهمزة فى الم يؤخذ تقريع وتوبيخ على اخذ الرشوة والقطع
بالمغفرة ولذا قبح فعلهم بوجوه اولها انخلاف ميثاق الكتاب الثانى انه افتراء على
الله تعالى الثالث التاكيد بقوله ودرسوا ما فيه اى من اشتراط التوبة فى غفران
الذنب الرابع قوله والدار الاخرة خير اى من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون
الرشاد وهو تعريض بانهم ليسوا يتقون الدنيا على الاخرة ويستبدلونها بها الخ التاكيد
بقوله افلا يعقلون اى يأخذون العرض الحقير فلا يعقلون ان الدار الاخرة خير
فلا يبيعون الشريف الباقى بالخسيس الفانى وقرئ تعقلون بالتاء على الالتفات
وفى الابهام بقوله الا يقولوا تنبيه على عظم ما يرتكبونه والذين يمسكون بالكتاب و
اقاموا الصلوة تعريض بانهم لا يمسكون بالكتاب اذ يحرفونه وانهم لا يصلون وتخصيصها
بالذكر لانها عماد الدين وام العبادات والجملة عطف على للذين يتقون وافلا يعقلون
اعتراض بينهما وانا لا نضيع اجر المصلحين اعتراض آخر او مبتداء خبره انا لا نضيع اجر
المصلحين اى منهم او على وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من
التضييع وايماء الى انهم مفسدون بما يفعلون او استيناف لتعليل الخبر المحذوف
كانه قيل نوفيهم اجورهم لانا لا نضيع اجر المحسنين واذ نتقنا الجبل اى قلعناه من
الاصل ورفعناه فوقهم يقال نتقت الدابة صاحبها حين تعدو به اى حركته ورفعته
كانه ظلة فى موضع الحال من الجبل والظلة لما اظل من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء
المهملة من اطل اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان
يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا

ليقعن

ليقعن عليكم وهذا لا يقتضى تيقنهم بوقوع الجبل وكذا عدم ثبوت الجبل فى الجو لا
يقتضيه لانه على جرى العادة واما على تقدير خرقه فلا بعد فيه وعدم وقوع
المتعلق لا يصلح وجها لاطلاق الظن على الاعتقاد الجازم لعدم الفرق بينهما فى عدم
الاقتضاء لوقوعه فالوجه ان يكون الظن هنا على حقيقته خذوا على اضمار القول
اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على احتمال
تكاليفه ومشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه
كالمنسى لعلكم تتقون ما انتم عليه من قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ
اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما
يتولدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض والضمير لآدم
عليه السلام وبنيه لا لبنيه خاصة ولا يلزم اخراج اولاده من حين الارادة واما
عيسى عليه السلام فخارج من ظهر جده بواسطة امه واشهدهم على انفسهم الست
بربكم اى نصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم ونزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منزلة
الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى فى سؤال
النفى اثبات فكان اقرارا والاقرار بدون الاعتقاد لا يكون شهادة ولهذا رد الله تعالى
قول المنافقين قالوا نشهد انك لرسول الله فالتصديق ثبت بمقتضى قولهم شهدنا
ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم نتنبه عليه او
تقولوا عطف على ان تقولوا وقرئ كلاهما بالياء بناء على ما عليه اول الكلام من
الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون اى ا
بعد تأسيس ابائنا المبطلين الشرك وجعلهم اياه سنة لنا تهلكنا بما فعلوه و
قيل لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل
لهم العقل والنطق والهمهم ذلك بخبر رواه عمر رضى الله عنه والمقصود من ايراد
هذا الكلام هنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص
بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر

والاستدلال كما قال وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات قطعاً لعذرهم
ولعلهم يرجعون اى نميز بعضها عن بعض ليمكنوا من الاستدلال بها ويرجعوا عن
التقليد واتباع الباطل والواو للعطف لمقدر نبهنا عليه واتل عليهم اى على اليهود
نبأ الذى اتيناه اياتنا هو احد علماء بنى اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه
بلعم بن باعورا اوتى علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها بان كفر بها وخرج عن
حكمها فاتبعه الشيطان خطواته اى جعله تابعا له وقيل استتبعه او اتبعه ليضله
فادركه ولحقه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين وقيل هو
امية بن ابى الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل فى ذلك الزمان
رسولا وتوقع ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ولو
شئنا لرفعناه بها الى منازل الابرار من العلماء لان مراد الله تعالى لا يتخلف ولكن
حكمته اقتضت ان تتبع ارادته اختيار العبد واشير الى هذا حيث قال فى موقع ولكن
لم نشاء ولكنه اخلد الى الارض فذكر فعل العبد لا فعله اى مال الى الدنيا والى السفالة
واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات بسبب
ايتاء الايات الى الله تعالى وخروجه عن حكمها اليه اشعارا بان الاكمال انما يكون
بحسب استعداد العبد فاعطى اسباب الكمال ولكنه بحسب استعداده الى الجهة السفلية
يخرج عن حكمها فناسب الشيطان فاغواه فشقى بها وعلق رفعه بمشية الله تعالى واستدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها
لاستلزام انتفاء المسبب انتفاء السبب وان السبب الحقيقى هو المشية وان الاسباب
وسايط فى حصول المسبب اذا تعلقت المشية به كذلك ووضع قوله اخلد الى الارض
واتبع هواه موضع اعرض عنها اقامة للسبب مقام المسبب مبالغة وتنبيها على ان
موجب اعراضه هو النفس وحب الدنيا وانه راس كل خطيئة وكان مقتضى الظاهر ان
يقول ولكنه اخلد على الارض فحططناه فى مقابلة رفعناه فوضع قوله فمثله كمثل
الكلب موضع فحططناه ابلغ حط واذله مبالغة اى صفته كصفة الكلب الذى هو مثل
فى الخسة فى اخس احواله واذلها وهو دوام اللهث سواء حمل عليه ونحا وترك ولم
ينح على ما ذكر بقوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فانه دائما يلهث لضعف قلبه

وحرارته

وحرارته بخلاف سائر الحيوانات فانه يلهث عند التحريك والازعاج ولا يلهث عند
التوديع والاجمام واللهث هو ادلاع اللسان من التنفس الشديد الذى يلحق الانسان
وغيره من شدة الاعياء وهو فى الكلاب طبع وقد يكون من العطش محل الجملة الشرطية
النصب على الحال اى كمثل الكلب لاهثا فى الحالين والمراد من التمثيل انه لا استعداد الخبيث
لا يوجب الترقى واسباب الكمال والسعادة بل يزيده نقصانا وانحطاطا وشقاوة كما لا
تنفعه الايات بل زادته رجسا الى رجسه ووجه التمثيل ان ايتاء الايات واسباب السعادات
كالتوديع والاجمام وضلاله واستعداده كلهث الكلب وطبيعته ولهذا قيل معناه
ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا يعنى
لا اختصاص للتمثيل المذكور بالذى ورد فى حقه بل يعمه وامثاله من المكذبين باياتنا
كما لا اختصاص للاحكام النازلة باسباب نزولها ومن هنا يتضح وجه التفريع فى قوله
فاقصص القصص المذكورة المشتملة على التمثيلات المنبهة لمن حاله كحالهم لعلهم يتفكرون
فيه فيتعظون به ويحذرون مثل عاقبته ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا ساء
بمعنى بئس واصلها التعدى تقول ساءنى الشئ يسوءنى ثم لما استعملت استعمال بئس
بنيت على فعل وجرت عليها احكام بئس ومثلا تمييز للضمير المستكن فى ساء فاعلا
وهو مفسر بهذا التمييز وهو من الضماير التى يفسرها ما بعدها ولا بد ان يكون المخصوص
بالذم من جنس التمييز فاحتيج الى تقدير مضاف اما فى التمييز اى ساء اصحاب مثل القوم
واما فى المخصوص اى ساء مثلا مثل القوم وهذه الجملة تاكيد للجملة السابقة و
انفسهم كانوا يظلمون بعد قيام الحجة وعلمهم بها اما معطوف على كذبوا فيكون فى حيز الصلة
اى الذين جمعوا بين التكذيب والظلم على انفسهم واما كلام منقطع عن الصلة اعتراضا
للبيان اى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم لان وباله لا يتعدى الا اليها ولهذا التخصيص
قدم المفعول وهذا الاخير احسن من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم
الخاسرون لما تقدم ذكر المهتدين والضالين اخبر تعالى انه المتصرف فيهم بما شاء من هداية
وضلال وفيه تصريح بان الاهتداء مخصوص بمن يهدى الله تعالى فتنزل الهداية التى لم يترتب عليها
الاهتداء منزلة العدم واما اختصاص هداية الله تعالى ببعض دون بعض واستلزامها الاهتداء
فيرده قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وفى الافراد فى الاول والجمع فى

في الثاني لاعتبار اللفظ في الاول والمعنى في الثاني والتعبير عن لفظ الضالين تنبيه على ان
المهتدين نفس واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا تنحصر وان اجماعهم
لا يجدي نفعا في دفع الخسران اللازم لضلالتهم وفي الاقتصار في الاخبار عن هداة الله
تعالى بالمهتدين تعظيم لشان الاهتداء وبيان انه في نفسه كمال تام لو لم يكن غيره لكفى نفعا
جليلا ورجحا وافيا لانه المستلزم للفوز الاكبر والعنوان لجميع الكمالات ولقد
ذرانا لجهنم خلقنا لجهنم لمصلحة فانه مظهر جلال الله تعالى وقهره فلا يناسب الحكمة
تعطيله وفيه تنبيه على سبب خلقه من لا حظ له من الاهتداء كثيرا من الجن والانس
قدم الجن على الانس لان الكلام في مقام التحقير والاذلال وهم المطبوع على قلوبهم الذين
علم الله تعالى انه لا تنجع فيهم الدعوة الى الحق والايات لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقون
افهامهم الى النظر في الدلائل ولا اذهانهم الى طلب الحق ومعرفته ولهم اعين لا يبصرون بها
اي لا ينظرون بها نظر اعتبار الى ما خلق الله تعالى ولهم اذان لا يسمعون بها ايات
الله تعالى سماع تدبر وتامل فكانه لا ادراك لقلوبهم ومشاعرهم اولئك كالانعام
لما لم ينتفعوا بقلوبهم ومشاعرهم جعلها مساوية الفهم والادراك ثم شبههم بالانعام
في عدم الفقه والاعتبار والفهم او في ان مشاعرهم لا تتوجه الا الى اللذات الحسية وامور
المعاش لا يطمح ابصارهم ولا تلتفت بصائرهم الى احوال المعاد بل هم اضل لانها مع
عدم العقل تجتنب المضار وتجتلب اسبابا لما رخلاف الكفار فانهم على عكس هذا كيف و
هم يصرون على الكفر والانكار والاصرار يورثهم الاضرار في هذه الدار ودار القرار اولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة بين به سبب كونهم اضل من الانعام وهو الغفلة عما
اعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وفي الاية تعريض لليهود ببيان
ما هو صورة حالهم ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لدلالتها على المعاني
التي هي اشرف المعاني فادعوه بها لا بغيرها ولا تدعوا غيره بها وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون في اسمائه عن الحق الى الباطل فيسمونه بما لا توقيف فيه
او بما يوهم معنى فاسدا كقول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او الذين يزيغون في اسمائه
فيطلقونها على غيره تعالى كقولهم ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة فلا تبالوا بانكارهم و
اتركوهم والحادهم او ذروهم والحادهم في اطلاقها على اصنامهم تسميتهم الهة واشتقاقهم

اسماؤها

فخع الوعظ والخطاب فيه دخل
قاموس
نالك كما نجع ونجع

طمح بصره اليه ارتفع
قاموس

اسماءها منها كاللات من الله والعزى من العزيز فلا تنوا فتوهم فيها واعرضوا عنهم فان
الله تعالى يجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون والتركيب على هذا الوجه ادل و
قرئ يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ولما قال ذرانا لجهنم كثيرا
كالضالين الغافلين والملحدين قفا بما دل على انه خلق للجنة كثيرا وهو قوله وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله
صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي امر الله ففيه دلالة على صحة
الاجماع والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم اي بايات الله التي تضمنها القران
لقوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم والمراد من الاستدراج
الاستدناء الى الهلاك قليلا قليلا يقال درج الكتاب اي طواه شيئا بعد شيء قال
الخليل اي سنطوي عمرهم في اغترارهم فهو من الدرج بمعنى اللف ومنه درج الميت
في اكفانه وقيل هو من الدرجة فهو في الاصل التقريب من المقصود درجة درجة بالاصعاد
او الاهباط ثم اتسع فاطلق على التقريب منه قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب
بين خطاه والفرق بين المعنيين واضح وان اشتبه على من ذكر المعنى الثاني قال ومنه درج
الكتاب من حيث لا يعلمون انه استدراج حيث جدد لهم النعمة كلما جددوا معصية
به النعمة فاغتروا به حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واملي لهم واؤخر عذابهم
من الملاوة بتثليث الياء يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة بضم الميم وضمها
وكسرها اي قطعة منه عطف على سنستدرجهم لا على فنستدرجهم اذ لا حاجة
الى ادخاله في حكم السين ثان الاملاء يلزمه الاستدراج المذكور لزوما بينا فتاكيده
يغني عن تاكيد هذا عن قال عطف على سنستدرجهم ثم قال وهو داخل في
حكم السين فقد اخطا مرتين وانما لم يقل نملي لهم على وفق سنستدرجهم
للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير العادي الذي توسط فيه المدبرات امرا والاملاء
بالتدبير الالهي الذي لا دخل فيه لاحد ان كيدي الكيد الاخذ على خفاء فاطلاقه هنا
على الحقيقة لا على التشبيه كما زعمه من قال وانما سماه كيدا لانه على صورته ولا يعتبر فيه
اظهار خلاف ما ابطنه وبه يفارق المكر فانه يساوق الكيد في الاخذ المذكور ويمتاز
عنه باشتماله القيد المذكور متين شديد قوي اصله من المتن وهو اللحم الغليظ

الاماء الراغب صح بهذا الفرق والذي بينهم

الذي على جانب الصلب وهما متنان اولم يتفكروا الاستفهام للتعجب والواو للعطف
على محذوف تقديره الم يعلموا ولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمد صلى الله عليه وسلم
من جنة اي جنون من مس الجن وكانوا يقولون فيه صلى الله عليه وسلم شاعر
مجنون بالغ في نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم بنفي الجنة منكرا قاصدا بتنكيرها
التقليل اي ليس به صلى الله عليه وسلم شيء من الجنة وبزيادة من الداخل على
ما ينسب اليها ايضا وان لم يكن منها حقيقة وفي تقديم بصاحبهم تعريض لهم
وفي عبارة الصاحب ونسبته اليهم اشارة الى انه لو كان به صلى الله عليه وسلم
تلك الحال لما خفيت عليكم لما بينكما من المصاحبة والمخالطة ان هو الا نذير
عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم
باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت
فالمعنى ما هو صلى الله عليه وسلم في تلك الحال الا منذر مبين موضح انذاره
باعلا صوت اولم ينظروا انظر استدلال في ملكوت السموات والارض مما يدلان
عليه من عظم ملكها وفيما يملك به السموات والارض من ملكوتيتهما الملكوت
الملك العظيم او الملائكة اي جنس الملائكة المدبرة لهما بامره تعالى ثم انه لم يقتصر
على الحث على النظر في الملكوت بل نبه على ان كل فرد من الموجودات محل النظر
والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء آية
تدل على انه واحد فقال وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله تعالى من كل ما
يقع عليه اسم الشيء مما لا يمكن حصره ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة
فاطرها وعظم شان مالكها ومدبرها فيعلموا به صحة ما يدعوهم اليه وفي امكان
اقتراب اجلهم فلعلهم يموتون عن قرب فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى
الحق ويبادرون من العمل الى ما ينجيهم من العذاب قبل مفاجأة الاجل وحلول
العقاب على ما ذكره بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على
ملكوت وان مخففة من الثقيلة اصله انه والضمير فيها وفي يكون ضمير الشان
والحديث اي وفي ان الشان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولا يجوز ان تكون
مصدرية لانهم نصوا انها توصل بفعل متصرف وعسى فعل جامد فلا يجوز

ان تكو

ان تكون صلة لان ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة فباي حديث
بعده اي بعد القران يؤمنون متعلق بعسى ان يكون اي لعل اجلهم قد اقترب فما
بالهم لا يبادرون الى الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح لزوم الحجة
عليهم وقبل فواته ما هو الا لكونهم مطبوعا على قلوبهم لما ارشدهم الى الاستدلال وحرضهم
على النظر في امكان قرب الاجل انكر عليهم التثبط من الايمان ثم قرر معنى الانكار وما
يلزمه وعلل ذلك بقوله من يضلل الله فلا هادي له نفي نفيا عاما ان يكون هاد
لمن اضل الله فتضمن الياس من ايمانهم والمقت لهم ونذرهم بالرفع اعتراض للبيان
اي ونحن نذرهم وقرئ ويذرهم بالياء لقوله من يضلل الله وقرئ به وبالجزم
عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهدي احد غيره ويذرهم في طغيانهم
في افراط ترفعهم يعمهون حال منهم يسالونك عن الساعة اي عن يوم القيامة
لقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها على
ذلك اليوم اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها ساعة عند الله
تعالى وقيل اصلها ساعة قيام الناس بالاضافة كبيت الله فلما غلبت تعينت
فاستغنت عن الاضافة وعلى هذا لا حاجة الى وجه التسمية ايان مرساها ايان بمعنى
متى قيل اشتقاقه من اي واي من اويت لان البعض آو الى الكل ويمكن ان يكون
تركيبها من اي مع الان فركبتا ولان معناه اي وقت مرساها مصدر اي ارساؤها
او اسم زمان والارساء الاثبات من الرسو وهو ثبات جسم ثقيل وقراره ومنه رسا
الجبل ولا اثقل من الساعة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الايمان والطاعة
وينهاهم عن الكفر والمعصية ويحذرهم قيام الساعة فقالوا متى هي قل انما علمها
عند ربي استاثر به ولم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لما كان السؤال عن
الساعة عموما ثم خصص بالسؤال عن وقتها جاء الجواب عنها عموما بقوله قل انما
علمها عند ربي ثم خصص الوقت فقيل لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يبينها ولا يكشف
امرها الثابت واللام التاقيت كما في اقم الصلوة لدلوك الشمس والمعنى ان اخفاءها
مستمر على غيره الى وقت وقوعها ولا يظهرها الا في ذلك الوقت الذي يقع فيه بنفسه
بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها لكون الاخبار ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية كاخفاء الاجل

الخاص الذى هو وقت الموت ثقلت فى السموات والارض اى شقت وكبرت على
اهلها من الملائكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كانه اشارة الى الحكمة اخفائها اى
لا يطيقون حمل اخبارها او ثقل اخفائها عليهم فان ما خفى امره ثقل على النفوس
لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة منكم كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون وقد ورد فى الحديث ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى السوق والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسالونك اى عن الساعة كانك حفى عنها فعيل من حفى عن الشىء اذا
بالغ فى السوال عنه والتركيب للمبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء النعل ا
استيصاله واحفى فى المسئلة اذا الحف فالمعنى عالم بها علما متقنا لان من بالغ
فى المسئلة عن الشىء استحكم علمه واتقن ولهذا عدى بعن اى كانك بليغ فى
السوال عنها حتى احكمت علمها وقرئ حفى بها اى عليم بليغ فى العلم بها قل انما
علمها عند الله كرره بتكرير يسالونك لما نيط به من زيادة قوله كانك حفى عنها
للتاكيد والمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله تعالى لم يؤته
احدا من خلقه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ودفع ضر وهو
اظهار العبودية وتبرء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اى كسائر المماليك
والعبيد لا املك لنفسى شيئا الا ما شاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى
له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولو كنت
اعلمه لخالفت حال ما هى عليه من استكثار الخير باجتلاب المنافع والاستخلاص
عن الشر باجتناب المضار كما هو مقتضى طبع البشر وفيه دلالة على انه لا تاثير
للقدرة على التدبير والا لما امكن التعبير بالتدبير على تقدير العلم باسباب النفع والضر
فتدبر فانه موضع النظر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اهل مكة الا يخبرك ربك
بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشترى فتربح وبالارض التى تريد ان تجدب فترحل عنها
الى ما اخصب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا عبدا ارسلت بشيرا ونذيرا لقوم يؤمنون
متعلق بالبشير ومتعلق النذير محذوف للتعميم لقوله تعالى ان انذر الناس وبشر
الذين آمنوا والقوم مختص بالرجال فالبشارة عبارة تختص بهم دلالة تعم النساء

حيث

تاذ الشيء يبتو لمه تولداى عكنه جديدا

حيث عللت بالايمان فان ترتيب امر بموصوف يدل على علية الوصف به وفيه
تحريض للكفار على الايمان هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو ادم وجعل منها
من جنسها لقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليسكون
الشىء الى جنسه فيأنس بها ويطمئن اليها وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليتبين ان
المراد منها ادم وليؤكد معنى الانس والميل لان الذكر بالانثى آنس واليها اميل ليبنا
قوله فلما تغشاها التغشى كناية عن الجماع حملت حملا الحمل بالفتح ما كان فى البطن
وبالكسر ما كان على ظهر خفيفا لكونه نطفة او خف عليها ولم تلق منها ما تلقى الحبالى
غالبا من الكرب والغشى والاذى فمرت به فقامت به وقعدت اى ترددت به لخفته كما لم تكن
تحبل او استمرت به كما هو قراءة ابن عباس رضى الله عنهما اى لم تزلق ولم تسقط ولم تجزع
وقرئ فمرت بالتخفيف اى فشكت فيما اصابها هل هو حمل او مرض او غيرهما وقرئ فارت به اى
جاءت وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد
فى بطنها اى حان وقت وضعه وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها الحمل دعوا
الله ربهما الضمير لادم وحواء ربهما اى مالك امرهما ومتعلق الدعاء محذوف يدل عليه
جملة جواب القسم لئن اتيتنا صالحا اى دعوا الله ورغبا اليه فى ان يؤتيهما ولدا سويا
قد صلح بدنه وكمل خلقته لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك ويدخل فيه دخولا اوليا
الشكر على هذه النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا اى حمل اولادهما له شركاء
فيما اتاهما اى اتى اولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون وكون الخطاب لغير
ادم عليه السلام باباه قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقرئ شركا اى شركة بان
اشركا فيه غيره او ذوى شرك اى شركا ايشركون الاستفهام بمعنى التوبيخ ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون هم ضمير الاصنام جىء به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم اى لعبدتهم
نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى
الى الاسلام لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم
الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالى وقرئ لا يتبعوكم
بالتخفيف سواء عليكم ادعوتموهم قد مر ما يتعلق به فى تفسير سورة البقرة ام

انتم صامتون اعالم يقل ام صمتم لان المراد ان يقال سواء عليكم احدثتم الدعاء ام
انتم على ما انتم عليه من عادة الصمت عن دعائهم فانهم جمادات وهو حسب حالهم
لانهم اذا همهم امر دعوا الله دون الاصنام كقوله واذا مس الانسان ضر دعوا
ربهم وفيه مبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث هو مسوّى بدوام الثبات
على الصمات ان الذين تدعون من دون الله تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد
امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة وانما سمى الاصنام عبادا لانهم يعتقدون
انها تضر وتنفع فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها قادرة على
النفع والضر وقيل ذلك استهزاء بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء زمخشري
فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم
فقال باثبات انهم اعجز منهم الهم ارجل يمشون بها ويأباه الفصل بقوله فادعوهم
اه فان انتظامه مع سياق الكلام والبيان للمقام على الوجه الاول كما لا يخفى على ذوى الافهام
وقرى ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية فرفعت
الاسم ونصبت الخبر وفيه خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين ومن البصريين ابن
السراج والفارسي وابن جني ومنعه الفراء واكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه
والمبرد والصحيح انه لغة ثبت في النظم والنثر ام لهم ايد يبطشون بها قرئ بكسر
الطاء وضمها وهما لغتان والبطش الاخذ بقوة والقدرة على الامساك وبهذه
الزيادة يكون الاخذ من خواص اليد من بين الاعضاء كما ان المشي بما فيه من الزيادة
على مطلق الحركة يكون من خواص الرجل واعادة اداة الاستفهام على وجه الانكار
دون اداة الجمع للاشعار باستقلال الاستفهام الكل منهما في الابطال والاثبات المذكورين
آنفا ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها ام منقطعة فيقدر بل والهمزة
وهو اضراب على معنى الانتقال لا على معنى الابطال وانما هو تقرير على نفي كل واحدة من هذه
الجملة وتوجيه النفي الى الوصف لانهم كانوا يصورون هذه الاعضاء للاصنام قل
ادعوا شركاءكم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتهكم بعد اثبات عجزهم اى استعينوا
هم على ايصال الضر الي ثم كيدون اى بالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم و
شركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم وهذه غاية الوثوق على ولاية الله

تعالى

تعالى وحفظه ولهذا قال بعده على سبيل التأكيد بان ان وليي الله لما كان
بلوغهم الى الغاية في بذل الجهد متراخيا عن الاستعانة المذكورة عطف عليها
باداة التراخي وكان عدم الامهال مترتبا عليه صدره باداة التعقيب ان وليي
الله الذي نزل الكتاب اى ناصري وحافظي الله الذي اكرمني بانزال القرآن على
وهو يتولى الصالحين ومن عادته انه يتولى الصالحين من عباده والذين تدعون
من دونه اى من دون الله تعالى لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
اى انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا عن نصرة غيرهم اعاد بيان عجزهم لان الاول
للتقريع والثاني لتتميم التعليل لعدم مبالاته بهم فلا تكرار وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا لانها جماد لا تحس وليس هذا موضع اشتباه بخلاف امر النظر فانهم
صوروها بصورة من ينظر الى من يواجهه ولهذا قال وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون والحال انه لا قدرة فيهم على الابصار فليتحقق ما تراه على الحقيقة انما
تكرر القول في هذا وترددت الايات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنا في نفوس
العرب في ذلك الزمان ومستوليا على عقولهم فاطنب القول في ذلك لطفا من الله
تعالى بهم خذ العفو اى السهل وتيسر من افعال الناس واخلاقهم من غير
كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم من التكاليف من العفو الذي
ضد الجهد او الفضل من صدقاتهم وما يسهل عليهم وتيسر لهم وذلك
قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال والاقوال
والاحوال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا
تمارهم واحلم عنهم واغض عن المذنبين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق
وروى انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن معنى هذه الاية فقال
اعط من حرمك وصل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء
اليك وقيل لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب كيف
والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اما كلمتان ان التي هي
للشرط وما التي هي صلة زائدة والنون للتأكيد والنزغ الازعاج بالتحريك
الى الشر اى ان عرض لك الشيطان بافساد شيء من هذه الاخلاق التي امرتك

بها فاستعذ بالله فاستعصم به من الشيطان الرجيم انه سميع لكلامك عليم
بمرامك كناية عن الاستجابة ان الذين اتقوا ان المومنين المتقين الله اذا
مسّهم طائف من الشيطان اذا نالهم وسوسة قيل كانهم طافت بهم ودارت
حولهم فلم يقدر ان توثر فيهم ومبناه العقول عن دلالة المس على الاثر وقرئ
طيف والطيف والطايف ما الم بالانسان من عوارض الشيطان وقرئ طيّف
بتشديد الياء قال الزجاج طاف الخيال يطيف اذا الم به وطاف عليهم يطوف اذا
دار ومن جعل هذا من الطواف الواوى قال طيف اصله طيّف بالتشديد ثم خفف
كالهين والهيّن والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله
به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان
فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تقرير لما تقدم وما فيه من وجوب الاستعاذة
عند نزغ الشيطان وبيان ان المتقين عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ والمام
بوسوسة ان يستعيذوا ويتذكروا قبل ان يصير خاطرًا وحالكةً فيه النفس
بالفكر واخوانهم يمدونهم اى اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان
فى الغى بالتزيين وما لحمل عليه وقرئ يُمِدونهم من أمَدّ ويمادونهم كانهم يعينونهم
بالتسهيل والاغواء وهولاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول ولهذا عطف
عليه بثم المستعارة للتراخى فى الرتبة ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين
والضمير المضاف اليه للجاهلين فيكون الخبر جاريًا على ما هو له والاول
اوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا واذا لم تاتهم باية من القران او
مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها افتراء وتقولا من عند نفسك
لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها مقترحة من جباه
اذا جمعه او من جبا اليه فاجتباه اى اخذه قل انما اتبع ما يوحى الىّ من ربى
لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا بصائر القران
للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يومنون قد سبق
تفسيره فاذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر ان القران بصائر

وهدى

وهدى ورحمة امر باستماعه اذا شرع فى قراءته وبالانصات وهو السكوت
مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على تلك الاوصاف حرى بان يصغى اليه حتى يحصل
منه للمنصت المستمع هذه النتايج العظيمة فيستبصر من العمى ويهتدى من الضلال
ويرحم بها وقيل نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراة القران
والانصات له واطلاق الامر يقتضى وجوبهما حيث يقراء القران مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلوة وفيه اشكال اذ يلزم الجمع بين معنيي الامر ويمكن
ان يقال انه جايز عند اختلاف المحل على ما ذهب اليه العراقيون من اصحابنا
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قراء فى المكتوبة وقراء
اصحابه خلفه فنزلت هذه الاية ومن هنا اتضح وهن احتجاج من لا يرى القراة
على الماموم واما قول من قال انها فى الخطبة فضعيف لان الاية مكية والخطبة
لم تكن الا بعد الهجرة بقى هنا دقيقة انيقة لا بد من التنبيه عليها وهو ان الانصات
مقدمة الاستماع فحقه ان يتقدم فى الذكر وانما اخره هنا اهتماما بشانه واخراجا
له عن حيز الاتباع الى حد الاستقلال وتنبيها على انه مقصود بالذات وما مور به
اصالة حتى لو كان فى مجلس القراة نائيا عن القارى فحقه ان ينصت وان لم يتيسر
له الاستماع تعظيما لشان القران واحرازا لاحدى الفضيلتين ولو قدم الانصات لتبادر
الى الفهم ان الامر به لمصلحة الاستماع فلا يجب بدونها واذكر ربك فى نفسك عام فى جميع
الاذكار من القراة والدعاء والتهليل والتسبيح وغيرها لان الاخفاء فى النفس ادخل
فى الاخلاص والخشوع تضرعا باللسان وخيفة بالقلب مفعول من اجله اى للتضرع و
خيفة او مصدر ان منصوبان على الحال اى متضرعا وخائفا ودون الجهر معطوف
على قوله فى نفسك اى ذكرا فى نفسك وذكرا دون الجهر او على تضرعا اى وقائلا قولا
دون الجهر ولهذا جعل قوله من القول بيانا للجهر بالغدو والاصال باوقات الغدو
اى غدوات لمقارنته الاصال وهى جمع اصيل كاليمين والايمان وقيل جمعه الاصُل
وجمع الاصُل الاصال وقرئ بالايصال من آصل اذا دخل فى الاصيل وهما عبارة عن
الليل والنهار والمراد به الذكر على الدوام لما امر تعالى بالذكر اكد ذلك بالنهى عن ضده
فقال ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى خاطبه صلى الله عليه وسلم والمراد نهى امته

عنها بالبلغ وحاى لا تعدوا بالغافلين لكن بالملائكة الذين لا يغفلون وذلك قوله
تعالى ان الذين عند ربك هم الملائكة المقربون وعنديا بان قرب الكرامة دون المكان
فان الله تعالى متعالى عن ذلك لا يستكبرون عن عبادته كان الاستكبار مقدمة
العصيان كذلك عدمه مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة القلبية وهو التنزيه والتطهير
عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة بقوله ويسبحونه والطاعة القالبية وهي
الحال التي يكون العبد فيها اقرب الى الله تعالى بقوله وله يسجدون وتقديم له
للاختصاص اى ويخصونه بالعبادة لا يشركون به وهو تعريض عن عداهم
من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته تم اللهم باخفى الالطاف على اتمام
تفسير سورة الاعراف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحابته اجمعين
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سورة الانفال بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصله الزيادة ومنه نوافل
العبادات وانما سميت الغنيمة نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية
الحوزة والدعاء الى الله تعالى وعبارة عن صريحة فى ان السؤال سؤال الاستفتاء
فالمطلوب بيان حكمها وقرى بدون عن فيكون السؤال سؤال الاستعطا وما يشترط
الامام لمن يتحمل خطرا زائدا على سهمه يسمى ايضا نفلا فالمعنى يسالك المتحملون
للخطر ما شرطت لهم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن
فيها قل الانفال لله والرسول اى حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله تعالى رسوله صلى الله
عليه وسلم بقسمتها على مقتضى حكمه ويمتثل الرسول صلى الله عليه وسلم امره تعالى فيها فيقسمها
على حسب امره وليس لاحد فيها حكم وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها
كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا
سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت وعلى هذا يكون ما شرع بالسنة منسوخا
بالكتاب قبل العمل به فلا متمسك فيه لمن فى انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وعن

قوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر لعدم سبق المشروعية فانها اول الغنائم

ابن عبا

ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الاية نزلت اولا فصارت الانفال للرسول صلى
الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فقسم الله تعالى ذلك الخمس
لرسوله ولمن سمى فيها ويوافق هذا ما روى عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه
انه قال نزلت فى هذه الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قُتِلَ اخى عُمَير وقتلت سعيد
بن العاص واخذت سيفه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه
فقال ليس هذا لى ولا لك فاطرحه فى القَبَض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله تعالى
من قتل اخى واخذ سلبى وما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب
فخذه وعلى هذا يكون المعنى الانفال للرسول ويكون ذكر الله تمهيدا لتعظيم شأنه
صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انه صلى الله عليه وسلم يتصرف فيها على ما يقتضيه تعالى
ويقتضيه الحكم فاتقوا الله فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متحابين متآخين فى الله
واصلحوا بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وتسليم
امره الى الله تعالى والرسول ذات بينكم ذات البين هى الاحوال التى تقع بين الناس
اى ما بينكم من الاحوال ولما كانت ملابسة للبين قيل لها ذات البين بالاضافة كقوله عليم بذات
الصدور اى مضمراتها وما فيها من السرائر واطيعوا الله ورسوله فى تفويض امركم اليهما والتسليم
لحكمها ان كنتم مؤمنين ايمانا يعتد به قد جعل التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات
البين من لوازم الايمان وشرائطه ايذانا بان كمال الايمان موقوف عليها حتى اذا فقدت كان كلا
ايمان كما تقول ان كنت من الرجال فاوف بعهدك يشير الى لزوم الوفا للرجولية واللام
فى قوله انما المؤمنون اشارة اليهم والمراد الكاملون فى الايمان والدلالة عليه قوله اولئك
هم المؤمنون حقا كان غيرهم ليسوا بمؤمنين حقيقة الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت
لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله فلا يخالفوه فى امره وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال
اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح هى لغة فيه وقرئ فرقت اى خافت
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اى يقينا وطمانينة نفس فان للايمان مراتب فى القوة و
الضعف ورسوخ اليقين انما هو بتظاهر الادلة وقيل لزيادة المؤمن به ويلزمه تخصيص
الايات بالتى تليت اولا وقيل بالعمل بموجبها على قول من قال بدخول العمل فى الايمان ويلزمه

القبض بالتحريك بمعنى المقبوض من اموال الناس والمراد هنا المقبوض من الغنائم

تخصيصها بالتي تتعلق بالاعمال زيادة على التخصيص الاول فتامل وعلى ربهم يتوكلون
في تقديم الجار والمجرور على الفعل اشارة الى ان المومنين بالايمان الكامل من ختمهم ان لا
يفوضوا احوالهم الا اليه ويسلموا تسليما الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
قدم تفسيره في اول سورة البقرة اولئك هم المومنون قد جمع في الاية بين اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والزكوة
لان الظاهر عنوان الباطن والباطن اساس الظاهر وكان الثلثة الاول اصول
الاعمال القلبية وملاكها فالاخريان اصول الاعمال القالبية وعيارها فهو مستتبعة لـ ها
حقا مصدر موكد لما تقدم اي حق ذلك حقا او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا
لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم
في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وقالبية
ومالية يترتب عليها ثلاثة اشياء فقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات والقالبية ١
بالغفران والمالية بالرزق الكريم قوله عند ربهم متعلق بالمعطوفين كن قبل في قوله
تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت وقد مر بيانه في تفسير سورة الانعام كما
اخرجك ربك في محل الرفع خبر مبتداء محذوف اي هذه الحال كحال اخراجك
للحرب في كراهتهم اياها او في محل النصب صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله تعالى
لله والرسول اي الانفال ثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك
ربك من بيتك بالمدينة او المدينة نفسها لانها في اختصاصها به من حيث انها
مسكنه ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه مع كراهتهم اياه بالحق صفة للمصدر
اي اخراجا ملتبسا بالحق والصواب وان فريقا من المومنين لكارهون حال
اي اخراجك في حال كراهتهم وفيه دلالة على ان كراهة الاخراج انما كانت من بعضهم
وسبب اخراجه ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة وفيها اربعون
راكبا فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي
العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد
لن تفلحوا بعدها ابدا فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل السائر في

النجا النجا اي اسرعوا اسرعوا مقصورا او
ممدودا اي العدو العدو والسرعة السرعة
صحاح

العير

العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس
الى مكة فقال والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونبدر قينتا مع
جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا اغضضنا فمضى بهم الى بدر
وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوادي دفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير
واما النفير فاستشار فيه اصحابه رضي الله عنهم فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى
نتاهب له انا خرجنا للعير وهم المراد من الفريق المذكور وتمام القصة يطلب من كتب السير
يجادلونك في الحق يحتمل ان يكون في موضع الحال من الضمير في لكارهون ويحتمل ان
يكون استينافا في اخبار وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير ولو عرفنا لاستعددنا
للقتال والحق هنا نصرة دين الاسلام بالجهاد بعد ما تبين اي بعد تبينه باعلام الرسول
انهم ينصرون وهذا ابلغ في الانكار لجدالهم كانما يساقون الى الموت حال اي يجادلونك
مشبهين من يساق الى الموت وهم ينظرون حال من ضمير يساقون شبه حالهم في
شدة فزعهم وفرط رعبهم لقلة عددهم وعددهم بحال من يساق بالذل والصغار الى
القتل المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار
اذكروا احدى ثاني مفعول يعد وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم هي العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا وكانوا
يكرهون النفير لشوكتهم بكثرة العدد ووفرة العدد والشوكة الحدة استعيرت
في الاصل من واحدة الشوك فغلبت في كل قوة وحدة ومنه شايك السلاح ويريد
الله ان يحق الحق اي يثبته ويغلبه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة او بامر
الملائكة بالنزول لنصرتهم وبما قضى وقدر من قتلهم واسرهم وقرئ بكلمته اي بامره
ويقطع دابر الكافرين يستاصلهم والدابر الآخر من دبر اذا ادبر واذا قطع اخرهم
لم يبق منهم واحد والمعنى انكم تتمنون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها وهو
من سفساف الامور والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما فيه فوز الدارين و
هو من معالي الامور ليحق الحق ويبطل الباطل متعلق بمحذوف اي فعل ذلك ويجوز
ان يكون متعلقا بيقطع ويجب ان يقدر الفعل موخرا ليفيد معنى الاختصاص وانه ما

ذفران واد قرب وادي الصفراء
قاموس
ذفران واد وتصحيف الدفران

نعل الا لذلك وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد فيما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو
كره المجرمون ذلك والجملة فى موضع الحال اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم
او نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون متعلقا بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما
علموا انه لا بد من القتال اخذوا يدعون الله يقولون اى رب انصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين اغثنا فاستجاب لكم انى ممدكم اصله بانى ممدكم فحذف
الجار وسلط عليه استجاب وقرى انى بالكسر اجراء للاستجابة مجرى القول بالف من
الملائكة مردفين بكسر الدال من ردفه اذا تبعه اى متبعين بعضهم بعضا المؤمنين
ليحفظوهم وانفسهم المومنين او يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او من اردفته
اذا جيت بعده اى متبعين بعضهم بعضا اى متبعين المومنين وقرئ بفتح الدال
بمعنى متّبَعين اى كانوا مقدمة الجيش او متّبَعين اى كانوا ساقتهم وقرئ
مُرِدِّفين بكسر الراء وفتحها وتشديد الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين
فادغمت الدال فى التاء فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم
على الاتباع وقرئ بآلاف فيوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور القراءة على التوحيد
اذا لم يفسر الارداف باتباع ملائكة آخرين ان المراد بالالف الذين كانوا على
المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم والباقى اتباع لهم او من قاتل منهم
واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها والظاهر من قوله وما
جعله الله الا مداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول
ما بها من الوجل لقلتكم وعدم عدتكم انهم لم يكونوا مباشرين للقتال وللمخالف ان
يقول ان الضمير فى جعله لقوله انى ممدكم فلا ينافى ان يكون نزولهم للقتال والله
اعلم بحقيقة الحال وقوله ولتطمئن عطف على بشرى من جهة المعنى والمراد به مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع كما فى قوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه
فالمعنى الا لبشارتكم ولطمانينة قلوبكم وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة
ولا من المقاتلة او وما النصر بالملائكة وسائر الاسباب الا من عند الله تعالى و
المنصور من نصره الله تعالى ان الله عزيز منيع لا يغالب حكيم فى اقواله وافعاله

اذ يغشيكم

اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او منصوب بالنصر
او بما فى عند الله من معنى الفعل او بما جعله او باضمار اذكر وقرئ بالتخفيف من
اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل هو الله تعالى وقرئ يغشاكم بفتح الياء
ورفع النعاس من غشى والنعاس ابتداء حال النوم قبل الاستقلال امنة مفعول له
من جهة المعنى فان قوله يغشيكم النعاس تضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه
والامنة فعل لفاعله صفة لامنة اى امنا لكم حاصلا منه تعالى ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشى وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت
له امنة من الله تعالى لولاها لم يغشهم كقوله ❁ يهاب النوم ان يغشى عيونا ❁
تهابك فهو نفار شرود ❁ والمعنى تنعسون فى وقت كان ما بكم من الخوف ما نعا
من النوم فامنكم الله فنعستم لا منكم وقرئ امنة كرحمة وهى لغة فيه وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان
اى الجنابة فانها من تخييله ووسوسته اليهم وتخويفهم من العطش والجنابة وذلك
ان الشيطان تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المومنون فى كثيب
احمر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانتم تصلون محدثين مجنبين وقد عطشتم ولو كنتم
على الحق ما غلبكم هولاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع
العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فاشفقوا فانزل
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله
عنهم الحياض على عدوة الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا وتلبد الرمل
الذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت فيه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وليربط على قلوبكم اى يشدها ويقويها بالسكون وحسن الظن وزوال الاضطراب
والارتياب ويثبت به الاقدام اى فى مواقف الالتقاء للقتال والضمير فيه للربط
فان القلب اذا قوى باليقين والوثوق بالله تعالى يثبت القدم فى المعركة وحينئذ
يكون الثبوت من لوازم الربط ويظهر وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل

الكثيب الرمل تسوخ فيه الاقدام
اى تدخل وتغيب
نسخة

اشفقوا خافوا خوفا
شديدا
نسخة

عدوة الوادى جانبه
نسخة

تلبد الرمل التصق
واستحكم
نسخة

زمخشری بیضاوی

لعدم الفصل بين التطهير والاذهاب الملز من قبل هذا وقيل للمطر فانه يتلبد الرمل فلا يسوخ القدم فيه ويرد عليه انه حينئذ لا يكون الثبوت من لوازم الربط محققا ان يعاد فيه اداة التعليل اذ يوحى ربك الى الملائكة بدل ثالث او متعلق بيثبت انى معكم اعينكم فى تثبيت المومنين وهو مفعول يوحى وقرئ انى بالكسر اجراء للوحى مجرى القول فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا اذ لا اغاثة كالقاء الرعب فى قلوب الاعداء او نوع آخر من الاغاثة والرعب الخوف الذى يملاء القلب من قولهم رعب السيل الوادى اذا ملاءه او يقطع القلب من ترعيب السنام وهو تقطيعه فاضربوا فوق الاعناق اعاليها اى المذابح او الرؤس والمفاصل واضربوا منهم كل بنان اصابع اى الاطراف اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم وزاد فصنا عبارة كل المتعدد فى الاطراف والمراد استيفاؤهم بالتقطع امر الملائكة بان يقتلوهم او يجرحوهم على وجه لا يمتنعون على من قصدا سرهم فيه دليل على انهم قاتلوا ومن انكره قال قوله سالقى الى قوله كل بنان تلقين لهم معنى تثبيتهم كانه قال لهم قولوا للمومنين قولى هذا او تغيير للخطاب بان يكون فثبتوا الذين امنوا خطاب الملائكة والباقى خطاب المؤمنين ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اشارة الى ما اصاب الكفار من القتل و العقاب بسبب مشاقتهم لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهو ابلغ لدلالته على فظاعة الامر والمشاقة مشتقة من الشق لان كل واحد من المتعادين فى شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وكلاهما الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل ووعيد لهم بما اعد لهم فى الاخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا اى ذلك العذاب فى الدنيا بسبب المشاقة ومن شاقق فلا يقتصر على هذا فان الله شديد عقابه فى الاخرة والخطاب فى قوله ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات وهو رفع بالابتدا والخبر اى ذلكم العقاب او العقاب ذلكم او نصب بفعل يفسره قوله فذوقوه والفاء عاطفة اى ذوقوا ذلكم فذوقوه او باشروا قيل او عليكم ذلكم ولا وجه له لان عليكم من اسماء الافعال لا تضمر وهذه الجملة تاكيد وتقرير لما سبق لان الاولى دالة على استحقاقهم العذاب

واسماء الافعال

زمخشری

العاجل

العاجل مع العذاب الآجل ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة يسيرا سمى ما اصابهم فيه ذوقا لان الذوق يعرف بالطعم وهو يسير وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم رفعا ونصبا ويجوز ان يكون مفعولا معه على ان الواو بمعنى مع اى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع العذاب الآجل الذى لكم فى الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف ولما كانت النار اعدادها للكفار على ما نطق به قوله تعالى اعدت للكافرين صح تقديم الجار والمجرور المفيد لاختصاص عذابها المعد لهم يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا سمى بالمصدر فلا تولوهم الادبار كناية عن الفرار ولا يلزمه الانهزام على ما افصح عنه الاستثناء الآتى ذكره اى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا عن ان تدانوهم فى العدد والعددا او تساووهم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر لتغرير العدو وهو من باب خدع الحرب ومكايدها يخيل للعدو انه منهزم ثم يعطف عليه او متحيزا متحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين على القرب منه ليستعين بهم سوى الفئة التى هو فيها وبعضهم لا يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنهما انه قال خرجت سرية وانا فيهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ان دخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين او الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل والا كان متحوزا لانه من حاز يحوز يقال حاز الشئ اى ضمه وجمعه والحيز مجتمع القوم فيعل من الحوز والتحيز الانضمام اليهم والدخول فى جملتهم وهو تفعيل من الحيز والفئة الجماعة المنقطعة عن غيرها من الفاء وهو قطع الراس بالسيف وان جعل زحفا من المومنين يكون اشعارا لهم بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليه وتقدمة نهى فقد باء بغضب من الله اى استوجبه ومأواه جهنم هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم وقيل هذه الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب وبئس المصير هى اى جهنم

فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وامداد الملائكة والقاء الرعب فى قلوبهم
وتقوية قلوبكم وهو كالتعليل لما تقدم من النهى عن الانهزام بسبب كثرة العدو وروى
انه التقى الجمعان يوم بدر تناول الرسول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى بها فى
وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينه فانهزموا وردفهم
المومنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول القائل قتلت
واسرت فنزلت الاية صيانة لهم عن الاعجاب وتنبيها على ان الله تعالى هو الذى هيّأ
لهم هذه الاسباب وكذا الحال فى الخطاب الآتى ذكره وقيل الفاء جواب شرط محذوف زمخشري
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وبإياه عطف قوله
وما رميت تلك الرمية العجيبة يا محمد اذ رميت لانك لو رميتها لما زاد تاثيرها على
تاثير رمى البشر ولكن الله رمى حيث اثرت ذلك الاثر العظيم اثبت الرمية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذى لا يقدر
عليه البشر فعل الله تعالى فكان الله فاعلها على الحقيقة لا الرسول والفعل
قد يطلق ويراد به مسمّاه وقد يطلق ويراد به كماله والمقصود منه اى غايته مجازا
وليبلى المومنين ولينعم عليهم منه بلاء حسنا انعاما جميلا اى وللانعام على المومنين
ذلك الانعام العظيم بالنصرة والغنيمة ومشاهدة الايات فعل ما فعل وما فعل الا
لذلك ان الله سميع لدعائهم واستغاثتهم عليم باحوالهم ونياتهم ذلكم اشارة الى
البلاء الحسن ومحله الرفع اى المقصود ذلكم او الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين
معطوف على ذلكم اى المقصود بلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ ان بالفتح اى
ولان الله معين للمومنين كان ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا
اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان
تعودوا المحاربة نعد فى نصرته عليكم ولن تغنى ولن ترفع عنكم فئتكم جماعتكم
شيئا من الاغناء ولو كثرت فئتكم وان الله مع المومنين بالنصر والمعونة كذا قالوا
ويشكل هذا بيوم احد فانهم عادوا فيه للمحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل الخطاب

للمومنين

للمومنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التنازع فى
القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى التنازع
نعد بالانكار ولن تغنى عنكم كثرتكم حينئذ اذا لم يكن معكم بالنصر وان الله مع
الكاملين ايمانا ويؤيد هذا حسن الالتئام مع قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد الامر بطاعته
صلى الله عليه وسلم والنهى عن الاعراض عنه وذكر الله تمهيد لاختصاص
الرسول صلى الله عليه وسلم به تعالى كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وفيه تنبيه على ان طاعة الله وطاعة الرسول شئ واحد من يطع الرسول
فقد اطاع الله ويجوز ان يرجع الضمير فى عنه الى الامر بالطاعة اى ولا تتولوا
عن هذا الامر وانتم تسمعون اى تسمعونه وتسمعون القرآن والمواعظ
سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين
ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين
اصلا والمعنى انكم تصدقون القرآن والنبوة فاذا توليتم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور كقسمة الغنائم كان تصديقكم كلا تصديق
واشبه سماعكم سماع من لا يومن ان شر الدواب عند الله شر من يدب على
وجه الارض او شر البهائم الصم البكم الذين لا يعقلون قدم تفسيره فى سورة
البقرة جعلهم كالبهائم فى عدم انتفاعهم بالمشاعر والجوارح ثم جعلهم
شرها لابطالهم ما ميزوا به عنها وفضلوا به عنها ولو علم الله فيهم خيرا اى
شيئا من جنس الخير لاسمعهم سماع تفهم اى لا يسمعهم لانه لا يجدى فيهم نفعا
فقوله ولو اسمعهم لتولوا اى لم ينتفعوا به تقرير وتاكيد له فهو من قبيل
العطف على ما قبله باعتبار المعنى التولى قد يكون للتردد والتدبر فقوله وهم
معرضون تاسيس لا تاكيد يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا
دعاكم وحد الضمير لان دعوة الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم
وقصد التمهيد بإياه اعادة الصلة لما يحييكم من العلوم الدينية فانها
حياة القلب والجهل موت الجاهل ميت وان لم يدفن بنيته قبر وثوبه كفن وقيل

جهاد الكفار لانهم لو تركوا لغلبوهم وقتلوهم فهو سبب حيوتهم كقوله ولكم
في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم المراد بالاستجابة
الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه تحذير عن تاخير الاستجابة وزيادة واعلموا لمزيد التاكيد اي ان القلوب
بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء فعجلوا بالاستجابة قبل ان يحدث الله تعالى في
قلوبكم ما يشغلها عنها ويمنعكم عن الامتثال بالامر وقرئ بين المر بتشديد الراء
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من
يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم على التغير والتطهير من اعمالكم واحوالكم
قالبية كانت او قلبية وفيه زيادة تحذير عن التقصير بالتاخير واشير الى هذا
في قوله صلى الله عليه وسلم عجلوا بالصلوة قبل الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اراد بالفتنة الظلم الذي حتى يعم غير
الذين ظلموا والتنكير الدال على التكثير لا تصيبن جواب الامر اي ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين خاصة بل تعم الطالح والصالح ثم تكون للظالم عقوبة ولغيره كفارة والنون
لتضمنه معنى النهي والتاكيد بها للمبالغة في النهي ومن للتبعيض قال ابن عباس رضي الله
عنهما هذا في ترك الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب الفسقة بفسقهم وغير الفسقة
بتركهم الامر بالمعروف وهذه الفرقة ايضا وان كانوا مذنبين لكنهم ليسوا من الذين ظلموا
اي باشروا الظلم او نهي بعد امر كانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم
فيصيب العقاب او وبال الذنب من ظلم منكم خاصة او صفة لفتنة على ارادة القول
اي فتنة مقولا عندها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط ●
ومن على هذين الوجهين للتبيين وبعضد الاخير قراءة لتصيبن على جواب قسم محذوف
وفي تقييد الظالمين بمنكم في الوجهين الاخيرين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم
واعلموا ان الله شديد العقاب وعيد شديد وفي زيادة اعلموا مزيد تهديد واذكروا
واضطروا ابا لكم اول حالكم اذ انتم قليل قيل في اول الاسلام قبل ان تكملوا اربعين وقيل
قبل الهجرة والخطاب للمهاجرين مستضعفون في الارض مقهورون في ارض مكة
لم تقل ذليل مع ما فيه من حسن الازدواج بقليل تفاديا عن اطلاقه على من هو عز بعز الاسلام

وقيل

المذق هو خلط اللبن بالماء
ابن عبد

وقيل الخطاب لعامة العرب لانهم كانوا مغلوبين لاهل فارس والروم تخافون ان
يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء او التخطف الاخذ والانتزاع بسرعة
فاواكم الى المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار
بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقريش
يكون المعنى فاواكم الى الحرم ويؤيده قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم ورزقكم من الطيبات الغنايم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا
هذه النعم وعلى المعنى الاخر يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الخون النقص
كما ان الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في مقابلة الامانة والوفاء لانك
اذا خنت الرجل فقد ادخلت عليه النقصان ذكر الله تعالى للتمهيد وخيانتهم للرسول
صلى الله عليه وسلم بان يضمروا خلاف ما يظهرون او بالغلول في الغنايم روي انها
نزلت في ابي لبابة رضي الله عنه وقصته مذكورة في كتب التفاسير وتخونوا اماناتكم فيما بينكم
اي لا يصدر منكم خلاف ما هو من حكم الايمان جزم داخل في حكم النهي او نصب باضمار
ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم تخونون اي وانتم علماء تميزون الحسن
من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانها
سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة فلا يحملنكم حبكم على الخيانة كابي
لبابة رضي الله عنه وعليكم ان تحافظوا فيهم على حدود الله تعالى وهي من جملة ما نزل
فيه وان الله عنده اجر عظيم ان تؤثروا حب الله على حبهم وتزهدوا في الدنيا
ولا تحرصوا على جمع المال والولد وفي قوله عنده تشريف للاجر المذكور وبيان انه
مصون عن الضياع يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية
ونورا في قلوبكم وتوفيقا وشرحا لصدوركم تفرقون به بين الحق والباطل او نصرا
يفرق بين المحق والمبطل باعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه ومنه قوله تعالى
يوم الفرقان او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى
سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم صغار ذنوبكم اراد بالكفارة الازالة ولذلك
ولذلك قال عنكم وهي بالحسنات لقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم ذنوبكم

ارادة ان تشكروا وعند اهل
السنة ان تشكروا ولعل بالله
تعالى للترجية لا للترجي ومن
هنا قال
كلمة للترجي

كبايرها والغفر الستر ضمنه معنى الرحمة ولذلك قال لكم وكنى به عن العفو والتجاوز
عنها وذلك بالاستغفار والشفاعة والله ذو الفضل العظيم باللطف الوافي في
الدنيا والاحسان الباقي في دار القرار لما عرفت ان العبد اعطى جزاء حسناته بازالة
سيئاته وكان ما وصل اليه من اللطف والاحسان فضلا من الله تعالى ووعده على
التقوى ايضا تفضل فاطلاق الاجر على ما وعده في مقابلته بطريق الاستعارة واذ يمكر
بك الذين كفروا ذكره صلى الله عليه وسلم ما مكر به قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة
الله تعالى عليه في انجائه من مكرهم وتسليطه عليهم اي واذكر وقت مكرهم بك و
تفصيله مذكور في كتب التفاسير ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك
بالضرب والجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك من
البيات او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون باخفاء المكايد له ويمكر الله
باخفاء ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة او يرد مكرهم عليهم او بمعاملة الماكرين معهم
حيث اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير
الماكرين اذ مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا قيل واسناد المكر الى الله تعالى للمزاوجة
والمشاكلة ولا يجوز اطلاقها عليه تعالى ابتداء لما فيه من ايهام الذم وكان هذا القائل غافل
عن قوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون واذا تتلى عليهم
اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم
اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم
قارعهم بالسيف فلم يعارضوه بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا
في باب البيان قيل هو قول النضر بن الحارث وهو كان موسوما بينهم بالنبل والفهم فكانه
اذا قال قاله كثير منهم واتبعوه عليه كما يفعله الناس اقتداء بعلمائهم ان هذا الا اساطير
الاولين ما سطره الاولون من القصص قد سبق ما يتعلق بالاساطير واذ قالوا اي واذكر
اذ قالوا وهذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا
اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اي ان كان القران حقا
منزلا فامطر علينا حجارة من السماء خاصة عقوبة لنا على انكاره والمراد التهكم واظهار

او يثخنون بالقتل والجرح ... اي [illegible] ووهنة

بيضاوى

اليقين

اليقين والجزم التام بكونه باطلا اغراقا في الانكار واظهار للجراة فيه جحد القرآن اولا
بان جعل مثل كلامهم وسماه اساطير الاولين ثم بالغ في الجحود بشبهة جعلها كالدليل
على بطلانه زاعما انه برهان وهو انه لو كان حقا لاستحق منكره العقاب لكنا لم نعاقب
بانكاره فلم يكن حقا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف
ان كان هو الحق الذي يدعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من انه كلام الله تعالى منزل
عليه لانه لم ينكروا كونه مطابقا للواقع كالاساطير وفائدة التقييد بكونه من السماء
مع ان الامطار لا تكون الا منها كونها حجارة مسومة للعذاب وهي السجيل فوضعت
حجارة من السماء موضعه ولهذا قال او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع من عذاب اليم سوى
اشارة الى ان السجيل نوع اليم من العذاب وما كان الله اي ليس في عادته
تعالى ليعذبهم وانت فيهم بيان لسبب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم و
اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم حال كون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم
غير جائز في الحكمة لان سنة الله تعالى جارية ان لا يستاصل قوما بالعذاب ما دام
نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون للعذاب اذا هاجر عنهم لدلالة قوله
وما لهم الا يعذبهم الله على اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو
معذبهم اذا فارقتهم وما كان الله معذبهم لما كانت كينونته صلى الله عليه وسلم فيهم
سببا لانتفاء تعذيبهم اكد خبر كان باللام على راي الكوفيين او جعل خبر كان الارادة
المنتفية على راي البصريين وانتفاء الارادة للعذاب ابلغ من انتفاء العذاب ولما كان
استغفارهم دون تلك الكينونة الشريفة لم يؤكد باللام فشتان ما بين استغفارهم وكينونته
صلى الله عليه وسلم فيهم وهم يستغفرون حال لقوله وانت فيهم والمراد باستغفارهم
اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو
استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم
الا يعذبهم الله وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم
يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين الى الهجرة واما احصارهم عام الحديبية فقد كان بعد قتل النضر ونظرائه
فلا انتظام له مع ما سيق الكلام له في هذا المقام وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره

تعليله [illegible] مرصدون اي يتعقدون ابعيد ومترقبون

مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء ان اولياؤه الا المتقون الذين لا يعبدون فيه غيره اى ما استحقوا الولاية
البيت وما حظ لهم منها الا انها مخصوصة بالمتقين من المسلمين ليس كل مسلم
يصلح لذلك فكيف بالمشركين من اعداء الدين ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية
لهم عليه نبه بالاكثر على ان فيهم من يعلم ذلك ولكن يعاند لما نفى عنهم ان يكونوا من ولاة
البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يوكد ذلك وان من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل
ان يكونوا اولياءه وما ذكر بقوله وما كان صلاتهم عند البيت من جملة موانع استحقاقهم
للولاية وموجبات استحقاقهم للعذاب كما ذكر بقوله وهم يصدون والمراد بصلوتهم ما
يضعونه موضعها ويسمونه صلاة وفيه من التهكم ما لا يخفى وقرئ صلاتهم بالنصب
على انه الخبر المقدم الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا
وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد او من الصيد على ابدال احد حرفى التضعيف
بالياء يعنى انهم يضعون الصفير والتصفيق موضع الصلوة ولهذا اورد قوله
فذوقوا العذاب بفاء السببية اى بسبب هذا الكفر ذوقوا وباله فى الدنيا والمراد
عذاب القتل والاسر يوم بدر والظاهر ان تكون اللام للعهد والمعهود ما ذكر فى قوله
او ائتنا بعذاب اليم او وضعهم المكاء والتصدية موضع الصلوة انهم كانوا يطوفون
بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يخلطون
عليه ويرون انهم يصلون ايضا بما كنتم تكفرون اتى بصيغة المضارع وزاد عليها
عبارة كنتم للدلالة على الاستمرار التجددى والمراد ما كانوا يفعلونه عند البيت
من المكاء والتصدية مكان الصلوة ولا يجوز ان يكون المراد من العذاب عذاب
الاخرة لان الفاء يأباه وذلك لان السببية للعذاب مطلقا قد استفيدت من الباء
والفاء انما تفيد اذا كان ذلك العذاب السبب بما ذكر معجلا ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله عن دينه واتباع رسوله نزلت فى المطعمين يوم
بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل
فى ابى سفيان استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب

وانفق

ومنه المكاء كانه سمى بذلك لكثرة مكائه وقوله المكاء هو طائر من طيور العرب كبير مليح الصوت ابن عبد ... المكاء بالمد والتشديد طائر مليح ... الصوت

من الاحابيش وهى جمع احبوش وهى الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة من الاحابيش وهو من التحبيش عراقى

وانفق عليهم اربعين اوقية وقيل فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر وقالوا لكل
من له تجارة فى العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا
فسينفقونها فائدة تكرار ذكر الانفاق ان مساق الاول لبيان الغرض منه والثانى لبيان
عاقبته ومآل امره وان غرضهم لا يحصل منه ويعقب الخيبة هذا ما قالوا ويأباه زيادة
السين فى الثانى وترتيبه بالفاء على الاول وكذا يأبى هذا الاخير حمل الاول على ما كان فى يوم
بدر والثانى على ما كان فى يوم احد فالوجه ان يحمل الاول على عزمهم على الانفاق
والثانى على وقوعه عن قريب متفرعا على ذلك العزم ثم تكون عليهم حسرة لاستلزام
انفاقهم الاموال ندامة وسرعة انقلابه اليها كان ذاتها تصير ندامة مبالغة والحسرة
غم بما انكشف من فوات استدراك الخطية وذكر الغم يسمى ندامة واصلها الكشف من
قولهم حسر عن ذراعيه والحاسر ضد الدارع ثم يغلبون ثم لا يبقى حالهم على الندم والحسرة
لفقد الاموال وفقدان الغرض حتى يصير اخر الامر الى المغلوبية التى هى ضد الحالة التى يقصدونها
فيرجون طلقا وان كان الحرب بينهم وبين المؤمنين قبل ذلك سجالا ومعنى ثم فى الموضعين
غاية بعد ما بين غرضهم فى الانفاق وبين ما يحصل منه ويقع بعده والذين كفروا اى الذين
ثبتوا على الكفر اذ اسلم بعضهم وحسن اسلامه الى جهنم خاصة يحشرون يجعولها بالسوق
من جهات متعددة وفائدة تقديم الجار والمجرور دفع وهم الفرار فى جمع اخر ليميز الله
الخبيث من الطيب اى الفريق الكافر من الفريق المؤمن ويجعل الخبيث اى الكافر
بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يجمعهم ويضمهم حتى يتراكموا كقوله كادوا يكونون
عليه لبدا اى لفرط ازدحامهم فيجعله فى جهنم جعل الكفار فى الانضمام والازدحام
والاجتماع فى النار شيئا متراكما كحطب مركب بعضه على بعض مجموع ملقى فى جهنم
مبالغة او المال الخبيث الذى انفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المال الطيب الذى انفقه المسلمون فى نصرته فيجمع الخبيث الذى انفقه المشركون فيجعله
فى جهنم من جملة ما يعذبون به كمال الكافرين واللام فى قوله ليميز على الاول متعلق بيحشرون
او يغلبون وعلى الثانى بيكون وقرئ ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز اولئك
اشارة الى الفريق الخبيث على الاول والى الذين كفروا على الثانى من قال والى المنفقين
وكانه غفل عن ان منهم من اسلم وحسن اسلامه هم الخاسرون الكاملون فى الخسران

بيضاوى

قوله تعالى يغفر لهم ما قد سلف قال في شرح السنة ان الكافرين اذا اسلموا لحسب لهم ما فعلوا من الخيرات في حال كفرهم ويثابون عليها وان ماتوا على كفرهم يكون جميع اعمالهم محبطة وذكر في ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله يجب ما قبله الجوهري الجب المقطوع جاربردي على الكشاف

لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا اى لمن بقي من كفار قريش بعد من قتل منهم ببدر واللام للتبليغ ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم لان الاسلام يجب ما قبله وقرئ بالتاء والكاف على الخطاب وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين تعليل للجواب اقيم مقامه والتقدير وان يعودوا انتقمنا منهم واهلكناهم فقد مضت سنة الاولين في انا انتقمنا منهم واهلكناهم بتكذيب انبيائهم عليهم السلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم الشرك ويكون الدين كله لله بان تضمحل الاديان الباطلة كلها ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عما يجب الانتهاء عنه والفاء للترتيب على ما تقدم فان الله بما يعملون بصير تعليل لما تضمنه الجواب من عدم التقصير في المجازاة تقديره فيجازيهم على الامتثال ولا يضيع لهم ثواب وقطعهم من التروك والاعمال وقرئ تعملون بالتاء على معنى فان الله تعالى بما تعملون من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصير يجازيكم عليه ويكون تعليقه بان انتهوا على الغيبة للتغليب اى انه بصير بعملكم وعملهم فينبئكم جميعا ويجازيكم كلا بحسب عمله ومن وهو ان انابتهم للتثبت فقد وهم وان تولوا عن الامتثال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فلا تبالوا بمعاداتهم وثقوا بولايته تعالى وفي زيادة اعلموا لتضمنه الدلالة على تنزيلهم منزلة الجاهل لنكتة خطابية تناسب المقام وتزيد في البلاغة درجة الكلام وفيه تهييج لهم على ذلك نعم المولى هو فلا يضيع من تولاه ونعم النصير فلا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا من شيء اى من اقل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط وتصدير الكلام بقوله واعلموا لزيادة الاهتمام فان لله خمسه دخلت الفاء في خبر ان لتضمن العموم الذى دل عليه ما في معنى الشرط وان لله في موضع رفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره فالحكم ان لله خمسه فالجمهور على ان ذكر الله تعالى تمهيد لذكر الرسول وما عطف عليه تعظيما وتخصيصا للمعطوفين به كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كانه قال فان خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به تفضيلا لهم على غيرهم

ولس

الشيخان اى ابو بكر وعمر رضي الله عنهما [illegible]

وليس المراد من قوله اعلموا مجرد العلم ليستوى فيه المؤمن والكافر بل العلم المستلزم للعمل فان المقصود بالذات من العلم اذا امر به هو العمل والعلم مقصود بالذات ان كنتم امنتم بالله هو متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى اجعلوا الخمس لله واجبا به للتقرب اليه فاقطعوا اطماعكم عنه واصرفوا الى حق عين من المخصوصين به واقنعوا بالاخماس الاربعة والحكم بعد باق الآن سهم الرسول يصرف الى ما كان يصرفه من مصالح المسلمين كما كان يفعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة الباقية وعند ابي حنيفة رحمه الله سقط سهمه صلى الله عليه وسلم بوفاته وسهم ذوى القربى لانهم استحقوه بالنصرة والمظاهرة حينئذ وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعند مالك يفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة والنصرة معطوف على بالله وقرئ عُبُدِنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار واليوم الاول بمعنى الوقعة والثاني بمعنى الوقت والله على كل شيء قدير حتم بصفة القدرة لانه تعالى اذل المؤمنين على قلتهم على الكافرين على كثرتهم ذلك اليوم اذ انتم اذ بدل من يوم التقى الجمعان بالعدوة الدنيا القربى يعني من المدينة والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقرئ بها والمشهور الضم والكسر وهم بالعدوة القصوى البعدى تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا وكذلك كل فعلى من بنات الواو تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير وقوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل نصب على الظرف وهو مرفوع المحل لانه خبر مبتدأ والجملة حال من الظرف قبله وفائدة التقييد به وتعيين مراكز الفريقين بيان للحالة الدالة على شوكة الكفار وعدة غلبتهم واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف شأن المسلمين وانبات امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وان ظفرهم بالعدو وغلبتهم في مثل هذه الحالة ليس الا بتأييد من الله تعالى ونصره ليعلموا ان الحول والقوة والقدرة كلها لله تعالى وان الفتح كان صنعا الهيا من خوارق العادات فيزدادوا ايمانا وثقة وذلك ان مركز المؤمنين كان ايضا رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا يمشى الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى ويقربه

قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي ولو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالهم
في الكثرة والقوة والشوكة وتمهد القدة وحالكم في القلة والضعف وعدم اسباب
الظفر لاختلفتم انتم تهيبا منهم ويأسا من الظفر عليهم وظنا بالمغلوبية ولكن دبر
الله تعالى لكم حيث وعد احدى الطايفتين مبهمة واخرجكم راغبين في العير واخرجهم
ليمنعوا غيرهم وسبب الاسباب وجمع بينكم وبينهم على هذه الحالة ليقضي الله امرا كان
مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا استعير الهلاك للكفر والحياة للاسلام
كما يستعير الموت والحياة للجهل والعلم اي ليكون كفر من كفر عن وضوح بينة حتى لا يبقى
عند الله تعالى معذرة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين بانه دين الحق الذي يجب
الدخول فيه والتدين به وذلك ان وقعة بدر كانت من الايات الواضحة التي من كفر
بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرى من حيي باظهار التضعيف لموافقة مستقبل
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه والجمع بين الوصفين
لاشتمال الامر على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا بدل ثان من يوم
الفرقان او نصب باضمار اذكر او بقوله عليم اي سميع باحاديث نفوسكم في كراهة القتال
عليم بتدابير اموركم وتسوية مصالحكم اذ يريكهم في نومك قليلا اراهم الله تعالى
اياه في رؤياه قليلا فاخبره اصحابه فثبتهم ذلك وشجعهم على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم الفشل ضعف من الوجل لم يقل لفشلت لانه صلى الله عليه وسلم كان
معصوما من النقايص فاسند الفشل اليه على طريقة التغليب رعاية لجانبي الكلام و
المقام ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الفرار والقرار والتنازع
الاختلاف الذي يحاول كل واحد منهما نزع الاخر صاحبه مما هو عليه ولكن الله سلم
انعم بالسلامة من الفشل والتنازع وعصمكم منهما انه عليم بذات الصدور
بما سيكون فيها من الجبن والجراءة والصبر والجزع وما يغير احوالها واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين
فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وقيل تصديقا لرؤيا الرسول وفيه نظر والضميران مفعولا
يرى وقليلا نصب على الحال ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه

الكلة

اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم
بعده حتى راوهم مثليهم ليفاجيهم الكثرة فتبهتهم وتكسر حدتهم وشوكتهم وذلك من
عظايم ايات تلك الوقعة وليس هذا التفاوت في الابصار مع تساوي الشروط الا خرق
العادة ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة
الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله
ترجع الامور فلا راد لقضائه ولا تغيير لتقديره يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم اي حاربتم
فان اللقاء مما غلب في القتال فئة الانقطاع معتبر في مفهوم الفئة اصلها من فأوت
راسه بالسيف اذا قطعته والجماعة المنقطعة عن المؤمنين كفارا او بغاة ومن لم
يقف على هذه الدقيقة الانيقة قال ولم يصفهم لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له تعالى مستظهرين بذكره ومترقبين لنصره
لعلكم تفلحون تظفرون بالنصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان يداوم على ذكر
الله تعالى خصوصا عند الشدايد ليجتمع همه ولا يتوزع باله ويتشجع قلبه ويطمئن بالتوجه
نحوه ويستمد منه فيثبا بدو يستظهر بقوته وحوله واطيعوا الله ورسوله باتفاق الكلمة
ولا تنازعوا باختلافها تنازعكم باحد فتفشلوا نصب باضمار ان او جزم داخل في حكم
النهي وقرى وتذهب ريحكم بالتاء والنصب عطفا على الاول وبالياء والجزم على الثاني
اي تذهب دولتكم على ان الريح مستعارة للدولة شبهت في تمشي امرها ونفاذه بالريح في
جريها وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا آلت اليه الدولة ومنه قول علي رضي الله عنه
ولا خير في ود امرئ متلون اذا الريح مالت مال حيث تميل وقيل ذهاب الريح على ظاهره
فانه لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
يعني قريشا حين خرجوا لحماية العير بطرا البطر سوء احتمال الغنى ومن اثاره الفخر و
الاشر ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة نزلت في ابي جهل واصحابه
خرجوا من مكة لنصرة العير بالقينات والمعازف فنهى الله تعالى المؤمنين ان يكونوا مثل
هؤلاء بطرين طربين مرائين باعمالهم وبالزمه الامر بالتقوى والاخلاص بناء على ان النهي
عن الشيء يستلزم الامر بضده واما ما قيل وذلك انهم لما بلغوا جحفة واتاهم رسول

بيضاوی کتاب

ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها
الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس
المنايا وناحت عليهم النوايح فلا يصلح وجها لخروجهم من مكة بطرين ومرائين بطرا ورياء
نصب على الحال والمفعول لهما ويصدون عن سبيل الله عطف عليهما حالين مطلقا و
مفعولا لهما على تاويل المصدر اى وصدا عن سبيل الله والله بما يعملون محيط اى عالم به
فيجازيكم عليه وعيد وتهديد لمن بقي من الكفار واذ زين لهم الشيطان منصوب باذكر اعمالهم
التي عملوها في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم خبر لا غالب اى كائن
لكم وصفته وليس صلة بمعنى لا غالب اياكم والا لكان منصوبا كقولك لا ضاربا زيدا عندنا
اليوم من الناس واني جار لكم والجار هو المجير الذي يعطي الخائف الامان روى عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين تخوفوا من بني بكر بن كنانة اذ كانوا قتلوا منهم قتيلا
فلم يامنوا يوم خروجهم الى بدر ان ياتوهم من ورائهم فتصور لهم ابليس بصورة سراقة بن
مالك وهو من بني بكر وقال انا جاركم من بني بكر فركنوا الى قوله وساروا وهو معهم حتى اذا التقى
المسلمون والكفار اسلمهم شر مسلم وتبرا منهم ولما نكص على عقبيه اخذ الحارث بن هشام
بيده فقال أعلى هذه الحالة تخذلنا قال اني ارى ما لا ترون قال الحارث والله ما نرى
الا جواسيس يثرب قال اني اخاف الله قال الحارث فهلا كان هذا امس فدفع صدر الحارث
وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فقال
بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا
اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان وزعم بعضهم ان التزيين
في هذه الاية وما بعده من الاقوال انما هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس ولا يخفى ضعفه
فان قوله واني جار لكم ليس مما يليق بالوسوسة وكذا النكوص على عقبيه وما بعده من الاقوال
ليس مما يليق بها فلما تراءت الفئتان تفاعلت من الرؤية اى راى كل من الفريقين الاخر
وهذه الحالة قبل الالتقاء نكص الشيطان اى رجع القهقرى خوفا مما يرى وزيادة قوله
على عقبيه بيان انه انهزم على اسوء الاحوال وقال اني بريء منكم اى رجعت عما كنت ضمنت
لكم من الامان اني ارى ما لا ترون تعليل للبراءة قال حين راى امداد المسلمين بالملائكة كان يقول
اني كنت مجيرا لكم من الناس وضمنت لكم الغلبة عليهم وارى ما ليس من جنسكم جاء لمحاربتكم

اني

كشاف

اني اخاف الله اي اخاف عقابه على ايدي من اراهم ولا ترونهم انتم قال قتادة وابن الكلبي ان
هذه معذرة كاذبة ولم تكن به مخافة وقال الزجاج وغيره بل خاف مما راى من الامر و
هوله انه يومه الذي انظره الله تعالى اليه والله شديد العقاب لا يرد عقابه بشيء ولا يقاوم
والظاهر انه من كلامه اذ على تقدير كونه مستانفا يكون تقريرا للمعذرة ولا يقتضيه المقام فيكون
فضلة في الكلام اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض والذين ليسوا بثابتي
الاقدام في الاسلام بل كانوا على حرف وعن الحسن هم المشركون ويحتمل ان يكون صفة
للمنافقين والواو للجمع بين الصفتين اى المجامعون بين النفاق والشرك كقولهم هو
الغيث والليث غر هؤلاء اى المسلمين دينهم حيث وثقوا به وتعرضوا لما لا يدا لهم به يخرجوا
وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب
لا يذل من استجار به وان قل ويتسلط بتاييده على الكثير القوي حكيم يفعل بحكمته ما
يستبعده العقل ويعجز عن دركه ولو ترى ولو رايت فان لو ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد
الماضي مضارعا وانما عدل عن الماضي الى المستقبل لتصوير الحال الماضية بالاستحضار استفظاعا
لها اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى
الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة تتوفى بالتاء والاصل في التانيث
التوفيق بينهما مهما امكن فلا وجه لما قيل ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتداء
خبره يضربون في وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن
الواو وهو على ما ذكرنا حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم
واستاههم وتخصيصهما بالضرب لكون الخزي والنكال في ضربهما اشد ويجوز ان يكون المراد
تعميم الضرب لما اقبل منهم وما ادبر وحذف جواب لو للتفظيع والتهويل اى لرايت امرا
عظيما لا يمكن وصفه وذوقوا عذاب الحريق اى ويقولون ذوقوا عذاب النار فان الحريق اسم
النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار ذلك الضرب والعذاب بما
قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك يحتمل ان يكون من كلامهم
وان يكون من كلام الله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد جملة حالية لتقرير ما فهم مما سبق
من ان ما يفعل بهم انما يفعل جزاء بما كسبوه فيكون عدلا محضا ولو قيل ليس بظالم لكان
ابلغ والعدول عنه الى صيغة المبالغة للتنبيه على ان شانه تعالى يقتضي ان يكون كل وصف يثبت

اى ويقولون له ذوقوا الاحتياج الى هذا التقدير
ليس لمجرد دفع عطف الانشاء على الاخبار بل
لان المعنى عليه لان ذوقوا من كلام الملائكة لعطف
ان الكلام في ذلك بما قدمت ايديكم حيث يحتمل ان
يكون من كلام الله تعالى لقصد الاستحقار او في وفيه
نظر اذ هذه الاحتمالات انما هو في قوله وذوقوا
عذاب الحريق بل هو الموافق لقوله تعالى في
آل عمران ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما

بيضاوى

له تعالى بالغا الى حد الكمال ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة زعم ان لاجل العبيد ولم يدر
ان ما قيل ان الله ليس بظلام للعبيد اصلا ونفى مبالغة الظلم لا يستلزم نفى اصله بل ربما
يوجب اثباته بدليل الخطاب ورجوع النفى الى العبيد لا يندفع بما ذكر اذ المعنى حينئذ نفى
ظلمه تعالى عن الكل ولا يلزمه نفيه عن كل واحد فان رفع الايجاب الكلى لا ينافى الايجاب

كشاف

الجزئى وقيل ان الله عطف على ما قدمت اى ذلك العذاب بسببين بسبب ما كسبوا
وبسبب ان الله ليس بظلام لان تعذيب الكفار من العدل ويرد عليه انا سلمنا ذلك لكن
ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم بل فضل فلا ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وقيل
ان العطف المذكور للدلالة على ان سببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكنه ان يعذبهم
بغير ذنوبهم وفيه ان الحاجة الى ما ذكر لانحصار السببية فيما كسبوا بحيث لا يكون
التعذيب بسبب آخر محتملا وذلك غير مستفاد من الكلام وليس بمقتضى للمقام كداب آل
فرعون الكاف فى محل الرفع اى دأب هؤلاء مثل دأب ال فرعون والدأب العادة والعمل
الذى دأبوا فيه اى واظبوا عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله
تفسير لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوى لا يغلبه شئ شديد
العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان
الله تعالى لم يك مغيرا ابدا نعمة انعمها على قوم بالنعمة حتى يغيروا يبدلوا ما
بانفسهم ما بهم من الحال الى حال اسوء منها كما بدلت قريش حالهم فى صلة الرحم و
عدم التعرض للايات والرسل وان كانوا كفرة لان الكفر لا يمنع النعمة الدنيوية بقوله
تعالى ومن كفر فامتعه قليلا بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تابعه وايذائهم و
السعى فى قتلهم والاستهزاء بالايات الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث فبدل الله تعالى
ما انعم به عليهم من الامهال وحسن الحال فى العاجل وعاجلهم بالعقاب اى سنة الله تعالى
جارية بان يغير نعمته على ما انعم عليهم عند تغييرهم حالهم فالسبب مفهوم ما ذكر لا
منطوقه واصل يك يكون فلما دخلها لم جزمتها فالتقى ساكنان فحذف الواو فبقى لم
يكن ثم لما كثر استعماله حذفوا النون تخفيفا فاذا تحركت اثبتوها قالوا لم يكن الرجل كذا
قال الجوهرى والذى ذكره ليس بحتم فان النون قد ثبتت عند السكون كما فى قوله تعالى
وان يكن ميتة وقوله لم اكن لاسجد وان الله سميع لا قوالهم عليم بافعالهم واحوالهم

كذاب

كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم تكرير للتاكيد وفى تغيير ه
زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق لما فى لفظ الرب المضاف اليهم من الاشعار
بكونه منعما عليهم وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب
تغييرهم ما بانفسهم وفيه انه لا مساعدة للتخصيص المذكور لا من جهة العام ولا من جهة
نظم الكلام فاهلكناهم اى عاجلا بذنوبهم على العموم دلالة الباء على السببية المطلقة
والسببية للعذاب العاجل انما تستفاد من الفاء واغرقنا ال فرعون على الخصوص وفيه
بيان للاخذ بالذنوب وفى قوله وكل كانوا ظالمين اشارة الى ان سبب الاخذ بالذنوب
ظلمهم وفيه تقرير لقوله وان الله ليس بظلام للعبيد اى المشهود الذين هم قتلى قريش
والمشبه بهم الذين هم ال فرعون والذين من قبلهم كلهم كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى
فتسبب شدة ظلمهم لعقابهم فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا اى اصروا على الكفر ورسخوا فيه لان مجرد الكفر لا يصح الاخبار عنهم
بعدم الايمان فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم الايمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم معنى
الفاء السببية التنبيه على ان كفرهم فى الرسوخ بحيث يوجب انتفاء صدور الايمان منهم
الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا بدل الكل او البعض للبيان والتخصيص وهم يهود
قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح
وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة
فحالفهم وانما قال منهم لتضمن المعاهدة معنى اخذ الميثاق والمراد من المرة فى قوله ثم ينقضون
عهدهم فى كل مرة مرة المعاهدة او المحاربة وانما كانوا شر الدواب لان نقض العهد خروج
عن المروة والانسانية فخالفوا مقتضى فطرتهم بالكفر ونقض العهد الاول الفطرى فانحطوا
عما جبلوا عليه ثم اصروا على ذلك ثم نكثوا العهد الظاهر فكانوا شر الدواب لكونها على
ما جبلت عليه وهم لا يتقون عاقبة الغدر ولا يبالون بوخامتها فى الدنيا والاخرة
من العار والنار فاما تثقفنهم فى الحرب وتظفرن بهم اى بقتلهم شر قتلة والثقف
الادراك بسرعة فشرد بهم من خلفهم اى فنكل هؤلاء تنكيلا يكون سببا لشرود من ورائهم
خوفا منك والتشريد التفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر
وقرئ من خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد فى الوراء لعلهم

قوله وقرئ فشرذ بالذال المعجمة عن ابن مسعود وكذا عن الاعمش قد كانه مقلوب شذر قال ابن جنى لم يمر بنا فى اللغة تركيب شذر وكان الذال بدل من الدال كما قالوا لحم خراذل وخرادل [illegible] على التقارب

لعل المشردين يذكرون يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة بامارة تلوح لك الخيانة نقض عهد فيما اليمين عليه فانبذ اليهم النبذ القاء الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب انه حرب على سواء استواء حال من النابذ والمنبوذ اليهم اى الق اليهم الخبر انك نقضت العهد الذى بينك وبينهم لتكونوا انتم وهم فى العلم بالنقض على استواء اى مستوين فيه ولا تحاربهم قبل الاعلام فانه خيانة ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرئ ولا يحسبن بياء الغيبة والفاعل ضمير يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم او على السامع والمفعول الاول الذين والثانى سبقوا وقيل اصله ان سبقوا فحذفت ان كما فى قوله ومن اياته يريكم البرق ودليله قراءة ابن مسعود رضى الله عنه انهم سبقوا وهذه القراءة لم ينفرد بها حمزة كما توهم بل وافقه ابن عامر و عاصم فى رواية حفص عنه انهم لا يعجزون تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالكسر على انه تعليل على سبيل الاستيناف والمراد الازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وعن الزهرى انها نزلت فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضى العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا والمراد انه اقواها ومن رباط الخيل الرباط شد ايسر من العقد يقال ربطه يربطه ربطا ورباطا وصار اسما للمربوط الا انه لا يستعمل الا فى الخيل فالاضافة باعتبار عموم المفهوم الاصلى ويحتمل ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على قوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون الارهاب ازعاج النفس بالخوف به اى بما استطعتم او بالاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله

يوف

قوله يعرفهم فيه انهم صرحوا بانه لا يطلق عارف على الله تعالى لاقتضاء المعرفة سبق الجهل قاله سعدى فى حاشيته على البيضاوى كتب مولانا الاخ على ما وجد فى نسخة البيضاوى بخطه

قوله وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو الحرب فانه مونث سماعى وحمل النقيض على النقيض فى بعض الاحكام شايع مستفيض وقيل تانيث السلم سماعى ايضا وقيل بتاويل المسالمة قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع سنان افندى

يوف اليكم جزاؤه وفى عبارة يوف بعد بيان ما ينفق بقوله من شىء اشارة الى انه وان كان قليلا فجزاؤه جليل وانتم لا تظلمون بتضييع العمل قيل او نقص الثواب ومبناه على استحقاق العبد بالعمل للثواب وقد عرفت ما فيه فى تفسير والله ذو الفضل العظيم وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وتعديته باللام والى للسلم للصلح او الاستسلام فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو الحرب وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك منه ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم واحوالهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك بالصلح فان حسبك الله حسبك بمعنى محسبك وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين اى بجماعة المؤمنين واتفاق كلمتهم على ما دل عليه قوله والف اى اوقع التاليف بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة بعد ما كان فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شىء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان كما بينه بقوله لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لا يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج وكان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغاين ويديم التحاسد وكان كل من الطايفتين يتجنب ما اثرته الاخرى ويكره ما احبه فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى توافقوا على الاسلام والطاعة وتصادقوا وتصافوا وتحابوا وصاروا انصارا لك وذلك من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اى كفاك الله تعالى وكفى اتباعك من المؤمنين ناصرا او كفاك الله تعالى وكفاك المؤمنون على ان من اتبعك فى محل النصب على المفعول معه كقولك حسبك وزيدا درهم والرفع عطفا على اسم الله تعالى نزلت فى البيداء فى غزوة بدر وقيل نزلت عند اسلام عمر رضى الله عنه يا ايها

قال الجرجاوى عبد الرحمن بن حسان فى هجو بنى امية بن عمرو بن سعد من الاوس الاعلاب بن حتيم منصورة على الاطلاق وانما ذكرت انى وجدت ان بعده فتقنعوا المكارم مرة فلعلها انتزعت اى حسبكم وان تلبسوا فاعله وحر الثياب بضم الخاء والراء المهملة وهو الحرير والانا عنه تجنبها وتشبعوا من الاحسان ويروى اى فلوا وتقنعوا تاى فى ذكره وسكره من الحيا

البنى حرض المومنين على القتال التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو أنْ
ينهكه المرض حتى يشرف على الموت وقرئ وحرص بالصاد المهملة من الحرص إن يكن
منكم عشرون صابرون على القتال يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة عليه
يغلبوا الفا من الذين كفروا تكرار المعنى الواحد بالاعداد المناسبة فى المقاومة
للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد وشرط فى الوعد والبشارة بغلبة الجماعة
من المومنين على عشرة امثالهم من الكفار الصبر حتى يويدهم بعونه ونصره ثم
قال بانهم قوم لا يفقهون اى بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يقاتلون لله و لا
يثبتون ثبات المومنين الذين يبتغون بالقتال فلا يستحقون النصرة والمعونة لكون
دواعيهم منبعثة عن الهوى والشيطنة واستحق الهوان والخذلان لتوليهم الشيطان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا كان فى اول الامر لخواص اصحاب البنى صلى الله
عليه وسلم زيادة استبصار وقوة قلب حتى لقى حمزة رضى الله عنه ثلثين راكب
ابا جهل فى ثلثمائة راكب فلما اختلط بهم ساير الناس وفيهم من يكون به حب الاهل
والولد والمال وانه يضعف القلب عن مقاومة الكثير من الكفار خفف عنهم مقاومة
الواحد الاثنين فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله بتقديره وتيسيره والله مع الصابرين بالنصرة والمعونة
فكيف لا يغلبون فى ضمن الاية مبالغة فى شدة المطلوبة ولكونهم اعم وا ثبت فى
اولى حالتى التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ما كان لنبى اى ما
صح له وما استقام وقرئ للنبى على العهد ان يكون له اسرى وقرئ تكون بالتاء و
قرئ اسارى حتى يثخن فى الارض اى يضعف الكفر ويذله باشاعة القتل ويعز
الاسلام بالقهر ثم يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا لما كثر المسلمون وضرب له الامثال
لجرانه نزل فاما منا بعد واما فداء من اثخنه المرض اذا اثقله واصلها الثخانة
وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفدا والله
يريد الاخرة لكم اى ثواب الآخرة او سبب نيله من اعزاز دينه وقمع اعدائه و
قرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد
بالليل نارا ° والله عزيز يغلب اوليائه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال و

يخصه

يخصه بها كالامر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير
بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين وروى انه صلى الله عليه
وسلم أتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال
ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها
اصحابك وقال عمر رضى الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر فان الله تعالى اغناك
عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن حمزة وعليا من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله عز وجل ليلين قلوب الرجال
حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة و
ان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فخير اصحابه رضى الله عنهم فاخذوا الفداء فنزلت قيل فدخل عمر رضى الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال
ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة وفيه انهم ما اخذوا الفداء الا بعد تخييرهم صاحب الشرع فلا يستحقون العذاب
وفيما ذكر ما يفصح عن استحقاقهم اياه ثم ان المذكور فى سبب النزول صريح فى انه
صلى الله عليه وسلم استشار بعض اصحابه رضى الله عنهم واخذ براى ابى بكر رضى الله عنه
فى القضية المذكورة فلا دلالة فى الاية المذكورة على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون
وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقررون عليه لولا كتاب حكم وقضاء من الله سبق اثباته
فى اللوح اى لا اعذب الا بعد النهى لعذبتكم فيما صنعتم ولم يكن نهاهم وان الفدية
التى اخذوها تحل لهم قال الحسن رحمه الله ان الله تعالى اطعم هذه الامة
الغنيمة وانهم اخذوا الفداء من اسارى بدر قبل ان يومروا به فعاتب الله تعالى
ذلك عليهم ثم احله لهم او ان لا يعذب اهل بدر لمسكم المس اصابة يتاثر منه
البشر فيما اخذتم بسبب ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لما نزلت هذه امسكوا
عن مد ايديهم الى شئ من الغنائم فنزل فكلوا مما غنمتم الفاء للتسبب والسبب

محذوف تقديره احللت لكم الغنائم فكلوا وفي عموم ما غنمتم يدخل الفدية لانها
من جملة الغنائم واذا كان تقدير الكلام ما ذكر لا يكون فيه متمسك لمن زعم ان الامر
الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم بسبب العتاب ولذلك وصفه بقوله طيبا لبيان
انه لا تبعة فيه فان الحلال قد يكون مكروها فاذا وصف بالطيب لا يبقى هذا الاحتمال
واما الاباحة فلا يجامعه الكراهة فالمباح اخص من الحلال ومن هيهنا تبين ان حق
المقدار ان يكون احللت دون ابحت ويجوز ان يكون الفائدة ما وقع في نفوسهم بسبب
حرمة الغنائم على الاولين وفيه انه صلى الله عليه وسلم بعد ما رخص وخير بين القتل نهام
والفداء لا وجه لان يبقى في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا بعد ما اقدموا على اخذ
الفداء وعلوا بموجب الرخصة واتقوا الله في الاقدام على ما لم يعهد لكم فيه حكم ان
الله غفور غفر لكم رحيم اباح لكم ما اخذتم ولا يخفى لطف موقع هذا الكلام وحسن
انطباقه بمقتضى المقام فان في الامر بالاتقاء ما يسبق الى الاوهام من بقاء التبعة
وشيء من الاثام فيما صدر عنهم من الاقدام والالتزام يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في
ملكتكم كان بيديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى امر النبي
صلى الله عليه وسلم باستمالة الاسارى الذين اخذ منهم الفداء ترغيبا لهم في
الاسلام ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اخلاصا في الايمان وصدقا في النية يؤتكم
الله خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا اخلافا واما في الاخرة اثابة روي انها
نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما
بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها
اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله
وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي قال اشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها
في سواد الليل قال العباس رضي الله عنه فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا
ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل

مكة

مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان
يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه
الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم فامكنك منهم اي فاقدرك عليهم يعني يوم بدر وهم
صناديدهم ورؤساهم فكيف بعد ذهابهم بالقتل فان اعادوا للخيانة فيمكنك منهم
والله عليم بالاحوال حكيم في الافعال ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هجروا
اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها
في المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا اي اووا المهاجرين الى
ديارهم ونصروا ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث
وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل بالنصرة والمهاجرة والذين امنوا في ذكر امنوا هيهنا دون
الثاني لان قوله اووا يغني عنه بخلاف قوله ولم يهاجروا بل يوهم خلافه ما لكم من ولايتهم
من شيء اي من توليهم في الميراث حتى يهاجروا وقرئ ولايتهم بالكسر تشبيها للتولي بالعمل
والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا فان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير تحذير من تعدى
حد الشرع في الموالاة وتركها والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بين
الكفار والمراد نهي المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم لان الموالاة بينهم مرتبة على التناسب
في الكفر كترتبها بين المومنين على التناسب في الايمان فالمفهوم عدم الموالاة حيث لا تناسب
فيلزم انتفاء موالاة المومنين والكافرين في التوارث ووجوب مصارمتهم ومباعدتهم وان
كانوا الاقارب الا تفعلوه ان لم تمتثلوا ما امرتكم به ولم تتركوا موالاة الكفار ولم تفضلوا
نسبة الايمان على نسبة القرابة واخوة الاسلام على اتصال اللحمة ولم تقطعوا العلايق بينكم
وبين الكفار ولم تجعلوا القرابة فقط تكن فتنة تحصل فتنة في الارض عظيمة هي ضعف
الاسلام وقوة الكفر وفساد كبير في الدين لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على
الكفرة لم يتم الدين وازداد الفساد وكبر وقرئ كثير اكتفى بالتنكير في توصيف الفتنة
بالكبير للتنبيه على انه لا يبقى به العصر والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في

سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا لما قسم المومنين ثلثة اقسام
بيّن ان القسمين الاولين المتواصلين هم الكاملون فى الايمان الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق واثنى عليهم ووعدلهم الموعد
الكريم مخصوصا بهم ومن لحقهم حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم اى مغفرة عظيمة
ونوع من رزق لا تبعة ولا منة فيه والتخصيص مستفاد من تقديم الجار والمجرور
والاية الاولى للتواصل بينهم والموالاة وهذه لبيان فضلهم فلا تكرار والذين
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم من جملتكم ايها الحريصون
المهاجرون والانصار اى حكم اللاحقين بهم المتسمين بسمتهم حكم السابقين الى
الهجرة وكمال الايمان والموعد جعلهم منهم ترغيبا لهم وتكريما واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض فى التوارث من الاجانب فى كتاب الله فى حكمه او فى اللوح
المحفوظ او فى القران وهو اية المواريث واستدل بها على توريث ذوى
الارحام ان الله بكل شئ عليم فيعلم الحكمة فى التوريث بنسبة الاسلام و
المظاهرة اولا ثم بنسبة القرابة ثانيا نحمدك اللهم يا عزيزيا فعال على تمام
تفسير سورة الانفال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحابته اجمعين
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

سورة التوبة

هى آخر ما نزلت ولها اسماء أخر منها
سورة التوبة وعن حذيفة رضى الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانها سورة
العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه قيل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا انزلت
عليه اية او سورة يُبيّن موضعها وتُوفّى ولم يُبيّن موضع هذه السورة وكانت
قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى البراءة
نبذها فقرن بينهما وهى سابعة السبع الطوال او سورتان فتركت بينهما فرجة ولم تكتب
بسم الله رعاية للاحتمالين ومن قال انما تركت التسمية بينهما لانها نزلت لرفع الامان
وبسم الله امان فكانه غافل عن انها توقيفية لا دخل للرأى فى اثباتها وتركها براءة
مبتدأ لانها موصوفة بقوله من الله ورسوله اى حاصلة منهما خبره الى الذين عاهدتم
اى واصلة اليهم ويجوز ان تكون براءة خبر مبتدأ محذوف اى هذه براءة وحينئذ

لاحاجة

لاحاجة الى تقدير حاصلة بل يكفى تقدير واصلة اى براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم والعهد العقد الذى يتقدم به لتوثيق الامر به واظهار ما ذكر فى صورة
الاخبار وهو امرٌ فى الحقيقة للمبالغة فى مبادرته صلى الله عليه وسلم الى الامتثال
للاوامر الواردة وذكر الله تعالى تمهيد كما فى قوله تعالى لا تقدموا بين يدى الله و
رسوله تعظيما لشانه صلى الله عليه وسلم واشعارا بانه من الله تعالى بمكان يوجب
اجلاله وانما نسب البرآءة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعاهدة الى المسلمين
لشركتهم فى الثانية دون الاول من المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب
فانهم نكثوا العهد الا ناسا منهم من بنى ضمرة وبنى كنانة فامر الله تعالى المسلمين
بنبذ العهد الى الناكثين منهم فسيحوا السيح السير على مهل والجرى على انبساط
ولا يخفى حسن موقعه هنا وفيه تلوين الخطاب من صورة الخبر الى الامر الظاهر
ونقله من مخاطب الى آخر بلا فصل بينهما باداة الندا وهذا جائز عند عدم الاشتباه
كما فى قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك فلا حاجة الى تقدير القول
ولا بعد فى ترتب الثانى على الاول كما فى قول الحماسة ولا تقبرونى ان قبرى
محرم عليكم ولكن ابشرى ام عامر وانما زيد قوله فى الارض تعميما للاذن و الا
فمعلوم ان السيح لا يكون الا فى الارض اربعة اشهر امهلهم اربعة اشهر ليسيروا
فيها على مهل آمنين اين شاؤا وهى الاشهر المرادة بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم على
ما ياتى بيانه باذن الله تعالى وقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت
فى شوال سنة تسع من الهجرة كان صيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها واجبة
قوامها النزول وقيل عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع
الاخر لان التبليغ كان يوم النحر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم
او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها ويرد عليه انه لا دلالة فى كون التبليغ العام
على رؤس الانام يوم النحر على ما ذكر اذ يجوز ان يكون النزول قبله فائدة التبليغ
بالاعلان والاشاعة روى انه لما ضرب بهم مدة قالوا نسيح فى المدة على امان ثم نحتال
ثم نمتنع فنزل قوله واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان امهلكم تهديد وزيادة
اعلموا للتشديد وان الله مخزى الكافرين لا خزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار اى

مُذلّهم بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة وضع الظاهر موضع الضمير في الموضعين
اما في الاول فللتفخيم ام الخزي واما في الثاني فللدلالة على ان الكفر هو الموجب له وكذا في
بشر الذين كفروا واذان من الله ورسوله الاذان فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا قيل
معناه النداء بالامام الذي يسمع بالاذن ورفعه كرفع براءة على الوجهين والواو عاطفة
للجملة على الجملة الى الناس لما كانت البراءة مخصوصة بالمعاهدين والايذان بها للعموم
علق الاخبار بالبراءة بالمعاهدين والاخبار بالايذان بذلك بالناس يوم الحج الاكبر يوم
العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان التبليغ كان فيه ولما روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وتوصيفه
بالاكبر لان العمرة حج اصغر او لان المراد من الحج اعماله وما يقع فيه اكبر من سائر ما في الاعمال
او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين واما الموافقة لاعياد سائر الملل فلا ينبغي
ان يعبأ به في تعظيم حجنا ثم ان التوصيف المذكور قد ورد في حجة الوداع ايضا ولا موافقة
ثمة ان الله اي بان الله حذفت الباء وهي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر
اجراء للاذان مجرى القول بريء من المشركين من اقوالهم وافعالهم واحوالهم ويندرج
فيها عهودهم اندراجا اوليا ورسوله عطف على المستكن في بريء من غير تاكيد للفصل
او على محل ان المكسورة واسمها بلا فصل باداته وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
على ان الواو بمعنى مع ويجوز ان يكون مبتداء محذوف الخبر اي ورسوله كذلك فان تبتم
تفريع على فهم ما تقدم من كون الشرك من اثاره سببا للبراءة المذكوره وفي هذا التفريع
غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو اي التوب خير لكم في الدنيا والآخرة وان توليتم اعرضتم
عما دعيتم اليه فاعلموا انكم قد مر ان الخطاب اعلموا في مثل هذا المقام للتهديد في
الوعيد غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تتخلصون منه هربا وبشر الذين
كفروا الامر بالبشارة عام لكل من يقدر عليها وفيه تلوين الخطاب بعذاب اليم
في الآخرة الا الذين عاهدتم استدراك من قوله براءة من الله ورسوله بحسب
المفهوم كانه قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد غير اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ولم
ينقضوا عهدهم لا تجعلوهم في حكم الناكثين الذين لا خصة لهم في امهالهم عن
المدة المذكورة ولا يضره تخلل الفاصل اعني قوله واذان من الله الخ لانه ليس باجنبي

بالكلية

بالكلية لكونه امرا بالاعلام معنى كانه قيل واعلموا ان الله بريء منهم قيل استثناء
من فسيحوا ومبناه على تقدير القول بين الفاء ومدخوله وقد عرفت انه تكلف
مستغنى عنه وقيل استثناء من المشركين ورد بانه يلزم ح تخلل الفاصل بالاجنبي
موسعا فانه لعموم المشركين في قوله ان الله بريء من المشركين والعدول في قوله من
المشركين من المضمر الى الظاهر لطول العهد والتنبيه على ان المشركين اذا قارنه الوفاء
بالعهد لا يؤثر في النبذ ولا يخفى ما فيه من التفخيم لشان الوفاء ثم لم ينقصوكم شيئا من
شرايط العهد وفي عبارة ثم اشارة الى انهم لم يفعلوا ذلك مع تمادي العهد ولم يظاهروا
اي ولم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم تفريع على ما تقدم وبيان للمراد من
عدم جعلهم في حكم الناكثين وانما قال اليهم تضمينا لمعنى الارسال اي اتموا عهدهم
الى مدتهم مرسلين اليهم يعني امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام في قرينه الا بريء فكونه
كان المناسب اعتبارها هنا ايضا وفيه دفع تعميم حكم النبذ لهم ايضا واما تضمين
ادوا ففيه التزام للجمع بين معنيين احدهما مغن عن الآخر عهدهم الى مدتهم المدة
زمان طويل الفسحة واشتقاقه من مددت له في الاجل امهلته والمراد منتهاه بقرينة الى
التي لانتهاء الغاية فلا حاجة الى تقدير المضاف ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه
على ان قضية التقوى اتمام العهد والتسوية بين الوفي والغادر في ان النبذ يخالف
التقوى وان كان الاول مشتركا وفيه تتميم لما قصد بقوله من المشركين من التفخيم
لشان الوفاء بالعهد فاذا انسلخ الانسلاخ انفصال الشيء عما يلابسه ملابسة التحام
من سلخ الشاة واذا كان الانفصال عما يلابسه ملابسة مجاورة او التصاق دون
التحام يقال انخلع ولا يقال انسلخ ثم ان الخلع والسلخ مشتركان في التعلق بما
يحتوي الشيء وبه يفارقان النزع فانه يتعلق بما يحويه الشيء مثلا يقال نزعت المسمار
ولا يقال خلعته ولا سلخته وانما يقال لآخر الشهر يوم السلخ استعارة لعبارة السلخ
لازالة النور الاشهر الحرم وهي تسعة اشهر لبني كنانة واربعة اشهر لسائر المعاهدين
المذكورة في قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر ومن قال التي ابيح للناكثين ان يسيحوا
فيها فكانه غفل عن عموم الحكم لبني كنانة وقيل هي رجب وذو القعده وذو الحجة والمحرم
ويأباه ترتيب الكلام على ما تقدم بالفاء واما رده بانه مخالف للاجماع لانه يقتضي بقاء حرمة

الاشهر الحرم اذ ليس فيما تقرر بعد ما ينسخها فليس بتام لان ناسخ الكتاب لا يلزم
ان يكون من الكتاب وعلى تقدير لزومه كما هو مذهب الشافعي يحتمل ان يكون ناسخه
من الكتاب منسوخ التلاوة فاقتلوا المشركين الناكثين عهدهم حيث وجدتموهم
في حل وحرم ولما كان التعريف في الموصوفين للعهد لم يكن بمسئلة جواز قتال المشركين في
الاشهر الحرم تعلق لهذا المقام كما سبق الى بعض الاوهام وخذوهم الاخذ الاسر ومنه الاخيذ
للاسير وليس اسرهم للاسترقاق لانه لا يجوز في حق المشرك ولهذا امر بالحبس والمراد منه
الامهال في تخييرهم بين السيف والاسلام هذا في حق الحاضر والذي في حق الغايب ما ذكر
بقوله فاقعدوا لهم اه واحصروهم اي واحبسوهم ويجوز ان يكون المراد من الحصر المنع
من التبسط في البلاد ويدخل فيه دخولا اوليا منعهم من المسجد الحرام واقعدوا لهم
كل مرصد اي مواضع الغرة قال النابغة اعاذل ان الجهل من لذة الفتى •
وان المنايا للنفوس بمرصد • وقيل معنى كل ممر ومجاز يرصدونهم كيلا ينبسطوا
في البلاد وعلى هذا يكون من قبيل التاسيس والتاكيد خير منه وانتصابه على الظرف
فان تابوا اي عن المعاصي ويدخل فيها دخولا اوليا الرجوع عن الكفر فهي متضمنة
للايمان ثم قرن به اقامة الصلوة وايتاء الزكوة تنبيها على مكانهما من الشرع ويجوز
ان يكون من قبيل الاكتفاء بذكر اُمَّي العبادات البدنية والمالية عن جميع العبادات الواجبة
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي التزموا تينك العبادتين البدنية والمالية وذلك
يتضمن التصديق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو المقصود الاصلي فمضمون
الكلام المذكور منطوق كلمتي الشهادة فخلوا سبيلهم تامين لهم اي فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشيء من ذلك ولا دلالة فيه على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله لما
عرفت ان الشرط التزامها كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية ان الله تعليل لما تقدم اي
لان الله غفور يغفر لهم ما قد سلف رحيم لا يكلفهم المشاق ولا يخفى حسن انتظامه
مع المشاق لتضمنه الاشارة الى وجه الاكتفاء بالالتزام لما امر به وان احد فاعل
فعل مضمر يفسره ما بعده لوجود حرف الشرط وانما قال احد لعدم الرخصة لاجارة
الجماعة لانها مظنة الفساد ولا يتوقف عليها تمام المصلحة من المشركين لم يقل منهم
لعدم اختصاص الحكم بهم على ما ياتي بيانه استجارك سالك ان تومنه وتكون جارا

لم تسمع كلام الله تعالى ويتبين ما تدعو اليه فاجره فاجبه الى ذلك حتى يسمع كلام
الله حاصة اي يفهمه ويتدبره فيعلم انه معجز من عند الله تعالى وذلك يقتضي مهلة ولهذا
قال ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يومن وطلب الرجوع الى موضع امنه والتعبير عن الفهم
بالسمع لانهم من اهل اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ ذلك الحكم بانهم
بسبب انهم قوم لا يعلمون اشارة الى لطف المعاملة معهم في الاجارة وتبليغ المامن
اي لا يعلمون حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من الايمان زمانا حتى يسمعوا ويفهموا الحق
فيتبعوه ويجوز ان يكون لا يعلمون منزلا منزلة اللازم اي ليسوا من اهل العلم والحزم
وهذا الحكم عام ثابت ابدا كيف يكون للمشركين استفهام على جهة التعجب والاستبعاد
ومرجعه الى الانكار على وجه الابلغ عهد عند الله يامنون به من عذاب الاخرة وعند رسوله
يامنون به من عذاب الدنيا من القتل والاخذ وتكرار عند للتنبيه على اختلاف المراد
وفيه سد لباب التمهيد وقيل انكار واستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثون مع
غرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم ينكثون ولا يذهب عليك ان
ما ذكر معنى قولنا كيف يكون لله ورسوله عهد عند المشركين لا معناها قاله تعالى كيف
حال عن اسم يكون متقدمة للاستفهام وللمشركين خبره وعند الله صفة للعهد او
ظرف ليكون او كيف خبر مقدم وللمشركين حال مبينة للعهد او عند الله خبر الا الذين
عاهدتم نصب على الاستثناء او جر على البدل او رفع على انه كلام مستدرك بمعنى لكن
الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبله فما استقاموا لكم على العهد
فاستقيموا لهم عليه والفاء الاولى على الوجهين الاولين عاطفة الجملة على مقدر
اي فتربصوا امرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث فاء الجزاء لتضمين الموصول معنى
الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا او مصدرية على معنى فاستقيموا لهم ما
استقاموا لكم والفاء الثانية مكررة للتاكيد ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة
واشعار بان المحافظة على العهد من لوازم التقوى كيف اعادة للاستبعاد المذكور على وجه
الاختصار على طريقة الاقتصار على ذكر اول الكلام عند انفهام الختام بمعونة المقام واما
التنبيه على العلة فحاصل بدون اعادة كيف والمعنى كيف يكون لهم عهد عند الله وعند

رسول ولا عهد لله ولرسوله عندهم وقد عبر عن هذا على طريقة اقامة دليل الشيء
مقامه بقوله وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم اصل الظهور العلو
بالغلبة لا يرقبوا لا يراعوا فيكم اصل الارتقاب النظر ومنه الرقيب ثم قيل لكل من حافظ
على شيء وراعاه راقبه وارتقبه الا حلفا وقيل قرابة ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على
اغفاله يرضونكم بافواههم كلام مستانف لبيان حالهم المنافية للثبات على العهد وتقرير
عدم مراعاتهم حق الميثاق للحلف والقرابة او الارضاء بالافواه عبارة عن معاذيرهم
الكاذبة ومواعيدهم الباطلة وانما ذكره الافواه لانها المظاهر وتابى قلوبهم عن الارضاء
حقيقة بما فيها من العزايم على خلاف ما قالوا وانما قال بيبوا واكثرهم فاسقون لما في
بعضهم من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجري الى احدوثة السوء وتوصيفهم
بالفسق مع ان الشرك اشد منه لرفع شان الفسق في الذم كما ان توصيف الانبياء عليهم
السلام بالايمان لرفع شان الفسق في الذم كما ان توصيف الانبياء عليهم السلام بالايمان
في المدح فلا حاجة الى التكلف في صرف الفسق عن ظاهره اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
استيناف لبيان فسقهم وقدم تفسيره في سورة البقرة فصدوا اى اعرضوا من صد
عنه يصد صدودا او منعوا من صده عنه يصد صدا عن سبيله اراد بالسبيل الدين الحق
والاضافة الى الله تعالى للتشريف انهم ساء ما كانوا يعملون المخصوص بالذم محذوف وما دل
عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة تفسير لما كانوا يعملون لا تكرير واولئك هم المعتدون
المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة والواو للعطف من جهة المعنى على ما تقدم من الجملة
الانشائية فان تابوا اى بعد هذا كله ان رجعوا عن الكفر الى الايمان واقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة تقدم تفسيره فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم وعليهم ما عليكم ونفصل
الايات اعتراض للتحريض على تدبر ما فصل من الايات وما بين من احكام المشركين
المعاهدين والتائبين والحث على المحافظة عليه لقوم يعلمون فيه اشعار بان العالم من
تامل تفصيلها والواو للعطف على مقدر اى نزل القران ونفصل الايات وان نكثوا ايمانهم
النكث النقض واصله فيما يفتل ثم يحل فهي في الايمان والعهود مستعارة وانما قال
من بعد عهدهم لاظهار القبح حال الناكثين حيث عاهدوا ثم اكدوا عهدهم بالايمان وافرد
العهد وجمع الايمان لان الاول يكون بالنيابة فهو متقدم جماعة يكون عهدا لهم دون الثاني

فلابد من صدور اليمين من كل واحد منهم وطعنوا الطعن هو الاعتماد بالعيب واصله
الاعتماد بالرمح في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام اى اظهروا النقض المذكور بالقول
ولابد من اظهاره في اباحة القتال وتخصيص الاظهار الادنى بالذكر ليعلم الحكم في الاظهار الاعلى
وهو ما يكون بالفعل بالطريق الاول ولما كان ذكر الطعن في صدد بيان ان نقض العهد انما يبيح القتل
والقتال اذا كان ظاهرا قولا او فعلا لم يكن في الاية دلالة على ان الذمي اذا طعن في الدين ينكث
عهده ويباح قتله فقاتلوا ائمة الكفر وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انسياق الكلام
في رؤسائهم بناء على ان المعاهدة انما تكون بحسب العادة فقوله من بعد عهدهم تمهيد له ولك
ان تقول ان الجزاء في الحقيقة فاقتلوهم ولما كان قتلهم مسبوقا بمقابلة مقدميهم ودفع مدافعة
رؤسائهم من البين نزلها منزلة الجزاء على طريقة الكناية بذكر الملزوم عن اللازم وقرئ ائمة
بتحقيق الهمزتين والافصح جعل الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن صريح انهم لا ايمان
لهم تعليل لما ذكر على طريقة تنزيل الشيء الخالي عن التاثير منزلة العدم اى لا اثر لعهودهم في المنع
عن قتلهم بعد النكث فلا دلالة فيه على ان يمين الكافرين يمين وقرئ لا ايمان بالكسر يعني
ان المانع عن قتلهم احد الامرين العهد وقد نقضوه والايمان لا وجود له لعلهم ينتهون متعلق
بقوله فقاتلوا اى ليكن غرضكم في قتالهم انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر والوزر وسائر
العظايم لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون معنى الهمزة الداخلة على
نفي القتال الانكار والتوبيخ فيفيد المبالغة في الحث والتحريض عليه وتعديد الصفات الموجبة
له من نكث الايمان والهم باخراجه صلى الله عليه وسلم والبدء بالقتال تقوية وتاكيد لذلك
قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان يعاونوا
عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا بمكة في امره حتى
اذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الهجرة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاودة والمقاتلة لانه
صلى الله عليه وسلم بداهم بالدعوة وتحداهم بالكتاب والزمهم بالحجة فعدلوا عن المعارضة
لعجزهم عنها الى المقاتلة فهم البادون بالقتال اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالهم مكروه والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر وادخال الهمزة
هنا انكار للخشية وايماء الى انها لا تليق بالايمان منهم على ما صرح به بعده بقوله فالله
احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم تخصيص الخشية بالله تعالى

وعدم المبالاة بغيره وفيه جمع بين التقريع والتشجيع وهو ابلغ في التحريك ولما بالغ في التوبيخ
على ترك القتال وبين موجباته جرّد لهم الامر به صريحا ووعد لهم النصرة والغلبة وتعذيب
الكفار بايديهم ليكون اوقع في نفوسهم واشد تثبيتا لقلوبهم وتقوية لعزايمهم فقال
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم الله اخزى ذل يستحيي منه وينصركم عليهم
النصر المعونة بدفع الضرر وتعديته بعلى لتضمنه معنى التغليب ويشف يشفا ملاءمة
النفس بما يزيل عنها الاذى صدور قوم مؤمنين وهم خزاعة ووجه تخصيصهم انهم الذين
نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان فيهم مؤمنون كثير الغيظ وتخصيص المؤمنين
منهم بالذكر لان المقصود اصالة بشفاء صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا
منهم المكروه امرهم بالقتال ووعد عليه بهذه الاشياء وانجز ما وعد فكان الاخبار
بذلك من المعجزات ويتوب الله على من يشاء كلام مبتدا واخبار ان بعض اهل
مكة يتوب ويقبل الله توبته لصدقها وكان ذلك ايضا منفصلا عما قبله لفظا
ولكنه متصل به معنى اي ومن فوائد القتال انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه
وقرئ ويتوب الله بالنصب على اضمار ان وعلى دخول التوبة في جملة ما اجيب
به الامر من حيث المعنى والله العدول عن الضمير للتفخيم عليم لا يكون عليه خفاء
حكيم لا يلحقه خطاء ام حسبتم ام منقطعة تتضمن اضرابا عن اللفظ الاول لا عن معناه
واستفهاما فهي تتقدمه بل والف الاستفهام والاستفهام هنا للتوبيخ لهم على
حسبانهم ان تتركوا بحالهم اي اخطأتم في ظنكم انكم تتركون على ما انتم عليه دون
اختبار وامتحان فانكم لا تتركون حتى يتميز الخلص الذين جاهدوا منكم في سبيل الله
لوجه الله ولم يتخذوا بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
يوالونهم ويفشون اسرارهم من غيرهم ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وما في لما من
معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع اي لم يتبين الخلص منكم وهم الذين
جاهدوا من غيرهم لما التقى العلم مع المتوقع والمراد به المبالغة في نفي المعلوم على طريق
البرهاني لانه لو وقع لكان معلوما له فلما لم يعلم لزم عدم وقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
بطانة من الولوج وهو الدخول ووليجك صديقك الذي تطلعه على ما في داخل قلبك

والله

والله خبير بما تعملون فيعلم عمل المجاهدين المخلصين قبل وقوعه فهو كالمزيح
لما يقع في الوهم من الشبهة في قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا
مساجد الله شيئا منها فضلا عن المسجد الحرام والمراد هو وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامر الجميع وقراءتها بالتوحيد في الموضعين يوافق المعنيين لان
تعريفه يحتمل العهد والجنس شاهدين على انفسهم بالكفر حال من الواو وفيه اشارة الى حالهم
المنافية اي ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره
اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها من العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة
لان الكفر الطارئ يهدم الاعمال فكيف بالمقارن وفي النار هم فيها خالدون لكفرهم
دون العصاة من المومنين انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة
وآتى الزكوة اي لا يستقيم ولا يصح عمارة مساجد الله تعالى الا لمن آمن وجمع بين الكمالات
العلمية والعملية والايمان باليوم الاخر المتضمن للتصديق بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق
السمع فهو بهذا الاعتبار يشتمل الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم لان المعاد الجسماني لم يذكر في
غير القران من الكتب السماوية فهذا هو الوجه لعدم ذكر الايمان به صلى الله عليه وسلم واما قوله
واقام الصلوة وآتى الزكوة فلم يغن عنه لانهما يجوز ان يوخذا من ساير الشرايع والعمارة
تتناول رم ما استهدم منها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتمهيد الفرش واقامة
الصلوات وادامة الذكر وتلاوة القران ودراسة العلوم وصيانتها عما لم تبن له كحديث
الدنيا وساير الفضول ولم يخش الا الله المراد من الخشية هو الرهبة والهيبة والانفعال
اللازمة من تصور عظمة الله تعالى لا الانفعال الجبلي الذي هو الخوف فانه ليس
بارادي واما هذه فانه من لوازم التقوى لان عظم الخالق في قلب المومن يصغر
المخلوق في عينه فلا خشية له من غيره فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين في ذكره
بصيغة التوقع قطع لاطماع المشركين في الاهتداء وتبعيد لهم عن مظانه لان الموحدين
المخلصين في الاعمال اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فكيف يطمع فيه
المشركون باعمالهم المبنية على الافتخار والرياء والمباهات والتقرب بها الى العزى
واللات ومنع المومنين ان يغتروا باعمالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية

والعمارة مصدران والحدث لا يشبه بالجثة فلا بد من مضمر مدلول عليه بقرينة الفعل محذوف
للايجاز تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن ويعضده
قراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد او سقاية كايمان من آمن والمعنى انكار ان يشبه
المشركون واعمالهم المحبطة بالمومنين واعمالهم المثبتة وقوله لا يستوون عند الله
تقرير لذلك وتاكيد له وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي
الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف
يساوون الذين هداهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المومنين وانما قال لا يهدي تنزيلا للهداية الواقعة في حقهم
منزلة العدم لعدم ترتب الاثر عليها الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم او ممن ليس كذلك
فيندرج فيه اهلهما اندراجا اوليا لكونهم مشركين واولئك هم الفائزون المخصوصون
بالفوز دونكم او دون من عداكم والفوز بلوغ البغية اما في نيل مرغوب او نجاة عن
مكروه والمراد هنا الفوز الكامل فينتظمهما يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و
جنات لهم فيها في الجنات نعيم النعيم لين العيش ورغده نعيم دائم وتنكير المبشر به
للتعظيم وكونه فوق وصف الواصف وتعريف المعرف وفي اسناد البشارة الى ربهم
زيادة تعظيم للمبشر به وتكريم للمبشر وبيان كون الرحمة منه تعالى مع كونه معلوما لا يخ
عن قصد التعظيم لها وانما اطلق الرضوان لينتظم نوعيه المذكورين في قوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل
للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه الاجور الدنيوية يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين
خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة و
يقطع موالاتهم ولم يذكر الابناء في هذه الاية اذ الاغلب في البشر ان الابناء هم التبع
للاباء والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة بقوله
ان استحبوا الكفر اي اختاروه وآثروه على الايمان فتعديته بعلى لتضمينه معنى
الاختيار والايثار ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة غير

موضعها

موضعها على خلاف امر الله تعالى لما وردا لتشديد في امر المهاجرة قالوا يا رسول الله
ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت
تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم ذكر الابناء في هذه الاية لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدر في
المحبة واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة
فانها جماعة ترجع الى عقد واحد كعقد العشرة واموال اقترفتموها اكتسبتموها
واصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها
يعني بها اشتريتموه طلبا للربح تخافون وقوفها وخسرانها بفوات وقت نفاقها
ومساكن ترضونها منازل تعجبكم الاقامة فيها احب اليكم اراد الحب الاختياري
دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكاليف والتحفظ عنه من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فيه دلالة ظاهرة على ان سياق الكلام في الحض على الهجرة فتربصوا جواب
ووعيد والتربص التوقف على الانتظار حتى ياتي الله بامره بعقوبة عاجلة وآجلة
والعدول عن حتى ياتي امر الله الى ما ذكر لتفخيم الامر والله لا يهدي القوم الفاسقين فيه
تنزيل لوجود الهداية في حقهم منزلة العدم لعدم الاثر وفي الاية تشديد عظيم وقل ما
يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الموطن موضع الاقامة ومواطن الحرب
مواقفها وهي المراد هنا ويوم حنين عطف على محل في مواطن اي وموطن يوم حنين
او التقدير في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين لتناسب الامكنة او الازمنة فيقع حرف
النسق موقعه ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من
يوم حنين ولا يمنع ابداله منه عطفه على محل في مواطن اذ لا يقتضي العطف اشتراكهما
فيما اضيف اليه المعطوف فلا يلزم ان يكونوا معجبا بها اياهم في جميع المواطن وحنين واد
بين مكة والطايف قيل انهزم المسلمون يومئذ وهم اثنا عشر الفا وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مركزه ليس معه الا عمه العباس وابن عمه ابو سفيان رضي الله عنهما
وليس الامر كما قيل فان الثابتين معه صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة رجال وقد افصح
عنه العباس رضي الله عنه في قوله   نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ۰ وقد فر
من فر منهم واقشعوا ۰ وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ۰ بما مسه في الله لا يتوجع

وذلك العاشر ايمن بن ام ايمن قال البراء بن عازب رضي الله عنه لقد رايته صلى الله
عليه وسلم وانه على بغلته البيضاء وان ابا سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • اول قوله تثبيت
المسلمين عامة وآخره تثبيت عمه وابن عمه خاصة فان في ذكر جده اشعارًا
بان من كان من نسله حقه القرار دون الفرار وهذا اية غاية الشجاعة حيث
لم يخف اسمه ونسبه في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه فلم تغن عنكم اى
تلك الكثرة شيئا قليلا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما
رحبت برحبها اى من الخوف كما قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة •
على الخائف المطلوب كفة حابل • والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع
والجار والمجرور في محل الحال اى ملتبسة برحبها ومعنى ضيق الارض عليهم مع
سعتها انهم لا يجدون فيها منجا ولا مهربا يرتضونها لفرط الرعب فكانها ضاقت
عليهم او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الى خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها
وامنوا على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وتكرير على تنبيه على اختلاف الحال وانزل
جنودا لم تروها باعينهم والجنود الجموع التي تصلح للحرب والمراد هنا الملائكة
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اى ما فعل بهم
جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك الجريمة العظيمة على من يشاء
بالتوفيق للاسلام وهم ناس منهم والله غفور يتجاوز عنهم رحيم يتفضل عليهم
يايها الذين امنوا انما المشركون نجس مصدر والا فصح ان يجعل نجس خبرا على
انهم النجاسة بعينها والمعنى انه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن النجاسة الا
انه بولغ في وصفهم بها فجعلوا عينها للتنفير وبيان وجوب تبعيدهم عن المسجد
وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس نعتا واكثر ما جاوه
تابعًا لرجس وعلى هذه القراءة لا بد من تقدير موصوف له كجنس او ضرب فلا يقربوا
المسجد الحرام الفاء للسببية اى فلا يقربوه بسبب انهم عين النجاسة والنهي عن

الاقتراب

الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء والمراد من نهيهم
ان يقربوه نهي المسلمين عن تمكينهم منه ولهذا صدر الكلام بالخطاب لهم فلا دلالة فيه
على ان الكفار يخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وعليه ابو حنيفة رحمه الله
ويوبده قوله بعد عامهم هذا فانه لولا هذه الارادة لكان مقتضى التفريع المذكور انتظام
النهي لبقية ايام هذا العام ايضا والاشارة الى سنة عشر وقيل الى سنة تسع وان خفتم
عيلة فقرا وسبب وروده ان المسلمين حين منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا
يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من الفقر وقالوا من
اين نعيش فوعدهم الله تعالى ان يغنيهم من فضله قال الضحاك ففتح عليهم باب
اخذ الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين الآية وقرئ عائلة وهو مصدر
كالعاقبة او نعت لمحذوف اى حالا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة
واخذ الغنيمة من دار الحرب او وفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم
ان شاء قيده بالمشية لا لينبه على انه متفضل في ذلك لان قوله من فضله صريح في
ذلك بل لتنقطع الامال اليه ولينبه على وجه اختلاف الاحوال والاعوام والاشخاص
والاقوام ان الله عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد قاتلوا الذين لا يومنون بالله
ولا باليوم الآخر اى لا يومنون بهما على وجه يصح ويقبل على ما مر بيانه في اوائل سورة
البقرة وانما قال قاتلوا دون اقتلوا اشارة الى اختصاص الجزية التي ينتهي عندها
القتال ممن يحتمل بنيته الحرب فلا جزية على المراة والصبي والشيخ الفاني ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله لم يقل او رسوله لانه صلى الله عليه وسلم لم يحرم شيئا الا بالوحي
على المذهب الصحيح فليس المعنى ما حرم الله بالكتاب ورسوله بالسنة لما في هذا التوزيع
من ايهام استقلاله صلى الله عليه وسلم في التحريم ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو
ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يومنون
وتاكيد للحجة التي لا بد من تقديمها على القتال لانهم كانوا يجدونه عليه السلام
في التورية والانجيل فلا دلالة فيه من جهة المفهوم على اختصاص قبول الجزية باهل
الكتاب كما لا دلالة فيه على اختصاص وجوب القتال بهم بين في الاية السابقة

قتال المشركين وبين في هذه الاية قتالا لليهود والنصارى ولو قال قاتلوا اهل
الكتاب لكفى وانما اطنب بذكر هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمومنين على قتالهم
لانها صفات توجب البراءة منهم والعداوة لهم حتى يعطوا الجزية اى الى ان يقبلوها
وهى عطية عقوبة جزاء على الكفر على ما وظفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل
الذمة وهى على وزن جلسة وقعده لنوع من الجزاء وقيل من جرى يجزى اذا كان اهدى
اليه كانهم اعطوها جزاء ما منحوا من الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر

يجزيك او يثنى عليك وان من • اثنى عليك بما فعلت كمن جزى •

مد وجوب القتال الى هذه الغاية وهذا حكم اهل الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك
بالخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم
ولا اكلى ذبايحهم ولا يجوز هذا فى مشركى العرب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل منهم
الا الاسلام او السيف ويجوز فى الهنود والاتراك والديلم عندنا خلافا للشافعى
ومالك عنده يوخذ من كل كافر الا المرتد عن يد حال من الضمير واليد مجاز عن
القوة والقدرة والمراد قدرة المعطى وفائدة الاشارة الى انه لا جزية على الفقير
العاجز عن الكسب وان كان بنيته بنية الحرب وهذه الاشارة من مقتضيات المقام
فلا وجه لتقويتها بحمل القيد المذكور على معنى آخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة و
الانقياد ومعنى التسليم بنفسه على ان هذين المعنيين الاخيرين من لوازم القيد الآتى
ذكره فلا حاجة لافادته الى زيادة قيد آخر ومن هنا تبين انه لا وجه لان يكون المراد من
القدرة على تقدير الحمل عليها قدرة الاخذ واما معنى نقدا مسلمة عن يد الى يد على
انه حال من الجزية فلا يناسب المقام لما عرفت ان الغاية حقيقة هى التقبل والالتزام
دون العطا بالفعل وهم صاغرون الصغار الذل والنكال الذى يصغر قدر صاحبه اى
وهم اذلاء ياتون لاداء الجزية مشاة لا ركبانا ويودون قياما والاخذ قاعدا ويده تحت
الاخذ ويوخذ بتلبيبه عند الاخذ ويحرك ويقال اد الجزية يا يهودى او يا نصرانى والجزية
على ثلاث مراتب على المعتمل فى السنة اثنى عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما
وعلى كامل الحال ثمانية واربعون درهما كذلك وظفها عمر رضى الله عنه وبهذه الجزية اغناهم
الله تعالى عن العيلة وهو وجه اتصال هذه الاية بالاولى وقالت اليهود وانما قال

بعضهم

بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة عزير ابن الله مبتداء وخبر وسقط التنوين لمنع
الصرف العجمة والعلمية ومن نونه من القراء جعله عربيا او لان ابن صفة له وعلى هذا يكون
الخبر متروكا غير ملفوظ ولا ملحوظ وقصر النقل على هذا القدر من كلامهم لتجريد الانكار
للتوصيف المذكور وفيه ايهام التبعيد لكلامهم عن حيز التمام وتمهيد للمقصود من زيادة
قوله بافواههم على احد الوجهين الاتى ذكرهما وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا
من قول بعضهم ذلك قولهم بافواههم يعنى انهم يذكرونه صريحا لا انه يفهم بطريق
الاستدلال من بعض افعالهم فهو لرفع التجوز فى المسند فانا هم من دفع التجوز فى
الاسناد ونسبة القول الى الافواه دون الالسنة لان الاية الاولى اشمل واكمل
فان من الاقوال ما لا حاجة فى التلفظ به الى اللسان ويجوز ان يكون المراد انه قول
لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات الملفوظة التى تخرج من الافواه ولا معنى له فى القلوب
يضاهون قول الذين كفروا تقديره يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا هذا ما قالوا وعندى انه على طريقة لا يهدى
كيد الخائنين اى لا يهديهم فى الكيد فالمعنى يضاهئونهم فى القول والمضاهاة
المشابهة وقرئ بالهمزة من قولهم امراة ضهياء وهى التى ضاهأت الرجال فى
انها لا تحيض من قبل من قبلهم والمراد المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله
قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك ويفهم التعجب
من السياق لان كلمة لا ينادى بها الا فى موضع التعجب من شناعة فعل قوم او
قولهم ولهذا تعجب بعده من اعتقادهم وتلفظهم بالكلمة الشنعاء بقوله انى يوفكون
اى يصرفون عن الحق الى الباطل فلا مانع عن الجمع بينهما قصدا اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله اى اتخذوا علماء اليهود وعباد النصارى كالارباب
حيث احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه اربابا كقوله نارا فى ‏— اربابا فقوله م
قوله تعالى حتى اذا جعله نارا قال ابن السكيت الحبر بالكسر المداد وبالفتح العالم و
الراهب ماخوذ من الرهبة وهو الذى حمله خوف الله تعالى على ان يخلص له النية
دون الناس والمسيح بن مريم اى اتخذوه ربا معبودا والرب هنا على الحقيقة وبه
لهذا فصله عما قبله تخرجا لهم عن زعمهم معرجا له بالاخبار عنه وانما ذكره بنسبته .

الى امته اظهارا لعدم صلاحيته للربوبية وفى التعبير عنه بلقبه المشعر بالمربوبية نوع
تمهيد لذلك المقصود ولا يخفى ما فيه من النعى عليهم وما امروا اى وما امر المتخذون
قيل يجوز ان يكون المعنى وما امر المتخذون اربابا فيكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ
وكان هذا القائل غافل من ان الرب فى غير المسيح عليه السلام لم يتخذ على الحقيقة الا
ليعبدوا الها واحدا وهو الله تعالى ولا حاجة الى صرف العبارة عن معناها الى
معنى الاطاعة حتى يحتاج الى ان يقال لطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى
بطاعته فهو طاعة الله تعالى فى الحقيقة لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر
للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك به يريدون ان يطفئوا الاطفاء
اذهاب نور النار ثم استعمل فى اذهاب كل نور وفى سورة الصف يريدون ليطفئوا
اى يقومون لذلك الام والتجوز عن ارادة ام بالقيام له كانه شايع فكذا عكسه شايع
والقيام لام عبارة عن الاهتمام بشانه نور الله بافواههم اطفاء نور الله بافواههم
تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القران هذا سحر مثلت حالهم بحال من
ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ويجوز ان يكون المراد من نور الله القران او
دين الاسلام والحجج الدالة على حقيقته ويكون المراد من افواههم اقوالهم التى
لا صحة لها فانها لا تتجاوز عن الافواه الى فهم السامع وعلى هذا يكون الاطفاء
ترشيحا لاستعارة النور ويابى الله الا ان يتم نوره باعزاز الاسلام واعلاء كلمة
التوحيد وانما جاز الاستثناء المفرغ من الكلام الموجب لان قوله ويابى الله اوقع
موقع لا يريد الله الا ترى كيف قابل قوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم بقوله ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون حذف جواب لو لدلالة ما قبله عليه اى ولو كره الكافرون
اتمام نور الله اى لا اتممه هو الذى ارسل رسوله اى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى
بالقران كما فى قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ودين الحق اى الاسلام ليظهره
اى دين الحق او الرسول على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر
قوله ولو كره المشركون بوضع المشركين موضع الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الشرك بالله تعالى والتعريف فى الدين للجنس والظهور على الجنس انما يكون بالظهور على جميع
افراده وقت ارساله صلى الله عليه وسلم انما هو سائر الاديان فظهور الدين على الدين انما يكون

بنسخه

بنسخه وابطاله وعلى تقدير رجوع الضمير الى الرسول صلى الله عليه وسلم يكون المراد ظهوره
صلى الله عليه وسلم على اهل سائر الاديان على تقدير المضاف يا ايها الذين امنوا المراد بهذه
الاية بيان نقايص المذكورين فيها وفى ضمنه نهى المؤمنين عن تلك النقايص لما ذكر الله تعالى
انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ذكر ما هو عليه كثير منهم تنقيصا فى
شانهم وتحقيرا وان مثل هولاء لا ينبغى تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى والتخفيف
فى الشرايع واطلق الاكل على اخذ المال مجازا لانه معظم الغرض منه او لكونه سبب الاكل
ويصدون صد يتعدى وقعا ومجاوزا فالمعنى يصدون غيرهم عن سبيل الله اى
عن دين الاسلام وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم او يصدون عنه فى اكلهم الاموال
بالباطل اى لا تتوقعوا فى كثير من الاحبار والرهبان صلاحا ولا تغتروا بظاهر زيهم
وسكونهم فان ذلك كله مصايد للمطامع واستجلاب للرياسة ومكايد للصد عن سبيل الله
والجر الى الضلالة قال عبد الله بن المبارك رحمه الله وهل افسد الناس الا الملوك
واحبار سوء ورهبانها والذين يكنزون الذهب والفضة اى يجمعونها و
يحفظونها فى الاوعية ومنه قولهم رجل مكتنز اى مجتمع اللحم وليس من شرط الكنز
الدفن ولكن كثر فى حفظ المال ان يدفن حتى تعورف اسم الكنز فى المدفون وانما
خصصا بالذكر لانهما قانون التمول واثمان الاشياء فلا احتياج اليهما فيما بين الناس
الكنز ولا يجوز كنزهما ومنع الناس عن فائدتهما والذين مبتدأ اسم موصول ضمن معنى اسم الشرط
فلذلك دخلت الفاء فى خبره فى قوله فبشرهم بعذاب اليم ويجوز ان يكون الذين معطوفا على
الضمير فى قوله ليأكلون والفصل يقوم مقام التأكيد وان يكون محل الموصول منصوبا
عطفا على اسم ان فى قوله ان كثيرا وهو اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة
على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق
فى سبيل الخير واورد عليه انه لو اريد اهل الكتاب خاصة لقيل ويكنزون بغير
والذين فلما زيد والذين فقد استؤنف معنى آخر فتبين انه عطف جملة على جملة
واما تسوية للمسلمين الكانزين غير المنفقين بالمرتشين من اهل الكتاب باقترانهم بهم
فى استحقاق البشارة بالعذاب الاليم تغليظا ونهيا عن الكنز وبعثا على الانفاق ويدل

على هذا انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم فعلم ان المراد بترك الانفاق
في سبيل الله منع الزكوة وقوله صلى الله عليه وسلم ما ادى زكاته فليس بكنز اى كنز اوعد
عليه وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا معناه ليس بكنز
اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه على ما فهم
من قوله ولا ينفقونها في سبيل الله والضمير للفضة وحدها احالة للحكم في
قرينها على الدلالة وانما لم يعكس مع ما فيه اعتبار جانب التذكير رعاية لجهة القرب وعلى
هذه الطريقة سلك في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا ايضا واما
قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
منها حقها لقوله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها
الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها اصله يحمى النار عليها اى توقد نار ذات حمى
وحر شديد من قوله نار حامية فحذف النار لقوله في نار جهنم واسند الفعل الى
الجار والمجرور فلزم تذكيره كما يقال رفعت القصة الى فلان فاذا حذفت قيل رفع
الى فلان وفي جعل الاحماء للنار والابهام باسناد الفعل الى الظرف ثم التفسير و
جعل نار جهنم مكانا للاحماء من المبالغة ما ليس في قولك تحمى بالنار واما الاكتفاء
بضمير الفضة فقد وجه فتكوى بها الكي الصاق الشيء الحار بالعضو جباههم وجنوبهم
وظهورهم انما خصصت هذه المواضع بالكي لانه في الجبهة اشنع وفي الجنب والظهر اوجع
لوصول الحر الى الجوف بخلاف اليد والرجل وقيل لان الغني المانع للزكاة اذا راى
الفقير انقبض وجهه واذا ضمه والفقير مجلس ازور عنه فعارضه بجنبه واذا امله قام
وولاه ظهره هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم توبيخ لهم وتهكم بهم اى كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ بها فكانت عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما
كنتم تكنزون اى وبال ما كنزتم او ما تكنزونه ان عدة الشهور مبلغ عددها عند
الله ظرف عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا شهور السنة شمسية كانت او قمرية
كذلك الا ان المراد هنا الشهور القمرية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته

واوجه

واوجبه في حكمه صفة لاثني عشر اى مثبتة فيه وقوله يوم خلق السموات والارض اى امر
ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والازمنة متعلق بما فيه من معنى الثبوت
او بالكتاب ان جعل مصدرا منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد وهي ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك اى تحريم الاشهر الاربعة الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل
عليهما السلام وكانت العرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن لما كان جمع الحرم للقلة عاد
الضمير عليها بالنون تقول العرب الجذوع انكسرت لانه جمع كثرة والاجذاع انكسرن لانه
جمع قلة انفسكم بهتك حرمتها وعن عطاء ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر
الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيهن منسوخة واولوا
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وقيل بيضاوى
يؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وحاصر الطايف في شوال وذي
القعدة وفيه نظر لان غزاء هوازن بحنين كان في شوال فلا تايد فيه واما محاصرة
الطايف فقيل انه صلى الله عليه وسلم حاصره بقية الشهر المذكور فلما دخل ذو القعدة
انصرف عنه والى الجعرانة واحرم منها للعمرة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة جميعا من الكف بمعنى منع كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ونصب
موقع الحال واعلموا اى كونوا على ثقة وتيقن ان الله مع المتقين بشارة لهم وضمان
بالنصرة وبيان ان تقواهم سبب لنصرهم انما النسيء مصدر نساه اذا اخره اى تأخير
حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الاشهر
الحرم وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر و
اعتبروا مجرد العدد وذلك قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله وهي الاربعة وربما زادوا
في عدة الشهور فيجعلونها ثلثة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تعالى ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا اى من غير زيادة زادوها زيادة في الكفر لانهم لما احلوا ما حرم
الله تعالى وحرموا ما احله زادوا كفرا على كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زايدا يحلونه
عاما الضمير للمنسي الدال عليه النسيء ويحرمونه عاما اى اذا احلوا منها شهرا رجعوا
فحرموه في العام القابل والجملتان تفسير للضلال او في موقع الحال ليواطئوا عدة ما حرم
الله ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين

فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة وقت زين لهم سوء اعمالهم
خذلهم الله واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم والله لا يهدى على طريقة تنزيل وجود
ما لا يترتب عليه اثره بمنزلة العدم القوم الكافرين من باب وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على ان كفرهم مانع من قبول الهداية وترتب الاثر يا ايها الذين امنوا ما لكم هو حرف
استفهام بمعنى التوبيخ اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله النفر التنقل بسرعة من مكان
الى مكان لامر يحدث وسبيل الله طريق طلب رضاء الله تعالى اثاقلتم الى الارض تباطأتم
وتقاعدتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وقرئ اثاقلتم على الاستفهام ومعناه الانكار
والتوبيخ ضمنه معنى الميل والاخلاد فعدى بالى اى ملتم الى الدنيا ولذاتها او ملتم الى
الاقامة بارضكم ودياركم وكرهتم مشاق السفر والجهاد وهو العامل فى اذا اذا لم يستفهم به
واذا استفهم به منع الاستفهام عمله فيما قبله فالعامل ح ما دل عليه او معنى الفعل فيما لكم
كما يعمل فى الحال اذا قيل ما لك قائما كانه قيل ما تصنعون وما ذكر عبارة عن تخلفهم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الغزو واختيارهم سكنى ديارهم والتزام نخلهم وظلالهم
وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف فى وقت عسرة
وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فى التمتع بها فى الاخرة
فى جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم اظهار سخط عظيم على ترك النفر والتثاقل حيث
اوعدهم عليه بعذاب مطلق متناول لعذاب الدنيا والاخرة ونكره ووصفه بالايلام
وانه يهلكهم ويستبدل به قوما خيرا منهم واطوع كاهل يمن وابناء فارس
ولا تضروه شيئا اى انه غنى عنهم فى نصرة دينه وفى كل امر لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم اى ولا تضروه لان الله وعده بالعصمة والنصرة
ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بالامداد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره من نصره
حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله فى الماضى على انه ينصره فى المستقبل
كما نصره فى ذلك الوقت واقامه مقامه او فقد حكم الله بنصره واوجبه على نفسه حين

نصره

نصره فى ذلك الوقت فلم يكن ليخذله فى غيره ابدا اذ اخرجه الذين كفروا اسناد
مجازى لان همم الكفرة باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى له بالخروج فكانهم اخرجوه
ثانى اثنين نصب على الحال وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه
ولا يخفى ما فى التعبير المذكور من التعظيم للصديق رضى الله عنه اذ المعنى احد اثنين و
العدول الى ما ذكر للاشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان تاليا له فى دخولهما الغار
وقد كان كذلك اذ هما بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد بزمان الاخراج زمان
متسع فى الغار هو النقب العظيم فى الجبل وهو فى جبل بمكة يقال له ثور ماخوذ
من غار يغور اذا دخل فى عمق اذ يقول بدل ثان او ظرف لثانى لصاحبه وهو
ابو بكر رضى الله عنه لا تحزن الحزن الغم الذى يغلظ على النفس ومن الحزن للارض
الغليظة ان الله معنا بالحفظ والعون فانزل الله سكينته امنته الذى تسكن
عنده القلوب والفا للتعقيب بلا مهلة وفيه نوع دلالة على ان توكله صلى الله عليه وسلم
على الله تعالى كان سببا للنزول المذكور عليه اى على ابى بكر رضى الله عنه فانه هو
الخائف المحتاج الى الامن فاما النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان امنا ساكنا بما وعد له
من النصر وايده بجنود لم تروها عطف على قوله فقد نصره الله والمراد من الجنود
الملائكة عليهم السلام والتاييد بهم كان فى حرب بدر وحنين وجعل كلمة الذين كفروا
اى دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة الله اى دعوته الى الاسلام هى العليا وتغيير الاسلوب
للدلالة على ان الاولى اولى بالتغيير والتبديل بخلاف الثانية فانها المستمرة الثابتة و
قرئ كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه على وفق ما قدمناه
من الاشعار بان كلمة الله تعالى عالية فى نفسها فان فاق غيرها فلا اثبات لتفوقه ولا
اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز فى انتقامه حكيم فى تدبيره واحكامه انفروا
خفافا وثقالا الخفة والثقل مستعاران لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة
وما ذكر فى تفسيرها من المعانى فلا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بالارادة بل هى
معان متفقة والتحقيق ان الناس امروا جملة وتلك الاقوال انما هى على وجه المثال
للثقل والخفة وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذكرا لكل ما يكون من الجهاد
وانفعه عند الله تعالى وقدمت الاموال فى الذكر لانها اول مصروف وقت التجهيز فرتب

بيضاوى

الامر كما هو فى نفسه ذلكم خير لكم من الجهاد باحدهما ومن قال ومن تركه فلم يصب
ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لو كان عرضا العرض خلاف النقد وقد عبّر به عن
الغنيمة لانه الغالب فيها اى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا
متوسطا سمى قصدا لانه مما يقصد لاتبعوك فيما قصدت اليه ولكن بعدت عليهم
الشقة المسافة التى تقطع بمشقة وهى القطعة من الارض التى يشق ركوبها على صاحبها
وسيحلفون بالله اى المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين لو استطعنا
لو كان لنا استطاعة الخروج من جهة البدن والمال والشرطية محكية على ان الحلف
من جنس القول فلا حاجة الى تقديره لان التعدية باعتبار التضمين من خارج جائزة
فجوازها باعتبار ما فى ضمنها بالطريق الاولى لخرجنا معكم ساد مسد جوابى القسم
والشرط وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا
الضلالة يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس فى
العذاب او حال بمعنى مهلكين والاخبار بما قبل وقوعه قد كان من المعجزات والله
يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك
الاخبار عن العفو مقصود بالافادة فلا يكون كناية عن الخطاء نعم يفهم منه وجود الخطاء
بطريق الاقتضاء وهذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتح باب المخاطبة بالعفو لما كان صلى الله
عليه وسلم يتحمل بقوله تعالى لم اذنت لهم ولا يخفى ما فى تقديم العفو على ما ذكر ما يوهم
العتاب من تعظيم شانه صلى الله عليه وسلم والتنبيه على لطف مكانه ومن لم يتنبه
لذلك قال انه كناية عن الجناية ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ثم انه لم يدر
ان الاذن المذكور من قبيل الخطاء فى الاجتهاد فهو مظنة الثواب لا العقاب والله
تعالى اعلم بالصواب والاذن رفع التبعة فى الفعل حتى يتبين لك الذين صدقوا
فى الاعتذار متعلق بما تقدم باعتبار المفهوم لا باعتبار المنطوق فانه استفهام انكارى
فى معنى هلا توقفت فحاصل المعنى لم اذنت على الفور فرجع الانكار الى كيفية الاذن
لا الى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين
لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى عليهما وقد كان هذا
القائل غافلا عن تاليهما وهو تحريمه صلى الله عليه وسلم ما احل الله تعالى ابتغاء

لمرضات

كشاف

لمرضات ازواجه ثم ان العتاب ليس على الاذن لما عرفت انه بالاجتهاد والخطاء فيه
لا يتعلق به العتاب بل على عدم التوقف على نزول الوحى فى بيان شانهم على ما نبهت
عليه آنفا لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا فضلا ان
يستاذنوك فى التخلف عنه وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون
لا نستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا
او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه
انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله
واليوم الآخر بالذكر فى الموضعين اشعار بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال
لله تعالى هو الايمان بهما والرادع عنه عدمه وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون
يتحيرون ولو ارادوا الخروج اى معكم للغزو لاعدوا له اى للخروج عدة العدة ما يعد
للامر ويهيا له وقرئ عده بكسر العين اى جماعة من الآلات ولكن كره الله انبعاثهم انطلاقهم
للخروج استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج لان معناه نفى ارادة الخروج كانه قيل
ما ارادوا الخروج وتنزيل لعلة الشئ منزلته فان المعنى ولكن تثبطوا عنه لان الله كره
انبعاثهم هذا ما قيل فى توجيه ما ذكر وفيه وقوع لكن بين المعنيين من جهة المعنى فالوجه ان
يكون ذلك من قبيل حذف الجملة من الكلام لدلالة الباقى عليه كقوله تعالى ولقد آتينا
داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الاية وذلك انه لما احتمل ان يتوهم ان عدم خروجهم
للغزو لعدم تعبئتهم له قبل حتى تهيأوا له تداركه دفعه بما ذكر بحذوف الصدر فكانه قيل
ليس هذا من تقصيرك فى بعثهم للخروج ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم التثبيط التوقيف
عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا تمثيل لالقاء الله تعالى فى قلوبهم التثبط وكراهة
الانبعاث او وسوسة الشيطان بامرهم بالقعود عنه او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول
صلى الله عليه وسلم لهم وقوله مع القاعدين ذم لهم والحاق بالذين شانهم القعود ولزوم
البيت العجز عن القيام بمصالح الغزو من النساء والصبيان والزمنى لو خرجوا فيكم ما يقل
معكم لان لزهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم لا منفردين عنهم ما زادوكم شيئا الا
خبالا الخبال الفساد فى الاشياء المؤتلفة الملتحمة والزيادة لما كانت باعتبار اعم العام الذى

وقع منه الاستثناء ولم يلزم ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا فيهم زادوه ولا وضعوا خلالكم
الايضاع تهييج المركوب على الاسراع اى ليسعوا بينكم بالنميمة وافساد ذات البين وهو
مجاز يفيد المبالغة فى السعى بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وبقويه حذف المفعول
لما فى التعميم من زيادة المبالغة بتقدير السامع كل ما شاء من المراكب كانه قيل لاوضعوا
كل ما وجدوا من الركايب يبغونكم الفتنة حال من ضمير اوضعوا اى يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب فى قلوبكم وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه اليهم او ضعفة مطيعون لهم يسمعون ما يامرونهم به والله
عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم ووعيدلهم من باب وضع الظاهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وايجاب الظلم للوعيد لقد ابتغوا الفتنة اى سعى
فى تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعنى يوم احد حين انصرف عبد الله
بن ابى بن معه وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء
فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر امر الله وعلا دينه
وهم كارهون اى غلب امر الله وشرعه على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم والمومنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له
وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله
عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ومنهم من يقول ائذن لى اى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى
فى الفتنة وهى المعصية والاثم فانى ان لم تاذن لى وتخلفت بغير اذنك اثمت او لا يمكننى
الخروج معك فلا بد لى من التخلف اذنت او لم تاذن او لا تلقنى فى الهلكة فانى ان
خرجت معك هلك مالى وعيالى اذ لا كافل لهم او لا تفتنى ببنات الاصفر لما روى ان
جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مستهتر ببنات الاصفر يعنى نساء الروم فلا
تفتنى بهن ولكن اعينك بمال فاتركنى الا فى الفتنة سقطوا تقديم الظرف بعد حرف
التنبيه ايذان بعظم ما وقعوا فيه وتخصيص له اى ما الفتنة الا التى وقعوا فيها وهى
التخلف لا ما احترزوا عنه وما وقعوا الا فيما زعموا انهم يحترزون عنه وفى عبارة سقطوا
اشارة الى انهم وقعوا فيما وقعوا فيه من غفلة وعدم تدارك وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وعيدلهم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشارة الى سبب

الاحاطه

المستهتر بالشى بفتح الواو المولع به لا يتحدث بغيره ولا يبالى بما قيل فيه وشتم له

الاحاطتهم والمراد احاطة اسبابها بهم فوضع المسبب موضع السبب اشعارا بالشدة
ايجابه لها كقوله تعالى انما ياكلون فى بطونهم نارا ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر
وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك فى بعضها مصيبة هى افة فى النفس او
الاهل او المال وهو اصل الصوب وهو المجرى الى الشىء ومنه صوب الاناء اذا اميله والاصابة
وقوع الشىء بما قصد به والصواب اصابة الحق يقولوا قد اخذنا امرنا الذى نحن متسمون
به من التيقظ والحذر والعمل بالحزم من قبل اى من قبل ما وقع اى يتبجحون بانصرامهم ويحمدون
رايهم فى التخلف ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهليهم او عن الرسول صلى الله عليه
وسلم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعنى فى اللوح
المحفوظ امر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم ان يرد على المنافقين بان يعلمهم ان
الشىء الذى يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما كتبه الله تعالى
للمومنين فاما ان يكون ظفرا او سرورا فى الدنيا واما ان يكون ذخرا للاخرة يرشدك
الى هذا قوله هو مولانا اى الذى يتولانا فانه لتاكيد ما سبق من الاختصاص واما
ما قيل ان المعنى الا ما كتب الله فى اللوح وجف به القلم فلا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم
فلا يناسب المقام لانه لا يصلح ردا لهم ثم ان ما ذكر على وفق ما قاله الجبرية وقرئ هل
يصيبنا وهل يصيبنا بتشديد الياء وهو تفعيل من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو
لقولهم صاب السهم يصوب وعلى الله لا على غيره فليتوكل المومنون لان حقهم ان لا يتوكلوا
الا عليه جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص كان الواو
للعطف والفاء لافادة السبب والتوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضى بتدبيره والثقة
بحسن اختياره قل هل تربصون بنا التربص التمكث بما ينتظر به مجيء حينه الا احدى
الحسنيين احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم احدى السوءيين من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
اى قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا
بنا ما ذكرنا من عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها
نصب على الحال اى طايعين او كارهين لن يتقبل منكم امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول

بيضاوى
اصله يصيبنا من بنات الواو والياء ... فاستثقلت الكسرة ... فحذفت

تأنيث الاسوء ... السوءى ... وهى ضد الحسنى التى هى تأنيث الاحسن لا السوءى

قوله كانهم امروا بان ... وقوله ان يتحكم على صيغة ... المعلوم اي يجيبوا ...

كانهم امروا بان يمتحنوا انيفقوا في الحالين وينظروا هل تتقبل منهم وهو جواب قول
جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يتقبل الرسول صلى الله عليه وسلم
ولا ياخذ منهم وان لا يتقبل الله تعالى منهم ولا يثيب عليها وكرها يحتمل الالزام و
الاكراه فيؤيد الثاني والكراهة من المنفقين فلا يرجح احدهما ولعمري انهم لا ينفقون
الا كارهين كما اخبر عنهم في الاية التي بعدها واما الطوع فهو على سبيل الفرض لمساواة
الكره في عدم القبول او ان يعطوا من غير الزام واكراه وفي انفسهم الكراهة انكم
كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم على سبيل الاستئناف اذ الفسق هنا
هو التمرد والعتو في الكفر فهو يوجب رد كل عمل وفيه تنفير للمسلمين عن الفسق وما بعده
بيان وتقرير به وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم لا يخفى ما في هذا التعبير من حسن
التصوير لقبول النفقة بصورة امر مرغوب مطلوب كانهم طلبوه بالطبع فان
كرام العرب مجبولون على حب الانفاق ومنعهم اياه ما بهم من الكفر والنفاق
الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم واعادة
الجار للتنبيه على ان كفرهم به صلى الله عليه وسلم اصالة لا تبعا لكفرهم بالله
تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ذمهم على الكسل في الصلوة
ذم على النفاق الذي يبعث على الكسل وفقد الايمان الذي يبعث على النشاط
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يخافون بتركها
عقابا فلا تعجبك اموالهم الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور متعجب من حسنه
راغب فيه فالتفريع على ما تقدم باعتبار ان كون المال مرغوبا يؤدي الى كراهة
الانفاق التي سياق الكلام في ذمها ولا اولادهم اي فلا يسرك اموالهم ولا اولادهم
مستحسنا اياها متعجبا منها فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا اي بسبب ما يتكابدون منها من كلف
الجمع والحفظ وما ينوبهم من الشدايد والمصايب وافات النهب والسبي
وما كلفهم الله تعالى من الانفاق في سبيل الخير على كراهتهم اياه ومفعول
يريد محذوف تقديره يريد ابتلاءهم من الاموال والاولاد وتزهق انفسهم
الزهوق الخروج بصعوبة وشدة وهم كافرون في حالة كفرهم متحسرين

لاهين

لاهين بالتمتع بها عن النظر في العاقبة متالمين بالتعلق بها وجعها متعذبين
بفراقها لما انقطع رجاؤهم عن جميع منافع الاخرة بين ان الاشياء التي تظنونها
من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى اسبابا لتعذيبهم بها في الدنيا والاخرة
ويحلفون بالله عطف على مقدر تقديره ينافقون ويحلفون انهم لمنكم لمن جملة
المسلمين منصوب بيحلفون لتضمنه معنى القول وما هم منكم لكفرهم الباطن ولكنهم
قوم يفرقون اي يخافونكم على انفسهم ان اظهروا لكم ما في قلوبهم فلهذا يحلفون
انهم منكم قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة والفرق في الاصل انزعاج النفس بتوقع
الضرر فلا يستعمل الا في الخوف الشديد لو يجدون ملجأ حصنا يلجئون اليه او
مغارات جمع مغارة من غار يغور وقال ابن عباس رضي الله عنهما المغارات الغيران
والسراديب وهي المواضع التي يستترون فيها او مدخلا مفتعل من الدخول اي سلكا
يندسون بالدخول فيه لولوا وجوههم اليه اي لاقبلوا نحوه والضمير لاحد الثلثة
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يرده شيء من جمح الفرس اذا لم يرده اللجام
ومنهم من يلمزك يعيبك قال الزجاج اللمز التعييب مسارة والهمز التعييب
مجاهرة في الصدقات في قسمتها وفي ههنا بمعنى الباء السببية كما في قوله لمتنني فيه
فان اعطوا منها رضوا وذكروه بالجميل وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا
للمفاجاة ناب مناب الفاء الجزائية وما احسن مجيء جواب هذين الشرطين لان
الاول لا يلزم ان يقارنه ولا ان يعقبه بل قد يجوز ان يتاخر كان اسلمت دخلت
الجنة واما جواب الشرط الثاني فانما جاء باذا الفجائية ليدل على انه اذا لم يعطوه
فاجأهم سخطهم ولم يكن تاخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد للتنبيه على ان اعطاءه
صلى الله عليه وسلم بامره تعالى فهو المعطي في الحقيقة قال صلى الله عليه وسلم والله
المعطي وانا القاسم ومفعول رضوا محذوف اي رضوا ما اعطاهم الرسول صلى الله
عليه وسلم وطابت به انفسهم وان قل نصيبهم وليس المعنى رضوا عن الرسول صلى الله
عليه وسلم لانهم منافقون ولان رضاهم وسخطهم لم يكن الا لاجل الدنيا وقالوا عطف
على رضوا في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم حسبنا الله اي

ويندسون بها ومبالغة في هذا المعنى والاصل مدتخل فادغمت الدال في تاء الافتعال كما في قراءة ابي ... من الدين ابن الشيخ

لكان كافينا ورازقنا من حيث نشاء فيعطينا كفايتنا وان تاخرت سيؤتينا الله
من صدقة اخرى وانما قال من فضله لان ما آتانا الله فضل منه سواء بكسب العبد
او بدونه ورسوله اى ويؤتينا رسوله صلى الله عليه وسلم بامره انا الى الله اى الى
رضائه تعالى راغبون لا رغبة لنا الى زخارف الدنيا فتقديم الجار والمجرور للتخصيص
انما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة المشار
اليه بصيغة الجمع على الاصناف المعدودة تصويبا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
ورغما لانوف المنافقين وردعا لهم عن اللمز وحسما لاطماعهم مانبات استحقاق
غيرهم لها دونهم وانهم ليسوا منها فى شئ مما لهم والتكلم فيها وفيمن قاسمها فايرادها
استطراد ساق اليه الكلام فى مثالبهم ورذائلهم وظهور ما اضمروا من معاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين من فلتات لسانهم ولهذا توسطت بين ذكر
المنافقين ومكايدهم ومعناه انما هى لهم لا لغيرهم وهو دليل على ان اللمز فى قسمة
الزكوة لا فى الغنايم والقصر المذكور يفيد اختصاصها بالاصناف الثمانية وعدم
تجاوزها الى غيرهم لا ايجاب شمولها لهم وقسمتها على جميعهم فيحتمل استيعاب
الجميع والصرف الى بعضهم فابو حنيفة رحمه الله اختار الثانى وعن عمر وابن عباس
وحذيفة وكثير من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين جواز صرفها الى واحد منهم
والشافعى رحمه الله اختار وجوب الصرف الى كل واحد منهم والتسوية بينهم على
قضية الاشتراك والمساكين المسكين من له مال او كسب ولكن لا يكفيه والفقير
من ليس له واحد منهما ولهذا قدمه وروى انه صلى الله عليه وسلم سأل المسكنة
وتعوذ من الفقر والعاملين عليها السعاة فى جميع الصدقات وقبضها وانما قال
عليها لتضمين معنى القيام كانه قيل القائمين على جميع مصالحها وكل من يبعث
معهم من اعوان لا يستغنى عنه فهو منهم لانه يحشر الناس عليهم والمؤلفة قلوبهم وهم
كانوا اصنافا فالثلثة صنف كان النبى صلى الله عليه وسلم يتألفهم ليسلموا وصنف يعطيهم
لدفع شرهم وصنف كانوا اسلموا وفى اسلامهم ضعف فيزيدهم بذلك تقريرا على
الاسلام كل ذلك كان جهادا منه صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله تعالى لان الجهاد
تارة يكون بالسنان وتارة بالاحسان واختلف فى انقطاع هذا الصنف بعزة

الاسلام

الاسلام وظهوره وفى الرقاب اى وللصرف فى الرقاب بان يعان المكاتب بشئ منها على
اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وقيل بان يفدى الاسارى والعدول من
اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق فى الجهة لا فى الرقاب او للايذان بانهم احق بها واقوى
استحقاقا لان فى للظرفية اى هم فى مواضعها التى يوضع فيها لما فيهم من الفك والانقاذ
من الرق والغرم والاسر وحفظ بيضة الاسلام والتخليص من الاشراف على الهلاك
والغارمين الذين يدينون لانفسهم من غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
بين البين بتحمل الحمالات وان كانوا اغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة
لغنى الا الخمسة لغاز فى سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار
مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها وفى سبيل الله اى
وللصرف فى الجهاد بالاتفاق بالابقاع على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل فى بناء
القناطر والمصانع واعادة الجار لانه من نوع آخر وابن السبيل اخره عن سبيل الله تعالى
مع انه من قبيل ما سبق رعاية لظاهر الكلام فان ابن السبيل يناسبه ان يذكر بعد السبيل
والمراد منه المسافر المنقطع عن ماله وابن السبيل كالعلم فلذلك لم يجمع فريضة من الله
مصدر موكد لان معنى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء فرض الله الصدقات لهم او حال
من الضمير فى قوله للفقراء وقرئ فريضة بالرفع اى تلك فريضة والله عليم بمواضع
الاستحقاق حكيم بصنع الاشياء مواضعها ومنهم اى من المنافقين الذين يؤذون
النبى روى ان جماعة منهم ذموه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فاشتغلت به
قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم انما هى اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا نحن
ناتيه فنعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى وهذا ما ذكره بقوله ويقولون هو
اذن الاذن من اذا قيل له شئ سمعه وجدت بشئ لا ينكر فان الاذن الذى هو جارحة
السماع كذلك اى ليس فيه وراء الاستماع تميز الحق من الباطل واراد وا به ذمه
صلى الله عليه وسلم فما ذكر من قبيل التشبيه والغرض المبالغة فى الذم واما اطلاق
العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلى كاطلاق العدل على العادل والغرض
منه المبالغة فى المدح فاين هذا من ذاك كان النبى صلى الله عليه وسلم يستمع الى الكلام كل
يحدثه بشئ لكرمه وحسن خلقه فظنوا ولئك انه لسلامة قلبه وغفلته ولقد احسن

من قال عابه الجهال بما هو آية غاية كرمه وعلامة حسن سمته قال صلى الله عليه وسلم المؤمن
غر كريم والمنافق خب لئيم قل اذن خير لكم اضاف الاذن الى خير للمبالغة كقولك رجل
صدق تريد وصفه بالجودة والصلاح كأنه مطبوع منه ولا يبين الا به نحو خاتم فضة
او مختص بذلك المعنى اراد الوصف بالخيرية كأنه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن او اذن
في الخير وفيما يجب سماعه وقبوله لا في كل شيء على الوجه الذي ذممتموه به والدليل عليه
قراءة ورحمة بالجر اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله وقرئ اذن خير لكم برفعهما
منونين على ان خير صفة له او خبر ثان او كلاهما خبر لمبتدأ محذوف اي هو اذن هو خير لكم و
على هذه القراءة معناه ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء
دخلتكم ثم فسر بقوله يؤمن بالله اي يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين اي
يسلم لهم ما يقولون فالاختلاف في التعدية للاختلاف في المعنى ورحمة اي هو رحمة اريد
المبالغة في رحمته لهم فسلك مسلك رجل عدل للذين امنوا اي اظهروا الايمان منكم حيث
يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه صلى الله عليه وسلم ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم
بل يقبل ترحما لهم ورفقا بهم وقرئ ورحمة بالنصب تعليلا لما تقدم من جهة المعنى
فان اذن خير لكم في معنى يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اظهار
ذكر رسول الله تعظيم وايذان بان ايذاء الذي هذا شانه يوجب استيجابهم العذاب الاليم
يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين ليرضوكم اي يحلفون على معاذيرهم عند الاعتذار اليكم في
التخلف عن الجهاد او التكلم بالمطاعن والايذاء لتعذروهم وترضوا عنهم والله ورسوله
احق ان يرضوه ذكر الله تمهيد لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان ان ارضاءه ارضاء
الله تعالى اي ورسول الله احق بالارضاء بالطاعة والموافقة ان كانوا مؤمنين كما
يزعمون لان الايمان يقتضي ابتغاء مرضات الله تعالى ولو بسخط من سواه الم يعلموا استفهام
بمعنى التوبيخ انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من
الشق لان المتخالفين كل منهما في حد وذكر الله تعالى هنا ايضا تمهيد فان له نار جهنم
خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد قيل يجوز ان يكون معطوفا
على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك فيكون فان له نار
جهنم في موضع نصب وهذا الذي قدره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة

بيضاوى

الكلام

الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ او مضارعا مجزوما بلم نحو كلامهم
انت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وههنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس
ماضي اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك ان جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة
وايضا فيجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ذلك الهلاك الدائم الخزي
العظيم الخزي الهوان بما يستحيي من مثله يحذر المنافقون خبر عن حذرهم وقيل
هو بمعنى الامر اي ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المنافقين والنازل فيهم كالنازل
عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم لم يكن
ذلك الاخبار لاعلام المخبر به بل لاعلام انه لا يخفى على الله تعالى ولا يخفيه عن رسوله
صلى الله عليه وسلم وفيه هتك استارهم واظهار اسرارهم للمؤمنين ولا يخفى ما في
هذا المعنى من شدة الالتئام بين اجزاء الكلام واعتبار لطيف يناسب المقام بل
التزام لانتشار الضماير ثم ان ما ذكر على تقدير الامر ظاهر واما على تقدير الخبر فنقول
لكثرة ما كان يطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم كانوا يحذرون ذلك و
يخبث باطنهم وشدة كفرهم كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويستهزؤون به
وذلك قوله تعالى قل استهزؤوا صيغة امر وهو للتهديد ودليله ان الله مخرج
من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من نزول السورة في اظهار
اسراركم وهتك استاركم او من اظهار مساويكم ولئن سالتهم ليقولن روي
ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات
فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا
والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب
ليقصه بعضنا على بعض في السفر فنزلت فما ذكر من السوال والجواب كان مع
بعضهم الا انه اسند الى الكل لاتحادهم في المنشا انما كنا نخوض ونلعب الخوض
في الاصل دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين ثم كان وكثر حتى صار
في كل دخول فيه اذى وتلوث قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤون
تقرير للاستهزاء وتوبيخ لهم على استهزائهم بمن يجب تعظيمه ولا يصح الاستهزاء

به لان ايلاء المستهزئ به حرف الاستفهام انما يصح بعد وقوع الاستهزاء فلم يعبأ باعتذارهم للعلم بكذبهم فى ذلك وذكر الله تمهيد لتعظيم اياته والتنبيه على ان استهزائها راجع الى الله تعالى لا تعتذروا لا تشتغلوا باعذاركم فانها معلومة الكذب لا ينفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لاجتنابهم عما كانوا يفعلون من الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين مصرين على النفاق او ما كانوا عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى جنس واحد كابعاض الشئ الواحد غير مماثل لجنس المومنين تعريض بانهم ليسوا من المومنين وتكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه ببيان منافاة حالهم بحال المومنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف اى الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم قبض اليد عبارة عن الشح اى يمتنعون عن الانفاق فى سبيل الخير نسوا الله فنسيهم النسيان فى الاول كناية عن الترك والمراد ترك طاعته وفى الثانى مجاز عنه مرتبا على الكناية والمراد ترك رحمتهم وانما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة اذ ابلغ وجوه الترك هو الترك الذى يقترن به النسيان ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والخروج عن دائرة الخير والمبالغة فى ذمهم بالفسق وجعله غاية فى التمرد والعتو والفارق الاعظم بينهم وبين المسلمين تنفير للمسلمين عنه وعد الله المنافقين والمنافقات التفصيل بين الجنسين فيهم للاهتمام بشانهم لان الكلام فى ذمهم والكفار اى المجاهرين بالكفر بقرينة المقابلة وهى لا تخلو عن الدلالة الى انهم جنس اخر نار جهنم خالدين فيها حال عن معنى وعد فانه كناية عن وقوع العذاب كانه قيل يعذبهم الله بنار جهنم خالدين فيها هى حسبهم اشارة الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اى حسبهم عقابا وعذابا اذ لا شئ ابلغ منه ولعنهم الله طردهم واهانهم مع التعذيب وقرنهم بالشياطين الملاعين فى التبعيد ففيه بيان عذابهم الروحانى ولهم عذاب اى ولهم نوع من العذاب سوى الصلى بالنار مقيم دائم كعذاب النار كالذين

بيضاوى

اى انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا اى كانوا اشد منكم قوة واقدر فاذا كنتم فى سوء المعاملة مثلهم وفى القوة والمنعة دونهم فما يومنكم ان يصيبكم من العقوبة مثل ما اصابهم ومن وهم انه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم فانهم فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق النصيب من الخلق بمعنى التقدير وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خير كما سمى نصيبا لانه نصب له واثبت وتقديمه على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم بها وذهولهم بلذاتها الفانية عن التفكر فى امر الاخرة والنظر فى العاقبة وطلب الفلاح وتحصيل اللذات الباقية ليتنفر بسوء حالهم وسماجة فعلهم فى انفسهم ثم يتفطنوا ويتيقظوا القبح ما هم فيه بتشبههم بهم واقتفار آثارهم والاستمتاع طلب المتعة وهى فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشارب والمناكح وخضتم اى دخلتم فى الباطل كالذى خاضوا اى كالذين خاضوا الذى اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا من اخرتهم بدنياهم حبطت بطلت اعمالهم فى الدنيا والاخرة اما فى الاخرة فلانه لا ثواب لهم ولا نجاة من العذاب واما فى الدنيا فلانهم قصدوا بذلك توهين الاسلام وقهر اهله وعلو انفسهم فابطل الله تعالى كيدهم وخيب املهم واولئك هم الخاسرون ذهب اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم اشار الى الاولين المستمتعين ليعلم المشبهون بهم ان استمتاعهم وتلهيهم سبب لحبط اعمالهم فى الدنيا والاخرة وخسرانهم المطلق فيرتدعوا الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير والنبأ الخبر الذى له شان قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم هلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب مدين اهلكوا بالرجفة على ما صرح فى سورة الاعراف والذين اهلكوا بالنار يوم الظلة هم اصحاب الايكة من قوم شعيب عليه السلام لم يقل وقوم شعيب لان كثيرا منهم امنوا له عليه السلام ولمثل هذا عدل فيما سبق من قوم هود وقوم صالح عليهما السلام الى عاد وثمود والموتفكات الايتفاك الانقلاب والمراد كل من اهلك

من المكذبين المتمردين كما يقال انقلبت عليهم الدنيا وبدخل فيهم دخولا اوليا قوم
لوط ولو اريد بها قومه عليه السلام خاصة لكان حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين
اتتهم رسلهم بالبينات الضمير لكل ما تقدم ذكره من الامم فما كان الله ليظلمهم اى
لم يكن من عادته العقوبة بلا جرم ولما تبين هذا مما تقدم صدره بإداة التفريع وهو
كما يكون باعتبار الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا انفسهم يظلمون بايقاعها
فيما يوجب العقوبة وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمؤمنون والمومنات بعضهم
اوليا وبعض ذكر فى مقابلة المنافقين والمنافقات والمراد المخلصون والمخلصات وفى
العبارة المذكورة اشارة الى ان حق الايمان الاخلاص وان المنافقين ليس من جنس المؤمنين
والمعنى ان ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين ويتناصرون ويتعاونون حتى ان الرجل
يخرج الى الجهاد وامرأته تهيئ اسبابه ويخرج النساء مع الرجال ايضا فيداوين الجرحى
الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء وغير ذلك من المهمات واختيار
كلمة التبعيض ثمه لشدة الارتباط فيما بينهم وقوة اتفاقهم على الكفر والنفاق وايثار
عبارة الولاية هنا للاشارة الى ان حق الاخوة الايمانية الموالاة فى المصالح الدينية
وان كان معاداة فى المصالح الدنيوية يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر التعريف بينهم م
فى الموضعين للجنس ويقيمون الصلوة فهم يذكرون الله تعالى ويوتون الزكوة فلا يقبضون
ايديهم والتعريفان هنا للعهد ولو حمل على الجنس نظرا الى ان المدح بالنوافل ابلغ
او من يقيم النافلة احرى باقامة الفرض لكان له وجه ويطيعون الله ورسوله
فى الاوامر والنواهى اولئك سيرحمهم الله السين موكدة للوعد مفيدة لوقوع
الرحمة لا محالة جزما بحسب جليل النظر والذى هو بحسب دقيقه انها مدخلة
فى الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه وفضله تعالى زعيم بالانجاز
ان الله عزيز اى قوى غالب قادر على قهر اعدائه واعزاز اوليائه بجميع الوجوه
حكيم يضع الاشياء مواضعها فيخص النقمة بالمنافقين والكفار والرحمة
باعدائهم على حسب استحقاقاتهم فليستعذبوا بكلا الامرين فهو من تتمة وعيد
المنافقين على وجه يتضمن وعد المؤمنين وعد الله المومنين والمومنات ففيه
انتقال من التضمين والاشارة الى التصريح اهتماما بامر البشارة جنات اى
السكون

السكون والقرار فيها تجرى من تحتها الانهار حالا كان الموعود قرارهم فيها صح
ان يكون قوله خالدين فيها حالا عنه بلا تاويل ومساكن طيبة يستطيبها
النفس او يستطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر فى جنات عدن مقام معين لما روى ابو الدرداء رضى الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب
بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء ولا ينافى تعميم الوعد
لسائر المومنين فان الموعود لهم ما فى حوله من الجنات قال ابن مسعود رضى الله
عنه عدن هى بطنان الجنة وسرتها ولا يجوز ان يراد به معناه اللغوى وهو الاقامة
والخلود لما فيه من التكرار فى اعتبار معنى واحد وعدهم اولا بالرحمة المطلقة اجمالا
ثم فصلها وفسرها بما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها من جنات تجرى من تحتها
الانهار ونكرها للتعظيم ليميل اليها طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم زاد عليها
دفع وهم ما ينغص به العيش وهو زوال تلك النعمة ثم وصفه بانه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا يخلو شئ منها اماكن الدنيا واما
زيادة قوله فى جنات عدن فلدفع وهم ان تكون تلك اماكن خارجة عن الجنات
ويكون سكون المؤمنين فيها قبل الدخول فى الجنة ثم وعدهم بما هو اكبر مما تقدم
ذكره تعالى ورضوان من الله اكبر افرده بالذكر ونونه تعظيما فى شانه اى وشئ
من رضوان الله تعالى اكبر من ذلك كله لان رضاءه تعالى سبب كل فوز وسعادة
وموجب كل قرب وكرامة روى ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا
لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعطه احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك
قالوا واى شئ افضل من ذلك احل لكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة
الى جميع ما وعدهم وقيل الى الرضوان خاصة لتعظيمه وفيه اخراج ما عدا الرضوان المذكور
عن حد الفوز العظيم ويأباه ما ياتى من قوله تعالى اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم فانه صريح فى دخوله فى حد الفوز المذكور هو الفوز العظيم لا ما
يعده الناس فى الدنيا فوزا لانه يفنى ويتغير دونه ويتنغص ويتكدر بخلافه يا ايها النبى
جاهد الكفار المجاهرين بالقتل والسبى والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود و

تقديم الكفار لان جهادهم اهم واتم لكونه باللسان اولا وبالسنان ثانيا وجهاد
المنافقين بالثاني فقط واغلظ عليهم في الجهاد قال عطا نسخت هذه الاية
كل شئ من العفو والصفح وماويهم جهنم عطفه بالواو دلالة على ان المذكور بعض
ما اعد لهم فاضمر بعضه ثم عطف عليه ما ذكر ولا يخفى ما فيه من التهويل وبيئس
المصير هو يحلفون بالله ما قالوا روى انه اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر هو كل لفظ يرجع الى الطعن في الدين او في الرسول صلى الله
عليه وسلم وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد ما اظهروا الاسلام وهموا بما لم
ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك وما نقموا
وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله استثناء مفرغ من اعم
المفاعيل او العلل او على الاخير يكون الكلام على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • اي وما نقموا الا وجه ان يشكروا
ذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم ورسوله من فضله الضمير
لله تعالى وتوسيط ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة في وصول الفضل المذكور
منه تعالى اليهم فان يتوبوا يك خيرا لهم والضمير في يك للتوب وهذا احسان منه
تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة وهذا
هو الذي حمل الجلاس على التوبة وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا
اليما بالقتل وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب في الدنيا
باللطف او بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو المحتمل بالنفي وهذا ابلغ
من ذكر السماء معها والتصريح بنفي الولي والنصير فيها ايضا ومنهم اي ومن المنافقين من
عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس
ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيه نزلت الاية وروي انه قال يا رسول الله ادع

الله

الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه قال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق
حقه فدعى له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا و
انقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله
حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرايض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى فلما
رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين
فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب على راسه فقال صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم
تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه
فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عثمان رضي الله
عنه فلم يقبلها وهلك في زمن خلافته ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس
رضي الله عنهما يريد الحج ليلايم المعطوف عليه اعني لنصدقن اشارة الى الزكوة
فيحسن ترتيبهما على ايتاء المال المشار اليه بقوله لئن اتانا من فضله ومن ههنا
قالوا الصلاح في المال بعد الصدقة النفقة في الحج والغزو فلما اتاهم من فضله
بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم اي فعلهم ذلك من البخل والتولي نفاقا
متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه والظاهر ان الضمير لله تعالى اي فجعل عاقبة
فعلهم ذلك نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه دل على موتهم على النفاق ولذلك
لم يقبل الخلفاء زكاة ثعلبة والضمير لله تعالى ويوم لقائه وقت الجزاء وابتداؤه
من وقت الموت او لعملهم والاعمال تتجسم ح ويحصل الملاقاة حقيقة على ما ورد
في الاحاديث الصحيحة وانما لم يقل الى ان يموتوا تنبيها على ان يوم الجزاء ابتداؤه من وقت
الموت ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بما اخلفوا الله

ما وعدوه لسبب اخلافهم ما وعدوا الله تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد اخت الكذب يجوز استعارة اسمه له فيه وعيد بالعذاب وتهديد بالعقاب ثم عقبه تاكيداً للوعيد بقوله الم يعلموا اى المنافقين وقرئ بالتاء الفوقانية على الالتفات ان الله يعلم سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شئ من ذلك الذين يلمزون محله النصب او الرفع على المدح او الجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجواهم واللمز قد مر تفسيره المطوعين المتطوعين من المومنين فى الصدقات روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه باربعة الاف درهم وامسك مثلها فبارك له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اعطاه وفيما امسك وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصارى رضى الله عنه بصاع تمر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر مع الاكابر اوليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والله غنى عن صاعه فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم وقرئ بالضم وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه وحمل على نفسه المشقة فيه وقيل هو بالضم الطاعة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اى يهزؤن بهم سخر الله منهم قد مر بيانه فى تفسير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة ولهم عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الالم فالتوصيف انما يفيد اذا قصد به المبالغة وتقديم الجار والمجرور لمحافظة الفاصلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر عن تسوية الاستغفار وتركه فى امتناع الغفران كما نص عليه فى قوله تعالى فلن يغفر الله لهم وفائدة الامر به وبتركه ان يمتحن فيعلم يقينا انه لا يتفاوت فى الحالين عدم الغفران ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روى انه سال عبد الله بن عبد الله بن ابى رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه فى مرضه ففعل فنزلت

فقال

فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة ما هو الاصول من كسور العدد فكانها العدد باسره ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم تاثير الاستغفار فى حقهم بانهم كفروا بالله ورسوله يعنى ان ذلك لعدم قبولهم له بسبب كفرهم وتمردهم فى الفسق والعصيان لا لبخل منا ولا لتقصير منك والله لا يهدى قد مر انه من قبيل تنزيل الموجود منزلة المعدوم لعدم اثره القوم الفاسقين المتمردين فى كفرهم وهذا كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقطع ولا يهتدى والتنبيه على عذر النبى صلى الله عليه وسلم فى استغفاره وهو عدم ياسه صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك المخلف المتروك خلف من مضى والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة بمقعدهم اى بقعودهم عن الغزو فى المدينة عند خروجه صلى الله عليه وسلم خلاف رسول الله نصب على الظرفية اى خلفه يقال اقام خلاف الحى اى بعد ارتحالهم ويعضده قراءة ابى حيوة خلف رسول الله او على المصدر اى خالفوا رسول الله خلافا نحو قوله تعالى فضرب الرقاب اى اضربوا الرقاب ضربا وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه صلى الله عليه وسلم وح يكون حالا او مفعولا له اى لمخالفته او للمخالفة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ايثارا للموجود الفانى على الموعود الباقى وانفسهم ترجيحا للدعة على طاعة الله تعالى فى سبيل الله اى فى طريق الغزو والاضافة الى الله تعالى فى معرض المدح تعريض لحال الباذلين اموالهم وانفسهم فى سبيل الله تعالى المتحملين للمشاق لوجه الله تعالى بالمدح وقالوا حذف المقول له للتعميم اى قالوا لكل من لا قوة ولا قدرة على غزاته واضلاله لا تنفروا فى الحر فى وقته اى لا تخرجوا للغزو فانه وقع فى شدة الحر لا يؤمن معها

قلة المياه وهلاك الظهر والضعف عن المشي فعاب الله هذا من قولهم وهددهم
عليه بالنار بقوله قل نار جهنم اشد حرا اقيمت عليهم الحجة بان قيل لهم اذا كنتم
تجزعون من حر القيظ فنار جهنم اشد حرا فاحرى ان تجزعوا منها وذكره في
سياق الوعيد لهم يتضمن الدلالة على ان حالتهم هذه موجبة للتعذيب بنار
جهنم لو كانوا يفقهون الفقه الفهم بالفطنة اي لو كان لهم فهم وفطنة لما
رغبوا عن طاعة الله تعالى لما فيه من التعب وهو سبب الرغبة فيها لان الاجرة
للعمل بقدر المشقة فيه قال صلى الله عليه وسلم افضل العمل احمزها واما قيل استجهال
فهم لان من تصون عن مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان
اجهل من كل جاهل فلا يناسب ابتنا يفقهون على يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا الفاء للتسبب والضحك حال تعجب وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب
مع فرح والبكاء حال يظهر في الوجه عن غم مع جري الدموع على الخد والامر في الموضعين
للتكوين ومجيئه على صيغة المضارع لان كون تلك الحال في الاستقبال وما قيل اخبار
عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب و
مبناه على انه يكون الاخراج المذكور اقوى من ابقاء الاخبار على صيغته ولا يخفى ضعفه
كيف وما عليه الجمهور وهو المشهور ان اخراج الامر على صيغة الاخبار اقوى من ابقائه على
حاله ويجوز ان يكون المراد من الضحك والبكاء فرط السرور والغم ومن القلة العدم
ومن الكثرة الابد جزاء بما كانوا يكسبون من انواع المعاصي ويندرج فيه معصيتهم السالف
ذكرها اندراجا اوليا ففيه تقرير وتعيين لما دل عليه الفاء السببية والكسب اجتلاب نفع
بما هي له من الاسباب فلا ينتظم ترك الواجب والمفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه منطوق
نص اخر والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي واعتبارها
يناسب الاخبار عن الجزاء الدايم فان رجعك الله الى طائفة الفاء للتفريع على ما تقدم
ورجع متعد من الرجع بمعنى الرد والطائفة الجماعة التي من شانها ان تطوف ولهذا لا يقال
في جماعة الحجارة طائفة والمراد الجماعة المتخلفون وانما قال منهم لان كلهم لم يكونوا
منافقين او لان فيهم من تاب او مات كان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطيبة بطيب
الخاطر وحسن الاختيار واما وصوله الى زمرة المنافقين فقد كان بكراهة واضطرار فاوثر
صيغة

صيغة المتعدي على اللازم للاشعار بهذه الدقيقة الانيقة فاستاذنوك الاستيذان
طلب الاذن وهو رفع التبعة في الفعل والترك واصله ان يكون بقول يسمع بالاذن والفاء
فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فرارا والخروج الى غزوة اخرى للخروج اي معك
والخروج في الاصل الانتقال عن محيط فقل جواب شرط لن تخرجوا معي نهي عن خروجهم
معه صلى الله عليه وسلم الى الغزاة اخرجه على صيغة الاخبار للدلالة على وقوع الامتثال عنهم
بالاضطرار وعدم قدرتهم على المخالفة ابدا الابد الزمان المستقبل من غير انتهاء الى حد
ونظيره في الماضي قط ولن تقاتلوا معي عدوا الاول لاسقاطهم عن ديوان الغزاة
خاصة وهذا لاسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا انكم رضيتم بالقعود تعليل للنهي
المذكور وكان اسقاطهم عن الديوانين المذكورين انما عقوبة لهم عن التخلف بالاختيار
بلا كره واضطرار لا على التخلف مطلقا وللاشارة الى هذا اتى بعبارة الرضى اول مرة
هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين من النساء والصبيان وسائر من
لا يليق بالجهاد من اصحاب الاعذار ولا تصل على احد مات هذه فضيحة لهم بعد
الوفاة وما ذكر قبلها خزي لهم في حال الحيوة قال قتادة دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عبد الله بن ابي بن سلول في مرض موته وكان دعاه فساله ان يصلي عليه و
يقوم على قبره ويكفنه في قميصه ففعل ذلك فنزلت الاية وعن عمر رضي الله عنه انه
قال لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول ووضعناه لنصلي عليه قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله
ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم الاية فما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره انما قال مات والمراد الاستقبال لانه كائن لا محالة
وقوله ابدا منصوب بتصل وبه صارت الاية محكمة لا ابات كما توهمه من قال فان احياء
الكافر للتعذيب له دون التمتع فكانه لم يحي ولم يدر انه على التقدير المذكور ايضا
لا حاجة الى التوجيه المذكور بل لا وجه له لان الحياة في البرزخ لا تنافي استمرار الموت
الواقع في الدنيا ولا تقم على قبره القبر حفرة يدفن فيها الميت والمراد من القيام عليه معناه
الحقيقي وهو نوع اكرام وقيل اراد به المباشرة باسباب دفنه ومواراته وعلى هذا برا وبالقبر

معناه المصدري ويندرج فيه التكفين فلا يتمشى ما قيل انما لم ينها عن التكفين في قميصه
ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة
لالباسه العباس رضي الله عنه قميصه حين اسر ببدر على ان ما ذكره لا يصلح تعليلا لعدم
النهي عنه لما عرفت ان نزول الاية المذكورة بعد الصلوة والتكفين فيكون النهي
على تقدير وروده عن العود الى مثله وفي بعض الروايات قيل له صلى الله عليه وسلم أ
تلبس عدو الله قميصك قال اني لارجو ان يسلم بقميصي الف من بني الخزرج وكان
كذلك انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على سبيل الاستيناف وماتوا وهم
فاسقون اي قد كفروا واصروا عليه حتى ماتوا على الفسق اي الخروج عن الطاعة
قال الامام ابو منصور سمى الله تعالى الكفار والمنافقين فاسقين في ايات وان كان
اسم الكافر والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق لان اسم الفاسق يانف منه
كل ذي دين فانه خروج عما تدين به فاخبر الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل
فاسقون في معاملتهم خارجون عن ديانتهم مستوجبون المذمة بتلك
الجهة ايضا ولا تعجبك اموالهم واولادهم قد مر تفسيره ومعنى التكرير
المبالغة في التاكيد والتقرير والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى
الاموال والاولاد والقلوب مرتبطة بهما والنفوس مغتبطة عليها وانما
عطف ههنا بالواو دون الفاء لعدم صحة التفريع على ما تقدم بخلاف ما
سبق بان ثمة جهة على ما بين هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا للتفريع
لا تحسبن ان تمكين اهل النفاق من تنفيذ مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم
اسداء معروف من الله تعالى اليهم او اسباغ انعام من لدنه عليهم انما ذلك مكر
بهم واستدراج لهم وامهال لا اهمال والله قدير متعال وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيعذبون بالنار في دار القرار ابدا واذا انزلت سورة يجوز ان يراد بها
على الحقيقة او بعضها على المجاز لان علم المجموع المعين بخلاف القران والكتاب
فانه يقع كل منهما على الكل والبعض على الحقيقة ان امنوا بالله ان هي المفسرة
وجاهدوا مع رسوله اي جاهدوا الكفار متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
استاذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا وقالوا ذرنا نكن

مع القاعدين

مع القاعدين الذين قعدوا عن الجهاد بعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء
جمع خالفة وقيل معناه مع الخساس من قولهم فلان خالفة قومه اذا كان دونهم في اسباب
الفضل وهذا تعيير لهم وذم وطبع على قلوبهم اي ختم عليها انما عطفه على كل ما تقدم
بالواو دون الفاء تنبيها على ان الطبع المذكور ليس اثر الرضى المذكور بل الامر بالعكس فهم
لا يفقهون فضل ما في الجهاد من السعادة الآجلة على ما في تركه من الراحة العاجلة و
رجحان ما في التخلف من الشقاوة الباقية على ما في عدمه من المشقة الزائلة وعلى هذا
يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضا فيه تنبيه على ان اثر الطبع ازالة الفطنة
لا ازالة الفهم راسا حتى ينافي بقاء التكليف لكن الرسول استدراك عما تقدم من
جهة المعنى فان قوله تعالى رضوا الخ في معنى لم يجاهدوا اصلا والذين امنوا اي المخلصون
من المومنين وانما قال معه افادة لمعنى التبعية له صلى الله عليه وسلم جاهدوا باموالهم
وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واخلص نية
كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يسبحون وقد صرح هنا بما قدمه
تعريضا واولئك لهم الخيرات انما اتى بالواو عطفا على مضمر كانه قيل فاولئك لهم النصرة
والغلبة والمراد من الخيرات انواع الغنايم فانها جمع خيرة تخفيف خيّرة وهو المستحسن
من كل شيء وكثر استعمالها في النساء ومنه ما في قوله تعالى فيهن خيرات حسان ولهذا
قيل اريد هنا الحور واولئك هم المفلحون الذين ادركوا بغيتهم في الاخرة والحصر في
المواضع الثلاثة ايضا في اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار بيان وجه ادراكهم
البغية خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قد مر ما يتعلق به من التفسير وجاء المعذرون
من الاعراب ليوذن لهم يقال اعذرت الى فلان اي تكلمت بالعذر فعذرني اي قبل
عذري واعتذرت اليه اي اتيت العذر الصحيح على امري وعذّرت بالتشديد اي
اتيت بما هو في صورة العذر ولا عذر لي فيه حقيقة والاية قرئت بالتخفيف وهو
قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وبالتشديد وهو قراءة سائر الناس فبالتخفيف من اعذر
وبالتشديد من اعتذر على ادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين اخبار عن قوم اتوا
بالعذر الصحيح فعذروا وبالتشديد من عذّر اخبار عن اعراب تكلموا بالعذر ولا عذر لهم فلم
يعذروا وفي الاية ذم لهم وجملته ان نزول السورة في الجهاد صار الناس على اصناف

منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم فى قوله استاذنك اولوا الطول منهم والمخلصون
وذكرهم فى قوله والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واعراب اهل البادية
من لهم عذر حقيقة اولا عذر لهم وذكرهم الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية على
القراءتين وآخرون من الاعراب تخلفوا من غير استيذان وذكرهم فى قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان ودليله قراة ابى رضى الله عنه كذبوا
الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب وانما قال الذين كفروا منهم
لان منهم من اعتذر للتأسّة لا للكفر عذاب اليم فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار
وقوم اخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عدة فجاوا واستعانوا وذكرهم فى قوله
ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن اوزمانة اوعرج اوعمى اوغير
ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انه لا طاقة به فى الحال ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم فى التاخير اذا نصحوا لله
ورسوله النصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الايمان بهما وطاعتهما فى
السر والعلن والقيام بما يعود الى الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا كما
فعله الناصح لمن ينصحه ويندرج فيه اندراجا اوليا ما قيل اى لم يثبطوا غيرهم
من الموسرين والاصحاء عن الخروج ولو يوهموهم ان قعودهم كان لجواز التخلف لكل
من اراده بل بينوا سبب تخلفهم وصنعوا القادرين عليه وقاموا باسبابهم ضد
خروجهم واسباب من خلفوهم بالمعونة ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم
جناح ولا الى معاتبتهم سبيل واما وضع الظاهر موضع الضمير فللدلالة على
انهم موصوفون بصفة تنافى العتاب فيفيد المدح فيندرج المدح والتعليل والله
غفور رحيم للمسئ فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على
الضعفاء اى ولا خرج ايضا على الاصحاء الذين لا يستطيعون المشى ويحتاجون الى
المركب وجاؤك ليسالوك ان تعطيهم مراكب تحملهم عليها يقال حمل الامير فلانا اذا
اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد كقوله
اوجاؤكم حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا جواب اذا ويجوز ان
يكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فما حالهم اذا اجابهم الرسول قيل تولوا ويكون

جواب اذا قوله قلت واعينهم تفيض الفيض هو السيلان عن الامتلاء من الدمع من للبيان
كما فى قولك افديك من رجل فيل محل الجار والمجرور النصب على التميز ورد بان التميز
الذى اصله فاعل لا يجوز جره بمن واصل الكلام تفيض دموعها فعدل الى ما ذكر ليكون
ابلغ كان العين كلها دمع فياض حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله
الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون فى مغزاهم فيه دلالة
على انهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ويجوز ان يكون
قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين عطف الخاص على العام ويجئ هذا قوله انما
السبيل معرفا بالالف واللام اذ عاد الى النكرة وكلمة انما ليست للحصر بل هى للمبالغة
فيما يريد تقرره كما فى قولك انما الشجاع غيرة على الذين السبيل قد يوصل بعلى وبالى
غير ان وصلها بعلى يقتضى صفة المتوصل اليه وقلة منعه فلذلك حسنت فى هذه
الاية يستاذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا
بالضعة والدناءة والانتظام فى سلك الخوالف ايثارا للدعة وفائدته بيان سبب
الاستيذان مع الغنى وهو امران رضاؤهم بالدناءة والطبع على قلوبهم بالخذلان
حتى غفلوا وجهلوا وخامة عاقبتهم فهم لا يعلمون مغبته تدحض المعذرون فى
التخلف فى ثلثة اقسام الذين قعدوا مع الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة
المالية والذين استحملوه فلم يجدوا ما يحملهم يعتذرون اليكم فى التخلف خطاب
للصحابة رضى الله عنهم اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة
لن نؤمن لكم علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فلا يبقى
فاذا لم يصدق ترك الاعتذار قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء التصديق
اى اعلمنا بالوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم بعض اخباركم وهو ما فى ضمايركم من
الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله رؤية العمل فى مثل هذا المقام يكون
كناية عن فعل الراى ما يستحقه العامل بسببه اى سيرى الله تعالى اتنيبون اليه
وتتوبون ام تثبتون على الكفر وتصرون اليه ففيه وعيد بالاساءة فى الدنيا و
وعد بالاحسان فيها وتقديم عملكم على قوله ورسوله للفصل بين الرؤيتين

تنبيها على ان التنافى على حقيقته والمراد موجبها وهو الفضاحة على تقدير الثبات
على الكفر ولا يخفى انه فى غاية الايجاز والفصاحة ثم ان فى عبارة التنسيق اشارة
الى ان الامهال لتدارك الانابة ففى الكلام استتابة على العطف وجه وانما قلنا
ان ما ذكر من الوعد والوعيد فى الدنيا لان قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
وعد ووعيد فى الاخرة وفيه تدارك لما عسى ان يذهب اليه الوهم من قوله وسيرى
الله الى ما لا يليق بشانه تعالى من الحاجة الى الروية وسبق علمه ببعض الاشياء
بالغفلة عنه وهذا وضع عالم الغيب والشهادة موضع الضمير اى لا يخفى عليه
خافية مما فى قلوبكم ولا بارزة مما يظهر على السنتكم وجوارحكم فيجازيكم به
فينبئكم على روس الاشهاد بما كنتم تعملون تشهيرا لحالهم وتقريرا لوبالهم وتذكرا
لما ذهب عن خيالهم وبالهم على ما افصح عنه فى موضع آخر بقوله فينبئهم بما عملوا
احصاه الله ونسوه فيتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يحفهم به من
الخزى والعار سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لما ذكر انه
يصدر منهم الاعتذار اخبر انهم سيوكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف بالله
وان سبب الحلف طلبتهم ان تعرضوا عنهم اعراض صفح فلا تلومونهم ولا توبخوهم
فاعرضوا عنهم اى فاجيبوا الى طلبتهم وفى تعليل الاعراض عنهم بقوله انهم رجس
دلالة على انه اعراض مقت اى ستقذرون بما انطووا عليه من النفاق فيجب
مباعدتهم واجتنابهم كما قال فى الاية الاخرى رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه وهذا اولى مما قيل لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير
بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير لان قوله وماويهم جهنم
يبعد هذا المعنى اى انهم ارجاس من اهل النار لا يجدى فيهم التوبيخ والافادة
خير من الاعادة اليهم الا ان يقال انه تعليل آخر اى وكفتهم جهنم عقابا وتوبيخا
فلا تتكلفوا فى عقابهم جزاء بما كانوا يكسبون مصدر موكدا او مفعول له او حال
من جهنم يحلفون لكم حذف ههنا المحلوف به واثبت فيما تقدم اكتفاء بذكره
مرة كما فى قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها وقوله تعالى واقسموا بالله لترضوا
عنهم اى غرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم فينفعهم فى دنياهم فان ترضوا

بيضاوي

عنهم

عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى كان رضاكم عنهم لا ينفعهم اذا كان
الله ساخطا عليهم لان سخط الله تعالى يوردهم عقوبة الدنيا والاخرة ورضاكم
لا يستلزم رضاه والعدول عن الضمير الى الظاهر للتسجيل عليهم بالفسق وللدلالة
على ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا يحصل رضاه ما داموا فاسقين و
على ان الحكم عام وان كان سبب الورود خاصا لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب والمراد نهيهم عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم لما ذكر حلفهم فيما سبق
لاجل الاعراض جاء الامر بالاعراض هنا لانها تتنوع بحسب الاعراض فيكون المعنى على
مقتضى الحكمة ولا كذلك الرضى وقد ذكر ههنا الحلف لاجل الرضى وابرز النهى عنه
فى صورة الشرطية اخراجا له مخرج التردد فيه لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض
فانه محسوس مشاهد وجعل جوابه انتفاء رضى الله تعالى عنهم فصار رضا المومنين
ابعد شئ من الوقوع لان اللائق بهم ان لا يرضوا عمن لا يرضى الله عنهم الاعراب سكان
البوادى اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لانهم كانوا فى البوادى ولا محالة ان خوفهم
هنالك اقل من منافقى المدينة فالسنتهم لذلك اطلق ونفاقهم اشق ازالة لقساوة
قلبهم واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغيبتهم عن مجالسته وقلة ما يراد عليهم من مواعظ القران حدود ما
انزل الله على رسوله من الاوامر والنواهى لقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل
الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ذكر العلم بعد العمل
ابلغ وعد ووعيد والكل بشارة وتهديد ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق يصرفه فى سبيل
الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اى يجعله مقصده ولا يرى فيه غير ذلك اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية واصل الغرم الدين ومنه تعوذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم ولكن كثر استعماله فيما يؤديه الانسان مما لا يلزمه
بحق وفى لفظه معنى اللزوم ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما ويتربص بكم الدوائر الدائرة
فى الاصل مصدر سمى به كالعاقبة او اسم فاعل من دار يدور وسمى به عقبة الزمان التى
لا يخلص منها فهى تحيط بالشئ كما تحيط الدائرة ويحتمل ان يوخذ من دور الزمان اى ينتظر بكم

ما تاتي به الايام وتدور به من النوايب ليتقلب الامر عليكم فيتخلصوا من الانفاق
عليهم دائرة السوء دعاء عليهم والسَّوء بالفتح وهو ذم للدائرة اضيف اليه كقوله
رجل سَوْءٍ لان من دارت اليه ذمّها بالسَّوْء وقرئ بضم السين قيل بالفتح المصدر و
بالضم الاسم وقال ابو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان و
تاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا راسه ولا يقال رجل سوء الا بفتح السين ولهذا
لم تختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ما كان ابوك امرء سَوْءٍ والله سميع لما
يظهرونه عند الانفاق عليم بما يضمرونه من النفاق ومن الاعراب من يومن بالله
واليوم الآخر لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق
مغنما وذكر هٰهنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله
تعالى واليوم الاخر اذ جزاء ما ينفق انما يظهر ثوابه الدايم في الاخرة وقد اكتفى
ثمه بذكر نتيجة الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرما والتربص بالمومنين الدواير ويتخذ
اي يجعل مقصدا ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهو ثاني مفعولي يتخذ و
عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول سبب صلواته لانه صلى الله عليه
وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم
اللهم صلِّ على آل ابي أوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره اقيم المسبب مقام
السبب في الموضعين لقوة الاستلزام وشدة التشوق الى اللازم الا انها قربة
لهم شهادة من الله تعالى للمتصدقين بصحة ما اعتقدوه على ابلغ الوجوه من
التاكيد بالاستيناف وألا وانّ المفيدين للتحقيق وثبات الامر وتمكنه و
تنكير قربة للتعظيم والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته تصديقا
لرجائهم لما في السين من تحقيق الوعد باحاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة
هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة من الله تعالى بمكان
اذا خلصت النية من صاحبها ان الله غفور رحيم استيناف لتقريرما وعد لهم
والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين
شهدوا بدرا والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة

الثانية

الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير رضي
الله عنه وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين والذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة باحسان باخلاص قال
الله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن رضي الله عنهم لطاعتهم واعمالهم ورضوا
عنه لما افاضه عليهم نعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرئ
من تحتها خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قد مرّ تفسيره وممّن حولكم اي حول
بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهي جُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ واَسْلَمُ واَشْجَعُ وغِفَارُ
ومن اهل المدينة عطف على من حولكم او خبر محذوف صفته مردوا على النفاق اي
دربوا فيه وتمرنوا عليه ولجوا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة
للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتداء لبيان تمهرهم في
النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم بيان لقوله مردوا على النفاق اي بلغوا من مهارتهم
فيه الى ان تخفى حالهم عليك مع كمال فطنتك وصدق فراستك لتنوقهم في توقي مواقع
التهم نحن نعلمهم تاكيد للبيان لافادة تقديم الضمير التخصيص اي لا يعلمهم الا الله وحده
ولا يطلع على سرهم غيره لشدة ابطانهم الكفر واظهارهم الاخلاص وحمل مردوا على الاكتفاء
ابلغ وانسب لهذه المبالغة سنعذبهم فيه تحقيق لعذابهم بموجب علمه مرتين بالفضيحة
والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ويحتمل انه لا يراد بها
شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد مرة ثم
يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار في دار القرار واخرون اعترفوا بذنوبهم اي
لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة من تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم ومخالفتهم نادمين وهم طائفة
من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسأل
عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى
اومر فيهم فنزلت واطلقهم خلطوا عملا صالحا هو اظهار الندم واعتراف بالذنب
واخر سيئا هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو في الخلط ابلغ من الباء لدلالتها

على كون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به بخلاف الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا
والاخر مخلوطا به ويجوز ان يكون بمعنى الباء والمفعول محذوف وعملا بدل منه من
قولهم بعت الشاة شاة ودرهما عسى الله ان يتوب عليهم اى يقبل توبتهم وهى
مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم قال الكلبى عسى من الله واجب اى هو اطماع والاطماع
الكريم ايجاب ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه قال بعض العلماء المسيء
منا الى المخلوق اذا اخافه لم يتخلص من ذلك الا بشيئين الانكار والفرار والمسيء فى حق الله
تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والفرار قال قائلهم • اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا •
واعلم ان جحود الذنب ذنبان • خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك تصدق بها وطهرنا فقال صلى الله
عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب وحب المال المودى
بهم الى مثله صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المونث وقرى تطهرهم من اطهره بمعنى
طهره وقرى تطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا وتزكيهم بها باثبات الياء والتزكية مبالغة
فى التطهير وزيادة فيه او الانماء والبركة فى المال بها اى بالصدقة وصل عليهم واعطف
عليهم وترحم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليهم نفوسهم
وتطمئن قلوبهم بان الله تعالى قبل توبتهم وجمعها لتعدد المدعو لهم والله سميع يسمع اعترافهم
بذنوبهم عليم بما فى ضمائرهم من الغم والندم وصدق التوبة الم يعلموا الضمير اما للمتوب
عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد
التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت لا رسوله ولا غيره عن عباده
تعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية و
اخذها مجاز عن قبولها وقبولها كناية عن اعطاء الثواب فى مقابلتها كما هو شان الكريم
وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين مرة بعد اخرى و
التفضل عليهم بالتجاوز عما وقع بين التوبتين والواو للعطف على مقدر كانه قيل ان
الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكورة وحذف اداة التعليل مع انه قياس و
تقديمه على ما ذكر فى تعليل قبول التوبة للترتيب بين التعليل والمعلل بهما امكن
فتامل وقل اعملوا ما شئتم ظاهره امر وباطنه وعد ووعيد والخطاب للجميع

فسيرى الله عملكم خيرا كان او شرا وقد مر بيانه ورسوله والمومنون وفى الخبر
لو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة يخرج عمله الى الناس كائنا ما كان وستردون
الى عالم الغيب والشهادة قد مر بيانه والغاية هنا بدل ثم حرف التقريب لان كل آت
قريب ولان الرد عند الموت وهو محتمل فى كل آن والمقام مقام التحذير فلا يناسبه اداة
التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد فى حق المحسن ووعيد فى حق المسيء
وآخرون من المتخلفين مرجون قرئ بالهمزة من ارجاه وبغير الهمزة من ارجيته ومعناه
مؤخرون اى موقوف امرهم لامر الله اى الى امر الله تعالى فى شانهم اما يعذبهم اى ان
اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم اى ان تابوا والترديد لنا ولدفع وهم ان يكون له تعالى
قال والله عليم باعمالهم ونياتهم حكيم فيما يفعل بهم ويدخل فيه امر التاخير دخولا
اوليا وقرئ غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن
الربيع رضى الله عنهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم و
لا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله تعالى والذين
اتخذوا مسجدا عطف على آخرون او نصب على الذم او خبر مبتدا محذوف تقديره وهم
الذين او مبتدا خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا والواو عاطفة الجملة
على الجملة وقرئ بغير واو فاحتمل ان يكون بدلا من قوله وآخرون وان يكون خبر
مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر واتخذوا هنا يتعدى لواحد كما فى قوله
اتخذت بيتا اى عملته ضرارا اى مضارة مفعول لاجله لما ذكر طرائق ذميمة لاصناف
المنافقين اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ فى الشر حتى ابتنى مجمعا للمنافقين يدبرون
ما شاؤا فيه من الشر وسموه مسجدا وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه روى ان بنى عمرو
بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى
فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو
عامر الراهب اذا قدم من الشام وتفريقا بين المؤمنين المجتمعين على الصلوة فى مسجد
قبا لانهم ارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا وترقبا لمن حارب الله لاجل
من حارب الله يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله صلى الله عليه وسلم الى يوم حنين انهزم مع هوازن

وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدًا ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم امر محاربته صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدًا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت فدعا بجماعة منهم الوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة ولَيَحلِفُنَّ إن اردنا إلا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الا الارادة الحسنى وهي الصلوة والزكوة والتوسعة على المصلين كانهم قد قالوا لما انزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اتموا بناءه انا قد بنينا مسجدًا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدًا اراد القيام للصلوة كما في قوله عليه الصلوة والسلام من صام رمضان وقامه لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسس لاحياء دين الله تعالى واظهار شريعته التي لا يتوثر بها الا من اتقى الله تعالى قال ابو سعيد الخدري وأُبي بن كعب رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا من اول يوم من ايام وجوده وقيل هو مسجد قبا لانه اوفق للقصة والاول هو الوجه لانه لا يطرأ نظر ولانه اوفق لقوله احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها اسلفنا في تعليلي يتضمن الاشارة الى ان صلاح جماعة من اسباب ترجيح الصلوة في مسجدهم والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء الحبيب حبيبه روى انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار رايت الله اثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون عند الغائط قالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه اى بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها الشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه

قوله قبل ان ينافقوا اى قبل ظهور النفاق سعدى

قوله وهي الصلوة والزكوة قال التفتازاني تفسير لخصلة الخير وان اريد الحسنى على انها مفعول به وان اريد الحسنى على انها مصدر فهي الارادة الصلوة سعدى

الذى

الذي جرفه اصل السيول وتحفرها الماء فبقى واهيا من الجرف وهو انقلاع الشيء من اصله والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على الهدم والسقوط لما استعار الجرف الهائر لمقابل التقوى من الباطل الذي هو الفجور والنفاق والضرار على انه شبه الحق الذي هو التقوى بقاعدة محكمة قوية على طريق الاستعارة بالكناية ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله تعالى ثم رشح الاستعارة بقوله فانهار به في نار جهنم فان الجرف الهائر سهل الانهيار لخوره وقلة ثباته واستمساكه وهو تصوير لسرعة اداء الباطل الى هوى صاحبه في قعر جهنم كانه بنى على جرف واد من اودية جهنم جرف اصله السيل وبعهم منه ان تاسيس الذي يقابله على امر يحفظ عن النار ويوصله الى الرضوان الذي ادنى مقتضياته الجنة ولذلك عطف الرضوان على التقوى وجعل كانهما امران متلازمان ونكرت التقوى اشعارا بان تلازمهما بحيث كل ما يلزم احدهما يلزم الاخر ولا نرى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على ما هو المقصود من المقام منه وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه ما دام حيا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يهديهم من حيث هم ظالمون الى ما فيه صلاح ونجاة وقد عرّان نفى الهداية في مثل هذا على طريق تنزيل ما لا اثر له منزلة العدم والا فالله هادي الكل الى مصالحهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده بنيانة وح يكون الذي بمعنى الذين والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن المضاف المحذوف اى بناء بنيانهم الذي بنوها سبب ريبة مانة حملهم على ذلك ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازدادوا نفاقا بحيث لا يزول وسمة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى قابلية الادراك والاضمار فالتقطيع تصوير لامتناع زوال الريب عن القلوب مع بقائها وان زوالها لا يكون الا بزوالها وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة اى وقت ان تقطع وهو في محل النصب على الظرف ويجوز ان يكون المراد حقيقة التقطيع بالقتل او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقرى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب وقرئ ولو قطعت على البناء والله عليم بضماير العباد حكيم في التمييز بين اهل الصلاح

واهل الفساد فيدخل في الاول بنائهم وفي الثانية الامر الوارد في حقهم دخولا اوليا ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة استعار الاشتراء لاثابتهم الجنة
على بذل الاموال والانفس في سبيل الله تعالى ولم يقل بالجنة مدحا لهم باعتبار انهم بذلوا
انفسهم واموالهم بمجرد الوعد وفيه كمال ثقتهم بوعده تعالى وايضا تمام الاستعارة المذكورة
به اذ لا بد لها من قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة ولو قيل بالجنة لم توجد تلك القرينة
لان الجنة صالحة لان تكون احد العوضين بخلاف الوعد بها يقاتلون في سبيل الله
استيناف لبيان الاشتراء الا لبيان ما لاجله الشراء وقيل خبر بمعنى الامر كقوله تجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم اظهارا لاهتمامهم بالمامور به كانهم سارعوا الى الامتثال
فاخبر عنه فعلى هذا يكون الاشتراء تمهيدا له فيقتلون ويقتلون تفصيل لمقاتلتهم
وبيان لاحرازهم فضيلتي الجهاد وقرئ بتقديم المبني للمفعول ومبناه على اسناد
فعل البعض الى الكل وفيه دلالة على ثبات قلوبهم وجراءتهم على العدو حيث لم
ينكسروا بان قتل بعضهم كما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما
وهنوا وقيل في توجيهه ان الواو لا توجب الترتيب وهو لا يجدي لان تقديم ما
حقه التاخير لا يكون بسلامة الامر وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم
الجنة حقا صفته في التورية والانجيل والقران اي وعده الى انبيائه عليهم السلام
واثبته في كتبه ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في انجاز الوعد وتقرير لكونه
حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به في غاية الفرح فانكم تبيعون
فانيا بباق وتاخذون ثمنا من مشتري بمبيع هو ملكه وحقه ثم لا يخرج عن ايديكم بهذا
البيع الا حيوة منغصة فانية ومال قليل نافد تعتاضون منها حيوة مهناة دائمة
ونعما في جنات الخلد باقية خاطبهم على سبيل الالتفات تشريفا لهم واستبشر فعل
جاء فيه استفعل بمعنى افعل وليس هذا من معنى الطلب في شيء كعجب واستعجب و
ذلك اي البيع هو الفوز العظيم لانه الموصول الى الحظ الاغبط من حط الذنوب
ودخول الجنة بلا حساب التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون والدليل عليه قراءة التائبين الى قوله والحافظين نصبا على المدح او جرا
صفة للمؤمنين ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون الموصوفون بهذه

الصفات

الصفات من اهل الجنة وان لم يجاهد لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الصفات العابدون الذين عبدوا الله تعالى وحده مخلصين له الدين
الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون اي الصائمون
لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام شبه بها من حيث انه يعوق عن
الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت
او السائرون للجهاد او طلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون
بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انهما بمنزلة خصلة واحدة كانه قال والجامعون بينهما وفي قوله
والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع لانه من تمام
تلك الخصلة فان من لم يصدق فعله قوله ولم يوافق حاله مقاله لا يجدي امره
نفعا ولا يفيد نهيه ورعا ومن لم يتنبه لهذا قال انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل
بيضاوى
الفضائل وهذا مجملها وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف على هذا
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذا سمي واو الثمانية وستعرف باذن الله تعالى على ما فيه
في موضعه وبشر المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين
موضع ضميرهم اشعارا بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وان الكامل في الايمان
من كان على الصفات المذكورة وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن الوصف
واحاطة الافهام والتعبير عنه بالكلام ما كان للنبي فائدة دخول كان المبالغة في نفي الفعل
الداخلة هي عليه بتعديد جهة نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتبار الاستغفار
مثلا والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ان يطلبوا المغفرة لهم ولو كانوا اولي قربى روي
انه صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج بها عند الله فابى فقال
صلى الله عليه وسلم لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وفيه ان موت ابي طالب كان قبل
الهجرة وهذا اخر ما نزلت بالمدينة لا يقال ما ذكرتم انما يتم ان لو كان نزول الاية عقيب موت
ابي طالب وليس بلازم لجواز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر له الى وقت نزول الاية

لانا نقول الظاهر من قول الراوى فنزلت انما هو التعقيب بلا تراخ وانما قال
للمشركين دون الكافرين لان منهم من هو معذور كالذى لم تبلغه الدعوة فلا نهى
عن الاستغفار لهم وذكر الطيبى ان النبى صلى الله عليه وسلم زار قبر امه فى الف فارس
وهو يريد ان يستغفر لها فلما قام عند قبرها فاذا هو بجبريل عليه السلام فوضع
يده على صدره وتلى هذه الاية فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون فما روى
يوما اشد باكيا من يومئذ من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لا بموتهم على الشرك
خاصة بل به وبنزول الوحى فيه فلا يختص المنهى بالذين ماتوا على الشرك وانما قال
من بعد ما تبين لعدم المنع عن الاستغفار قبل ذلك لانه طلب التوفيق للايمان ا‌قتضاء
ومن قال بحجية المفهوم اتخذوه دليلا على جواز الاستغفار للاحياء من الكفار مطلقا
ولما ورد النهى عن الاستغفار للمشركين قال الناس ان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه
المشرك فنزلت هذه الاية وما كان استغفار ابرهيم لابيه يعنى بعد موته على الشرك
لان الاستغفار له قبل الموت لا يصلح متمسكا للقائل المذكور وذلك ظاهر فلا ينطبق
سبب النزول الا عن موعدة وعدها اياه وقرى اباه اى وعدها ابرهيم
بقوله سلام عليك سا ستغفر لك ربى فانجز وعده فان انجاز الوعد واجب ولم
يكن موته على الشرك ظاهرا عنده عليه السلام كان يوم الجزاء على ما ورد فى الحديث الصحيح
تبرأ منه ولم يطلب مغفرته بعد ذلك ان ابرهيم استيناف لبيان ما حمله عليه السلام
على الاستغفار لابيه لاواه فعال من اوه وهو الذى يكثر التاوه اى الترحم والتعطف
ولكثرة تاوهه كان يتعطف لابيه المشرك حليم صبور على الاذى ولذلك كان يحلم عن
ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له مع شكايته خلقه وما كان الله قدم وجه زيادة كان
فى مثل هذا المقام ليضل قوما ليخلق فيهم الضلالة ومن قال يسميهم ضلالا فقد ركب
فيه مذهب الاعتزال بعد اذ هداهم للاسلام حتى يتبين لهم بالنهى عبارة او دلالة
ما يتقون ما يجب اتقاؤه اى ليس من شانه تعالى تكليف الغافل فالمهتدى للاسلام اذا
قدم على بعض محظورات الشرع انما يكون ضالا ان كان اقدامه عليه بعد بيان حظره وكان
عذر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاقدام على استغفار امه وفيه دليل على ان تكليف الغافل
غير واقع فى شرايع الانبياء عليهم السلام ان الله بكل شىء عليم فيعلم حاجة الغافل الى
البيان

كما هو الظاهر من قوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله وهذا التبيين عنده عليه السلام

البيان فيعذره وهو تتميم للبيان المذكور ان الله له خاصة ملك السموات والارض لا شريك
له يحيى ويميت يهدى ويضل وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار
للمشركين ولو كانوا اولى قربى واشار بقوله تبرأ منه الى وجوب التبرى منهم بعد ما تبين حالهم
بين ان الملك والحول والقوة كلها لله تعالى راسا وانه الهادى والمضل ولا ولاية ولا نصرة
لهم الا منه ليتولوه ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون
ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو العفو عن اذنه
للمنافقين بالتخلف والمهاجرين والانصار قيل هو فى حق زلات سبقت منهم يوم احد وحنين
قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم فنبه بعث المؤمنين
على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى صلى الله عليه وسلم و
المهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ لا احد الا وله حال ينتقص
ما هو فيه بالنسبة اليها فالترقى منه اليها توبة من تلك النقيصة وفيه بيان لفضلها
وشرفها بانها مقام الانبياء عليهم السلام والصالحين رحمهم الله قال ابن عباس رضى الله
عنهما كانت السورة تدعى الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة الذين
اتبعوه اى اتبعوا امره عليه السلام فى ساعة العسرة فى وقتها فان الساعة فى اللغة
بمعنى مطلق الزمان والعسرة الضيق والشدة والعدم وهى حالهم فى غزوة تبوك
كانوا فى عسرة الظهر يعتقب على بعير واحد والزاد حتى قيل انه الرجلين كانا يقتسمان
تمرة والماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها فى شدة زمان من حرارة القيظ من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق اى بعد ما قاربوا من الميل عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
فى تلك الغزوة وانما اسند زيغهم الى القلب اظهارا لكونه بمعنى الميل القلبى لا بمعنى
الانحراف القالبى منهم اى من المتبعين له عليه السلام وفى كاد ضمير الشان او ضمير
القلب والعايد عليه الضمير فى منهم لم يقل زاغت بل قال كاد يزيغ ولم يقل قلوبهم
بل قال قلوب فريق منهم تنبيها على شركة كلهم فى القرار على قدم الثبات فى مثل تلك
الحال وامتياز جلهم عن الباقين بقوة الثبات وفيه اشارة الى جهة استحقاقهم لان يتوب
الله تعالى عليهم وما فى قوله منهم من الابهام لايهام انهم ليسوا من المهاجرين والانصار لعدم
انحصار المتبعين له عليه السلام فيهما ما لا يخفى من التعظيم لشانهما والترفيع لمكانهما عن

مظنة التشنيع ثم تاب عليهم على العزيق الذى كاد يزيغ قلوبهم لكبد ودتهم وعلى قرآة
عبد الله من بعد ما زاغت لزيغهم وما تقدم فى حق ذلك سبقت من المهاجرين والانصار
فى يوم أُحُد وحُنَيْن لا يغنى عن هذا فلا تكرير وفى عبارة التراخى اشارة الى تاخر عفوهم
الى تخلل الكفر بينه وبين جريمتهم انه بهم استيناف تعليلى رؤف رحيم والجمع بين
الاسمين للمبالغة والتاكيد وعلى الثلاثة الذين هم الذين تقدم فيهم واخرون مرجون
معطوف على قوله والانصار خلفوا اخروا وتُرِك امرهم بل يُقبَل منهم معذرة ولا ردت
عليهم فكانهم خلفوا عن المعتذرين حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها
لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من
فرط حيرة الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا
ملجاء من الله من سخطه الا اليه بالتوبة والاستغفار جاءت هذه الجملة فى كيف اذا
فى غاية الحسن والترتيب حيث ذكر اولاً ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا ما هو كناية
عن ضيق الحال والاول لا يغنى عن الثانى لانه قد يضيق المحل وتكون النفس منشرحة
وثالثا هو كناية عن الياس عن الناس والانقطاع الى الله تعالى وحتى اذا كلمة غاية
تقديره وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول
توبتهم بقرينة الاستيناف ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة
مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة الاستيناف للتعليل بقوله ان الله
هو التواب لمن تاب ولو عاد فى يوم الف مرة الرحيم المتفضل عليهم باصناف النعم
وهم المستحقون بانواع النعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا
مع الصادقين الذين صدقوا فى دين الله تعالى نية وقولا وعملا او فى ايمانهم
ومعاهدتهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الطاعة او فى توبتهم و
انابتهم فيكون المراد هولاء الثلثة واضرابهم وقرئ من الصادقين ونسبة
القراة تعين الى المعانى المذكورة على السواء ما كان لاهل المدينة اى ما صح وما جاز
لهم ومن حولهم من الاعراب كمُزَيْنَة واشجع واسلم وجُهَيْنَة وغفار ان يتخلفوا عن
رسول الله معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبايل العرب المجاورة على التخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونهيهم منها الام على ابلغ وجه بملازمته صلى الله

عليه

عليه وسلم اينما توجه غازيا وبذل النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
اى ولا ان يرغبوا عطفا على الاول ورغب اذا تعدى بفى او الباء يفيد معنى الطلب و
اذا تعدى بعن يفيد معنى الترك والاعراض ومال المعنى ولا يرضوا ان يكونوا فى
خفض ودعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى شدة ونصب روى ان ابا خيثمة
بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل
ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه
الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى
وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظماء عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة مفعلة من خموص
البطن وهو ضمره وكنى بذلك عن حالة الجوع لانه ملازم لها والتنكير فى الثلاثة
للتقليل فى سبيل الله فى طريق الجهاد ولا يطئون موطئا باقدامهم او ارجل خيولهم
والموطا يجوز ان يكون مصدرا وان يكون موضعا كالمرجع يغيظ الكفار ولطئهم اياه
ولا ينالون من عدو قلم يقل منهم اخراجا للمسلمين منهم والغيظ وهو انقباض الطبع بما
يرى مما يسوءه بنظهم نيلا شيئا من قتل او جرح او ضرب او اسر او تشريد او اخذ مال الا
كتب لهم به عمل صالح اى حصل لهم بكل واحد من هذه الاثار حسنة مقبولة فان كتابته
كناية عن حصوله وذلك مما يوجب المتابعة وانما قال به مع ذكر اشيا وجعلا لانه لما دخل
بين كل شيئين منها لا مكررا صار كل واحد منها مفردا بالذكر مقصودا بالوعد ولهذا
قالوا من حلف لا ياكل خبزا ولا لحما حنث بكل واحد منهما ولو قال لا ياكل خبزا ولحما
لا يحنث الا بهما جميعا ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم فيه ايذان بان الجهاد
احسان وان الاحسان موجب للاجر فيكون تعليلا لكتب اما كونه احسانا بالنسبة الى المومنين
فلما فيه من صيانة حوزة الاسلام عن استيلاء الكفار واما بالنسبة الى الكفار فلانه سعى فى
اصلاحهم وارشادهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون ليشرب الدواء النافع

روى ان ابا خيثمة انه رواه بمعناه
البيهقى وقوله يانع اى ناضج وقوله
فى الضح بمهملة ضوء الشمس اذا
استمكن من الارض قاله ابن الاثير
قوله يزهاه السراب اى يرفعه ويظهره
عبارة عن السرعة

النصب على عطفا على يتخلفوا والجزم اى
على ان لا ناهية

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان
رضي الله عنه في جيش العسرة وتقديم النفقة الصغيرة مع ان حقها التاخير للاهتمام
بشانها لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا يقطعون واديا في ذهابهم و
مجيئهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع
في معنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون
احسن مصدر او مفعول ثان اي جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم فيلحق
ما دونه به شكرا لسعيهم وتوفيرا لاجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام
لتاكيد النفي اي وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش وهو تمهيد لوجوب النفر في
طلب العلم لانه فهم منه انه لو امكن نفر الكل ولم يؤد الى مفسدة لوجب وهذا الوجوب
لوجوب التفقه على كل مسلم لقوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة اي فاذا لم يمكن نفير الكل لما فاته المصلحة فهلا نفر من
كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة واهل بلدة طائفة قليلة ليتفقهوا في الدين به و
لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اي ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا
مشاق تحصيلها وليجعلوا غرضهم في كل ذلك ونهاية سعيهم انذار قومهم وارشادهم
ارادة ان يحذروا الله تعالى في اجتناب معاصيه وامتثال اوامره وتخصيص الانذار
بالذكر وجعله وحده غرض التفقه وان كان العمل به اقدم واهم لانه اشرف واعلا
لان التفقه لا يكون تفقها الا عند العمل به فمن لم يعمل بما علم فليس بفقيه ولا شك
ان التكميل بعد الكمال فكان العمل داخلا في التفقه وبعد الكمال بالعلم والعمل لا يكون
الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على ان التفقه في الدين والتذكير من فروض الكفاية
وان خبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة فلو كانت فرقة في قرية توجب خروج بعضهم للتفقه
وانذارهم ولوجب عمل الباقين باخبارهم وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه وفي الاية
وجه آخر وهو ان المومنين بعدما سمعوا ما انزل الله تعالى في المتخلفين عن غزوة تبوك
تسابقوا في الجهاد فكانوا اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا نفروا عن
آخرهم وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة

طائفة

طائفة ليتفقه الباقون في الدين فلا ينقطع التفقه الذي هو الغرض من البعثة
والجهاد الاكبر فان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجدال بالسيف ولينذروا قومهم
النافرين اليهم للفرقة الباقين وفي رجعوا ولعلهم للطائفة النافرين وفيه تشتت
الضماير وهو وان لم يكن مخلا بالفصاحة عند انتظام المعنى وانسياق الذهن اليه لكن
عدمه اولى فالراجح هو الوجه الاول يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون
منكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب قيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا غزا ربما يجاوز كفارا ويقاتل الابعد ليكون اية لنبوته وانه لا يبالي ولا يخاف
من تركه فنزلت الاية تعليما للمومنين امر الحرب كما علمهم ذلك في ايات اخر من الامر باخذ الحذر
واعداد ما استطاعوا من قوة وقيل ان الذين يلونهم من الاعداء يوم نزول هذه الاية
هم الروم الذين بهم هم رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فكان الكلام متصلا
بما تقدم من غزوة تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة وشدة وصبرا على القتال
وقرئ غلظة بالحركات الثلث واعلموا قدم وجه زيادة اعلموا في مثل هذا المقام
ان الله مع المتقين ينصر من اتقاه فهو يبشر لهم بالنصر واذا ما انزلت سورة فمنهم
فمن المنافقين من يقول لبعضهم ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء
بالمومنين وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا اي فاما المخلصون
والفاء لترتيب الاخبار عنهم وعن مقابليهم على التوبيخ والتفصيل على ما تقدم فزادتهم
ايمانا بزيادة اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم
وهم يستبشرون وهم يفرحون بنزولها لزيادة اعمالهم وارتفاع درجاتهم بها حتى
يتبين ذلك في وجوههم وبشرتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى
رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى
ماتوا عليه انزل القرآن لقوم شفاء ولقوم شقاء اولا يرون يعني المنافقين وانما تخلل
الواو لانها عاطفة ودخل عليها الف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستانف من وجه متصل من
وجه وقرئ بتاء الخطاب يعني المومنين والاستفهام ح للتعجب اي تعجبا منهم كيف قست
قلوبهم وعميت ابصارهم عما يرى عليهم من انواع المحن واصناف المحن انهم يفتنون يبتلون
بانواع البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون بما يظهر عليه من

الايات في كل عام العام هنا ليس على عمومه بل مخصص بقرينة المقام مرة او مرتين
قبيل هذه الفتنة بهتك استارهم واظهار اسرارهم ثم لا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينتهون عما هم عليه وزيادة هم لان غيرهم
يتعظون باختيارهم ان سنة الله تعالى ان لا يخلي ارباب التكليف من دلائل التعريف
والتحريك لهم في كل وقت بنوع من البيان والتعريك في كل اوان بضرب من الامتحان فمنهم
من لا يزداد بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجبة عن فرايد البيان واذا ما انزلت سورة
ذكر فيما سبق ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء وذكر هنا ما يحدث منهم من
الفعل استهزاء نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية لما فيها من عيوبهم
هل يراكم قائلين هل يراكم من احد من المسلمين يريدون الانصراف سرا لا تفاء صبرهم
على الاستماع لغلبة الضحك وكذا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لغلبة
الغيظ فان لم يرهم احد قاموا وان راهم اقاموا نفاقا ثم انصرفوا عن حضرته صلى
الله عليه وسلم مخافة الفضيحة على التقديرين صرف الله قلوبهم الظاهر انه خبر
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لما كان الكلام في معرض
ذكر الذنب بدا بالفعل المنسوب اليهم بقوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة
لهم في فعلهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومن بلاغة القران وبديع نظمه انه اذا
كان القول في تعداد الذنب بداء في ترتيبه من الجهة التي هي عن المذنب كما في المثالين
المذكورين ليكون هذا اشد تقريرا للذنب عليهم واما كان في تعداد نعمه تعالى بدأ في ترتيبه
بالجهة التي هي عنه تعالى كما في قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ليكون ذلك منبها على تلقاء
النعمة من عنده لقد جاءكم رسول مخاطبة للعرب على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك
اذ جاء من مكانهم وجاء بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض والفصاحة وتشرفوا به غابر
الايام على ساير الانام وقرئ من انفسكم اي اشرفكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله
عزيز عليه ما عنتم اي شديد وشاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع
في العذاب حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمومنين خاصة ففيه تعميم من وجه
وتخصيص من وجه رؤوف رحيم الرأفة اشد الرحمة والرحمة اعم منها لان الرحمة
تستعمل في كل نفع من المطر والسعة والعافية وغيرها فكان المعنى في الرؤوف الشفيق

تم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم بفتح الفاء وهي قراوة فاطمة وعائشة رضي الله عنها وابن محيصن وعكرمة وكرداب ذكره القاري في تخريج قراءات البيضاوي ولم يذكر القراءة المتواترة لانها مشهورة في التلاوة

العطوف

العطوف وفي الرحيم النافع المفضل قدم كلا منهما وما تقدم على الآخر وقيل قدم الرأفة
على الرحمة لان الرأفة انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الآفات والنقايص التي
يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي يستحق بها
الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد
التزكية ونسبتها الى الاولى نسبة حريص الى عزيز فان تولوا فقل اي فان اعرضوا عن
الايمان بك فقل لهم وفيه تلوين الخطاب ووجه التفريع ان مقتضى الرحمة والرأفة ان لا يدعو
عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي يوذيهم اي فاقتصر على القول الجامع للترغيب والترهيب
حسبي الله اي فاستعن بالله تعالى وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم لا اله الا هو كالدليل على التسليم والتوكل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف
الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام
والمقادير وعن ابي رضي الله عنه اخر ما نزل هاتان الآيتان وقال البراء بن عازب رضي الله
عنهما اخر سورة انزلت كاملة براءة ومن قال وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران
الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما
سبعون الف صف من الملئكة فكانه نسي ما قدمه من قوله عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك الحديث
والله اعلم بالصواب سورة يونس عليه السلام بسم الله
الرحمن الرحيم الر قرئ بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الامالة وقرئ بين الفتح
والكسر والاصل ترك الامالة لان الفها ليست منقلبة من الياء ومن امال قصد التنبيه
على انها اسم لا حرف تلك ايات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنه السورة
او القران والمراد من الكتاب احدهما والاول ابلغ من حيث ان البعض اذا استقل بوصف
الكمال فالكل اولى والحكيم ذو الحكمة وصف به الكتاب لاشتماله عليها ويجوز ان يكون من
قبيل توصيف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر للمبالغة كانه في نفسه حكيم لكثرة حكمه و
ان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون استعارة مكنية واثبات
الحكمة قرينة اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجب الكفار من الايحاء وتعجب السامعين
من تعجبهم لكونه في غير المحل وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو ان اوحينا لكون

المعرة الامر القبيح المكروه والاذى وهي فعلة من العر وهو الجرب يعيب ويعدي بجربه صحاح

قوله وعن ابي اخر ما نزل هاتان الآيتان اخرجه عبد الله بن احمد بن حنبل ا سيوطي

بيضاوي تبعا للكشاف

من افنادرجالهم بفتح الهمزة وبالفاء والمداى مما الاشهرة لجاه ومال ورياسة ونحوها مما يعدونه من اسباب العز والاجلال والاوفر عندهم بحسب شرف النسب اظهر من الشمس وخفة الحال اى من المال وجوه اعون شئ فى هذا الباب اى باب الوحى والنبوة والرسالة لان الخفة من ذلك اعون على تحصيل الامور الدينية بنج الاسلام قاضى كريا

الانكار والتعجيب راجعين اليه وقرئ عجبٌ فجعل اسماً مع كونه نكرة لتخصيصه بتقدم للناس عليه لانه فى المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقدم والاستفهام خصوصا الانكارى فى حكم النفى وان اوحينا خبرا على عكس ما تقدم لا على القلب لا لانه خلاف الاصل لانه لا يخل بالبلاغة بل لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة او اعتبر كان تامة وعجبٌ فاعلها والمعنى احدث للناس عجب لأن اوحينا واما ما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا يساعده سداد المعنى اللام فى للناس متعلقة بعجبا على طريقة البيان يعنى ان هذا العجب لهم كما فى هيت لك بمعنى هذا الخطاب لك اى انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم علما فى انكارهم واستهزائهم به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما فى قولهم ومن الناس من يقول كذا فكانه قصد مقابلتهم فيما قصدوه بقولهم الى رجل منهم تعجبوا من ان يوحى الى رجل من افناد رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وذلك من فرط حماقتهم وقصور نظرهم عن معرفة الاوصاف التى بها اختاره الله تعالى للرسالة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقصر من عظمائهم فى النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر فى الرياسة من اكرم الخصال الا المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم السلام قبله كذلك و تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام فمن خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوى الافهام أن انذر الناس أن هى المفسرة لان فى الايحاء معنى القول وجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على ان الاصل انه انذروا بمعنى ان الشان قولنا انذر الناس وموقعه النصب باوحينا وفيه حذف الاسم والخبر وفى الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية تقديره بانذار الناس وذكر الناس اسم الجنس اى الناس للتعميم للفريقين كانه قال ان انذر الناس مؤمنا كان او كافرا وبشر الذين آمنوا خاصة لان المبشر به مشروط بالايمان فالتاء به ينقلب انذارا فى حق الكفار لا الاستغراق كما ذهب اليه من قال عمم الانذار

اذ

اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه لان تبليغ الانذار ولو بارسال الخبر الى كل من فى عصره ليس فى وسعه صلى الله عليه وسلم واطلاق المومنين على التعميم لمن آمن من الثقلين وبذلك يخرم القصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار باحدهما اصالة فى امر البعثة لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا الشرط مفقود ههنا لان العبارة وان كانت ساكتة عن العموم لكن الدلالة ناطقة به بقرينة ما فى قرينه من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولان التخلية بعد التحلية اتم ان لهم فى محل النصب بيبشر على حذف الباء قدم صدق سميت السابقة والمسعاة الجميلة قدما لان السعى والسبق انما يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها محققة وان صاحبها قد نالها بصدق القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة معنوية او صورية فيكون كقوله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ويعضده قوله عند ربهم ومن قال اى سابقة وفضيلة ومنزلة رفيعة لم يصب فى الجمع بين وجهى المجاز بل بين وجوهه قال الكافرون ان هذا فيه دلالة على انهم يقولون عند حضرته صلى الله عليه وسلم لساحر مبين وقرئ لسحر والاشارة الى القرآن وسائر ما اتى به من الخوارق للعادات وكيف ما كان ففيه اعتراف بعجزهم عن المعارضة وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عنادا ومكابرة لان التعجب او لانه التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا عند نفس المعارض دأب العاجز المفحم ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش دل به على عظمة شانه وكمال سلطانه بالقدرة على خلق اصول الكائنات كلها مع سعتها وبسطتها فى وقت يسير وعلى عظم ملكه بالاستواء على العرش ثم قررها واكدها بقوله يدبر الامر لان تدبير الخلايق كلها بتهيئة اسبابها وترتيبها على النظام الحكمى مما يبين امر العظمة ويقرره والتدبير النظر فى ادبار الامور ليقع على ما ينبغى من الوجه الاتم الاصوب ثم زاد فى تقرير معنى العظمة والكبرياء والعزة والجلال بقوله ما من شفيع الا من بعد اذنه كقوله

بيضاوى

يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وفيه اثبات الشفاعة
لمن اذن له واما الرد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى فلا يتم لانهم يزعمون
ان الله تعالى يأذن لهم في الشفاعة ولا دلالة في الاية على عدم الاذن لهم ذلكم الله
اشارة الى المعلوم الموصوف بتلك العظمة والكبرياء الموجبة لاستحقاق العبادة
اى ذلكم الموصوف بما وصف هو ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا من اشرف الموجودات فضلا عن جماد افلا تذكرون
ابعد النظر في تفرده تعالى في هذه الاوصاف الموجب لتخصيصه بالعبادة لا تتذكرون
فتنتبهون بادنى تفكر على خطاء ما انتم عليه اليه لا الى غيره مرجعكم جميعا
بالبعث من القبور يوم النشور ظاهره اخبار عن المآل وباطنه انذار عما فيه من سوء
الحال وامر على وجه الارشاد بالاستعداد ليوم التناد وعد الله مصدر موكد لنفسه
لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر آخر موكد لغيره وهو ما دل عليه
وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه استيناف كالدليل لما تقدم
وذلك انه تعالى لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده ما يدل على كونه ممكن
الوقوع في نفسه بقوله انه يبدؤ الخلق لان امكان الوجود اولا يدل على امكانه ثانيا
ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله ثم يعيده وقيل هو كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا
لانه لما كان المقصود من الابدا والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم وجب ان
يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه بالفتح اى لانه وبعد حذف اللام يكون منصوبا
بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون من غير اعتبار اللام منصوبا بوعد المحذوف مفعولا
به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان الموعود هو الاعادة لا البدء او مرفوعا
بحق المحذوف وقد قرئ وعد الله على لفظ الفعل وحق انه يبدؤ الخلق كقولك
حق ان زيدا منطلق وقرئ يُبدئ الخلق من الابداء ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط متعلق بيجزي اى بعدله او بعدالتهم او بما عدلوا بايمانهم
وعملهم ولم يظلموا بالشرك لان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته بما كانوا
يكفرون والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار يغلي قد انتهى حره وهو
في جهنم وعذاب اليم اى عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون غير النظم

ولم يقل

وما قيل انها دعوى غير مسلمة [illegible] فيها الا ان [illegible] ولا تنطق [illegible] الاصنام [illegible] ليس من [illegible] شهاب

قوله ويؤيده قراءة انه هي قراءة طلحة والاعمش من الشواذ وابي جعفر من العشرة محرره

ولم يقل ويجزي الذين كفروا بالشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم كما قال
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقاب ولصوق
العذاب بهم وجعل ثواب الايمان والعمل الصالح غرضا دون عقاب الكفر للتنبيه على
ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة وان الله تعالى هو الذي يتولى
اثابة المومنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما العقاب فانه واقع
بالعرض كانه داء ساقه الى الكفر وسوء اعتقادهم وشوم اعمالهم هو الذي
جعل الشمس ضياء ان كان جعل بمعنى صير يكون مفعولا ثانيا وان كان بمعنى
خلق يكون حالا والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء
فيه منقلبة عن الواو وقرئ بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر
نورا جعل نفس الشمس ضياء وعين القمر نورا للمبالغة ولما كانت الشمس اعظم
جرما خصت بالضياء لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور
وقيل ما هو بالذات ضوء وما بالعرض نور فكانه قصد بما ذكر التنبيه على ان نور
الشمس ذاتي ونور القمر عرضي مستفاد منها وقدره قدر القمر منازل اى
مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والمراد بالمنازل
البروج اذ بها وبقطعها عدد الشهور والسنين وخصص القمر بها لان المعتبر
في الشرع السنة القمرية والشهر الهلالي وبهما تتعلق احكام الشرع ولذلك
علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اى حساب الاوقات من الاشهر
والايام والليالي في معاملاتكم وعباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى ما ذكر
الا بالحق حال مستثناة من اعم الاحوال اى ما خلقه بحال الا ملتبسا بالحق مراعيا
فيه مقتضى الحكمة البالغة الى الصواب نفصل الايات نبين العلامات التي
يستدل بها على الحق لقوم يعلمون خصهم بالذكر بذلك لانهم هم المنتفعون بها ان
في اختلاف الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما وكون احدهما يخلف الآخر او
تفاوتهما وكون احدهما يزيد بنقصان الآخر وما خلق الله في السموات والارض
من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم
يتقون خصهم بذلك لان الباعث على النظر والتدبر لا يكون الا تقوى الله والحذر

قوله لآيات على وجود الصانع اشارة الى ان الآيات بمعنى الدلائل شهاب

عن العاقبة فهم الذين يعلمونها ايات وينتفعون بها دون غيرهم ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يخافونه لانكارهم البعث لانه لا ينتظم مع تعليل قرينه بل لاعتمادهم
على شفعائهم واستعمال الرجا فى معنى الخوف شايع كما فى قوله تعالى ما لكم
لا ترجون لله وقارا وقال الهذلى   اذا لسعته نحلة لم يرج لسعها ٭ والمراد من
لقاء الله تعالى سوء الحساب عنده تعالى وما يترتب عليه من اصابة المكروه
وهذا صريح فى عدم تاثير التحذير والترهيب فيهم ورضوا بالحياة الدنيا من
الاخرة لغفلتهم عنها ولا تمشية لهذا التعليل فى حق المنكرين لها ضرورة ان
الانكار لامر لا يجامع الغفلة عنه ووصفهم هذا كناية عن ان الترغيب لا يجدى
نفعا فى حقهم ولما احتمل ان يقال لم لا يجوز ان يزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال
دفعه بقوله واطمانوا بها اى سكنوا بها سكون من لا يزعج عنها فانظر الى حسن
انتظام هذا المقال فمن قال فى تفسير الوصف الاول لا يتوقعونه لانكارهم البعث
وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فكانه اخطاء فى التعليل لم يصب فى المعلل لانه
اخل بشق الترهيب ثم ان قوله وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب تفسير
الرجا بالامل على ما هو حقيقته وحمل اللقاء على نيل الثواب على ان عبارة الذهول
لا تقتضيه سبق القلم لا يناسب المقام والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون
فيها لانهماكهم فيما يضادها والواو بين الموصولين للجمع بين الوصفين المتغايرين
والتنبيه على ان الوعيد لمن والذين وهى الفرقة الفارغة عن احوال الاخرة و
اهوالها الراضية بالحياة الدنيا والتى الهاهم حب العاجل عن التامل فى الآجل
والاعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من
المعاصى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
الى سلوك السبيل المودى الى الجنة ولذلك جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا وتفسيرا
له او يهديهم فى الآخرة بسبب نور ايمانهم الى الجنة كقوله تعالى يوم ترى المومنين
والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم او لما يريدونه فى الجنة وعلى هذا يكون
تجرى خبرا ثانيا لان او حالا من الضمير المنصوب فى يهديهم وجعل التمسك
سبب السعادة نفس الوصول اليها كان هدايتهم الى المقصد بسرعة الاداء اليه

نفس

بيضاوى

نفس الوصول اليه فى جنات النعيم متعلق بتجرى او بيهدى او خبر او حال اخرى من الضمير
المذكور او من الانهار ولا يخفى على من انصف وبالتجنب عن التعسف اتصف ان الجمع بين
الايمان والعمل الصالح ظاهر فى انه السبب لا سيما فى مقام الترغيب فى اكتساب اسباب
حسن اللقاء واجتناب اسباب سوء الجزاء ثم التصريح بسببية الايمان المضاف الى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالتنصيص على انه ذلك الايمان المقرون بالعمل الصالح لا
مطلق الايمان غاية الامر انه ذكر لاصالته وزيادة شرفه فلا يكون ذكره مستدركا ولا دالا
على استقلال الايمان وبهذا التفصيل اندفع ما قيل ومفهوم الترتيب وان دل على ان
سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله تعالى بايمانهم على استقلال الايمان
بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف قيل ولا يخالف لما ذكر من اهل السنة والجماعة
لان العصاة غير مهديين واما ان كل من لم يكن مهتديا فهو خالد فى النار فهو ممنوع و
دعوى ذلك غاية المكابرة ولا وجه له لان الكلام فى الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبيل
المودى الى الجنة وعصاة المومنين مهتدين بهذه الهداية ولا خلاف فى ان من لا يكون مهتديا
بهذه الهداية لا يدخل الجنة فالصواب فى الجواب عن تمسك المخالف بهذه الاية انها
معارضة بمثل قوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله
ورسله كان فيه دلالة على ان الايمان وحده كاف فى استحقاق ما اعد له والاصل
فى النصوص التوفيق وههنا بحمل النعيم على ما هو اسم خاص لاحدى الجنان السبع
على ما تفصيله فى سورة البقرة والمراد من الجنات المضافة اليه البساتين ونظيره
قوله تعالى فلهم جنات الماوى فيجوز ان تكون الهداية الى جنة النعيم مشروطة بالعمل
الصالح لان الايمان وحده كافيا فى الهداية الى مطلق الجنة دعويهم فيها اى دعاؤهم
سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها اى تحية بعضهم لبعض او تحية
الملائكة اياهم سلام وآخر دعويهم خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى ان
يقولوا ذلك وان هى المخففة من الثقيلة اصله انه الحمد لله والضمير للشان وقرئ ان
الحمد بالتشديد ونصب الحمد يعنى اهل الجنة مستغنون عن طلب السؤال لحضور كل ما
يشتهيهم فى الحال آمنون عن احتمال الانقطاع والزوال فلا جرم دعاؤهم اولا وآخرا
مقصور على التمجيد والتحميد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله

بيضاوى

ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير وحذف ما حذف منه لدلالة الباقي عليه ايجازا
وذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كان استعجالهم به نفس تعجيل
له ولان المراد بالشر الشر الذي استعجلوه كقوله فامطر علينا حجارة من السماء لقضي اليهم
اجلهم اي ولو يعجل الله لاهل مكة الشر الذي دعوا به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير ويجيبهم
اليه لما قالوا العذاب بل اهلكوا واميتوا لان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك وقرئ لقضى
على البناء للفاعل وهو الله تعالى ويؤيده قراة لقضينا وهذه الاية متصلة بقوله ان
الذين لا يرجون لقاءنا دلالة على استحقاقهم العذاب والله تعالى انما يمهلهم استدراجا
وجيء بالناس بدل ضميرهم تعظيما للامر ثم قيل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا
في طغيانهم يعمهون مصرحا باسمهم وذكر المومنين انما وقع في البين تتميما ومقابلة
فليس باجنبي ومن هنا ظهر انه لا حاجة الى ان يجعل فنذر جواب شرط محذوف
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته في جميع احواله لا يفتر عنه في حال من
احواله لجنبه ملقيا لجنبه في موضع الحال لعطف الحالين عليه اي دعانا
مضطجعا او قاعدا او قائما فالترديد للتعميم لجميع الاحوال او لجميع اصناف
احوال الضر ملقى لجنبه عاجزا عن القعود او قاعدا لا يقدر على القيام او قائما
لا يقدر على النقلة اي لا يستغني عن الدعاء في نوع من انواعه فلما كشفنا عنه
ضره مر مضى على طريقته الاولى في الذهول والغفلة عنا ونسي الجهد او مر عن
موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اصله كانه لم يدعنا فخفف وحذف
ضمير الشان كما في قوله ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان ٠ الى ضر مسه
اي كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون عملهم
من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات ولقد اهلكنا القرون من
قبلكم الخطاب لاهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب وجاءتهم رسلهم
بالبينات الواو للحال ولا حاجة الى تقدير قد لانها لم تدخل على جاءتهم رسلهم
بالبينات وحده بل على جملة ذلك القول والتي يليها كانه قيل لما ظلموا وقصتهم
هذه وقد مر نظير هذا في اوايل سورة البقرة في تفسير قوله تعالى وكنتم امواتا
فاحياكم الاية او عطف على ظلموا لان معناه احداث التكذيب وهذا معنى

النحر موضع القلادة من الصدر والضمير في ثدياه يعود الى النحر للزوم عليه وحقان
كنيته حقة والاصل ان يقال حقتان لان التاء للتانيث في الواحدة يكون ثابتا في التثنية
الا انه لما خفف ابطل عمله واصل كان ان فلما خفف خففا بالابتدا
وقال ثدياه حقان وهما مرفوعان
والخبر
مهران

الاصرار

الاصرار عليه بحيث لا فائدة في امهالهم وما كانوا ليومنوا وما استقام لهم ان
يومنوا لفساد استعدادهم واللام لتاكيد النفي واما علمه تعالى بانهم يموتون
على الكفر فلا تاثير له في عدم ايمانهم لان العلم تابع للمعلوم فلا يوثر فيه ويجوز
ان يكون عطفا على ظلموا ويكون موخرا عن جاءتهم رسلهم بالبينات معنى وان قدم
عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا لذلك والمعنى
ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعدم الفائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة
ببعثة الرسل ويجوز ان يكون وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا لتقرير ما تخلل
هو بينه كذلك مثل ذلك الجزاء بالاهلاك على وجه الاستيصال نجزي القوم المجرمين
اراد المجرمين بالجرم المعهود وهو تكذيب الرسل والاصرار عليه وانما قال نجزي القوم
لان الكلام في عذاب الاستيصال ومن لم يتنبه له قال في تفسيره نجزي كل مجرم والمقصود
وعيد لاهل مكة وتهديد لهم ومبناه على اندراجهم فيه اندراجا اوليا وهذا ابلغ
من الخطاب لهم ومن لم يتنبه له جوز ان يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع
المضمر ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم من بعد القرون التي اهلكناهم
جعل مختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم
استعير ثم للتراخي في الرتبة فلا ينافي عنده قوله من بعدهم وكيف في محل النصب بتعملون
مستعار المعنى اي شيء فيكون نصبه على المفعولية ويجوز ان يكون نصبه على الحالية
اي لننظر على اي حال تعملون على حال الخير او على حال الشر ولا يجوز انتصابه بننظر لان
الاستفهام لا يتقدم عليه عامله وفائدته التنبيه على ان المعتبر في الجزاء ما هيات الافعال
وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولهذا يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى والنظر
على حقيقته لان الكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية كقوله تعالى وقدمنا الى ما
عملوا على ما نبهت عليه آنفا ومن لم يتنبه لذلك قال هو مستعار للعلم المحقق
الذي هو العلم بالشيء موجودا ويلزمه الالتزام بان يكون علمه تعالى بالحوادث حادثا
ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تعالى عنه ومنشاوه الغفول عن ان من ليس زماني
لا يتوقف علمه بالحوادث على مرور الزمان وحصول تلك الحوادث في اوقاتها كما هو شان
علم من هو زماني واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لا يخافون

بيضاوى

بيضاوى

كشاف

لقاءنا يعني المستهزئين من المشركين ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ائت بقران
غير هذا بكتاب آخر ليس فيه ما نغيظنا من ذم آلهتنا والوعيد على عبادتها
نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية تفيد ذلك اية اخرى وانما اقترحوا
ذلك مكرا وطمعا في اجابته اليه فيلزموه وليستهزؤا منه ولما كان الاتيان
بقران غير هذا ليس مقدورا للانسان لم يحتج الى نفيه ونفي ما هو مقدور له
وان كان غير جائز في نفسه صلى الله عليه وسلم وان كان غير مقدور فقيل له
قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي مصدر استعمل
ظرفا هذا ما بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه ان نفي الثاني نفي
للاول دلالة فلا اقتصار في النفي ولا اكتفاء ببعض الجواب والله اعلم بالصواب
إن اتبع إلا ما يوحى إلي تعليل لقوله ما يكون لي لان المتبع لغيره في امر سيما
الوحي لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بقران آخر ورد
لما عرضوا به في هذا السؤال من ان القران كلامه صلى الله عليه وسلم ومفتراه
ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا بقوله اني
اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم فيه ايماء بانهم استوجبوا
العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به ولا اعلمكم به على لساني اي ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله تعالى الا بمشيئتي
حتى اجعله على نحو ما تشتهونه وقرئ ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولاعلمكم الله به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم
ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم على لغة من يقول اعطاته وارضاته
في اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا انذرتكم وقرئ
ولا ادرأتكم به بالهمزة على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة لانهما من واد
واحد او على انه من درأته اذا دفعت وادرأته جعلته دارئا اي ولا جعلتكم
بتلاوته خصما تدرؤني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا طويلا مقدار
اربعين سنة من قبله من قبل هذا القران لا اتلوه ولا اعلم شيئا وهو تقرير لكونه
من اعلام الله تعالى وبمشيئته فان من نشأ بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم يتعلم

شيئا

قوله غير ذلك الاولى لا اتلوه عليكم سعدى

ولا انذرتكم الانذار الاعلام مع التخويف هدائى

شيئا ولم يجالس قط عالما ولم يمارس علما ولم ينش خطبة ولا قريضا ثم اتى بكلام
بهرت فصاحته فصاحة كل بليغ وعلا نظمه كل منظوم ومنثور خارقا للعادة فاعجز
عن معارضته البلغاء عن آخرهم محتو على فنون العلوم والحكم ناطق بغيوب لا يعلمها
الا الله مشتمل على اصول الاحكام وفروعها معرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم من عند الله تعالى افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم بالتامل فيه فتعلمون انه ليس الا من الله تعالى الا من مثلي فلا تتهموني
بالافتراء على الله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته كناية منه
صلى الله عليه وسلم وعنهم اي من اظلم مني ان افتريت على الله كذبا بتبديل ما انزله
تعالى علي ومنكم بتكذيبكم بايات الله تعالى وقد سبق في تفسير سورة البقرة
وجه هذه الطريقة الاستفهامية في مقام المبالغة واما ما قيل تظليم للمشركين بافترائهم
على الله تعالى في قولهم انه ذو شريك وذو ولد فيأباه التصدير بالفاء الدالة على
ترتيب الكلام على ما سبق واغار او قوله كذبا مع الافتراء لا يكون الا كذلك اظهارا
لما فيه من جهتي القبح انه لا يفلح المجرمون لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مأمول
ولا يامنون من محذور ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي الاوثان
لانها جمادات لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ومن خواص المعبود
ان يكون قادرا على النفع والضر مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا في الآخرة وعن النضر بن الحارث اذا
كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى ومن زاد على قوله ان يكن بعث وكانهم كانوا هذا
شاكين فيه فعدا في بشيء مجاب كما لا يخفى على ذوي الالباب قل اتنبئون الله
اتخبرونه بما لا يعلم اي بما لا وجود له اصلا وهو ان له شريكا انباهم لله تعالى تهكم
بهم وتقريع لهم باخبارهم علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء
وشفاعتهم عند الله تعالى واعلام ببطلانه واستحالته بان ما لا يتعلق علمه لم يكن شيئا
اصلا لان علمه تعالى محيط بجميع الاشياء ولا حاجة في تمشية هذا الكلام الى تقدير الشيء
بما يعلم ويخبر عنه في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف موكدة للنفي لا
لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف من ارادتها عند تاكيد

بيضاوى

النفي ليس هذا في السماء ولا في الارض لاعتقاد العامة ان كل ما يوجد فهو اما
في السماء واما في الارض فلا حاجة الى التزام ان يكون الكلام الزاميا ودعوى ان اللعـ
كذلك دعوى في اعتقاد المخاطبين سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن
الشركاء الذين يشركونهم وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة
من غير اختلاف بينهم وذلك في عهد ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
وقيل بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين ديارا ومبنى هذا على عموم الغرق
الطوفان وتمامه موقوف على ان يكون نوح عليه السلام مبعوثا لكافة الانام
حتى يلزم الكفر لمن لم يتبعه ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا باتباع الهوى
فبعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين على ما مر في سورة البقرة فمن وهم
ان اختلافهم ببعثة الرسل فافهم انه مخالف لنص القران ولولا كلمة سبقت
من ربك قضاء جرى في الازل بتاخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيمة بمجازاة
الردى والعمل في دار التكليف لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق
عن الباطل بابقاء المحق وابطال المبطل ويقولون عدل عن صيغة الماضي الى صيغة
المضارع حكاية للحال الماضية وقصدا الى الاستمرار لولا انزل عليه اية من ربه
ارادوا به اية من الايات التي كانوا يقترحونها غير مكترثين بما نزل عليه صلى
الله عليه وسلم من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من الانبياء
عليهم السلام قبله خصوصا القران المعجز الباقي على وجه الدهر وغير معتدين
به عنادا ومكابرة بل جعلوا نزوله كلا نزول وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى
قالوا لولا انزل عليه بتنكير اية للتحقير اي اية ما واحدة وشيء من جنس الاية
وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله
اي اني لا اعلم المانع من انزالها فانه غيب ولا يعلم الغيب الا الله وما قيل فلعله
يعلم في انزالها من مفاسد تصرف عنه لا ينتظم مع قوله فانتظروا نزول ما
اقترحوه اني معكم من المنتظرين ما يفعل الله بكم من العذاب بجحودكم الايات
العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا اذقنا الناس رحمة كخصب وامن
وصحة من بعد ضراء من القحط والشدة والمرض مستهم خالطتهم حتى احسوا

بسوء

بسوء اثرها اذا لهم مكر في اياتنا المكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة
المطوية الخلق قد سبق في تفسير سورة الاعراف بيان معنى المكر وما به يفارق
الكيد واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت جوابا للشرط قيل سلط الله تعالى
القحط على اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في ايات الله تعالى ويمكرون رسوله عليه الصلوة والسلام قل
الله اسرع مكرا انما قال اسرع مكرا يعني منكم لان معنى المفاجاة قد دل على السرعة
تفضل عليها اي فاجاوا في وقت اذاقة الرحمة المكر وسارعوا اليه قبل ان
ينفض من رؤسهم غبار الضراء ومعناه انه قد دبر عذابكم وهو موقعه بكم
قبل ان تدبروا كيدكم واطفاء نور الاسلام والمكر من الله تعالى جزاء مكرهم
واخذهم بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما
دبروا في اخفائه من مقدمات المكر لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى على
الله تعالى وايعاد بالانتقام وتحقيق له وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله
هو الذي يسيركم في البر يمكنكم من السير فيه بان جعل لكم الارض ذلولا
تمشون في مناكبها وقرئ ينشركم من النشر والبحر لما كان السير فيه اغرب
والى ظهور اثار القدرة والرحمة اقرب خصه بالتفصيل فقال حتى اذا كنتم
في الفلك في السفن وحتى على القراءة الثانية لبيان ان غاية النشر مضمون
الجملة الشرطية والالتفات في وجرين بهم اي بمن فيها للمبالغة في جري الفلك
بمرادهم كان ركوبها ووقوعهم في الغيبة معا لسرعة الجري وفي تقبيح حالهم
بمنزلة ما اذا عرض المتكلم عن المخاطب وحكى لغيره سوء صنيعه وقلة حيائه
كانه يذكر بغيرهم حالهم ليقبحهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح و
لك ان تقول في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر مورود
فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين والسايرون في البر والبحر مؤمنون وكفار
والخطاب شامل لجميعهم فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح
يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة آل الامر في اخرها الى ان المتلبس بها
هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون

المكورة اي المستدلة اللحم هداني

كشاف

بالحيا هو المطر نعمة تحيي به الانعام ثم يخصب هداني

ثم رحمهم بالحيا الحيا منصور المخصب والمطر جلال

يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا
بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف
ذات عصف شديدة الهبوب وجوز ان يكون الضمير للفلك ولا يلايم قوله وجاءهم
الموج لما فيه من تخصيص مجئ الريح بالسفينة ومجئ الريح عن فيها بلا نكتة تقتضيها
بل معنى مجئ الموج من جهات متقابلة يستدعى ان يكون الضمير للريح الطيبة حتى
يفيد معنى التقابل والتدافع بين الريحين فتحصيل المبالغة فى التجاج البحر واضطراب
امواجها المقصودة من قوله من كل مكان فان عبارة كل فى مثل هذا المقام للمبالغة
والتفخيم لا للاحاطة والتعميم ومن غفل عنه قيد المكان بقوله يجئ الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو ومثل
فى الهلاك فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم
من لوازم ظنهم مخلصين له الدين موحدين بلا اشراك لصفاء الفطرة بزوال
المانع من شدة الخوف لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقديره واللام فى لئن موطئة للقسم
فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون فى الارض فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا
الى ما كانوا عليه بغير الحق احتراز من البغى بالحق كتخريب المسلمين ديار الكفار و
قلع اشجارهم واحراق زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس تلوين للخطاب
فى اثناء الكلام والتفات آخر لشدة الاعتناء بترك البغى والمبالغة فى النهى والتنفير
عنه انما بغيكم على انفسكم بغيكم مبتداء على انفسكم صلته متاع الحياة الدنيا خبره
اى بغيكم على من هو من جنسكم ومثلكم يعنى بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا
لا تبقى ويبقى عقابها او على انفسكم خبر اى انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحياة
الدنيا خبر مبتداء محذوف اى هو متاع الحياة الدنيا وقرئ متاع بالنصب على انه
مصدر مؤكد وعلى انفسكم خبر اى انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون متاع الحياة
الدنيا ثم الينا مرجعكم فى القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون وقد سبق تفسيره فى
سورة التوبة انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات

بيضاوى

الارض فاشتبك بسببه حتى يخالط بعضه بعضا لتكاثفه مما ياكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها استعير
لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب لما كان
من الاشياء البهية المنظر السارة للنفوس وازينت باصناف النبات واشكالها
والوانها المختلفة وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير ادغام كاغيلت اى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها وتحصيل ثمرتها والانتفاع
بها اتاها امرنا باتلاف زرعها وافساده ببعض الافات بعد امنهم من افاتها
ليلا او نهارا فجعلناها اى فجعلنا زرعها على تقدير حذف المضاف للمبالغة
حصيدا مقطوعا مستاصلا شبيها بالحصيد كان لم تغن بالامس اى كان
لم ينبت ذلك الزرع ولا حاجة هنا الى تقدير المضاف وقرئ بالياء على الاصل
يقال غنى بالمكان غنى مثل عمى عمى وتغنى اذا اقام وقرئ لم يتغن بالامس فيما قبله
مثل فى الوقت القريب الماضى كانه قيل كان لم تغن آنفا المقرر ان البغى متاع الحيوة
الدنيا عقبه بتمثيل الحياة الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع بهجته و
زينته بحال نبات الارض النابت بماء المطر فى سرعة جفافه وذهابه حطاما بعد
اخضراره وغضاضته قبل انتفاع الناس به لتنفير العقلاء عنه والممثل به مضمون
الحكاية لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب وقوله تعالى حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مبالغة فى تزيين الارض وبهجتها فى اثناء
التمثيل بتشبيهها فى جعلها اخذه زخرفها بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة
من كل لون فاكتستها وتزينت بانواع الزين والحلى على طريق الاستعارة بالكناية
كذلك نفصل الايات نبينها ونميز بعضها عن بعض لقوم يتفكرون انما خصها بهم
لانهم المنتفعون بها والله يدعو الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعالى تعظيما
لها او دار الله او دار السلامة من التقضى والافة لسلامة اهلها من كل مكروه وقيل
دار السلام لفشو السلام بينهم او تسليم الملائكة عليهم ويهدى من يشاء هدايته بالتوفيق
الى صراط مستقيم طريقها وهو الاسلام بالتقوى ولما كان الدعاء عاما لم يقيد بالمشية

بخلاف الهداية فانها خاصة فتقيدت بها وفيه ايذان بان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلالة لم يرد الله تعالى ان يرشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة
الحسنى وزيادة عليها وهي التفضل لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم
والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة الرضوان وقيل الحسنى
الجنة والزيادة هو اللقاء ومن غلات اصحاب الضلال من قال زعمت المشبهة والمجبرة

كشاف

ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا
ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو
احب اليهم منه قوله مرفوع صح بالقاف عنده ومعناه مفترى واما عند اهل الحق
فقد صح بالفاء رواه ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن عباس
رضي الله عنهم وعكرمة وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى والسدي ومقاتل اورده
مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم واورده البخاري
في صحيحه بلا اسناد وصححه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجة فالحديث متفق
على صحته وذلك المتعصب طعن في الحديث الصحيح والخبر الحق الصريح ترويجا
لاعتقاده الفاسد وتصحيحا لمذهبه الباطل وصحف المرفوع فجعله مرقوعا ليرقع به
مذهبه المخروق هيهات اتسع الخرق على الراقع والحق الواقع ما له من دافع ولا يرهق
وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان يعني لا يرهقهم ما
يرهق اهل النار او لا يلحقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال وكسوف بال
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقطاع لنعيمها
بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات عطف على الذين احسنوا كقولهم
في الدار زيد والحجرة عمرو وجاز العطف على عاملين مختلفين لتقدم المجرور او مبتداء
خبره جزاء سيئة بمثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى
سيئة بسيئة واحدة مثلها وفيه دليل على ان الزيادة هي الفضل لان جزاء السيئة
بمثلها هو العدل وترهقهم ذلة اذ كاد لهم بما ينقذهم منه برحمة ما لهم من الله
من عاصم اي من سخط الله تعالى وعذابه او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من

الليل

من الليل والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعا ومن الليل صفة له والعامل في
الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بالسكون من قوله بقطع
من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا او حالا منه لاختصاصه بالوصف ويعضده قراءة كانما
يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولا تمسك
فيه للوعيدية لان سياق الكلام في الكفار لقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد
ايمانكم واما التعليل باشتمال السيئات على الشرك والكفر ففيه تخصيص الحكم المذكور
بالمشركين ولا وصله والتعليل يتناول الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من المؤمنين فلا
يتناول قسيمه فليس بقوي لان كونهم من المحسنين على الاطلاق غير ظاهر ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم حتى تنظروا
ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المرفوع المنتقل اليه مكانكم من عامله لسده مسد
الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ شركاءكم بالنصب على المفعول معه م
فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل فباعدنا
بينهم بعد الجمع في الحشر وتبراء شركاؤهم منهم ومن عبادتهم لقوله اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا ويأباه ترتيب قوله وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون بالفاء الواصلة بلا تراخ على ما تقدم وهو مجاز عن براءة ما عبدوه
من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما
اشركوا به والمراد من الشركاء الملائكة وعزير والمسيح ومن عبدوهم من اولي
العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فتكلمهم بذلك مكان الشفاعة التي
يتوقعون منها وقيل الشيطان والشياطين ويرده فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت باغوائهم
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المكان تبلو كل
نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من العمل اي تعاين ضره ونفعه وقرئ تتلوا
من التلاوة اي تقرأ في صحيفتها ما قدمت من الخير والشر او من التلو اي تتبع لان
عملها هو الذي يقودها الى الجنة او النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل اي نصيب

كل نفس بالبلاء وهو العذاب بسبب ما قدمت من الشر فيكون ما ناصبا بنزع
الخافض او تختبرها باختبار ما اسلفت اى تفعل بعملها فعل المختبر بحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بمعرفة عملها فى الصلاح والفساد والقبول والرد فيكون ما
بدلا من كل نفس بدل الاشتمال وردوا الى الله اى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم
الحق ربهم والمتولى امورهم الحق لا الباطل الذى اتخذوه مولى او مولاهم على
الحقيقة لا الذى ليس لولايته حقيقة او العدل الذى لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب
على المدح كقوله الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد كقوله الحمد لله هذا عبد الله
الحق لا الباطل وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم
او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض منهما جميعا فان
الارزاق انما تحصل من الاسباب سماوية وارضية معا او من كل واحدة توسعة
عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ام من
يملك السمع والابصار اى من يستطيع خلقهما وتصويرهما او حفظهما وكلائتهما من
الافات مع كثرتها وسرعة تاذيهما وبطلانهما من ادنى شئ ولما كان الوصول الى الرزق
بواسطتهما كان خلقهما وحفظهما من تمام الترزيق ولهذا قال ام من ولم يقل ومن كما قال ومن
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى اى ينشئ الحياة من النطفة والنطفة منه ومن يدبر
الامر ومن يلى تدبير امر العالم تعميم بعد التخصيص تنبيها على ان تفاصيل المنن والنعم واسباب
الايجاد والربوبية اكثر من ان تحصى كانه قال وبالجملة من يدبر امر العالم كله فسيقولون الله
اذ لا يقدرون بنسبة ذلك الى غيره مكابرة لظهوره ووضوحه فالسين للتاكيد والفاء جزائية
للترتيب على شرط محذوف تقديره ان سالتهم عن ذلك فسيقولون الله البتة فقل
تفريع على الشرطية المذكورة افلا تتقون الله فى اشراككم به ما لا يشاركه فى شئ من ذلك
الهمزة للاستفهام الانكارى والفاء للترتيب الانكارى على الاعتراف المذكور فهى مقدمة معنى
وان اخرت لفظا حفظا لصدارة الهمزة فذلكم الله اشارة الى من هذه افعاله وقدرته
ربكم الحق الثابت ربوبيته الواجب وجوده لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر
اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الذى هو التوحيد و
تخصيص العبادة به تعالى الا الضلال فانى تصرفون من الحق الى الضلال ومن التوحيد الى

الشرك

الشرك كذلك مثل ذلك الحق اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما حق وثبت ان
الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك حكمه على الذين فسقوا و
تمردوا فى الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون مفعول كلمة لانها فى معنى
الحكم اى حكمهم بانهم لا يؤمنون او بدل منها اى حق وثبت انهم لا يؤمنون او تعليل على ان
الكلمة كلمة العذاب وعدته اى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق
ثم يعيده الزمهم بابداء الخلق واعادته وان لم يكونوا معترفين بها تنبيها على وضوح
برهانها ودلالة على ان من انكرها كان مكابرا رادا للظاهر البين الذى اعترف بصحته العقلاء
وكان عندهم من المسلمات وقد اومئ الى لجاجهم وعنادهم وشدة مكابرتهم بامر النبى
صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم فى الجواب فى قوله قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده
اى لا يدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتمكين
والاقدار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر والهام الحق والصواب وهدى كما
يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية
وانها لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله تعالى فى قوله
قل الله يهدى للحق اى الله تعالى وحده هو الذى يهدى للحق دون غيره افمن يهدى
الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى افمن يهدى هذه الهداية احق
بالاتباع ام الذى لا يهتدى بنفسه الا ان يهديه الله تعالى وهذا حال اشرف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير عليهما السلام وقيل من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل
اليه الا ان يهدى الا ان ينقل وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وكسرها وتشديد الدال
والاصل يهتدى فادغم وقرئ الا ان يهدى من هداه للمبالغة ومنه جاء تهدى
بمطاوعته كقولهم قطعته فتقطع فما لكم كيف تحكمون بالباطل اذ تزعمون انهم انداد
الله تعالى وما يتبع اكثرهم فى معتقداتهم الا ظنا غير مستند الى برهان بل مستند
الى خيالات واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق على المخلوق
بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغنى فى معرفة الله تعالى من الحق الى العلم والاعتقاد شيئا مفعوله

ومن الحق حال منه او نصب على المصدر اى لا يغنى بدل الحق شيئا من الاغنا وقيل
وما يتبع اكثرهم فى اتخاذ الاصنام الهة وانها شفعاء الا ظنا وفيه دليل على ان
تحصيل العلم فى الاصول واجب والتقليد والاكتفاء بالظن غير جايز ان الله عليم
بما يفعلون وعيد لهم على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء دون البرهان
وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله وما صح ان يكون مثل هذا القران
فى الاعجاز افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه ولكن كان تصديق ما تقدمه
من الكتب المنزلة الصادقة وتصديق الصادق صادق وهو لكونه معجزا دليل على
صدقها وسياهد الصحتها تصديق خبر كان المقدر او علة لفعل محذوف تقديره لكن
انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذى وتفصيل الكتاب
وتبيين ما كتب وما فرض من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله عليكم وقرئ
وتفصيل بالرفع عطفا على تصديق على قراءة الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل فى
حكم الاستدراك اى منفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا
شك فيه كريم او بالفعل المعلل بهما او حالا من الكتاب او الضمير فى فيه لانه مفعول
فى المعنى ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان
على كونه من عند الله ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة انكار
لقولهم واستبعاد لدعوى الافتراء مع كونه حجة عليهم بالاعجاز قل فاتوا
بسورة مثله اى ان كان افتراء كما زعمتم فاتوا انتم بسورة مفتراة مثله
فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى البلاغة والفصاحة بل اشد
تمرنا بها منى وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم
ان تستعينوا به من دون الله من خلقه اى لا تدعوا الله وحده قادر فانه
على ذلك وادعوا غيره ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى
التكذيب بالقران بما لم يحيطوا بعلمه بالقران فى اول وهلة سماعه قبل ان
يفهموه ويعلموا معانيه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء
وما يخالف دينهم لفرط انسهم بما الفوه وتعودوا به من دينهم ونفورهم عما

يخالفه

يخالفه ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه
او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام
كذب يعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان
يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها
او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم انبياءهم قبل
النظر فى معجزاتهم تقليدا او بعده عنادا او حسدا فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يومن به يصدق
فى نفسه ولكن يعاند ومنهم من لا يومن به من يشك فيه ولا يصدق او
منهم من سيومن به ومنهم من سيصر ولا يومن به وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين والمصرين وان كذبوك اى اصروا وواظبوا على تكذيبك بعد الزام الحجة
فقل لى عملى ولكم عملكم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت وقل لى جزاء عملى ولكم
جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون
بعملى ولا اؤاخذ بعملكم قيل ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخ باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض
قطعا والايهام بمعزل عنه ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت
الشرايع ولكن لا يقبلون ولا يصغون كالاصم الذى لا يسمع اصلا افانت تسمع
الصم بعد التبليغ تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم
تعقلهم ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل صدقك ونبوتك ولكن لا يصدق
افانت تهدى العمى انت بعد اظهار المعجزات ودلائل النبوة تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم عدم بصيرتهم افانت انكار ان يكون هو
الذى يقدر على اسماع الاصم الذى لا يعقل وهداية الاعمى الذى لا بصيرة له وفيه
تنبيه على ان حقيقة الاسماع هو فهم المعنى وحقيقة الابصار هو الاستبصار
والاعتبار وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالحاستين ولذلك لا يوصف بالاول

فرازوا اى جربوا قال الجوهرى رزته
اروزه روزا اى جربته وضربته
فتضاءلت اى صغرت وضعفت
زكريا

فقد اعذرت اى ازلت
عذرهم

البهايم ويحدس الاعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير الاحمق
فانه لا يقدر على موهبة العقل والبصيرة والتوفيق للفهم والاستبصار الا الله تعالى
وحده فاذا لم يهب ولم يوفق فمحال ان يقدر على ذلك وفي تشبيههم بالصم والعمي
ان فائدة السمع والبصر الفهم والاستبصار فاذا لم يحصلا فكانهما لم يكونا وفي ضم
سلب العقل والبصيرة الى الصم والعمي انهم على اليأس من ان يفهموا ويستبصروا
واما سلب العقل في الاول وسلب البصر في الثاني فلان البصر بدون العقل يوصل
الى اهتداء الطرق والسلوك فيها الا ترى ان البهايم تبصر الطرق وتسلك فيها و
تتقي بها المهالك ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها بدون العقل فنظاهر
البصر بدون العقل تبصر الاشياء ونظاهر السمع بدون العقل لا تعرف شيئا والاية
كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا باخلال شيء من
اسباب كمالهم ووسائل هدايتهم كتنقيص حواسهم وسلب عقولهم وبصايرهم واهمالهم
سدى بلا تنبيه ببعثة الرسل وانزال الكتب ولكن الناس انفسهم يظلمون بترك استعمال
مشاعرهم وعدم التفكر والتفهم بعقولهم والنظر والاعتبار ببصايرهم والذهول عن
الوحي والانذار بالانهماك في شهواتهم او لا يظلمهم بالتعذيب بكفرهم وعنادهم
يوم القيمة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستيجابه فعلى
هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي من عدم
استعمالهم لآيات الاهتداء فيما خلقت له لا لان اسباب الهداية مفقودة وعلى
الوجهين تذييل لسابقه ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة استقصارا منهم
لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول ما يرون وفي بيانها بقوله من النهار تاكيد له
للاستقصار لان النهار لكونه زمان الاشتغال بالاشتغال لا يدرك طول ساعاته بخلاف
الليل والجملة التشبيهية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او
صفة ليوم والعايد محذوف اي يوما كان لم يلبثوا قبله او المصدر محذوف اي حشرا
كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وذلك
اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فهو بيان لقوله كان لم يلبثوا
لان طول مدة اللبث يوجب التناكر والتعارف انما يبقى مع قلتها قد خسر الذين كذبوا

بلقاء

بلقاء الله استيناف للشهادة من الله تعالى بخسرانهم في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر
وما كانوا مهتدين اي الى طريق التجارة وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم ووضع
الذين كذبوا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب الخسران انما هو تكذيبهم لقاء الله تعالى
وعدم اهتدائهم لاستعمال ما اوتوا من المشاعر والعقول والبصاير في تحصيل المعارف
واكتسابهم بها عقايد فاسدة وجهالات تؤديهم الى الخسار والهلاك والفوات واما
نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك
قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة قيل فهو جواب نتوفينك وجواب نرينك (كشاف بيضاوي)
محذوف مثل فذاك ولا حاجة الى تقدير الجواب المذكور لان قوله فالينا مرجعهم صالح
ان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى فعلى كلا التقديرين نعذبهم
في الآخرة والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا لتخفيف عذابهم في الآخرة وهذا هو
المناسب للمقام فلا وجه للعدول عنه بالارتكاب لمحذوف في الكلام ثم الله شهيد على
ما يفعلون اي بعد رجوعهم الينا الله معاقبهم على افعالهم او الله مؤد شهادته
الى افعالهم حتى تنطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم والمراد
من الشهادة مقتضاها ونتيجتها اي العقاب لان شهادة الذي احاط علمه بجميع افعالهم
السيئة المخفية والظاهرة توجب العقاب الشديد لانه يحضر كلما نسوه والالتفات
من التكلم الى الغيبة واظهار اسم الله تعالى وايقاع ثم وايراد الجملة الاسمية للتنبيه
على ان المعاقب هو الله تعالى لا يخفى عليه خافية وتربية المهابة والتهديد والتهويل
بان مضمون الوعيد في غاية البعد من تصورهم عند الرجوع ودوام العقاب وفيه
انواع من المبالغات في تشديد الوعيد وتاكيده وقرئ ثم بالفتح اي هناك و
لكل امة من الامم الماضية رسول بعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم
بالبينات فكذبوه قضي بينهم بالقسط بالعدل فانجي الرسول ومن آمن به واهلك
المكذبين وذلك لالزام الحجة كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم
لا يظلمون بالعقاب في الآخرة بعد العذاب في الدنيا لانه جزاء سيئاتهم والتعذيب
في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكافر وعلى هذا هو تاسيس لا تاكيد لما قبله فالعائد
اصابة المحن بخلاف ما قيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم (كشاف)

الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان فقضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم فانه صريح بتعيين التاكيد فالعاطف يكون واقعا بين الشيء ولحاقه ويقولون متى هذا الوعد استعجال من المكذبين للموعد وا من العذاب استبعادا و انكارا واستهزاء ان كنتم صادقين خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاعجل لكم العذاب وتقديم الضر لان ما فيه الكلام من جنسه الا ما شاء الله استثناء متصل اي الا ما شاء الله ان املكه او منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم عند الله تعالى وحد محدود من الزمان اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذا جاء وقته انجز وعدكم بالعذاب فلا تستعجلوه فسيجيء وقته وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة الاعراف قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا نصب على الظرف اي وقت بياتكم وغفلتكم بالنوم او نهارا اي وقت اشتغالكم بطلب المعاش والكسب او اللهو وجواب الشرط محذوف اي ندمتم على الاستعجال او عرفتم الخطاء فيه وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون متعلق بارايتم اي اخبروني ماذا تستعجلون منه والشرطية اعتراض والاولى ان يكون ماذا جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني والشرطية متعلقة بارايتم ونحوها ان العذاب كله مكروه موجب للنفار يجب ان يستعاذ منه لا ان يستعجل فاي شيء تستعجلون منه على ان الضمير في منه للعذاب وقيل لله تعالى ويجوز ان يكون معنى الاستفهام في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار اي اي شيء هائل شديد تستعجلون منه ومن في هذا الوجه يجوز ان تكون للبيان وضع المجرمون موضع ضمير المخاطبين على طريقة الالتفات تقوية لما في الاستفهام من معنى الانكار والتعجب ودلالة على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام فان المجرم من حقه ان يخاف التعذيب ويستعيذ منه وان ابطأ فضلا عن ان يستعجله ويجوز ان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراضا اي اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ووقع وتحقق امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول الهمزة على ثم لانكار تاخير الايمان الى وقت لا ينفع وهو وقت العذاب وادخالها على المعطوف لانه معقب

الانكار

الانكار والاستبعاد وانما جيء بحرف التراخي بدل الواو دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مركبا بما تاكيدا بمعنى الوقوع والتحقيق وزيادة التجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم البتة الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا وانكارا ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الان ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو الضمير للعذاب الموعود احق خبر والضمير مبتدا او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم اقائم زيد والجملة في محل النصب بيستنبئونك والهمزة للاستفهام على سبيل الانكار والاستهزاء وقرئ الحق هو على ان اللام للجنس كانه قيل اهو الحق لا الباطل وهو الذي تسمونه الحق وهو اقوى في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن واي من حروف الايجاب بمعنى نعم وتختص بالقسم كما ان هل بمعنى قد تختص بالاستفهام فيقولون اي والله ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب اي هو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت بفعل ما يستحق به العذاب ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ولفظة كل لتعميم الحكم لكل واحدة من النفوس الظالمة واسروا الندامة لما راوا العذاب حين رؤيتهم العذاب لانهم بهتوا بما عاينوه مما لم يخطر ببالهم ولم يحتسبوه سلبت شرته وفظاعته قواهم فلم يطيقوا اظهار الجزع والبكاء للدهش والحيرة لا للتجلد اذ ليس هناك فامتلات قلوبهم ندما وقيل اسروا ساهم الندامة من اتباعهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروا الندامة اخلصوها وجعلوها سرهم اي ملؤا بطونهم بحيث لم يكن فيها شيء اخر او من قولهم سر كل شيء خالصه لانها تخفى ويضن بها وعلى هذا يكون فيه تهكم بهم وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء اذا اظهره وهو من الاضداد وقضي بينهم بالقسط اي بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء حكومة والثاني مجازاتهم على الشرك وسائر المعاصي الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى

على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق بما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
اتى بكلمتي التنبيه والتحقيق وجمع بينهما في جملتي الاختصاص بالملك وانجاز الوعد تقريرا
لما وعده وتنبيها على ان ما ذكره حق واجب الوقوع لا محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون
لانهماكهم في الغفلة هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى ايضا لان القادر
لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ايضا واليه
ترجعون بالبعث بعد الموت تحذير وترهيب واطماع وترغيب ليخاف ويرجى
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد من الحكم العملية المبينة لمحاسن الاعمال وقبايحها
والتحريض على الاول والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من المعارف والحقايق
التي هي شفاء لما في الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك والنفاق و
الشرك والهداية الى الحق والتوحيد والرحمة لمن آمن به من انزاله عليه ما ينجيهم من
ظلمات الضلال والكفر الى نور الهدى والايمان ومن دركات النيران الى درجات
الجنان وتنكير موعظة وما عطف عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته متعلق
بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره بفضل الله وبرحمته تعالى يعني لانزال القرآن
والهداية الى الايمان فليفرحوا فبذلك فليفرحوا او بفعل دل عليه ونحوه وما يناسبه نحو
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وذلك اشارة الى
الفضل والرحمة بتاويل ما ذكر وتقديمه للتاكيد والبيان بعد الابهام وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا وكذا تكرير الفاء للتاكيد وهو
جواب شرط مقدر تقديره ان كانوا ليفرحون بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به
احق منهما ويجوز ان تكون الفاء للربط عما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين
هذه الصفات موجب للفرح ويجوز ان يتعلق بفضل الله وبرحمته بقوله قد جاءتكم اي
قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته وذلك اشارة الى المصدر اي بمجيئها فليفرحوا
وقرئ بالتاء فلتفرحوا على الاصل المرفوض وهو القياس وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مرفوعا وانما آثره صلى الله عليه وسلم لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا
به هو راجع الى ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا السريع الزوال وقرئ تجمعون

بالتاء

بالتاء على الخطاب ومن لم يذق حسن هذا الاستيناف في مقام التعليل ولم يرد ان تقوى
الوصلين قال على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعون فاوهم ان حق
مقام الوصل بالفاء التعليلية ولا يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء بسبب اسباب منها من المطر والشمس
والقمر في الانبات والانضاج والتلوين وما في محل النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنى
اخبروني ولكم دل على ان المراد بالرزق ما حل ولذلك وبخهم على التبعيض بقوله
فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوا لله من
الحرث والانعام وانما قدم حراما لانه مصب الانكار وفي اسناد التحريم والتحليل اليهم
اشارة الى انهم هم المفتون توبيخا وتمهيدا لاثبات القسم الثاني من المنفصلة في قوله
قل الله اذن لكم ام على الله تفترون اي اخبروني الله اذن لكم في التحريم والتحليل
فتفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبته اليه على ان ام متصلة وتكرير
قل بين ارايتم وما يتعلق به للتاكيد والاستفهام للتبكيت والاشارة الى ان
نسبة ذلك الى الله تعالى تاكيد وقول بلا حجة فلزم الافتراء وكان الاصل الله اذن ام
غيره فعدل الى المنزل دلالة على ان الثابت هو الشق الثاني وهو نسبوه الى الله تعالى وهم مفترون
عليه لا على غيره وفيه زجر وتهديد عظيم وان جعلت ام منقطعة بمعنى بل والهمزة فالاستفهام
للانكار ومعنى بل اضراب عن ان يكون ذلك باذن الله تعالى ومعنى الهمزة تقرير للافتراء و
توبيخ عليه وتقديم على الله تقبيح لتخصيصه تعالى بالافتراء عليه فانه نهاية
في قبح الكذب وفي العدول عن الضمير الى الاسم المظهر تفخيما زيادة اظهار لقبح الافتراء
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب في ابهام متعلق الظن بحذفه والسؤال عنه
وعيد بليغ وتهديد عظيم اي اي شيء ظنهم يوم القيمة وهو يوم الجزاء يحسبون
انهم لا يخافون على الافتراء وقرئ ظن على لفظ الفعل على حمل المحقق الوقوع والفا
ونصب ما على المصدر اي اي ظن ظنوا فيه ان الله لذو فضل على الناس على كلهم بما
انعم عليهم من العقل والحواس وساق اليهم الرزق وهداهم الى الحق بارسال الرسل
وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من غير سابقة صنع منهم يستوجبون به ذلك ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعم العظيمة لجهلهم بمواقعها وما تكون في شان ان في الامر

واصله القصد وعينه الهمزة من شانت شانه اذا قصدت فخففت والضمير في قوله وما تتلو منه
راجع الى الشان لان تلاوة القران شان معظم من شؤون النبي صلى الله عليه وسلم او لان القراة تكون
بشان فتكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة
لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من
من عمل من لتاكيد النفي اي اي عمل كان ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو
راسهم ومقدمهم وحيث خص ذكر ما فيه فخامة وحيث عم ذلك ما يتناول الخطير
والحقير للمناسبة الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه استثناء مفرغ من اعم
الاحوال على تقدير قد كنا او اعم الاوقات اي وقت كنا اذ تفيضون فيه وقت
اندفاعكم فيه ظرف لشهودا وعلى الثاني جاز كونه بدلا من الوقت المقدر وما يعزب
عن ربك قرئ يعزب بكسر الزاي وضمها والعزوب معناه البعد والغيبة يقال عزب اذا بعد
لمحل اهله من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء عبر بقطري
العالم عن كله والمراد احاطة علمه بجميع ما في الوجود فعبر عنه بما ذكر على معتقد العامة فان
التنزيل وارد على لسانهم وهم ينكرون وجود ممكن ليس بمتحيز وقدم الارض على السماء ههنا
بخلاف ما في سورة سبا لان الكلام هنا في شان اهل الارض وشهادته عليها رعاية للملايمة و
الا فالواو في الجمع بينهما كالتثنية ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة براسها
ولا ههنا لنفي الجنس واصغر مبني على الفتح اسمها وفي كتاب خبرها ولا اكبر عطف عليه بالنصب
ولا مزيدة للتاكيد او مفتوح مثله وقرئ مرفوعين على ان الاول مبتدا خبره في كتاب
والثاني عطف عليه ومن جعل رفعهما عطفا على محل من مثقال وفتحهما على لفظ مثقال لكونهما
غير منصرفين مفتوحين في موضع الجر جعل الا في كتاب استثناء منقطعا بمعنى لكن في كتاب
مبين والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ فيصير مؤكدا لقوله وما يعزب عن ربك كانه قيل كيف
يعزب وهو في كتاب مبين على ان الاتصال له ايضا وجه لا سيما اذا فسر الكتاب المبين بعلم الله
تعالى كما في سورة الانعام ويكون المعنى لا يغيب عنه الا في علمه ومعلوم ان غيبة الشيء في العلم
عين كشفه فهو من باب الا ما قد سلف وان فسر باللوح فلا باس به ايضا لانه محل صور معلوماته
تعالى وكان مقتضى البلاغة بحسب جليل النظر تقديم الاكبر على الاصغر ليكون الكلام على طريقة
الترقي وانما عكس الترتيب سوقا له على مقتضى ما يجب دقيق النظر ليكون في كل واحد من

جزئي الكلام نوع من الاهتمام وذلك انه يكون في الجزء الاول منه اهتمام التعذير وفي الثاني
اهتمام التصريح بعد العلم بالالتزام الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة لا خوف عليهم في الحال من لحوق محذور ولا هم يحزنون من وقوع مكروه من فوات
نافع وحصول ضار الذين امنوا وكانوا يتقون نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء
فيكون بيانا لتوليهم ربهم او رفع على الابتداء والخبر لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
بيان لتوليه تعالى اياهم والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به المومنين المتقين في غير موضع
من كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم في الرويا الصادقة وما سنح لهم بالمكاشفة
وبشرى الملائكة عند النزع واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله واحكامه ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الى التخصيص البشارة بهم في الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل جميع ما يرجى والامن من كل
ما يخشى هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان
يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم وتدبيرهم لاهلاكك
وقرئ ولا يحزنك من احزنه ان العزة لله جميعا استيناف للتعليل كانه قيل ما لي لا احزن
فقيل ان العزة اه اي الغلبة والعزة كلها لله تعالى لا يملك احد غيره شيئا منها فهو يغلبهم
وينصرك عليهم وقرئ ان العزة بالفتح اي لان العزة تصريحا بالتعليل وفيه اخبار عن اهل العزة
تسلية لاهل العزة هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من
في السموات ومن في الارض تمهيد لما بعده من امتناع ان يكون انداد له نداً لانه
تخصيص للعقلاء بملكيته بتقديم لله وايراد من دون ما مع التاكيد بتصدير
الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق فالعقلاء من الملائكة والثقلين اذا كانوا تحت يده
عبيدا مملوكين مع كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح كونهم شركاء فكيف يصح ان يكون
الجماد له ندا فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف اي
ما يتبع الذين يدعونهم من دون الله شركاء شركاء وحقيقة فحذف احدهما لدلالة
الثاني عليه ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبعون محذوفا دل
عليه ان يتبعون اي ما يتبعون الا الظن يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء

وان جعلت ما استفهامية فهي مفعول يتبع وشركاء مفعول يدعون وان جعلت
موصولة منصوبة المحل عطفا على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي
شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا
الله ولا يعبدون غيره فالكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطاهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون اي يكذبون
فيما ينسبون الى الله تعالى او يحرزون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تعالى
هو المنفرد بكمال قدرته وعظيم نعمته التي لا يمكنهم ان يعيشوا بدونها
ليدلهم على انه المتوحد باستحقاق العبادة فيخصوه بها وجعل متعد
الى مفعول واحد بمعنى خلق ومبصرا حال ويجوز ان يكون متعديا الى
مفعولين والثاني لكم او لتسكنوا اي جعله محلا لسكونكم وقيل
مظلما والنهار مستبصرا عطف على المعمولين ذكر علة خلق الليل
لتسكنوا فيه وتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش وما
يكدحون منه في النهار وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه
من الليل وكل من المحذوفين يدل عليه المذكور في مقابله والتقدير
جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتحركوا فيه في مكاسبكم
وتهتدوا الى مآربكم واسناد الابصار الى النهار مجازي على طريقة ليله
قائم ونهاره صائم وانما عدل عن قوله لتبصروا فيه مناسبا لتسكنوا
فيه للدلالة على انه مع كونه ظرفا للابصار سبب له بخلاف سائر الظروف
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع اعتبار واذكار قالوا اتخذ الله
ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له سبحانه وتعالى عن التبني وتعجب من
كلماتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه عنه فانه مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان
بهذا نفي لمعارض البرهان الذي اقامه تحقيقا لبطلانه قولهم ومبالغة

في تجهيلهم

في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة لهذا القول مع ان الحجة دالة على خلافه والباء في بهذا
متعلق بسلطان او بقوله ان عندكم بمعنى الظرفية اي ما عندكم في هذا القول حجة لقولك
ما عندكم بارضكم موز ام تقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى البرهان عنهم جعلهم
جاهلين وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقائد لا بد
ان تكون برهانية لا تقليدية والهمزة للتوبيخ والتقريع لهم على اختلاقهم وجهلهم
قل ان الذين يفترون على الله الكذب بنسبة الولد والشريك اليه تعالى لا يفلحون لا
ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع خبر مبتداء محذوف والتنكير للتقليل
تقديره افتراؤهم متاع قليل اي منفعة يسيرة في الدنيا اي يقيمون به في الدنيا
رياستهم في الكفر او حيوتهم وتقلبهم فيها متاع او مبتداء خبره محذوف اي لهم
تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالبعث بعد الموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم
العذاب الشديد في جهنم بما كانوا يكفرون بسبب استمرارهم على الكفر واتل
عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم شق وثقل
ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامي مكاني اي كوني ووجودي ومنه فعلت
كذا بمكان فلان او اقامتي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي على الدعوة تذكيري
لان قوله وتذكيري يغني عنه والتاسيس خير من التاكيد بآيات الله فعلى الله توكلت
اي خصصت الله تعالى بالتوكل عليه والوثوق به فانه جواب الشرط اي فلا ابالي
وقيل هذا جواب الشرط فاجمعوا امركم وما تقدم اعتراض بين الشرط وجوابه كما
تقول ان كنت انكرت على شئ فان الله حسبي فاعمل ما تريد واجمعوا قرئ
بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع وهو العزم في اسناد الجمع والاجماع
على الشركاء تهكم بهم وبشركائهم كما في قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
وشركاءكم معطوف على امركم على حذف مضاف تقديره وامر شركائكم او منصوب
بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وقيل اجمعوا بمعنى اعدوا
فيقع على المعطوفين جميعا وقال الزجاج هو مفعول معه والواو بمعنى مع اي مع شركائكم
ولا يساعده قراءة الوصل كما قال الحريري في درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع
فلان وانما يقال اجتمع فلان وفلان وقرئ بالرفع عطفا على الضمير المتصل

قوله وقد قرئ به اي بقوله وادعوا
شركاءكم كما روي عن ابي فادعوا
شركاءكم ثم اجمعوا امركم على القارئ

وجاز بلا تاكيد للفصل ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا عليكم و
ليكن مكشوفا مجاهرا به من غمة اذا ستره او لا يكن امركم اى ما تكونون فيه من
شدة الحال والكراهة وثقل مقامي فيكم وشقته عليكم غما وكربا عليكم الغم
والغمة كالكرب والكربة معنى وصيغة اى لا تتوقفوا في اهلاكي وتدبيره
لئلا يكون عيشكم بسبب مصاحبتي وحالكم معي غمة عليكم ثم اقضوا ادوا
الي ذلك الامر الذى تريدون بي يعني ادوا قطعه وتصحيحه الي كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر وادوا الي ما هو حق عليكم من وجوب اهلاكي كما يقضي
الرجل غريمه وقرئ ثم افضوا بالفاء اى ثم انتهوا الي بشركم وقيل
هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اى اصحروا به وابرزوا به لى
ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اى اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم
من اجر يوجب اعراضكم عني لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله من طمع في
اموالكم ان اجرى في نصيحتكم ووعظكم الا على الله هو الذى يثيبني عليه
اى ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين لامر الله وقضية الاسلام ان لا اطلب على تعليم
الدين شيء من الدنيا ولا يبتغى بالدعوة والموعظة الا وجه الله تعالى رضي الله
عن ابي حنيفة ما امعن النظر اذ لم ير الاجازة في الاجارة على الطاعات
والمراد الزام الحجة لهم وتبرئة ساحته عما يوجب الاعراض فكذبوه فاصروا
على تكذيبه تمردا وعنادا بعد طول مدة الدعوة والزام الحجة فنجيناه يعني
من الغرق دل عليه قوله ومن معه في الفلك من الانسان والحيوان وانما
قال ومن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم للتنبيه على ان نجاة غيرهم كان
تبعا لهم وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان والجعل مؤخرا عن الاغراق وان قدم لفظا للاهتمام به فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب رسول
الله عليه السلام وتسلية له والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو
المكذبين الى المنذرين للتنبيه على ان التكذيب انما يستوجب نزول العذاب

اذا

اذا كان بعد الانذار فاعتبر هذا اللطف ودقق لطف هذا الاعتبار
ثم بعثنا البعث اعم من الارسال فان كل شيء ارسلته فقد بعثته
ومنه قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا والذى امر بتبليغ الرسالة
الى القوم وهو فيهم انما يناسبه عبارة البعث دون الارسال من بعده
من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتكثير الى قومهم اى اقوامهم
كل رسول الى قومه وانما لم يجمع لانه في الاصل مصدر فجاؤهم بالبينات
بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا عبارة كان الدالة
على الاستمرار مقدمة على اداة النفي في الاعتبار اى لم يؤمنوا بهم و
اصروا على الانكار وفي زيادة لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على
ان ايمانهم في حيز الامتناع بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم بتكذيب
الحق وتمرنهم عليه من قبل بعثة الرسل اى ما تفاوت في حالهم قبل
البعثة وبعده لاعتيادهم بالعناد وانكار الحق كذلك مثل ذلك الطبع
المحكم نطبع على قلوب المعتدين لان الاعتداء والافراط في التجاوز عن الحق التجافي خ
يوجب الخذلان حتى يصير رينا وطبعا فالكلام على الحقيقة دون الكناية
ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه
خص اشرافهم بالذكر اكتفاء بذكر الجزء عن الكل باياتنا بالايات التسع
اضافها الى نفسه تنبيها على خروجها عن حيز استطاعة العبد وتعلق
كسبه بها وكونها من خوارق العادات فاستكبروا عن قبول الحق واتباع
من ارسل اليهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق واعظم الكبر استهانة
العبد برسالة ربه بعد تنبيهه بالبينات وكانوا قوما مجرمين معتادين
بالاثام العظام ولذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها اما توصيف الاثام
بالعظام فلان الجرم يوذن عن ذنب له عظم ثم ان سبيل الكلام سبيل الاعتراض
التذييلي ويدل على تمرنهم واعتيادهم له مجيئه كذلك على ان الكافر اذا وصف بالاسم
بالجرم والفسق دل على اشده واما السببية فمن نفس الاعتراض والحمل

على العطف السادج لا يلايم بلاغة القران فلما جاءهم الحق من عندنا فلما
عرفوا انه الحق وانه من عند الله تعالى لا من قبل موسى وهرون عليهما السلام
قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر او فايق في فنه واضح من
بين فنونه والدليل على العرفانين المذكورين من النظم ايقاع الحق موضع
ضمير الايات واسناد المجئ اليه وقولهم ان هذا الا سحر مبين كما مر في
صدر السورة من دلالته على الاعتراف وتناهي العجز قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم اتعيبونه وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله
سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول وقيل حذف مقول القول لدلالة
ما قبله عليه وهو انه لسحر والهمزة للتوبيخ او التقرير ولا يجوز ان يكون
اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه الا ان يكون
الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم وهذا على الوجه الاول اشارة
الى وضوح حقيقته وكونه ممتازا في الحس عن الباطل معلوم الحقيقة حيث
لا يشك فيه مشارا اليه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد لكونه
موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة
على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة و
لان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا
محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون
ويأباه قوله ايتوني بكل ساحر عليم لانه مظنة طلب الفوز بهم وصيغة
الجمع للدلالة على ان اجتماعهم لا يجدي نفعا في طلب الفوز قالوا اجئتنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها فان الملوك يوصفون
بالكبر ويجوز ان يقصد به ذمهما بانهما يريدان ان يتكبرا ويتجبرا في ارض
مصر باستتباع الناس وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين ما جئتما به وقال
فرعون ايتوني بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء

السحرة

السحرة قال لهم موسى القوا استطالة عليهم وعدم مبالاتهم وفي ابهام ما انتم ملقون تحقير لهم
وتقليل واعلام للناس بانه لا شئ يلتفت اليه فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما
موصولة مبتدأ خبره السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي جئنا به من ايات الله وقرئ
آلسحر على الاستفهام اي على ان ما استفهامية مبتدأ خبره محذوف تقديره آلسحر هو ويجوز
ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شئ اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر
بطلانه باظهار المعجزة ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه ولا يؤيده ولكن
يسلط عليه الدمار وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق
الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيته ولو كره
المجرمون ذلك فما امن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طايفة من ذراري قومه
اي اولاد بني اسرائيل دعا اباءهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابته طايفة
من ابنائهم وبناتهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية من شبان قومه مؤمن ال
فرعون واسية امراته وخازنه وامراة الخازن وماشطته ولا يناسبه قوله على
خوف من فرعون فان حق الكلام حينئذ اظهار اسم فرعون ثمة واضماره هنا وملائهم
الضمير يرجع الى فرعون بمعنى ال فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون
به فعلى هذا يكون من باب قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ولا يجوز ان يكون جمعه
على ما هو المعتاد في ضمير العظماء لانه يكون عند قصد التعظيم فلا يساعده المقام او الى
الذرية او قومه او على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل لانهم يمنعون اعقابهم خوفا من
فرعون عليهم او على انفسهم بدليل قوله تعالى ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه
او مفعول خوف وعلى الوجه الاول افراده بالضمير يحتاج الى التاويل بان يقال الخوف من
الملاء كان بسببه وانما قال على خوف للدلالة على شدة خوفهم ولا يفيد مع ما افاده على
لان المصحوب ليس كالمركوب وان فرعون لعال في الارض لغالب قاهر فيها استينافا لبيان
السبب في كونهم اولئك المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون المراد من الاسراف في قوله
وانه لمن المسرفين تجاوزه عن الحد المعتاد في التعذيب والقتل لمن يخالفه في امر من الامور
وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم امنتم بالله صدقتم به تعالى
وباياته وفي ايراد ان ايماء الى ان حالهم ليست حال المصدق بالله الصادق في الايمان

الواثق به تعالى فعليه توكلوا فخصصوه بالتفويض اليه والثقة به في العصمة من
فرعون ثم شرط في حصول التوكل وصحة الاسلام بقوله ان كنتم مسلمين كما شرط في
وجوبه الايمان لان من قضية الايمان التوكل على الله تعالى ولا يصح التوكل الا مع تسليم
نفوسهم له تعالى خالصة سالمة ليس لغيره فيها حظ ولا تخليط فيه فهو كقولك
ان اتاك زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين
وكذلك قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافون عذابه وبلاءه
وجعلهم خلفاء في ارضه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذابا
يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا يقولون لو كان هؤلاء على
الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من مجاهدة استعبادهم و
سوء مشاهدتهم وانما قدموا التوكل على الدعاء اولا لان الداعي ينبغي ان يتوكل
ليجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة اي مرجعا
يرجع اليه لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا
انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى واقيموا الصلوة فيها قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان فرعون لما اتاه موسى عليه السلام بالرسالة امر لمساجد بني اسرائيل
فكسرت كلها وكانت مساجدهم ظاهرة فامرهما الله تعالى ان يجعلا لقومكما مساجد
في جوف البيوت ولا يظهروها وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى
وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان
يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشرع
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة مما يتزين به من
لباس وحلي وفرش وغير ذلك واموالا اصنوفا من الاموال في الحيوة
الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من ارض فسطاط مصر
الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بما هم فيه بلفظ الامر للاياس
عن قبولهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر كقولك لعن الله

ابليس

ابليس وقيل ان اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون
اللام للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها للضلال فيكون
تكرير الاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عن عرض الايات ضلالهم و
كفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق
قال ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة
منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير واشدد على قلوبهم الشد على القلوب
الاستيثاق منها وقبضها حتى لا يدخلها الايمان اي واطبع عليها حتى لا
تنشرح لقبول الحق فلا يؤمنوا جواب لدعائه الذي هو الشد او دعاء
بلفظ النهي وقيل ان جعلت اللام في ليضلوا للعاقبة او التعليل فهو عطف
عليه وقوله ربنا اطمس واشدد دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون له حسن موقع ولهذا
عتب على النابغة في قوله لعل زيادا لا ابا لك غافل حتى يروا العذاب
العذاب الاليم م الاليم اي ليروا ذلك ويحتمل الغاية اي الى ان يروا وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا
الى الغرق قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه
كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا
فان ما طلبتما كائن في وقته روي انه مكث بعد الدعاء اربعين سنة ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال فان الامور مقدرة
باوقاتها او عدم الوثوق بعهد الله تعالى قال الزجاج قوله ولا تتبعان موضعه
جزم والتقدير ولا تتبعا الا ان النون المشددة دخلت على النهي موكدة
وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها فاختير لها الكسرة لانها بعد الالف
نفي م تشبه نون التثنية واستضعفه ابن الحاجب وحمل على انه بمعنى النهي لجواز
العطف او الواو للحال وفعل المضارع المنفي لا يمنع من دخول الواو عليه
اي استقيما غير متبعين وهذا اسد ملايمة وقرئ ولا تتبعان بتخفيف
النون ولا تتبعان من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط

حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف
فاتبعهم فرعون وجنوده اى طلبوا الحاقهم فقربوا منهم واما الادراك
فلم يحصل بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه
الغرق الغرق بالفتح القرب من الهلاك بغمرة الماء والغرق بتسكينها الهلاك
فيها قال امنت انه قرئ بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وبالكسر
على الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين على الاول تكرير للمعنى الواحد بعبارتين مختلفتين وعلى الثاني
بثلاث عبارات سعيا على القبول لكن لم يبق وقت التكليف لم يقبل ولو بقي وقته
لكفت مرة واحدة وكان مؤمنا ضرورة حصول التصديق القلبي ولم يكن مسلما
لان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فاذا امن في وقت خرجت نفسه من يده
لم يصر مسلما نفسه اليه تعالى اذ ليس نفسه على يده حتى يسلمها ولذلك وبخه
بالعصيان المقابل للاذعان دون الكفر المقابل للتصديق حيث قال آلان اى أ
تؤمن الآن وقد ايست عن نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك
مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان روى الترمذي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل قال جبريل فلو رايتني يا محمد
وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اراد ادراك
الرحمة في الدنيا كما ادرك قوم يونس فنجوا من العذاب فليس فيه ما يدل كراهة
ايمان الكافر والرضى بكفره فان الرضى بالشيء لا يستلزم الرضى بسببه الا يرى ان
المريض يشرب الدواء للشفاء كارها اياه راضيا لما يترتب عليه من منفعة الشفاء
فمن وهم ان في قوله مخافة ان تدركه الرحمة جهالتان احدهما ان الايمان يصح
بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر
واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضى بالكفر كفر وزعم بناء على ذلك انه
من زيادات الباهتين لله تعالى وملائكته فقد وهم ثم انه على تقدير زيادته لا
بهت فيه لله تعالى فاليوم ننجيك ننبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر و

ننجيك

ننجيك ناجيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل ببدنك في موضع
الحال اى بدرعك كانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى
بدروعك كانه كان مظاهرا بينها وخروجه من الماء او ظهوره على وجهه
مع ما عليه من جسم ثقيلة آية اخرى وقيل اى ببدنك عاريا عن الروح
او كاملا سويا او عريانا من غير لباس يا بابا الباء لانها تقتضي وجود شيء اخر
غير البدن ولم ينج غير جسده على انه فرق بين البدن والجسد فان الاول
خارج عن الاول داخل في الثاني فحق المقام حينئذ ان يذكر الجسد بدل
البدن لتكون لمن خلفك آية لمن يأتي بعدك من النبطي والقبطي علامة اذا
كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يموت حتى روى ان بني اسرائيل
لم يصدقوا موسى عليه السلام في اخباره بغرقه حتى عاينوه مطروحا على ممرهم
من الساحل ولمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا
من الطغيان حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبريا
الملك والسلطان مملوك ومقهور بعيد عن مكان الربوبية وقرئ ننحيك من
التنحي وقرئ ننحيك بالحاء من التنحية وهو التبعيد بيديك على انه تثنية اليد لمن
خلقك بالقاف اى تبعدك عن الحد بما كسبت يداك من الجفوة لتكون من
خلقك آية لخلقه فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصده
بكشف تزويرك واماطة الشبهة من امرك دال على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه يحتمل على المشهورة ايضا ومن قال في تفسيره على القراءة الاخيرة
اى نلقيك بناحية الساحل فقد غفل عن ان من قراءة بالحاء قراء بيديك بالياء
فوقع فيما وقع وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها و لا
يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا
وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات من اسباب المعيشة المستطابة
فما اختلفوا اى كانوا على ملة واحدة وطريقة مع موسى عليه السلام في اول
حاله حتى جاءهم العلم بنزول فاختلفوا وهذا ذم لهم من جهة ان العلم
سبب للاتفاق فصار عندهم سبب الاختلاف حتى تشعبوا شعبا بعدما

قوله وقرئ ننحيك بالحاء اى ننحيك
ويجاء يحى ابى وابن السميفع و
يزيد البربري عن القارئ

كذا في بيضاوي

قرأوا التورية وفي ترتيب ذلك الاختلاف الذي لا يخلو عن نوع كفران على انعامه
تعالى المنازل البهية والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام تاكيد للذم لتنزيلهم
الكفر بمنزلة الشكر وقيل المراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد صلى الله عليه
وسلم من بعد ما علموا صدقه بنعوته وظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل ويجزي كلا منهم على
استحقاقهم وينزله منزلة استجابه على حكم وعده ووعيده فان
كنت في شك مما انزلنا اليك كلام مبني على الفرض والتقدير موكد بما هو وارد
على سبيل التهييج وزيادة التثبيت فلا يستلزم وجود الريب والافتراء و
التكذيب ولا امكانها اذ كل ذلك من باب فرض المحال وبقاء الكلام عليه
اي من الناس يقينا واشرفهم رتبة واعز خلق الله تعالى له عليه
مثلك لو كان موصوفا بهذه الصفات الخبيثة التي وصفوا بها لوقع في
الخسران المطلق وكما دل على زيادة التثبيت والعصمة دل على سوء حال
الشاكين فيه من بني اسرائيل فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من
بني اسرائيل الذين اتيناهم الكتاب من قبلك فانه متحقق عندهم ثابت في كتبهم
على نحو ما انزلنا اليك والمراد اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بشهادة الاحبار
وذلك انه لما ذكر بني اسرائيل ووصفهم بالعلم اراد ان يقرر عليهم صحة نبوته صلى الله
عليه وسلم وصدق القران بشهادة علمائهم وكتابهم ووصف الاحبار بالرسوخ
في العلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وما انزل الله تعالى اليه لا اثبات الشك
وامكانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك
ولا اسأل اشهد انه الحق وبهذا التقرير تبين وجه تصدير الكلام باداة الترتيب
على ما قبله وقيل الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت في شك ايها السامع مما انزلنا
على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة فعليه بمراجعة
العلماء لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالبراهين القاطعة والمعجزات
الواضحة ان الذي جاءك هو الحق الذي لا تدخل الشبهة فيه فلا تكونن من الممترين
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين فاثبت على ما انت عليه

من الجزم

من الجزم واليقين وانتفاء المرية والتكذيب وقد مر انه من باب التهييج والالهاب
كقوله فلا تكونن ظهيرا للمجرمين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك حكمه
بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه و
لا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية لانتفاء تعلق ارادته تعالى بايمانهم فانه لا بد
منه في وجود كل ممكن حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع
فرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكنا
ها امنت قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها الا قوم يونس استثناء من
القرى لان المراد اهاليها وهو متصل والجملة في معنى النفي لتضمن معناه كانه قيل ما
امنت قرية من القرى الهالكة فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء
والدليل على قرائته بالرفع على البدل او منقطع اي لكن قوم يونس عليه السلام لما امنوا
اول ما راوا امارات العذاب ولم يؤخروه الى حلوله امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحياة الدنيا والخزي الهوان الذي يفتضح صاحبه ومتعناهم الى حين الى وقت
انقضاء اجالهم ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم حتى لا يشذ احد منهم جميعا
مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دلالة على ان من شاء الله ايمانه يؤمن
لا محالة افانت تكره الناس على من لم يشاء الله منهم يعني انما يقدر على
اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام
بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا الله وحده
لا يشاركه به احد لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده
الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وبهذا المساق تمسك من حمل المشية
على المشية الملجئة حتى يكونوا مومنين ترتيب الاكراه على المشية بالفاء و
ايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وللدلالة على ان خلاف المشية مستحيل
يعني اذا لم يشاء الله تعالى ايمانهم لم يقدر عليه انت ولا غيرك بالاكراه
فضلا عن مجرد الحث والتحريض روي انه عليه الصلوة والسلام كان
شديد الحرص على ايمان قومه فنزل ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله اي بارادته وتوفيقه بتيسيره فلا تجهد نفسك

اى بدل الرجس

فى هذا فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب وقرئ الرجز بالزاى على الذين
لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والبيان فيؤمنوا وُرِدَ فى مقابلة
الايمان عدم التعقل وفى مقابلة الاذن الرجس لان الايمان انما يكون بصحة العقل
والنظر فى الدلائل العقلية والسمعية والاصرار على الكفر المقابل للايمان سبب
من عدم صحة العقل كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون فاوماء الى ان العاقل هو المؤمن
ومن لم يوفقه الله تعالى للايمان لعدم عقله لزم كفره الموجب للعذاب فرتب لازم
الكفر الذى هو الرجس على ملزومه الذى هو عدم العقل للجمع بين التهديد والتوبيخ
قل انظروا تفكروا ماذا فى السموات والارض من عجايب الصنايع الدالة على توحيده
وكمال قدرته وحكمته وماذا استفهام معلق فعل النظر عن العمل وما فى وما تغنى
الآيات نافية واستفهامية فى محل النصب بتغنى والنذر عن قوم لا يؤمنون فى
علم الله وحكمه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم و
نزول بأس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل
فانتظروا انى معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا الاهلاك انى معكم من المنتظرين
بهلاككم ثم ننجى رسلنا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه
قيل فهلك الامم ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك
مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض اى حق ذلك حقا علينا وبدل من كذلك ننجى
المؤمنين منكم ونهلك المشركين قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم فى شك من دينى
وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم فهذا
دينى اعتقادا وعملا فاعرضوه على العقل الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا
صحته او هو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه لكن اعبد خالقكم الذى يوجدكم ثم
يتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وانه حقيق بان يخاف ويتقى فيعبد لا الجماد
الذى لا يقدر على شئ وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحى
وحذف الجار من ان اجتمع فيه الوجهان القياس وهو ان حذفه مع ان وان يطرد
فى ساير الافعال والسماع وهو حذفه بعد فعل الامر وان اقم وجهك للدين
استقم عليه ولا تلتفت الى غيره عطف على ان اكون وجاز مع كون الفعل انشاء

لان حق

لان حق ان هذه ان تكون مع الفعل فى تاويل المصدر والامر والخبر فى نفس المصدر
سواء حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك اى لا يقدر على نفع ولا ضر فان فعلت اى فان دعوت
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل مجازا فانك اذا من
الظالمين لان الشرك من اعظم الظلم لقوله ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله لما اشار الى علة
النهى بايراده التى لغير العقلاء وسلب النفع والضر عن اصنامهم واثبات الظلم
لمن عبدها اتبعه بايراد العلة الموجبة لتخصيص العبادة بالله تعالى وهى
انه هو الضار النافع الذى ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده
دون كل قادر غيره فضلا عن الجماد الذى لا حياة له وان ارادك بخير لم يرد احد
ما اراده بك من فضله واحسانه فكيف الاوثان ليدل على انه هو الحقيق
بالعبادة دون ما عداه وفى ذكر المس مع الضر والارادة مع الخير مع تلازمهما ايماء
الى ان المراد بالذات هو الخير ولهذا لا يخلو احد منه وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول وفى وضع الفضل موضع الضمير دلالة على انه من باب الامتنان والتفضل لا
باستحقاق منا واستيجاب كالشر واكد ذلك بقوله يصيب به بالخير من يشاء
من عباده وتقديم الضمير للتهديد والايماء الى ان عبادة الغير توجب المس بالضر
وتعرض العقاب لكونه ظلما ورجح جانب الترغيب فيه على جانب الترهيب لان المقصود
الحث على التجاء الى الله تعالى وحده والاعتصام به ولا شك ان داعى اللطف اكثر
والنفوس الكريمة اليه اميل فاوثر فى الاول لفظ المس الدال على ملاصقة الظاهر
دون نفوذه فى عدم التصريح بالارادة زيادة لطف وكذلك فى قوله فلا كاشف له
الا هو وما فيه من انه يكشفه لا محالة ان لم يردها وفى الثانى لفظ الارادة فجعل
المخاطب مرادا والخير تابعا له وفيه ابلغ اللطف ثم فى اطلاق الارادة وما فيه من
شمول الظاهر والباطن زيادة تقوية له ثم انه طيب سامعا ولا يكونه خيرا موثرا و
ثانيا بكونه فضلا ولهذا لم يكد الرجاء بالتعقيب بالاستثناء وصفا مورده عن شوب
الاضداد وما قيل ولم يستثن يعنى فى الثانى لان مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يصلح بيضاوى

وجها لعدم الاستثناء فيه على طريقة ما في قريبة وطريقة غير منحصر في ذلك الوجه ومن لم يتنبه لكون كل واحد من لفظي المس والارادة امتنع بمقامه من الآخر قال كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا رادّ لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك ثم انه لم يصب في عدم الفرق بين المس والاصابة وقد اوضحنا الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة وهو الغفور الرحيم تحريض وحث على التوبة من الشرك اي لا تيأسوا من غفرانه وتوبوا اليه من معصيتكم وتعرضوا لرحمته بتوحيده وتخصيصه بالعبادة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول او الدين المتين والقرآن المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى واتباع الحق فما ينفع الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن آثر الضلال فما وبال ذلك الا عليها وفيه حث على ايثار الهدى والاعراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل حفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ودم على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر والله اعلم بالصواب

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب خبر مبتدأ محذوف او خبر الر احكمت اياته صفة له اي حكمت من جهة اللفظ والمعنى والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت اي ميزت بعضها عن بعض في النزول كيلا يختل امر الاستدلال على الاحكام وثم للتراخي على الحقيقة قيل المراد ايات السورة اذ ليس فيها منسوخ فمعنى احكامها منعها من النسخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ومعنى فصلت انها فصلت بالفوائد كما يفصل القلائد بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او جعلت فصولا فصولا

اية

اية اية او فصل منها ما يحتاج العباد اي بين ولخص فالتراخي في الرتبة وقرئ فصلت من الثلاثي المجرد اي فرقت بين الحق والباطل وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم من لدن حكيم خبير في تقلقته بما حكمت ثم فصلت طباق حسن لان معناه احكمها حكيم وفصلها وبينها خبير بالاشياء واحوالها فصار على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ان لا تعبدوا مفعول له اي لان لا تعبدوا او نهي وان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول او امر لان فيه معنى الامر اي امركم ان لا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي عليه الصلوة والسلام بتقدير قال اغراء منه على تخصيص الله تعالى بالعبادة او امرا به ويدل عليه قوله انني لكم منه من جهته نذير وبشير اي هلا تعبدوا الا الله او الزموا ترك عبادة غير الله تعالى على ان ان مصدرية ولا نافية وانما قدم نذير على بشير لان الانذار اعم واهم وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه اي استغفروا من الكفر والمعصية ثم توبوا الى الله تعالى بالطاعة فالتراخي على الحقيقة ويجوز ان يراد التراخي في الرتبة لان التخلية افضل من التحلية او الاستغفار ينتظم الندم على ما سلف والتوبة اختيار العمل في المؤتنف حتى يكون راجعا بعمله الى ربه ولذا قدم ذكر الاستغفار على التوبة اي اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف الاجرام والثبات على الطاعة في باقي الايام وارجعوا الى الله تعالى بالاخلاص والاستسلام على الثبات والدوام يمتعكم متاعا حسنا في خفض عيش وسعة وامن ودعة الى اجل مسمى معين عند الله تعالى فهو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في العمل والطاعة فضله جزاء فضله في الاخرة او كل ذي فضل في الدين فضله في الدرجات والثواب فان الدرجات تتفاضل في الجنة بحسب تفاضل الاعمال وان تولوا وان تتولوا وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم جميعا رجوعكم في ذلك اليوم وهو على كل شيء قدير بيان لوجه كبر ذلك اليوم بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء لا الى غيره فهو

قادر على اشد ما يريده من العذاب ولا يمكنهم التفصي عنه الا انهم يثنون صدور
هم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من ازور عن الشيء ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه كما ان من توجه اليه استقبله بصدره او يعطفون صدورهم
على الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يضمرونها وقرئ تثنوني صدورهم
بالتاء والياء من اثنونى افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهي مبالغة وقرئ
تثنون بالتاء والياء واصله تثنونن تفوعل من الثن وهو ما هش وضعف من
الكلاء اي تطاوع صدورهم كما ييبس الهش من النبات او تضعف قلوبهم و
ايمانهم ويثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما همز ابياضت في ابياض وتثنوى
بوزن ترعوى ليستخفوا منه اي يريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع
رسوله والمومنين على ازوارهم لان ثني الصدر بمعنى الاعراض اظهار للنفاق
فلا يصح تعليله بالاستخفاء ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار
في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى اي فضربوه فحيي
كذلك يحيي الله الموتى فالمعنى يظهرون النفاق ويريدون مع ذلك ان يستخفوه
هذا على الوجه الاول من التفسير واما على الثاني فلا حاجة الى الاضمار الا حين
يستغشون ثيابهم يتغطون بها يريدون الاستخفاء ايضا كراهة لاستماع
كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا
ثيابهم اي الا حين يريدون في اظهار نفاقهم ويفعلون ما هو ادل عليه من
ثني الصدور قال ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في اخنس بن شريق
وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق
للحديث بحيث كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجالسته ومحادثته
وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين جميعا وكون النفاق في المدينة
غير مسلم بل ظهوره والامتياز بلا طوايف كان فيها يعلم ما يسرون في قلوبهم
وما يعلنون بافواههم اراد التسوية بينهما ولهذا عدل عن اسلوب الترقي الظاهر
في خلافه اي يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يضمرونه انه
عليم بذات الصدور باسرارها وضمايرها تعليل على سبيل الاستيناف للتوبيخ

المذكور

المذكور في قوله يعلم اه والاوان للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم في الاستخفاء
وثني الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اسبابا بمعاشها لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحثا على التوكل فيه و
يعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات والاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المبداء والمعاد حين كانت بالقوة كل
واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مثبت في اللوح المحفوظ بيان وتقرير لكونه
تعالى عالما بجميع المعلومات والاية التي بعدها بيان لكونه قادرا على كل شيء وتقريرا لما
سبق من التوحيد والوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام مر تفسيره في سورة الاعراف ووجه الجمع في الاولى والافراد في الثانية مر في
سورة الانعام وكان عرشه على الماء عرشه عبارة عن قيوميته تعالى والماء
اشارة الى صفة الحياة اذ من الماء كل شيء حي وفي على بيان بناء الاولى على الثانية
اي وكان حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء وكلمة ان الماء اول حادث بعد
العرش من اجرام هذا العالم وليت شعري من اين الدلالة على تاخر خلق الماء من
خلق العرش ليبلوكم علة للخلق اي خلق ذلك ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم
ودلائل وامارات يستدلون بها ويستنبطون منها ولما كان الابتلاء الاختبار احد
طرق العلم واشهرها واعمها استعير للعلم لانه ملابس له كالنظر في قوله فانظر
ماذا ترجعون وانما قال ايكم احسن عملا وهم المتقون وفي المخاطبين من عمله
هوم قبيح واقبح لامرين احدهما ان المقصود من الخلق بالقصد الاول وبالذات الايمان
والعمل الصالح ونظره تعالى الى ما هو احسن من ذلك لا الى القبيح والاقبح والثاني
التحريض والحث على حسن العمل والترغيب فيه وهو اعم من الاعمال البدنية كالطاعات
والخيرات والقلبية كالاعتقادات والنيات فكانه قال ليظهر من هو اكمل علما و
عملا ويتميز من هو على خلافه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن
عقلا واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله وفيه تعظيم للمحسنين المتقين
وتشريف لهم واشارة الى انهم من الله تعالى بمكان ولئن قلت انكم مبعوثون من

بعد الموت للجزاء على ما انكشف منكم بالابتلاء ليقولن الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين اشارة الى القول بالبعث اى انه باطل كالسحر الظاهر البطلان فى الخديعة
او الى القرآن لانه ناطق بالبعث فاذا جعلوه ظاهر البطلان كالسحر لزم بطلان ما
فيه من البعث وغيره من الوعد والوعيد وقرئ الا ساحر الى الرسول صلى الله
عليه وسلم اى كاذب مبطل كالساحر وقرئ انكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى
ذكرت او على ان ان بمعنى لعل اى ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تجزموا بانكاره بعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة فى انكاره واللام فى
لئن موطئة للقسم فى الايات الاربع والجواب له ساد مسد جواب الشرط ولئن
اخرنا عنهم العذاب الموجود الى امة معدودة الى جملة من الاوقات قليلة ليقولن
ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس
العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه قيل هو دليل على جواز
تقدم خبرها عليها اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل وابن الحاجب يمنع دلالة
جواز تقديم المعمول على جواز تقدم العامل وايضا الظرف والجرور يتوسع فيهما ما
لا يتوسع فى غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيه وكان ما ذكرا ستعجالا
منهم للتعذير على وجه التكذيب والاستهزاء ولذا قال وحاق بهم اى احاط بهم
ما كانوا به يستهزئون واضعا يستهزئون موضع يستعجلون كانه محض الاستهزاء
ولكون عذابهم محقق الوقوع عما قريب اورد حاق موضع يحيق على عادة كلام
الله تعالى كانه قد وقع مبالغة فى التهديد واذا اذقنا الانسان منا رحمة نعمة
من صحة وامن وخصب وجدة بحيث يجد ذوقها ولذتها ثم نزعناها سلبناها
منه فى عبارة النزع اشارة الى ما فى السلب المذكور من شدة الالم انه ليؤس شديد
اليأس من عودة مثلها اليه قاطع رجاءه من فضل الله تعالى وسعة رحمته غير صابر
ولا مسترجع ولا مسلم لقضائه كفور عظيم الكفران بما سلف له من النعمة ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى ذكر الاذاقة مع النعماء
والمس بعد الضراء اشارة الى ان النعمة ادوم حتى يجد الانسان ذوقها ويتلذذ بها
بخلاف الضر فان المس مبدأ الوصول ففيه دلالة على قلة صبرهم كانهم بمجرد اثره جزعوا

وكفروا

وكفروا النعمة الطويلة الزمان ليقولن ذهب السيئات عنى اى البليات التى
ساءتنى انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله تعالى من نعمائه قد شغله
الفخر والفرح عن الشكر الا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات شكرا
لا لانه سابقتها ولاحقتها فان فى قوله صبروا دلالة على هذا لان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر اى المؤمنين الذين عادتهم الصبر عند زوال النعمة ووقوع
الضراء والشكر عند النعماء استثناء من الانسان واللام لاستغراق الجنس
كما فى قوله ان الانسان لفى خسر ومن خص الانسان بالكافر لسبق ذكرهم
جعل الاستثناء منقطعا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب عظيم
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النهى اى لا تترك بعض ما يوحى اليك
وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به وهو كما يقول الرجل
لآخر لعلك تريد ان تفعل كذا وهو ينهاه عنه ولما كان مبنى هذا النهى على
الصبر على اذى المشركين واستهزائهم صح ترتيبه على كلام تضمن الحث والتحريض
على الصبر ومن وهم ان لعل للتوقع فقد وهم وضائق به صدرك وعارض لك
احيانا ضيق صدرك وانما اختار ضائق على ضيق لان نهيه ابلغ وهو يناسب لفظ
تارك ان يقولوا بان يقولوا وقيل الضمير فى به مبهم وان يقولوا تفسيره اى يضيق
صدرك بسبب قولهم هذا لولا انزل عليه كنز ينفعه فى استتباع الناس كالملوك
او جاء معه ملك يصدقه انما انت نذير ما عليك الا الانذار وما عليك ان
يقبلوه ولا يردوه فلا يضيق صدرك بردهم وتهاونهم به والله على كل شىء وكيل
فكل اليه امرك فانه حافظ عليهم عليم بما يقولون ويفعلون وفاعل بهم ما يجب
ان يفعل من اجزائهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير فى افتراه لما يوحى
قل فأتوا بعشر سور مثله فى البلاغة نزلا وانما قوله فليأتوا بحديث مثله وهو
كل القرآن فى ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور منه فلما عجزوا عنه
ايضا سهل عليهم وتحداهم بسورة واحدة كما هو عادة المعارضين وتوحيد المثل
لان المراد المماثلة من جهة البلاغة ولا اختلاف بين السور فيها فما هو مثل لاحداها
مثل لسائرها ففيه تنبيه على ان المراد المماثلة فى حسن البيان لا فى بدايع المعانى

بيضاوى

مفتريات من باب المساهلة وارخاء العنان لما قالوا افتراه من عنده امر بأن
يفادوهم على زعمهم ويقوله هبتوا الى افتريته فأتوا انتم بكلام مثله في حسن
النظر والبيان مفترى من عندكم فانتم فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله
الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في انه مفترى فالم يستجيبوا لكم اى لك
وللمومنين باتيان مثله فانهم ايضا كانوا يحدونهم وكان امر الرسول عليه الصلوة و
السلام متناولا لهم من حيث انه يجب عليهم اتباعه في كل امر الا ما خصه الدليل و
للتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه الامر الآتى ذكره ويجوز ان يكون الجمع في الخطاب لتعظيم الرسول عليه الصلوة
والسلام ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم
اى فان لم يستجيب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة عن معارضته لعلمهم انهم
عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل ملتبسا بعلم الله اى بما لا يعلمه الا الله من نظم
معجز للخلق وان لا اله الا هو واعلموا عند عجز الكل ان لا اله الا الله وحده القادر
على ما لا يقدر عليه احد وان الشرك به ظلم وانما تعبدونه ليس من الالوهية في
شئ فهل انتم مسلمون بعد هذه الحجة القاطعة ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين و
معناه واثبتوا على العلم بالتوحيد وزيدوا يقينا فهل انتم دائمون على الاسلام مخلصون
لله تعالى بازدياد اليقين وثبات القدم والطمانينة وهي تفسير مقتضى الاستفهام
بهل والعدول عن الفعل الى الجملة وسبك المسلمون من تسلمون ايذان بطلب دوام
الاسلام وقوة الثبات في الدين وانهم مطالبون بذلك لزوال العذر ووضوح الدليل
وقوته وعلى خطاب المشركين فاشارة الى انه قوة الصارف عن الشرك وقيام موجب
التوحيد يقتضي استحالة الشرك والمواظبة على الاسلام فما ابعدكم عن ذلك وفيه تهديد
بليغ واقناط من ان يجيرهم من باس الله تعالى شركاؤهم لان دليل التوحيد دال على نفي القدرة
والالوهية عن الغير ووجوب الاذعان له من كان يريد الحياة الدنيا باحسانه و
بره وزيادة كان للدلالة على استمرار تلك الحال ولا بد منه في ترتب ما ذكره وزينتها يأتي
الزينة تحسين الشئ بغيره من لبسه وحليته وغير ذلك نوف اليهم وقرئ يوف بالياء
اى يوف الله تعالى ويوف للبناء على المفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط

ماض

ما ضرا اعمالهم جزاء اعمالهم من الصحة والامن وسعة الرزق وكثرة الاولاد والرياسة
والتوفية تادية الحق على تمام فيها في الحياة الدنيا وهم فيها اى في حق الاعمال ولا يجوز
عود الضمير الى الحياة الدنيا لما فيه من الافادة دون الافادة لا يبخسون البخس
نقصان الحق ظلما يعني لا ظلم في ايفاء جزاء اعمالهم في هذه الدار دون ابقائه
الى دار القرار فما ذكرناه تاسيس لا تاكيد والاية عامة في الكفرة وبرهم اولئك
الذين ليس لهم في الاخرة ان لوحظ في لهم ما يقابل فعلهم يكون الكلام على طريقة
تبشير قائل الزبير بالنار الا النار وما فيها من انواع العذاب والاقتصار على ذكر
النار من قبيل الاكتفاء من الشئ بذكر منبعه وذلك لانهم استوفوا ما تقتضيه
صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا
فيها في مصلحة الاخرة من وجوه البر بنوع من التكلف لانه خلاف مقتضى
الطبع وهوى النفس ولهذا عبر عنه بالصنع وانما قال فيه حبط لانه ليس
باطلا في حد نفسه لقرينة الآتي ذكره الا انه لا يجدى في الاخرة لانه لم يقارن
شرط القبول وهو الايمان وباطل في نفسه ما كانوا يعملون ما اعتادوا عمله
في مصالح الحياة الدنيا واسباب زينتها وللدلالة على الاستمرار التجددي جمع بين كان
وصيغة المضارع كما في قوله من كان يريد الحياة الدنيا ومجموع الجملتين علة لما قبلها
وقرئ بطل على الفعل وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى
المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام افمن كان على بينة من ربه برهان
من الله تعالى على ان دين الاسلام حق وهو القرآن من مبتدا خبره محذوف تقديره
افمن كان على بينة من ربه كمن كان يريد الحياة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني ان
بين هولاء الكاملين المحققين وبين اولئك الناقصين المقصرين بونا بعيدا و
تفاوتا عظيما فالهمزة لانكار المماثلة بينهما والفاء لتفريع هذا الانكار وترتيبه
على ما تقدم من بيان مساواة حال تلك الناقصين فهي متقدمة معنى وان اخرت
عن الهمزة لفظا لاقتضائها الصدارة في الكلام ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب
مستدعية سبق ما يعطف عليه فالتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة
من ربه والخبر محذوف لدلالة الفاء عليه اى يعقبونهم ويقربونهم والاستفهام

لانكار هذا التعقيب فقد تكلف واما من اختار التقدير الاول وزعم ان الهمزة لانكار
التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث خلط بين الوجهين فخبط ويتلوه اى يتبع
ذلك البرهان الذى يتضمن الدليل العقلى لكونه معجزا شاهد هو عيسى عليه
السلام حيث بشر ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وهذه البشارة منه شهادة
بحقية دين الاسلام والتنكير للتعظيم وكذا قوله منه اى من الله تعالى ومن قبله
اى من قبل ذلك الشاهد كتاب موسى يعنى التورية فانه ايضا يتلوه فى التصديق
وقرئ كتاب موسى بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه والضمير فى قبله للقرآن الذى
عبّر عنه بالبينة فالمعنى ان الشاهد المذكور يتبع الكتابين القرآن والتورية
اماما كتابا يؤتم به فى الدين قدوة فيه ورحمة تامة عظيمة هى المنزل اليهم لان
الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به
اى بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اصناف الكفار مشركا او كتابيا فالنار
موعده يردها لا محالة لانه تعالى لا يخلف وعده فلا تك فى مرية منه من القرآن
وقيل من الوعد وقوله انه الحق من ربك ظاهر فى الاول وقرئ مُرية بضم الميم وهما
لغتان وقد مر فى اول سورة البقرة الفرق بينها وبين الريب والشك ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون بكونه من عند الله لقلة نظرهم وقصور تدبرهم ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزل وقد مر ما يتعلق به فى
تفسير سورة الانعام اولئك يعرضون على ربهم يحبسون فى الموقف وتعرض اعمالهم
ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف
وما وصفهم بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام فى كل العباد كما قال
وعرضوا على ربك صفا بل اراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد عند
عرضهم هولاء الذين كذبوا على ربهم بنسبة الولد والشريك اليه ونفى ما انزل
عنه الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد او قول الله تعالى اى طردوا ولعنوا
بسبب ظلمهم بالكذب على الله تعالى وفيه تهويل عظيم مما يحيق بهم الذين يصدون
عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج او يبغون اهلها
ان يعوجوا بالارتداد والعوج الانحراف والميل المؤدى الى الفساد وتقول بغيتك

خيرا او شرا اى طلبت لك وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة
وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين اى ما كانوا
معجزين الله تعالى فى الدنيا أن يعاقبهم ومعنى معجزين مغلبين لا يقدر عليهم
وانما قال فى الارض لان تصرف ابن ادم وتمتعه انما هو فيها وهى قصاراه
لا يقدر يستطيع التجاوز منها وما كان لهم من دون الله ثبت ذكر الله هنا
واسقط فيما سبق وكان مقتضى الظاهر اثباته ثمة والاكتفاء بالضمير هنا
وانما عدل الى ما وقع احترازا عن اضافة العجز اليه تعالى صريحا من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكن اخرهم الى هذا اليوم ليتضاعف عذابهم فقوله
يضاعف لهم العذاب استيناف فى مقام التدارك بالجواب للسؤال عن وجه
تاخير العقاب والله اعلم بالصواب ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامّهم
كراهة استماع الحق كانهم لا يقدرون على استماعه وما كانوا يبصرون لفرط
تعاميهم كراهة ابصارهم وكانه العلة لمضاعفة العذاب اولئك الذين
خسروا انفسهم باشتراء عبادة الاوثان بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما
كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما
حصلوا فلم يبق معهم سوى الخسر والندامة لا جرم مذهب الخليل وسيبويه
انه ركب من لا وجرم وبنى والمعنى حق وما بعده رفع على الفاعلية وقال الكسائى
معناه لا صد ولا منع فيكون جرم اسم لا وهو مبنى على الفتح انهم فى الآخرة هم
الاخسرون لما كان خسران النفس اعظم الخسران حكم عليهم بانهم الزايدون فى
الخسران على كل خاسر ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى
ربهم اطمأنوا اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن وقدم الكافر
اعتبارا للسياق كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين فى
عدم انتفاعهم بالمشاعر بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع والبصير والتشبيه
بحسب جليل النظر من قبيل المفرد وبحسب دقيقه من قبيل المركب لانه ابلغ والتعبير
بالمثل انسب وذلك لان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع بين العمى والصمم

والجامع بين السمع والبصر على ان الواو في والاصم او البصير للجمع بين الصفتين كما
في قوله الصابح والغانم والايب وتشبيه احدهما بكل واحد من الاعمى
والاصم والآخر بكل واحد من السميع والبصير فيكون لكل منهما تشبيهان كما في قوله
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وهو من باب اللف والطباق والوجه هو الاول لانه تشبيه الكفار الى مشبه بالاول
ومشبه بالثاني وكذلك المومنون غير مقصود في الآية بخلاف البيت المذكور بل المراد
تشبيه حال هولاء الكفرة الغاوين الموصوفين بالتصام عن آيات الله بحال من
خلق اعمى واصم لا تنفعه اشارة ولا عبارة وحال هولاء الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانتفعوا باسماعهم وابصارهم اهتداء الى الجنة والكفار كانوا
خابطين فيه من ضلال الكفر والوجه بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار
في الظلام ويستفيء بمعالم الانذار والابشار فوزا بالمرام هل يستويان اي الفريقان
والاستفهام انكاري مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون بالتامل فيما ضربناه
من المثل فالفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتاخرها لفظا
لرعاية ما للاستفهام من حق الصدارة في الكلام ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه اني لكم نذير قرئ اني بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا اني وبالفتح
فتقديره باني اي ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام ومبلغا له فلما اتصل به الباء فتح
والمعنى على الكسر كما في فتح ان في قولك ان زيدا كالاسد اذا اتصل به الكاف
فقيل كان زيدا الاسد والمعنى بحاله مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه
الخلاص عنه ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم على قراءة الفتح وعلى قراءة
الكسر ان مفسرة متعلقة بنذيرا وبارسلنا ويجوز ان يكون المعنى بان لا تعبدوا
الا الله على ان الباء صلة ارسلنا كانه قيل ارسلناه بنهاهم عن الاشراك
قائلا اني نذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم بالاليم من اسناد
المجازي لوقوع الالم فيه كقوله نهاره صائم فقال الملاء الذين كفروا من قومه
ما نراك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفي رسالته بطريق البرهاني بناء على زعمهم
ان الرسول يجب ان يكون ملكا واما ما قيل اي لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة

ووجوب

ووجوب الطاعات نفي قوله وما نرى لكم علينا من فضل فقوله مثلنا لتحقيق
البشرية وقوله وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا استدلال بانهم ضعفاء العقول
لا تمييز لهم فجوزوا ان لا يكون الرسول بشرا والاراذل جمع الارذل وهو بمعنى الخسيس
فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر والارذل جمع رذل بادي الراي قرئ بالهمزة
من بدا يبدا بدءا اذا ابتداء اي اول الراي وبغيرها الهمز من بدا يبدو بدوا اذا
ظهر اي ظاهر الراي نصب على الظرف والعامل اتبعك اي اتبعوك وقت
حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم بحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من
الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم اي لك
ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل التنكير للتقليل فهذا القول
منهم تسجيل بان دعوى النبوة باطله لا دخال عليه السلام الارذل في سلك على
اسلوب يدل على انهم انقص البشر فضلا عن الارتقاء الى درجة التفضيل بل نظنكم
كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك وكانهم اظهروا
الاحتراز عن الجزاف والاقتصار على قدر الحاجة ولهذا عدلوا عن دعوى اليقين
الى دعوى الظن الكافي في ايجاب العامل في العامل لموجبه قال يا قوم ارايتم اخبروني
ان كنت على بينة من ربي اي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده
هي النبوة فعميت عليكم خفيت عليكم البينة لان خفاها يوجب خفاء النبوة
اذ النبوة بعد ظهور البينة او كل واحدة منهما او فقد عميت بعد البينة فحذف
للاختصار والاكتفاء بذكره مرة كقوله بين ذراعي وجبهة الاسد ويجوز ان يراد
بالبينة والرحمة معا النبوة وقرئ فعميت بالتشديد اي اخفيت وقرئ فعماها على
ان الفعل لله تعالى انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها جواب ارايتم ساد مسد
جواب الشرط واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف جاز في الثاني
الاتصال كما وقع هنا والانفصال كما لو قيل انلزمكم اياها وانتم لها كارهون لا
تختارونها ولا تتاملون فيها ويا قوم لا اسالكم عليه الضمير راجع الى قوله اني لكم
نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وهذا اي الرجوع الى القول اولى من الرجوع الى المدلول

لان الاجر في مقابلة الشغل والقول المشتمل على الانذار هو المقابل بالاجر ما لا
جُعلا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا او غنيا وفيه الجواب
عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا ان اجرى الا على الله بالتزامه
تفضلا لا بالايجاب شرعا وعقلا وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم
حين سألوه طردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم ولما لوح اليهم
ما شككم في امرهم وترددوا في علته قال انهم ملاقوا ربهم اى فايزون بلقاء
ربهم وقربه فكيف اطردهم ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم اتبعوك بادى الراى
اى في العمل بظاهر ما ارى فاكتفى بظاهر ايمانهم واحال باطنهم الى الله تعالى
فانهم ملاقوه فيجازيهم على سرايرهم ولكنى اراكم قوما تجهلون استدراك
عما تقدم من قولهم ما نراك وما نراك اى لا حقيقة لما رايتم فكانكم ما رايتم
فينا شيئا ولكنى اراكم قوما تجهلون ما لا ينبغى ان يخفى على الرجال من ان الناس
لا يتفاضلون بالاحساب والانساب والاموال بل باسباب الكمال من الاعمال
والاحوال وبما قررناه تبين وجه ادراج قوله قوما في الكلام وادماج دقيقة
انيقة في اثناء تقريب المرام ويا قوم تلطف نوح عليه السلام بندائه اياهم بقوله
يا قوم استدراجا لهم في قبول كلامه كما تلطف مؤمن ال فرعون بقوله يا قوم يا
قوم من ينصرني من الله يدفع انتقامه مني ان طردتهم وهم بتلك المثابة من
القرب والكرامة عند الله تعالى افلا تذكرون لتعرفوا ان توقيف الايمان على طردهم
ليس بصواب ولا اقول لكم عندى خزاين الله خزاين رزقه ونعمه اى كما لا اسألكم
مالا فكذلك لا ادعى انى املك مالا ادفعه لاتباعى فلا غرض لى في المال لا اخذا و
دفعا ولا اعلم الغيب حتى اصل الى ما اريده لنفسى ولاتباعى عطف على لا اقول
لا على عندى خزاين الله وانما لم يات فيه بنفى القول للفرق الدقيق بينه وبين
ما اتى فيه بنفيه وقد مر بيانه في تفسير سورة الانعام واما فائدة تكرار لا
انك اذا اكدت به لازالة احتمال المعية في النفى فقد اذنت انك في الكلام محقق
باق على اليقين بعيد عن السهو والتجوز ولا اقول انى ملك بعبادته جواب
عن قولهم ما انت الا بشر مثلنا وباشارته جواب عن طعنهم فيه عليه السلام
لمخالطة

لمخالطة للفقراء اى لا انتظاهم بذلك عليكم بل طريقى الخضوع والتواضع ومن كان
شانه وطريقه كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب
مجالسة الاغنياء والسلاطين فلما كانت طريقتى توجب مخالطة الفقراء فكيف
جعلتم ذلك عيبا على ثم اكد هذا بقوله ولا اقول للذين تزدرى اعينكم اى في شان
من استرذلتموه لفقرهم الازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر
به وازدريته اى احتقرته واسناد الازدراء الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه
على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة
مالهم من غير تامل على معتقداتهم وكمالاتهم لن يؤتيهم الله خيرا عسى ان يكون ما
اعد الله لهم في الاخرة او في الدنيا والاخرة خيرا مما اتاكم من الغنى الله اعلم بما
في انفسهم من الايقان وعدمه انى اذا ان فعلت او قلت شيئا من ذلك لمن
الظالمين انفسهم بطرد من امرت بقبوله قالوا يا نوح قد جادلتنا اى خاصمتنا
يقال جادله اذا خاصمه ليرجعه عما عليه واصله الجدل وهو الفتل فاكثرت
جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العقاب المعجل ان كنت
من الصادقين في الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ولا تفيد قال انما ياتيكم به
الله ان شاء اى ليس الاتيان به الى انما هو الى الذى عصيتموه وكفرتم به
فيفعل ان شاء كما شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب عنه
ولا ينفعكم نصحى النصح اخلاص ارادة الخير في الدلالة ونقيضه الغش وقيل
هو اعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليبتغى ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب له والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى وهو
جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وانما قال ان اردت ان انصح مع وقوع
النصح استظهارا في الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا
ما نفع من لا يقبله وفيه دلالة على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء
وان خلاف مراده تعالى غير واقع هو ربكم خالقكم ومبقيكم في الدنيا الى وقت
اجلكم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قال مقاتل هذا

والظاهر ان هذا من تتمة قصة نوح عليه السلام وقيل انه معترض ... عن ... النبي صلى الله عليه وسلم والاخفى ... شهاب
وافق قيل انه ... ويؤيده ما قال ابن ... الخفاجي في قول ابن عباس انه يعنى نوحا عليه السلام في تفسير الثعلبي لمحرره

الكلام في شان محمد صلى الله عليه وسلم اعترض في قصة نوح عليه السلام وهذا
اظهر وانسب بالسياق لانه كالتكرير لقوله ام يقولون افتراه دلالة على كمال العناد
وان مثله بعد الاتيان بالقصة على هذا الاسلوب المعجز لا ينبغي ان ينسب الى
افترائه فجاء زيادة انكار على انكار كانه قيل بل امع هذا البيان ايضا يقولون افتراه
وهو نظير اعتراض قوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم بين قصة ابراهيم
عليه السلام على احد الوجهين قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان ثبت افترائي فعلي
عقوبة اجرامي وكان يحق حينئذ ان تعرضوا عني وتعادوني وانا بريء مما تجرمون
اي ولم يثبت ذلك بل هو فرض محال وانا بريء من افترائكم ونسبتكم اياي الى الافتراء
وانما عدل الى المنزل على طريقة المشاكلة او ما جاء لكونهم مجرمين وان المسئلة معكوسة
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن هذا الاستثناء على طريقة الا
ما قد سلف على ما قيل انه استثناء من اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون اقنطه الله تعالى في ايمانهم على وجه ابلغ ثم نهاه ان يغتم بما استمروا عليه
من تجديد التكذيب والاستهزاء والابتئاس حزن في استكانة واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا ولما كان العين هي الجارحة التي بها يحفظ الشيء عبر بكثرتها عن
المبالغة في الحفظ والرعاية من الاختلال والزيغ في صنعه وعن مزاحمة العدو له
وكيده في المنع ومن عمله على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا
تخاطبني في الذين ظلموا نهي عن التكلم فيهم مبالغة في النهي عن الدعاء في استدفاع
العذاب منهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه من عمل السفينة
وكان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يتضاحكون منه و
يقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا والسخر الاستجهال مع الاستهزاء و
مصدره سخري بضم السين والمصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا
منا فيه تنزيل المحقق منزلة المشكوك تمهيدا لما قصدوه من تجهيلهم فيما فعلوه فانا
نسخر منكم كما تسخرون المراد من سخريته عليه السلام مجرد الاستجهال واطلاق السخرية
عليه بطريق المشاكلة اي انا نستجهلكم في استجهالكم ايانا على ظاهر الحال وجهلكم بحقيقة

الامر

بيضاوي

الامر كما هو عادة الجهال في السخرية بهذا المعنى منه عليه السلام في الحال ومن قال
اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة فقد حملها على الحقيقة وكانه لم يدر ان
الاستهزاء لا يناسبه عليه السلام فسوف تعلمون تهديد بليغ من يأتيه عذاب يخزيه
يعني من يأتيه اياهم بعذاب يخزيه الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم
الذي لا انفكاك له عنه في الاخرة عذاب مقيم دائم في عذاب النار حتى اذا جاء امرنا
غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها
الكلام وفار التنور كما يفور القدر بالغليان اي نبع الماء وارتفع من الارض بشدة الاندفاع
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة قلنا احمل فيها الضمير للسفينة
وكانت ذات بطون والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم ولهذا قال فيها دون عليها
من كل من كل نوع لا بد منه زوجين الزوج واحد له شكل فالذكر زوج والانثى زوج
وقد يطلق الزوج على مجموعهما ولدفع هذا الاحتمال قال اثنين وانما لم يقل من نوع كل
اثنين احترازا مثل البغل من حيث الامر بالحمل لعدم الحاجة اليه وقرئ من كل زوجين
بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين واهلك عطف على زوجين او اثنين
والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين ولما كان
القول السابق صادقا لهم قال عليه دون فيه استثناء من المعنى اللازم للامر وكانه قيل
انهم لا يغرقون الا من سبق عليه القول يعني ابنه كنعان وامرأته واهله فانهما كانا
كافرين فاندفع السؤال بانه لا يخلو من ان يكون المستثنى معلوما لنوح عليه السلام
فلا وجه لقوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق او لا فيلزم استثناء المجهول من
الذين امر عليه السلام بحملهم على السفينة ولا وجه له ومن امن اي والذين امنوا
من غيرهم وافردهم بالذكر مع انهم من الذين امنوا لمصلحة الاستثناء المذكور المتضمن
للاشارة الى ان الانتساب اليه عليه السلام لا يجدي نفعا في دفع العذاب المذكور
انما المنجي عنه هو الاتباع له عليه السلام وما امن معه الا قليل اختلفوا في
عدده ولا فائدة في تعيينه وكلمة مع هنا كالتي في قوله واسلمت مع سليمان
وقال اي قال نوح عليه السلام لمن امن معه اركبوا فيها والركوب العلو على ظهر
الشيء وهو يتعدى بنفسه فيقال ركب السفينة وزيادة في لانه عليه السلام

ومن امن في موضع نصب عطف على اثنين وان شئت على اهلك
نحاس

امرهم ان يكونوا فى جوفها لا على فوقها بسم الله متعلق باركبوا حال من ضمير الفاعل اى اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجراها ومرسيها نصب على الظرف اى وقت ارسائها واجرائها لانهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكونا اسمى مكان وانتصابهما بما فى اسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرسيها جملة من مبتداء وخبر فى موضع الحال من ضمير الفلك اى اركبوا فيه مجراه ومرساه بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام يروى انه اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجريها وارسيها اى بقدرته وامره وقرى مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى مصدرين او زمانين او مكانين وقرى مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله تعالى ان ربى لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم وهى تجرى بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى بهم والباء فى بهم كالتى فى قوله دخلت عليه بثياب السفر والجرى مر سريع والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة فى موج جمع موجة وهى قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير عند اضطرابه كالجبال شبه كل موجة بجبل فى تراكمها وارتفاعها وفى قوله فى موج ردّ لما قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه اذ حينئذ لا مجال للموج والحمل على انه فى ابتداء الحال يابا المقام لانه مقام المبالغة فى بيان تلك الاهوال فلا حاجة للاكتفاء بذكر اوائلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرى ابنها وابنهَ بفتح الهاء اكتفاء بالفتحة عن الالف والضمير لامرأته على انه كان ربيبه وقرى ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان فى معزل المعزل الموضع منقطع عن غيره وكان كنعان فى ناحية منفصلة عن موضعه عليه السلام يا بنى قرى بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة

قوله وقرى ابنها اى بضمير المؤنث عن علي عروة قوله وابنه بفتح الهاء عن علي وعروة والزبير ومحمد بن علي وجعفر بن محمد لها وعن السدى وابن ابي ليلى ابناه بالالف وهاء السكت وعن ابن عباس ابنه بسكون الهاء لغة تمّ القارى على البيضاوى

وبالفتح

وبالفتح اقتصارا عليه بالالف المبدلة من ياء الاضافة فى قولك يا بنيا او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها ساكنة اركب معنا اى اركب السفينة معنا نعوذ وقرى بادغام الباء فى الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فتهلك حاله كانت ملتبسة عليه عليه السلام لانه كان ينافقه ولهذا سعى فى خلاصه بعد العلم بان الكفار كلهم مغرقون واما السؤال بانه كيف ساغ له الامر بركوبه فى السفينة بعد العلم بانه من جملة المستثنى من اهله المامور بحملهم فقد مر وجه اندفاعه قال ساوى الى جبل عظيم يعصمنى من الماء يعنى بارتفاعه قال لا عاصم اليوم من امر الله انما قال اليوم لان فى سائر الايام يوجد عاصم من امر الله على ما نطق به قوله عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والمراد من امر الله الافات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم الله اى الا الله الذى قد رحمنا بما امننا من الغرق وفى العدول من الضمير الى الموصول زيادة تفخيم وتحقيق لرحمته وان رحمته هو المعتصم لا الجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج بين نوح عليه السلام وابنه لا بين ابنه والجبل لكان التفريع فى قوله فكان من المغرقين اذ لا دخل للحيلولة بينه وبين الجبل فى صيرورته من المهلكين بالماء لما ان ليس بعاصم وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى البلع الازدراء والمراد به نشف الماء على طريقة الاستعارة لا غور الماء فى الارض لان فعل الارض هو النشف دون الغور فانه فعل الماء بطبعه والاقلاع اذهاب الشئ من اصله حتى لا يبقى له اثر يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شئ منها شبهت السماء والارض فى سرعة انقيادهما لامره بهما وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبولهما ما يريد منهما مع تعلق الارادة من غير امتناع بالمامور المطيع للآمر المطاع القادر على ما يشاء الذى اذا امر سارع الى الامتثال من غير ريث وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته وجلاله فنوديتا بما ينادى به العاقل المميز المطلوب باقباله وامرتا بما يؤمر به المدرك المتفطن لما امر به تنبيها على كمال قدرته ونفاذ امره ومشيئته فى الكل وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر انجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودى جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين

هلاكا لهم يقال بعدا وبعد الماضيا ونعيدا بجيث لا يرى عوده ثم استعير للهلاك
وخص بدعاء السوء وايراد الاخبار على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على عظمة
الفاعل وجلالة قدره وعلو شانه وانه لا يمكن ان يكون فاعل تلك الافعال
والاثار الا الله الواحد القهار القادر على ما يشاء ويختار انه متعين عند العقل
بدليل ابين من اللفظ اذ يستحيل ان يشاركه فيها غيره ولا يذهب الوهم
الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يغيض هذا الماء
الكثير الا هو ولا ان يقضى ذلك الامر العظيم الهايل سواه ولا ان تستقر السفينة
بعد اضطرابها الا بامره وتقديره ولا ان يهلك الظلمة ذلك الاهلاك الفظيع الا
بقهره وتدميره وقد جمعت الاية فى فخامة المعنى وجزالة اللفظ وحسن
النظم ورصانة التركيب ووضوح الدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى
من الاخلال ما تاهت الافهام فى مجاريه واستغلت به الالباب من كثرة
النكات ولطايف المعانى التى تحويه بدايع الطباق والجناس التى فيه لانها
وان كانت تحسن ظاهر الكلام وتزين ديباجة النظام لكنها بالنسبة الى النكات
المعنوية كالقشر من اللباب وكالدردى من صفو الشراب ونادى نوح ربه اريد
النداء فى نفسه ولا دلالة فى عطف قوله فقال على تقدير الارادة كانه من قبيل
عطف المفصل على المجمل بل نقول لا وجه لتقديرها لان الاخبار عنها خلو عن
فائدة الخبر ولا زمها رب ان ابنى من اهلى الذى وعدتنى انجاءهم بالركوب
فى السفينة هذا الوعد غير مذكور فى القران صريحا بل يفهم من الامر بحملهم فى
السفينة وان وعدك الحق وان كل وعد تعده لا يتطرق اليه الخلف وانت
احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم فلا يشوب كلامك ذلك ولا خلل فترجع
وهذا ابنى قد حرم عن الركوب فى السفينة وعرفنى السبب فيه حتى اكون على
علم فيسكن قلبى ومبنى هذا على زعمه ان ابنه ليس بكافر لانه كان ينافقه
على ما تقدم بيانه وهذا النداء منه عليه السلام وان كان بعد مكالمته
مع ابنه لكن قوله ساوى الى جبل الخ لا يدل على كفره لجواز ان يكون قد ظن
ان الصعود على الجبل الشامخ يجرى مجرى ركوب السفينة وانه يصونه عن الغرق

وبعد

وبعد اخبار ابنه بانه لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه وبين ابنه فلم يبق له
مجال الركوب وانما قلنا انه كان بعد المكالمة لانه لو كان قبله لما ساغ له عليه
السلام ان يقول يا بنى اركب معنا اذ حينئذ يكون معلوما له عليه السلام انه من
الذين نهى عن حملهم فى السفينة قال يا نوح انه ليس من اهلك لانقطاع الولاية
بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفى كونه
من اهله وابدل فاسد بغير صالح تصريحا بالمنافاة بين وصفيهما الموجبة لانتفاء
القرابة بينهما ونفيا لما اوجب النجاة لمن نجا من اهله وايماء الى ان من نجا من اهله
انما نجى بالصلاح لا بقرابته وقرئ انه عمل غير صالح اى عمل عملا غير صالح او جعل
ذاته نفس العمل للمبالغة فى ذمه واصله ذو عمل فاسد فحذف ذو فلا تسالن
قرئ بتشديد النون من غير ياء وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء ما ليس لك به علم
اى لا تطلب منى ما لا تعلم اصواب هو ام ليس بصواب حتى يتبين لك وجه كونه صوابا وانما
نهاه عن ذلك لتضمن كلامه بتذكير الوعد بنجاة اهله استجارة فى حق ولده وهذا
لانه عليه السلام لم يكن حينئذ عالما باهلاك ابنه ولا دالا له على هلاكه فى حيلولة
الموج بينهما واما ظاهر كلامه عليه السلام وهو سؤال الاستفسار عن المانع لكونه
محمولا فى السفينة مع كونه من اهله الذين ورد البشارة فى حقهم بذلك فلا ينافى سببه
النهى عنه خصوصا مع التقييد بقوله ما ليس لك به علم وانه باعث للاستفسار
دون الانتهاء عنه انى اعظك الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى الجميل على وجه الترغيب
والترهيب ان تكون من الجاهلين انما سماه جهلا ونهاه عنه لانه لما استثنى عند
الموعد بقوله الا من سبق عليه القول فقد نبهه ان من اهلك من يهلك فكان
الواجب عليه ان يوطن نفسه على ان من اهله من يستوجب العذاب وقد دل
ظاهر حال ابنه على انه منهم فلا رخصة فى حقه بسؤال الاستنجاز قبل ان تبين
حاله فعوتب على ذلك واما سؤال الاستفسار وان كان منتظمة ايضا هنا لكن القيد
المتقدم ذكره لا يتحمله على ما نبهت عليه آنفا واما ما قيل اذ استثناء من سبق عليه
القول من اهله قد دله على الحال واستغنا عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه
حتى اشتبه عليه الامر فبناه على ان يكون الاستثناء المذكور عن لفظ اهله وقد عرفت

الاستنجاز اى طلب الانجاز للوعد منه

بيضاوى

ما فيه من الاشكال فانه بعد علمه عليه السلام ان ابنه مستثنى من الذين امر بحملهم
فى السفينة يكون قوله يا بنى اركب معنا عصيانا والاعتذار بما ذكر لا يجدى نفعا قال
رب انى اعوذ بك العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر ان اسئلك اى اطلب منك ما
ليس لى به علم بحاله لاحتمال الخطاء وهذا توبة منه عليه السلام عن ان يعود
الى مثله فى المستقبل تأدبا بتاديب الله تعالى والا تغفر لى ما فرط منى وترحمنى
بالتفضل على بقبول توبتى اكن من الخاسرين اعمالا طلب المغفرة والرحمة بهذه
الطريقة الكنائية ابلغ واكد من قوله اللهم اغفر لى وارحمنى لما فيه من قطع الربط من غيره
تعالى واخبار انه لا يملك احد ذلك غيره بخلاف ما صرح فيه بالطلب قيل يا نوح اهبط
اى انزل من الجبل الى قرار الارض كالهبوط نزول من اعلا مكان الى ادونه بسلام منا اى
تحية كما قال سلام على نوح فى العالمين وقيل اى سلامة من الافات وبركات عليك جمع
بركة وهو ثبوت الخير بتمامه وهى فى حقه عليه السلام بتكثير ذريته واتباعه
وسائر المنافع لما كان الطوفان عاما فعند ما خرج نوح عليه السلام من السفينة
علم انه ليس فى الارض ما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخائف فى انه
كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فازال
الله تعالى ذلك الخوف منه بالبشارة بحصول السلامة عن الافات وسعة
الرزق والمهمات وعلى امم ممن معك من لابتداء الغاية اى امم ناشئة ممن معك
فى السفينة الى آخر الدهر ويجوز ان تكون من للبيان ويراد الامم الذين كانوا معه
فى السفينة لانهم كانوا جماعات اولان الامم تتشعب عنه بينهم وامم مبتداء
سنمتعهم صفة له والخبر محذوف دل عليه من معك اى وممن معك امم سنمتعهم
ولا خص امما ناشئة ممن معه بالسلام والبركات وهم المؤمنون اشار الحاله
بهم امما ممتعين فى الدنيا معذبين فى الاخرة وهم الكافرون وقيل هم قوم
هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب المذكور فى قوله ثم يمسهم
منا عذاب اليم ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع
بالابتداء وخبره من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها
اى موحاة اليك وحال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء

ما كنت

ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل
هذا من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت
وقومك بها والفائدة فى قوله ولا قومك ان قومك مع كثرتهم ليسوا عن علم القصص
والاخبار وانت احدهم فلم يكن تعلمك منهم ولم تخالط غيرهم فما علمت الا بالوحى فاصبر
على اداء الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن تبعك ما
قيض له ولقومه ان العاقبة بالظفر فى الدنيا والفوز فى الآخرة للمتقين عن الكفر
والمعاصى والى عاد لخاهم واحدا منهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان
قال يا قوم اعبدوا الله اى لا تعبدوا غيره دل عليه تعقيبه بقوله ما لكم من اله
غيره وذلك يدل على ان المقصود من هذا منعهم من عبادة الاصنام وغيره صفة
لاله قرئ بالرفع حملا على محله وبالجر على لفظه ان انتم الا مفترون على الله
تعالى فى قولكم انه امرنا بعبادة الاصنام واما ما قيل باتخاذ الاوثان شركاء و
جعلها شفعاء فمبناه عدم الفرق بين الكذب والافتراء ويا قوم لا اسألكم عليه
اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى لما من رسول الا خاطب قومه بهذا القول ازاحة
للتهمة وتمحيضا للنصيحة وانها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع افلا تعقلون
فتميزون بين الحق والباطل وتعلمون انى لا غرض فى النصيحة لا ترد نصيحته ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه انما قدم الاستغفار على التوبة لانه طلب المغفرة التى
هى الغرض ثم بين ما به يتوصل اليها من التوبة فعبارة ثم هنا كالتى فى قوله هو الذى
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يرسل السماء عليكم مدرارا المدرار كثير
الدرور والمراد من السماء المطر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم
بذلك لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات قيل حبس عنهم القطر وعقمت نساؤهم
ثلث سنين فالمراد بالقوة كثرة الاولاد ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة
دعواك قالوا ذلك عنادا وجحودا مع كثرة معجزاته كقول قريش لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت اياته الحصر وما نحن بتاركى آلهتنا
عن قولك حال من الضمير فى تاركى اى صادرين عن قولك بالجملة الاسمية وسبك

اسم الفاعل من ترك وزيادة الباء في الخبر في قولهم وما نحن لك بمؤمنين بما يصح
من امثالنا مع وفور العقل والكياسة ان يصدقوا امثالك افناط له عليه السلام
من الاجابة والتصديق على وجه المبالغة والتاكيد ان نقول الا اعتراك اعتراك
معمول القول والا القول لان الا استثناء مفرغ اي ما نقول الا قولنا اعتراك هو من
اعتراه اي قصد عراه وهو الفضاء والساحة والمراد الاصابة بطريق الكناية
بعض الهتنا بسوء بجنون بسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم
بالخرافات والعموم كانوا جفاة باهتين قال اني اشهد الله واشهدوا اني
بريء مما تشركون ما مصدرية او موصولة واشهاده تعالى كلام جار على اصله
جيء به ليؤكد به ما ذكره من البراءة عن شركهم وشركائهم واما اشهاده اياهم
على البراءة فلا اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدك على اني منك بريء الا وهو يريد عدم
المبالاة والاستهانة بعداوته واذا كان كذلك لزم التخالف بين الصنفين خبرا
ثابتا ابانه وطلبا جازما استهانة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها
هو شركاءه ولم ينزل بذلك سلطانا لما واجهوه بكلمتهم الحمقاء وبهتوه بتخييل
الالهة وسموا التوحيد الذي دعاهم اليه والارشاد الذي نفعهم به جنة و
خبطا ولم يعتدوا بيينات وخوفوه من الهتهم وآيسوه من الايمان بما جاء
به اجابهم بالبراءة عن الهتهم وقابلهم بعدم المبالاة بهم والهتهم ثقة بالله
واكد البراءة ووثقها بشهادة الله وشهادة العباد على مجرى العادة وبالغ
في ذلك ان قال اني اشهد الله وخالف بين اشهاد الله واشهادهم بان بت في
الاول واكد اخباره تثبيتا للتوحيد واحكاما لمعاقده وعدل عن الخبر الى
الامر في الثاني قلة مبالاة بهم وبدينهم والهتهم واستهانة بما زعموا واعتقدوا من
من عقوبتهم ثقة بالله وقوة اعتماد عليه وصحة توكل وزاد على ذلك ان امرهم
بالاجتماع على الكيد في اهلاكه والاحتشاد فيه وعدم الانظار والتوقف بقوله
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون كقول نوح عليه السلام ثم اقضوا الي ولا تنظرون
وذلك من اعظم المعجزات فانه كان رجلا واحدا بين الجم الغفير والعدد الوفير
من الاقوياء الغلاظ الشداد وخاطبهم بما يخاطب وحقرهم والهتهم بما حقر و

شجعهم

شجعهم على نفسه فلم يقدروا على اضراره ولم يجسروا على بطشه وما ذاك الا بعصمة
الله تعالى اياه وحسن كلاءته ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم
تقرير له اي انكم ان اجتمعتم وتعاونتم انتم والهتكم علي وبذلتم وسعكم في قصدي
بالسوء لم تضروني ولم تقدروا على اهلاكي فاني توكلت على الله مالكي ومالككم لم يمكنكم
اصابتي بما لم يرده بي ثم برهن على ذلك بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها
اي الا هو مالكها ومصرفها على مقتضى مشيئته وهي في قبضته وملكته وتحت قهره و
سلطنته والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة
على التصرف وكانت العرب تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر
عليه وقبض على ناصيته ان ربي على صراط مستقيم على طريق الحق والعدول في ربوبيته
لا يسلط على من توكل عليه ظالما ولا يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احدا حقا الا باذنه
وفي قوله ان ربي من غير اعادة وربكم كما في الاول نكتة سرية بعد الاختصار المغني
عن الحشو فيه ما يدل على زيادة اختصاصه به وانه رب الكل استحقاقا وربه دونهم
تشريفا فان تولوا اي فان تتولوا وجواب الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفاء و
قد فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي فان تعرضوا والحجة عليكم لم اعاتب فاني
ما فرطت في الابلاغ واداء ما ارسلت به اليكم وانتم ما اردتم الا تكذيب الرسالة
ومكافاة الرسول بالعداوة ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستانف بالوعيد لهم
اي ويهلككم ويات بقوم آخرين يخلفكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه شيئا من
الضرر بتوليكم لاستحالة ذلك عليه وقرئ ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
بحذف النون عطفا على محل فقد ابلغتكم اي ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما
غيركم ولا تضروا الا انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب مهيمن يحفظ
اعمالكم ويواخذكم بها او حافظ على الاشياء كلها والكل محتاج الى حفظه من الضرر
ومن كان كذلك لا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا تم التعبير بمجيء الامر عن نزول
عذاب الاستيصال على عاد ما لا يخفى من الدلالة على العظمة والجلال في جانب
الامر وسرعة الامتثال في جانب المامور نجينا هودا والذين امنوا معه قيل
كانوا اربعة الاف برحمة منا من شؤم معاصي العاصين فانه لو لم تدركهم الرحمة

من الرحمن لما نجوا من العذاب النازل على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ونجيناهم من عذاب غليظ الغلظ كناية
عن الشدة والتنكير في عذاب ورحمة للتعظيم اخبر اولا بان الايمان الذي
وفقوا له صار سبب انجائهم ثم اخبر بان ذلك الانجاء كان من عذاب اي
عذاب دلالة على كمال الامتنان وتحريضا على الايمان او هما متغايران
فالاول انجاء الدنيا والثاني انجاء الآخرة فالاول اوفق لمقتضى المقام
وعلى الوجه الاول لا تكرير ومن غفل عن هذا قال التكرير لبيان ما نجاهم منه
وتلك عاد الاشارة الى مصارعهم وآثارهم حثا على الاعتبار بهم واحضارا
لهم كانهم مشاهدون بما يعاين من الآثار وفي الاتيان باسم الاشارة وبما يدل
على البعد تهويل وتفخيم لما نزل بهم لا تعظيم لشأنهم او تحقير جحدوا بآيات
ربهم استئناف لبيان الوصف الذي استوجبوا به العذاب وانما قال
وعصوا رسله ولم يرسل اليهم غير هود عليه السلام لان الانبياء كلهم
دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين وصدق بعضهم بعضا فاذا
عصوا واحدا منهم فقد عصوا كلهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اي رؤسائهم
وكبرائهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذ طغى واتباع امرهم كناية عن
اي عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما
يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لما اتبعوا الجبابرة الطغاة
جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا
ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به وانما عدي بالذات
حملا لهم على نقيضه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة
على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وتكرير حرف التنبيه
مع اسمهم في الموضعين وايراد حرف التحقيق مع وصفهم الموجب للهلاك
والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم وحث على الحذر من مثل حالهم والاعتبار
بهم وايماء الى انهم في التعيين والاستحقاق لما نزل بهم بسبب كفرهم كالعلم حتى
صاروا مثلا مشهورا قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته التمييز بينهم وبين

وقوله من عند بتثليث النون وعنود مصدر بضم العين واصل معنى عندا عنزل في جانب لان العند الجانب ومنه عند الظرفية شهاب

عاد

عاد الثانية وايماء الى ان استحقاقهم بغاية البعد بالهلاك بسبب ما جرى
بينهم وبين هود عليه السلام والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره قد مر تفسيره هو انشأكم من الارض اي لم ينشئكم منها الا هو
وذلك الانشاء بخلق آدم عليه السلام او بخلق مواد النطف التي خلقوا منها من
التراب واستعمركم فيها وعمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها
وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها وبرثها منكم بعد انصرام اعماركم
او جعلكم معمرين دياركم وتسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه
ثم توبوا اليه قد مر تفسيره فالفاء فصيحة عاطفة على مقدر معناه وقابلتم
الاحسان بالعصيان ان ربي قريب اي داني الرحمة مجيب لداعيه استئنافا للترغيب
في الامتثال بما امر به قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا اي كنا
نشاهد منك مخايل الرشد وامارات الصلاح فرجونا ان تكون فينا سيدا ومستشارا
ومسترشدا في التدابير او متقدما في ديننا فلما تكلمت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك
اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه
من التوحيد والتبري من الاوثان مريب اسم فاعل من متعدي يقال اراب اذا اوقعه
في ريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من لازم يقال اراب الرجل
اذا كان ذا ريبة والاسناد الى الشك مجازي على كلا الوجهين قال يا قوم ارأيتم ان
كنت على بينة اتى بحرف الشك باعتبار المخاطبين الجاحدين اي قدروا اني على برهان
من ربي وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذاب الله والعدول
من الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم ان عصيته في تبليغ الرسالة والمنع من الاشراك
به على هذا التقدير فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني
بابطال اعمالي والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان اخسركم وانسبكم
الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتعظيم لكم آية حال والعامل فيها
ما في اسم الاشارة من معنى الفعل لكم حال من آية لتقدمها عليها ولو تاخرت عنها لكانت
صفة لها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها وانما اضاف الارض
اليه تعالى اظهارا لوجه التفريع يعني ان الارض ارض الله والناقة ناقته فذروها

مخايل جمع مخيلة وهي الامارة شهاب

تاكل فى ارض صاحبها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها العقر قطع العضو
الذى له تاثير فى افناء النفس فقال تمتعوا اى تلذذوا بما تريدون من اسباب العيش
فى داركم فى بلدكم تقول العرب الذين فى حوالى مكة نحن من عرب الدار اى من عرب
البلد وقيل فى دنياكم ثلاثة ايام قيل عقروها يوم الاربعا وهلكوا يوم السبت
ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه واتسع فى الظرف بحذف حرف الجر
واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم مشهود او وعد غير كذب على ان المكذوب
مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ويجوز ان يكون من باب
الاسناد لانه قيل للوعد نفى بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب فلما جاء امرنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا قد مر تفسيره ومن خزى يومئذ
من متعلق بمحذوف اى ونجيناهم من خزى على وفق ما تقدم فى قصة هود عليه
السلام والمراد من الخزى هلاكهم بالذل والفضيحة وقرئ من خزى بالتنوين
ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزى وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين
فى اذ عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة بالذكر اى ومن فضيحة يوم اذ
جاء الامر وحل بهم ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل شىء الغالب عليه
واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره
فى سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها اى كان لم يوجدوا والمغنى المقام الذى يقيم
به الحى الا ان ثمود كفروا ربهم قرئ ثمود بفتح الدال من غير تنوين وقرئ
بالتنوين وبخفض الدال فى قوله الا بعدا لثمود اى ذهابا الى الجحيم اولا لاب
الاكبر ولقد جاءت اللام لتاكيد الخبر وقد للتوقع لان السامع بقصص
الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة رسلنا ابرهيم اى الملائكة
بالبشرى اى بالبشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ويا باه ما فى والذاريات
من قوله وبشروه بغلام عليم ثم بعده قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما
سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بما فى قالوا من معنى ذكروا قال سلام اى
عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم والتنكير لانه على

التعظيم

التعظيم ابلغ من التعريف وقرئ سلم بمعنى السلام كحرم وحرام وقيل المراد بالصلح
فما لبث فما مكث اذ كان عنده طعام معد للاضياف كل يوم والفاء للتفريع على ما
ظهر من المسالمة انهم جاؤا بالخير وفى التنزيل ان جاء بعجل اما فى محل الجر على تقدير
فما لبث فى المجئ به او فما تاخر عن المجئ به او النصب على حذف حرف الجر والرفع على
الفاعلية اى فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة سمى به لتعجيل امره بقرب ميلاده ولا
يخفى لطف موقعه بعد ما فهم من قوله فما لبث من معنى العجلة حنيذ والحنيذ هو
الذى يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه
قوله تعالى فى موضع آخر بعجل سمين وقيل المشوى بالرضف فى اخدود وفيه ان
اعتبار قيد لا يهتم لاظهاره فى المقام مما يعد هجنة فى الكلام فلما راى ايديهم لا تصل
اليه روى انهم كانوا ينكتون بقداح كانت بايديهم فى اللحم ولا تصل ايديهم اليه
وعلى هذا يظهر وجه الاتيان بالفاء الفصيحة والعدول عن لا يمدون اليه ايديهم
ومن وهم ان المذكور كناية عن المتروك مقدوهم نكرهم هذا صريح فى ان انكاره عليه
السلام اياهم كان بعد ما راى انهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام والظاهر من قوله قال
سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك والتوفيق انه انكرهم بعينه حين راهم
ونكرهم بقلبه بعد ما راى منهم امارة الخوف قال ابو العالية يقال انكره بقلبه
وانكره بعينه واوجس منهم خيفة الايجاس الاحساس وذلك لانهم كانوا اذا
نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقيل اوجس بمعنى اضمر
ويرده قوله تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون وكذا يرده ما قيل وانما قالوا
لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير فى وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا
لا نعلمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب فان مبنى هذا
ايضا الغفول عن انه عليه السلام افصح عن خوفه باوضح عبارة قالوا له عليه
السلام لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يعنى بالعذاب على ما افصح عنه فى موضع آخر
بقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرفهم فيما ارسلوا
مبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع فى سورة الحجر فان هذا القول منهم بعد البشارة
له عليه السلام بالكلام واستفساره بقوله فما خطبكم ايها المرسلون وكلام مبنى

ما قيل هنا انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد ايدينا لانا لا ناكل مبناه
الغفول عما ذكروا امرأته قائمة يعني في الخيم منه وكانت تسمع منهم لا على
رؤسهم كما قيل لانه مردود بقوله في موضع آخر فاقبلت امرأته في صرة فضحكت
سرورا بالامن وبهلاك اهل الفساد ويقال باصابة رأيها فانها كانت تقول
لابرهيم عليه السلام اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم
ويرد عليه انه ح اى على تقدير ان يكون المعنى فضحكت من اصابة رأيها
يخرج الكلام مخرج الالغاز واما ما قيل ان ضحكت بمعنى حاضت ورد بان
التعجب بعده يبعده اذ لا تعجب من الولادة في زمن الحيض وادخاله في سياق
يأباه اللفظ والمعنى فبشرناها باسحق هذه البشارة ايضا على لسان الملائكة و
الفاء للتعقيب اى بشرناها بالولد وبولد الولد عقيب ما اوجب سرورها والاسناد
يحتمل وقوعها في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعها في الحكاية ومن وراء اسحق
يعقوب رفع بالابتداء وخبره الظرف اى ومن بعد اسحق يعقوب مولود وقرئ
بالنصب بفعل دل عليه بشرناها اى ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب قالت يا
ويلتى ياعجبا واصله في الشر ثم اطلق في كل امر فظيع والالف فيه مبدلة من ياء الاضافة
وقرئ بالياء على الاصل االد وانا عجوز اى مسنة قيل كانت في تسع وتسعين
ولم تدخلها الهاء لانها وضعت للانثى خاصة وهذا بعلى زوجي واصله القائم بالامر
شيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة في هذا وقرئ شيخ على انه خبر مبتداء
محذوف اى هذا بعلى هو شيخ او خبر مبتداء لهذا وبعلى بدل منه او خبر بعد خبر
ان هذا لشيء عجيب تعني الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة وانما
انكرت الملائكة تعجبها بقولهم قالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات
والمعجزات وخوارق العادات فكان حقها ان لا تستغرب بل تستقر وتشكر نعمة الله
تعالى وتحمده وتمجده ولا تتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولهذا قالت الملائكة رحمة
الله وبركاته عليكم اهل البيت كلام مستانف علل به انكار التعجب كأنه قيل ليس
هذا بمكان التعجب فان الله تعالى يخصكم من بين سائر الناس بامثال هذه الكرامات
واكرمكم بها اهل بيت النبوة ونصب على المدح او على النداء لقصد التخصيص قيل

الرحمة

ورد مع بان الحيض في كبر وانه مؤكد للتعجب ايضا ولانه يجوز ان تظن ان الحائض تحيض بلا استحاضة فلا تعجب شهاب

الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء كانوا فيهم كثيرا انه
حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد والثناء بكثرة الاحسان
والانعام على عباده فلما ذهب عن ابرهيم الروع الافزاع بما اوجس من الخيفة واطمأن
قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء للترتيب بعض ما يتعلق بابرهيم عليه السلام
من الكلام على بعض وقد تخلل بينهما ما يتعلق بامرأته وله ايضا مدخل في ذهاب روعه
عليه السلام وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في
شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وجواب لما محذوف ويجادلنا كلام مستانف
دال عليه تقديره اجترأ على خطابنا او فرغ لمجادلتنا ونحو ذلك وقيل الجواب يجادلنا
على حكاية الحال الماضية وقيل لما يرد المضارع الى معنى الماضي كما يرد الماضي الى المستقبل
معنى وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا او ما في معناها ان ابرهيم لحليم متحمل
جهل السفهاء غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب و
التأسف على الناس منيب رجاع الى الله تعالى بما يحب ويرضى والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو الرأفة والرحمة والرقة على ابناء الجنس يا ابرهيم على
ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة دعتك
اليه فربهم اعلم بهم وبما يستوجبونه انه قد جاء امر ربك اى قضاؤه وحكمه وانهم
اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك لابرامه عند الله تعالى
فلا فائدة في جدالك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه واغتم لمجيئهم لانهم جاؤا
في صورة غلمان حسان فحسبهم انسانا فخاف عليهم خبث قومه وعجزه عن مدافعتهم
وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن مدافعة المكروه كأنه ضاق
بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من قولك عصبه اذا شده وجاءه
قومه يهرعون يسرعون اليه كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها
ولم يستحيوا منها فلذلك جاؤا يهرعون اليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي
تزوجوهن فدى بهن اضيافه كرما وفتوة وحمية وكان اذ ذاك تزويج المسلمات
من الكفار جائز وممن زاد على هذا قوله وكانوا يخطبونهن قبل ذلك ولا يجيبهم اليهن

لخبثهم وعدم كفاتهم فكانه لم يتامل فى قولهم لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق
فانه ظاهر فى عدم رغبتهم فيهن وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو
امته من حيث الشفقة والتربية وفى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم فيابأه قوله لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق واما ما
قيل قاله عليه السلام مبالغة فى تناهى خبث ما يريد ونه حتى ان ذلك اهون
منه واظهار الشدة استقباحه من ذلك كى يرقوا له فلا يناسب شانه عليه
السلام فلا يلايم قوله هن اطهر لكم اراد المبالغة فى الطهارة ولا تفضيلهن فيها
على من راموه كقوله صلى الله عليه وسلم الله اعلا واجل فى مقابلة قول ابى سفيان اعل
هبل وقرئ اطهر بالنصب على تقدير حذف اهؤلاء اطهر لكم وقوله بناتى هن جملة
معترضة تعليلا للامر وكونهن اولى قدمت للاهتمام كانه قيل خذوا هؤلاء العفايف
اطهر لكم ان بناتى هن وانتم تعلمون طهارتى وطهارة بناتى ويجوز ان يكون هؤلاء
مبتدأ وبناتى خبرا وهن تاكيد للمستكن فى بناتى لانه وصف مشتق واطهر حال
فاتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون من الخزى وهو الهوان او من الخزاية
وهو الخجالة فى ضيفى بسببهم فان التعدى لضيف الرجل اخزاله وترتبه على
المحذوف لا على المذكور على ما افصح عنه فى موضع آخر حيث قال ان هؤلاء ضيفى
فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وقد علم منه ان المراد من الخزى معنى آخر غير
الفضاحة اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبح فيرشد
اصحابه اليه ويمنعهم عنه والمراد هذا ولذلك قال منكم دون فيكم لعمومه الاجنبى
وكلامه لا يوثر تاثير كلام الذى منهم قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق
من حاجة بالغوا فى النفى بتنكير حق وزيادة من كما بالغوا فى النفى باثبات علمه
له على ابلغ وجه واكده وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران قال لو ان لى
بكم قوة لما كان فيه معنى الفعل عطف عليه قوله او آوى الى ركن شديد اى لو
قويت عليكم بنفسى او اويت الى قوى استند اليه واتمنع به فيحمينى منكم شبه
القوى العزيز الذى يجير من ياوى اليه ويحميه بالركن من الجبل فى شدته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وقرئ او آوى بالنصب باضمار ان كانه قال

لوان

لو ان لى بكم قوة او آويا فلما رأوا الملائكة ما بلاء لوطا عليه السلام من الكرب قالوا يا لوط انا
رسل ربك فلن يصلوا الينا ولا احتمل ان يضروه عليه السلام لعدم حصول بغيتهم ونفعه
بتوله لن يصلوا اليك فهو استيناف فى غاية الجزالة ومن لم يتنبه له قال لن يصلوا الى
اضرارك باضرارنا ثم انه لم يدر ان حق الكلام ح الوصل بالفاء دون الفصل فاسر
باهلك بقطع من الاسراء وقرئ بالوصل من السرى ترتبه على المحذوف المذكور فى
موضع آخر بقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون بقطع من الليل بطائفة منه ولا
يلتفت منكم احد ولا يتخلف ولا ينظر الى ورائه والنهى عام له عليه السلام ولاهله
والمخصوص به انما هو تبليغه اليهم ومن وهم انه فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط
عليه السلام فقد وهم الا امرأتك بالنصب استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل
عليه قراءة فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك قيل وذلك انما يصح على تاويل
الالتفات بالتخلف لا بالنظر الى الخلف لئلا يناقض قراءة من قرأ بالرفع بدلا من
احد والالزم على القراءتين ان يكون امرأته مسرى بها وغير مسرى بها وفيه نظر لان
الاستثناء من الاهل يقتضى ان لا يكون لوط عليه السلام مامورا بالاسراء ولا يمنع انها
سرت بنفسها ويكفى لصحة الاستثناء من هذا المقدار كيف ولم ينه عن اخراجها
ولكنه امر باخراج غيرها وبهذا اندفع ايضا ما قيل انه اما ان اسرى بها فالاستثناء
من قوله احد متعين اولا فيتعين من قوله فاسر باهلك والقصة واحدة فاحد
التاويلين باطل قطعا والقراءتان الثابتتان قطعا لا يجب حملهما على ما يوجب
بطلان مقتضى احديهما واما ما قيل فى اخراجها مع اهله روايتان روى انه اخرجها
معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هى فلما سمعت هذا العذاب التفتت له وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروى انه امر ان يخلفها مع قومها وان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فاعترض عليه بانه
لا يجوز لان القواطع لا يصلح حملها على المعانى المتناقضة واجيب بان معناه اختلاف
القراءتين جالب وسبب لاختلاف الروايتين كما تقول السلاح للغزو اى اداة وصالح
له ولم يرد ان اختلاف القراءتين اختلاف لاجل الروايتين قد حصل ويرد عليه
انه ح تتقلب الرواية دراية لا تخاذها من ظاهر القراءة وايضا فيه التزام باستلزام

اى من غير قوله ولا يلتفت منكم احد وهو على ابن مسعود قارى

اختلاف القراءتين امرا محذورا وهو الجمع بين المتنافيين والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين من قوله ولا يلتفت منكم احد كما في قوله ما فعلوه الا قليل والا قليلا
ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح فان النصب اخف وان كان البدل
افصح انه مصيبها ما اصابهم استينافا علل به الاستثناء وها من اهله و
لا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولا يحسن
جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسرا
اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط عليه السلام واستبطائه العذاب و
انما جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيها اودع والراحة فيه اجمع
فيكون العذاب فيه افظع فلما جاء امرنا وقت امرنا واما الامر نفسه فقد ورد
قبل هذا واما المامور به فنفس ما ذكر في قوله جعلنا عاليها سافلها جواب لما
وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا اي الملائكة المامورون واسند الى نفسه من حيث
انه المسبب تعظيما للامر وامطرنا عليها على المدن حجارة روي ان جبريل عليه السلام
ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من
فوقهم والتنكير في حجارة للتعظيم من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين
كلمة معربة من سنك كل وقيل هو من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين
لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب فيه من السجل وسجل
لفلان منضود في الارسال يرسل بعضها اثر بعض كقطار الامطار او نضد بعضه
على بعض والصق به او نضد معدا للعذاب بهم مسومة معلمة للعذاب او
بسيما تتميز به من حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه
التي لا يتصرف فيها الا هو وما هي من الظالمين ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه
وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه
السلام عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة
من ظالمي امتك يمرون بها في سيرهم قوله ببعيد بشيء بعيد او بمكان بعيد كذا
قيل ولا حاجة الى التاويل لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر
يستوي في الوصف بها المؤنث والمذكر والى مدين اخاهم شعيبا قد مر نظايره

ومدين

ومدين مدينة بناها مدين بن ابرهيم عليه السلام فسميت باسمه والمراد
اهلها واولاده قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم عما
اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعارض اني اراكم بخير بسعة
وثروة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها ان تتقابل بالشكر لا بما تفعلون
او بخير فلا تزيلوه عنكم بما تفعلون وهو على كل الوجوه علة للنهي واني
اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد او مهلك من قوله واحيط
بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة من
باب الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها لانه مشتمل على حوادث مع اشتماله
على العذاب فاذا كان مهلكا فما اشتمل عليه الحوادث كان مجتمعا على المعذب في اهلاكه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن ضده قصدا الى تقبيح المنهي
وتعييبه لان التصريح بالمنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له بسكره يرجو الى القبول فاذا
ورد الامر بعده مصرحا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول والامتثال لانه ترغيب
وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ بالقسط بالعدل والتسوية من غير
زيادة ونقصان وانما قيدهما به قصرا على ما هو الواجب وتنبيها على ان المطلوب من
الايفاء القسط وهذا قد يكون الفضل محرما كما في الربويات ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص لان نقص الحقوق مطلقا اعم من النقص في الكيل
والوزن وكذا قوله ولا تعثوا في الارض لانه التمادي في انواع الفساد ودرجهم في النهي
عما غلب عليهم الى سائر القبائح ويجوز ان يراد بالعثي البخس مبالغة وتعريضا بانه
شر انواع الفساد وانما قال مفسدين اخراجا لما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر بقية
الله ما يبقى عليكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف و
نقص الحقوق ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما قيد به لظهور فائدتها معه وان
كان مع الكفر ايضا نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول الثواب بها مشروط بالايمان
ولا يظهر على الكافر الا النجاة من تبعة البخس لانغماره في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم
للايمان وتنبيه على جلالة قدره واشارة الى ان لا فائدة للحسنات بدونه او ان

كنتم مصدقين لى فى نصحى اياكم وقيل البقية الطاعة اى ما يبقى لكم عند الله من الطاعة خير
مما يفنى كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافتها الى الله تعالى لتعظيم
وتشريف لنسبتها اليه وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى
والقبايح وما انا عليكم بحفيظ تقديم الظرف وايلاؤه حرف النفى وعيد بليغ والله
حفيظ عليكم ومجازيكم بها لا انا وانما انا نذير مبلغ وقد انذرت ونصحت واعذرت
قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به عند
امرهم بعبادة الله تعالى وترك عبادة الاوثان وبايفاء الحقوق على طريقة السخرية
والاستهزاء حيث اسند والامر الى الصلوة اشعارا بان المامور به مما لا يامر به
العقلاء لانه امر وسوسة وجنون لا امر فطنة وعقل واما تخصيصهم الصلوة بالاسناد
اليها لانه عليه السلام كان يصلى وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها تامر
بالمحاسن وتنهى عن المساوى كما عرف الله تعالى عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر فقالوا له على وجه التهكم به اصلوتك تامرك الخ ففيه استهزاء من
وجه آخر واما جمعها فلانه عليه السلام كان كثير الصلوة وكانوا اذا رأوه يصلى
يتغامزون ويضحكون استبعادا منهم ان يفعل مثل ذلك الافعال ففى اتيانها على صيغة
الجمع اشارة الى نوع آخر من الاستهزاء له ثم انهم جعلوه عليه السلام مامورا بفعل
الغير دلالة على افراطه فى ذلك كان نفسها مامور به وذلك ان فى الامر بنهى الغير يكفى الابلاغ
مرة او مرتين وهو عليه السلام قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة المامور باتيان
الترك الواجب على الغير وهذا ايضا نوع من الاستهزاء منهم بناء على اعتبار دقيق و
لهذا غفل عنه الناظرون فى هذا المقام حتى ذهبوا الى تقدير المضاف اى تامرك بتكليف ان
نترك فما ذهبوا احسن الكلام ولطف الاعتبار المناسب للمقام او ان نفعل فى اموالنا
ما نشاء عطف على ما اى او ان نترك فعلنا ما نشاء فى اموالنا والعطف باو
دون الواو للاشعار بان الامر بواحد منهما على سبيل البدل يكفى فى التسفيه و
النسبة الى الضلال فكيف اذا امرهما معا ولا يخفى ما فيه من الدلالة على انهم
كانوا ايه فى الجهالة قد بلغوا غاية الضلالة وقرئ بالتاء فى نفعل ونشاء على ان
العطف على ان نترك انك لانت الحليم الرشيد تهكم به وبفعله لانهم ارادوا وصفه

بيضاوى

وانما لم يجوز عطفه على نترك لفساد المعنى فان المعنى ح اصلوتك تامرك بتكليف ان نفعل فى اموالنا ما نشاء ابن تمجيد

القراءة بالتاء ورويت عن ابن ابى عبلة وهى شاذ على ما ذكره على القارى تحرره

بغاية

بغاية السفه والغى على ما يقتضيه السياق والسباق فعكسوا تهكما كقوله ذق
جهنم ذق انك انت العزيز الكريم واما ما قيل علّلوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك ففيه اباه ما فى سباق
الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزاء من وجوه شتى قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة ورزقنى منه رزقا حسنا اشارة
الى ما آتاه من المال الحلال والتقييد بحسنا للاحتراز عن الرزق القبيح وفيه اشارة الى ان
الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المالوف والنهى عن دين الاباء ولا يخفى ما فيه من
حسن المراجعة وحسن الاستنزال ووفق الاستدعاء ولذلك قال النبى صلى الله عليه
وسلم ذاك خطيب الانبياء والضمير فى منه لله تعالى اى من عنده وباعانته بلا كد منى
فى تحصيله فقد ادمج فيه الجواب عن قولهم او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء على القراءة بالتاء
فيهما وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وما اريد ان اقصد الى ما انهاكم عنه من
المعاصى والملاذ لاستبد بها دونكم فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن
ان انهى عنه يقال خالفنى الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفنى عنه اذا ولى
عنه وانت قاصده ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتى
ونصيحتى ما امكننى فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فيما يباشره
احد ثلثة حقوق اولها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس
وكل ذلك يقتضى ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقع موقع
الظرف اى مدة استطاعتى او خبرية بدل من الاصلاح اى الا العذر الذى استطعت منه او
على تقدير حذف المضاف اى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعوله اى الا ان اصلح
ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وفيه ان اعمال المصدر المعرف قليل وما توفيقى الا
بالله اى وما توفيقى لاصابة الحق والصواب فيما اتى وما اذر الا بتاييد الله تعالى و
معونته عليه توكلت لا على غيره فانه القادر على ما يشاء دون غيره فان من عداه عاجز

بيضاوى

ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلا عن القدرة واليه انيب لا الى غيره
وفي الاية طلب التوفيق من الله تعالى لاصابة الحق فيما هو بصدده على ابلغ وجه وحسم
لاطماعهم وعدم المبالاة بهم وبمعاداتهم بتوكله على الله تعالى وتهديد للكفار بانابتهم
اليه تعالى للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما
اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها
ثاني مفعولي جرم فانه مثل كسب في معناه وتعديته الى مفعول واحد والى مفعولين وقرئ
لا يُجرمنكم بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما وهو منقول من جرم المتعدي
الى مفعول واحد كما يقال اكسبته المال من كسب والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا
فانهم اقرب الهالكين منهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق به العقاب
فحالكم حالهم وافراد البعيد وقد مر وجهه فتذكر واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد سبق
ما يتعلق به ايضا ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود بعباده يفعل بهم من
اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده ويوعده على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار لشمول الدعوة واخذ بحبل بطرفيه قالوا يا شعيب ما نفقه اي ما نفهم
الكلام على ما تضمن من المعنى وفي نفسه دون نفي الفهم دلالة على انهم لم يريدوا
قصوره في اداء الكلام كما سبق الى بعض الاوهام حيث قال في وجه ما ذكر انه
كان عليه السلام الثغ وانما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث كنوا بعدم فقههم
ما قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوه منزلة الهذيان والتخليط وفي
التقييد بقوله كثيرا اظهارا للتنزه عن المكابرة وهذا ابلغ في المبالغة عن الكلام
الخالي عن ذلك القيد ومن هذا القبيل قولهم في وصف سيف الشجاع يقطر دما
دون يسيل قيل كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه فلا يذهب عليك
ان هذا التنزيل انما يناسب اعتباره ان لو كان في الحكاية دون المحكي وانا لنراك
فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا وفي قوله فينا نوع تقوية لما ارادوه
من اثبات العجز له عن المدافعة كانهم يقولون انك لست بخارج عنا حتى لا تصل
اليك ايدينا ولا قوة في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة شانك ولا من جهة

بضم الياء عن ابن مسعود والاعمش
قارى

بالفتح اي بفتح اللام عن مجاهد
والجحدري وابي حيوة وابن ابي عبلة
على قارى
وان في

ما تقول
م

مكانك

مكانك ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة
وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم لكونهم على ملتهم
لا خوفا منهم ولدفع هذا الوهم عبروا عنه بالرهط دون العشيرة والقبيلة ونحو ذلك
والرجم الرمي بالحجارة والمراد قتله به يعني قتلناك شر قتلة باصعب وجه وهذا
ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وما انت علينا
بعزيز اي لست علينا بممتنع فلا نقدر على رجمك وهذا هو المناسب لسياق الكلام
وعلى هذا لا مفهوم فيه ومن فهم منه المفهوم قائلا كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل
رهطك هم الاعزة علينا فقد حمل العزة على الكرامة على ما صرح به حيث قال
اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم فقد غفل عن ان المناسب ح ان يقولوا
عندنا بدل علينا ومنطوق قولهم ولولا رهطك لرجمناك اغنى عن اعتبار المفهوم
المذكور لما عرفت ان معناه ولولا حرمة رهطك وعزتهم عندنا لرجمناك
فاعتباره بعد هذا كالاستضاءة بالمصباح بعد طلوع الصباح وايلاء الضمير
حرف النفي لتقوية الحكم وتاكيده كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وتقديم علينا
لمحافظة الفاصلة وزيادة الباء في بعزيز لتاكيد النفي وتنكيره للتقليل اي
ليس لك علينا شيء من جنس العزة واما ما قيل وقد دل ايلاء الضمير حرف
النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا
بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم
من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فيرد عليه انه
لا دلالة له في مفهوم قوله وما انت علينا بعزيز على ان رهطه هم الاعزة افادة
على انهم هم العزيزون لان المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق المنطوق
انما هو اصل العزة لا زيادتها ثم ان قوله ولو قيل وما عززت اه قد عرفت ما به
يظهر انه ليس بصواب قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله لما كان نبيا مبعوثا
من عند الله تعالى كانت الاستهانة به استهانة بالله عز وجل لقوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله فجعل كون رهطه اعز عليهم منه كونهم اعز من الله لانه
امره امر الله ويحتمل الانكار التوبيخي على ان المعنى ارهطي اعز عليكم من الله في نظركم

واعتباركم ولا انكار الا بطال على ان المعنى انتم اعز عليكم منه تعالى في الواقع
وعلى الاول يدخل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا ايضا في حيز الاستفهام و
الاتخاذ اخذ الشيء لامر يستمر في المستانف كاتخاذ البيت واتخاذ المركوب و
نحو لانه على المعنى المقصود اولى من دلالة الجعل عليه والظهري منسوب الى
الظهر كالامسي منسوب الى الامس والكسرة في مثل هذا من تغييرات النسب و
الكناية عن الترك وعدم الاعتداد به فقد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم الا
انه زاد فيه نسبته الى الظهر اتماما لحق المبالغة وافادة لمعنى الاعراض عنه بالكلية
ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى منها شيء فهو يجازيكم عليها
ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون سبق مثله في سورة الانعام والفاء
في فسوف ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذف
ههنا للاستيناف كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت انت فقال
سوف تعلمون وهو ابلغ من الوصل بالفاء من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب
قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب ليكونا قسمين لتصرف
الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجرى الكلام على مقتضى
زعمهم فقال ومن هو كاذب اي على زعمكم ودعواكم او اراد سوف تعلمون من المعذب
ومن الكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه واوعدوه وارتقبوا وانتظروا اما اقول
اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريح او المراقب كالعشير والمرتقب
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكر
ساقتي قصة عاد وقصة مدين بالواو وساقتي قصة ثمود ولوط بالفاء لانه
لم يسبق فيهما وعد يقتضي التسبب فحقهما ان يعطفا بحرف الجمع عطف قصة
على قصة واما في قصة ثمود ولوط فقد سبق وعد يقتضي التسبب وهو
قوله في الاولى ذلك وعد غير مكذوب وفي الثانية ان موعدهم الصبح فجيء بها
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واخذت الذين ظلموا
الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين فهلكوا بحيث لم يبرح كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم

مترددين

مترددين في تصرفاتهم الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود انما شبههم بثمود في هلاكهم
لانهم ايضا هلكوا بالصيحة الا ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى
البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين له على صدق نبوته يجوز ان يكون المراد
بالايات المعجزات وسلطان مبين هو العصى وافرادها بالذكر لانها ابهرها و
يجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونها ايات وكونها
سلطانا له على صحة دعواه والفرق بينهما ان الايات تعم الامارات والدلائل
القاطعة والسلطان القاطع والمبين ما فيه جلاء ومن وهم ان المراد من الايات
التورية فقد وهم وما ضمهم ان قوله الى فرعون وملائه يأباه لان التورية نزولها
انما كان بعد هلاك فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون بالكفر بموسى او فما اتبعوا
موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات الباهرة واتبعوا طريقة فرعون البين الضلال
والطغيان لفرط جهلهم وغباوتهم فانه ادعى على ما لا يخفى على من له ادنى تمييز و
فطنة احاطته وهو الالهية مع كونه بشرا حادثا مثلهم وما امر فرعون برشيد
بمرشد او بذي رشد انما هو غي صريح وضلال لا رشد فيه يقدم قومه يوم القيمة
يتقدمهم الى النار كما كان تقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدمه بمعنى تقدمه
ومنه قادمة الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش تفسير
وبيان لعدم كون امر فرعون برشيد بصواب حميد العاقبة وعدل الى الماضي فيما
عطف عليه فقيل فاوردهم النار مبالغة في تحقق وقوعه وشبه في جرهم الى
النار بالفارط الذي يتقدم الواردة واتباعه بالواردة الخراص على الماء ونزل
النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس
المورود الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد
واتبعوا في هذه اي في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة
وبئس الرفد المرفود المخصوص بالذم محذوف اي رفدهم والرفد هو العطية
واصله الذي يعان به على المطلوب قال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله تعالى

بالضم كزهري بضم العين عن السلمي
وعن ابن مقسم الابعد ابعثهم
على القاري
العبث

بيضاوى

ظاهر م

لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وكل شئ جعلته عونا للشئ فقد رفدته به ذلك
مبتداء من انباء القرى خبره اي ذلك النباء بعض انباء القرى المهلكة نقصه
عليك خبر بعد خبر اي مقصوص عليك منها قائم وحصيد جملة مستأنفة
لا محل لها من الاعراب اي بعضها باق على امكنتها كالزرع القائم على ساق و
بعضها عافي الاثر كالزرع المحصيد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا
انفسهم بارتكاب الشرك والمعاصي التي اهلكوا بها فما اغنت عنهم فما قدرت
ان تدفع عنهم باس الله تعالى الهتهم التي يدعون حكاية عن حال ماضية
اي التي كانوا يعبدونها من دون الله اي اصنامهم التي اعتقدوها آلهة
معبودة من شئ غناء قليلا لما جاء امر ربك حين جاء عذابه ونقمته وما
زادوهم غير تتبيب تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ
اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي
اهلها وقرئ اذ لان المعنى على الماضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها الإشعار بانهم اخذوا
بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم
شديد من باب الاسناد المجازي لان الاخذ مولم كقوله ضرب وجيع ومعناه
صعب على الماخوذ حتى كان الاخذ تالم من صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة
في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله
تعالى من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة لانه ينظر الى ما نزل بهم
بسبب ذنوبهم فيعتبر به حال الاخرة ويعلم من شدته شدة العذاب
الموعود وعظمه فينزجر واما الذي ينكر الاخرة او لا يخطر بباله اهوالها
فلا حظ له من ذلك الاعتبار ذلك اشارة الى يوم القيمة لدلالة عذاب الاخرة عليه
يوم مجموع له الناس للحساب والجزاء والناس فاعل مجموع كانه قيل يوم
يجمع له الناس والعدول من لفظ الفعل الى لفظ اسم المفعول للدلالة على ثبات معنى
الجمع لليوم وانه موصوف به صفة لازمة لا محالة وانه اثبت لاسناد الجمع الى
الناس لانه يعنى انهم لا ينفكون عن الجمع الذي هو وصف اليوم كما لا ينفكون

عن المو

عن الموصوف الذي هو ظرف لهم فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك يوم
مشهود اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به اي يشهد فيه
الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه كما يقال
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور يريدون الكثرة ولو جعل اليوم مشهودا في
نفسه لفات الغرض وهو التعظيم لليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك والتهويل
الحاصل من عدم ذكر المشهود وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة قليلة على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها
فانه غير معدود يوم يات وقرئ بكسر التاء والاكتفاء بالكسرة عن الياء والفاعل
هو الله تعالى كقوله او ياتي ربك ويؤيده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله باذنه او وهي قراءة الحسن البصري على
اليوم كقوله الا ان تاتيهم الساعة والمراد من اتيان اليوم اتيان اهواله وشدائده
فلا يلزم ان يكون الزمان ظرفا لنفسه والعامل في الظرف لا تكلم والانتهاء المحذوف
اي ينتهي الاجل يوم ياتي فلا حاجة الى تقدير اذكر لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع و
ينجي من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله الا من اذن له
الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في
موقف اخر وقوله يجادلون عن انفسهم في موقف آخر وقوله نختم على افواههم وتكلمنا
ايديهم في موقف آخر ولما كان القول بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الايات
المذكورة فلا حاجة الى تخصيص الممنوع عنه بالاعذار والماذون فيه بالجواب
الحقة بل لا وجه له لان الشفاعة ايضا ماذون فيها وليست من جنس
الجواب فمنهم الضمير للناس المذكور اولاهل الموقف المدلول عليه بقوله لا تكلم
نفس شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس
الا باذنه انقسامهم الى القسمين اجمالا وتقديم الشقي على السعيد لان المفهوم
اولا في مرتبة الاجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والاصل
ومنهم سعيد فحذف منهم اختصارا والتنكير فيهما للنوعية فاما الذين شقوا
ففي النار شرع في تفصيل احوال الصنفين المذكورين بعد تفصيلهما لهم فيها تقديم
الظرفين للتخصيص زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما

فى اول النهيق واخره وهما من اصوات المكروبين فغيه تشبيه حالهم بحال من
استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه للدلالة على شدة كربهم وغمهم
خالدين فيها ما دامت السموات والارض انتصاب خالدين على انها حال مقدرة
وما مصدرية ظرفية اى مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت
التابيد على طريقة العرب فى قولهم ما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مما
يذكرونه فى مقام المبالغة فى نفى الانقطاع ولا يتسبق الى الفهم منها الا التابيد
لا تعليق مدتها بمدة بقائها ويجوز ان يراد التعليق على ان المراد من السموات
والارض سماوات الاخرة وارضها فانه لا بد لاهلها من مقلة ومظلة ولا يلزم
فى التعليق بهما علمنا بكيفيتهما بل يكفى تعقل ابديتهم بين مقلة ومظلة وهو مفهوم
من المنصوص كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى
واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وليس فيه تشبيه ما يعرف
بما لا يعرف كما توهم الا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى عذاب النار لان
الكفار ينقلون من حر النار الى برد الزمهرير والرد بان النار عبارة عن
دار العقاب غير وارد لانا لا ننكر استعمال النار فيها تغليبا اما دعوى الغلبة
حتى يهجر الاصل فكلا الا يرى الى قوله تعالى نارا تلظى نارا وقودها الناس
والحجارة وكم كم واما ما قيل لان بعضهم وهو فساق الموحدين يخرجون منها بيضاوى
وذلك كاف لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل بكيفية زواله عن
البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم
فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار
الانتهاء ففيه ان موجب ذلك اندراج الفساق فى القسمين فيفوت ما قصد
بالتنكير من التنويع والتمييز بينهما بحيث لا يندرج احدهما فى حكم الآخر و
التقابل المتعارف بينهما المفهوم من قوله عليه الصلوة والسلام السعيد
سعيد فى بطن امه والشقى شقى فى بطن امه يابى عن الجمع بينهما بالاعتبار
ثم الزفير والشهيق من خواص الكفار وعلى ما ذكر يلزم تشريك الفساق معهم
فيها واما ما ذكره ثانيا ففيه انه لا دلالة فى اللفظ على المبدا المعين ولو سلم

فالاستثناء

فالاستثناء يقتضى اخراجا عن حكم الخلود وهو لا محالة بعد الدخول ولا يجوز
ان يكون الاستثناء من قوله لهم فيها زفير وشهيق لانحراف النظم ح ان يقدم
قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض على قوله لهم فيها زفير وشهيق
ان ربك فعال لما يريد فلا يتجه الاعتراض عليه فى تخصيصه بعضا وقات
الشقا بالجد نوعى العذاب وبعضها بنوعه الآخر واما الذين سعدوا ففى الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقرئ سعدوا على البناء للمفعول
من سعده الله بمعنى اسعده الا ما شاء ربك قال الزجاج هذا من باب حتى
يلج الجمل فى سم الخياط ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل اهل الجنة
ينقلون لما هو اعلا من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى
فى لقائه ورد بان ما ذكر يحصل وهم فى الجنة فيأبى الاستثناء عطاء نصب على
المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء او الحال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح
بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء هاهنا ليس الانقطاع وقوله
فى الاشقياء ان ربك فعال لما يريد فى مقابلة هذا القول من السعداء يرجح
نقل الاشقياء الى ما هو اغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله
وما يعلمها الا هو فلا تك فى مرية المرية التردد الحاصل مع الشك لما قص عليه عليه
الصلوة والسلام قصص عبدة الاوثان وما حل بهم من انواع العذاب والنقم
اقبل عليه متسليا بقوله هذا لا تكن فى تردد بعد ما انزل اليك فى سوء عاقبة قولا
وبال عبادتهم الاوثان مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين فى انها ضلال
مؤدية الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من
حال ما يعبدون فى انه يضر ولا ينفع الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف تعليل
النهى من المرية اى ان حالهم فى الشرك مثل حال اباؤهم من غير تفاوت وقد
بلغك ما نزل بآبائهم بسببه فسينزل عليهم مثله لان التماثل فى الاسباب
يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة
قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم
او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام موجبه غير منقوص

نصب حالا عن النصيب تقييدا له لدفع احتمال ان يكون منقوصا فى حد
نفسه عما يستحقونه وتوفية لا تدفع هذا الاحتمال ومن لم يتنبه لهذا قال
انه لتقييد التوفية فانك تقول وفيت حقه وتريد به وفاء بعضه ولو
مجازا واما من قال يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا ترى انك
تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب فى
التنوير لان اوله بمعزل عما فيه الكلام وآخره ليس بتمام كما لا يخفى على ذوى
الافهام ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به
قوم كما اختلف هولاء فى القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك اى قضاء سبق
بتاخيرهم الى يوم القيمة لقضى بينهم بين قوم موسى عليه السلام او بين
قومك وميز بين المحق والمبطل وانهم وان كفار قومك لفى شك منه
من القرآن مريب موقع فى الريبة والقلق وهذه الآية من جملة التسلية
له عليه الصلوة والسلام وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اى
جميع المختلفين فيه المومنين والكافرين وقرئ بالتخفيف على اعمال المخففة
اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم
والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرئ لما بالتشديد
على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات
فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما
بالتنوين اى جمعا وقرئ وان كل لما على ان إنْ نافية ولما بمعنى الا وقد
قرئ به انه بما تعملون خبير فلا يفوت شئ منه وان خفى فاستقم كما امرت
لما بين امر المختلفين فى التوحيد والنبوة وبالغ فى الوعد والوعيد امر نبيه عليه
الصلوة والسلام بالاستقامة كما امر به فى العقايد والاعمال من وظايف
العبادات والتبليغ كما انزل اليه وبيان الشرايع جامعا بين التنزيه والتشبيه
فى التوحيد محترزا عن الافراط والتفريط فى الاعمال محتاطا فى التبليغ والتشريع
والفاء للسببية اى اذا كان جزاء الكل عليه لا عليك فاستقم انت فيما امرت به
والكاف فى محل النصب صفة للمصدر اى استقامة مثل الاستقامة التى امرت

بها ومن تاب معك عطف على المستقر فى فاستقم وحسن من غير تاكيد للفصل
اى فليستقم من تاب معك من الكفر وآمن فى اتباعه فى العقايد والاعمال سالكا
سبيل الامرين دون ما هو مخصوص به صلى الله عليه وسلم لما كان فى هذه الضميمة
من تبليغ ذلك الامر العسير الى غاية العسر قال النبى صلى الله عليه وسلم شيبتنى
سورة هود اى خص هذه السورة بالذكر والا فالامر بالاستقامة وارد فى
سورة الشعراء ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم فتعتدوا انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم وهو معنى التعليل للامر والنهى وفى الآية دليل وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الراى واما التصرف بمقتضى الاجتهاد فيما
يحتاج اليه فليس بمنهى عنه بل هو مامور به على ما ورد به النصوص والتصرف بالقياس
والاستحسان من المجتهدين من هذا القبيل ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون الميل
اليسير اى ولا تميلوا ميلا ما الى من وجد منه ظلم ولم يقل الى الظالمين للمبالغة فى
النهى فكانه قيل لا يوجد منكم ادنى ميل الى من صدر منه وقتا ما ظلم ما فضلا عن
الميل الكثير الى الذين عادتهم الظلم فكيف بالظلم وبتناول مصاحبتهم ومداهنتهم
فى اعمالهم والانخطاط الى هواهم والزى بزيهم ومد العين الى زهرتهم وتعظيمهم
وانما قال الى الذين ظلموا دون الى الذى ظلم لان كونهم جماعة مظنة الرخصة فى
مداهنتهم فالنهى عن ركونهم ابلغ والآية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد
عليه فتمسكم النار ربا لركونكم اليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم للتثبيت
على الاستقامة التى هى العدل وابعادهم بالتاريخ سلب الولاية والنصرة عنهم
عند ادنى انحراف منهم عن جادة العدل الى من وجد منه ضده مع كونه صلى
الله عليه وسلم احب الخلايق اليه زيادة تاكيد فى المبالغة فان الميل الى احد
طرفى الافراط والتفريط ظلم فى نفسه سواء كان على نفس الظالم او غيره وما لكم
من دون الله من اولياء من انصار يمنعونكم من عذابه حال من قوله فتمسكم
النار وانما اتى بصيغة الجمع لمكان لكم والا فنفى المفرد ابلغ ثم لا تنصرون هو
ايضا اذا سبق حكمه بتعذيبكم فلا يبقى عليكم ومعنى ثم استبعاد نصرته لهم بعد الحكم
باستيجابه العذاب واقم الصلوة طرفى النهار غدوة وعشية وانتصابه على

الظرفية لاضافته الى الوقت وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من
النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة عطف على طرفي النهار وان فسر
بقربى فالوجه ان يعطف على الصلوة اى واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى
في بعض الليل وصلوات الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكباير او يمنعن السيئات بمعنى يزلن
استعداد ارتكابها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله
فاستقم وما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر كرا الى التذكير بالصبر
بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير للدلالة على فضيلة الصبر ومزيته والتنبيه
على علو شانه ومكانته كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق
بالتوصية في بابه وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه
فلا يتم شئ الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين تعميم كالتعليل بالبرهان
للاوامر والنواهي المذكورة من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وانما عدل عن
الضمير ايماء الى ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا يعتد بهما دون الاخلاص
فلولا كان فهلا كان وقد جاءت لولا هنا للتحضيض ضمنها معنى التوجع والتاسف الذي ينبغي
ان يقع من الكبير على هذه الامم الذي لم يهتد من القرون من قبلكم اولوا بقية
اولو فضل وخير وانما سمي بقية لان الاجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله وصار مثلا في الجودة والفضل ومنه قولهم في الزوايا خبايا في
الرجال بقايا وقوله عليه الصلوة والسلام في العباس رضي الله عنه هذا
بقية آبائي ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذو بقاء على انفسهم وصيانة
لها من العذاب ويؤيده ان قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا
راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم اى ولكن
قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد واكثرهم تاركون للنهي على ان من
للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بقوله وانجينا الذين

ينهون عن السوء ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على الظاهر لفساد المعنى لانه
يكون تحضيضا لاولي بقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم ولكن ان
استثني من النفي اللازم للتحضيض جاز كونه متصلا كانه قيل ما كان من القرون اولو
بقية ينهون عن الفساد الا قليلا وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين
ظلموا ارتكوا النهي عن المنكرات ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين لانه اراد ان يبين ما
كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم منهم واتباعهم للهوى مع
الكفر واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع
الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا ما اترفوا فيه وعادتهم
التمادي في الاجرام او على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا
فيه وعادتهم فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم
الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتاكيد النفي بظلم حال من الفاعل والتنكير
للتعظيم والاشارة الى ان اهلاك المصلحين ظلم عظيم ولذلك اكد النفي باللام وكذا
ان فسر الظلم بالشرك والباء للسببية اى لا يهلكهم بسبب ظلم لا ظلم اعظم منه و
اهلها مصلحون حال كونهم مصلحين ما بينهم بالعدالة لكمال رافته ورحمته
بالعباد ومساهلته في حقه ومن ثمة قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق
العباد اى وما صح ان يهلك ربك القرى ظالما لها تنزيها لذاته من الظلم او بسبب شرك
اهلها ما لم يضموا الى الشرك فسادا فيما بينهم ولذا قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى
مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة على ملة الاسلام كلهم وهو دليل على
ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تعالى قادر على ايقاع مما اراده في مخصوص المذكور
واما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا يزالون مختلفين بعضهم
على الحق وبعضهم على الباطل كما ترى الا من رحم ربك الا قوما هداهم الله تعالى من
فضله فاتفقوا على دين الحق وملة التوحيد ولذلك خلقهم الضمير للقوم والاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة اى ولما هم عليه من الاختلاف خلقهم ليتميز الحق من
المبطل ويترتب الثواب والعقاب على العقايد والاعمال وتمت كلمة ربك وعيده

اوقوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين لا من
احدهما فنبه رفع احتمال ان يكون الاملاء من احدهما ويضاف اليهما كما في قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد استيعاب الصنفين لا استيعاب افرادهما و
كلا مفعول نقص في نقص عليك والتنوين بدل من المضاف اليه اي نبا وقوله من
انباء الرسل بيان كلا اي نخبرك به ما نثبت به فؤادك بدل منه او كلا مصدر
اي وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع واسلوب من انواع القصص واساليبه
نقص عليك وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم
طمانينة قلبه وزيادة يقينه والتاسي بهم في الثبات والصبر على تبليغ الرسالة
وتحمل الاذى كقوله واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وذلك لان المشاركة في
الامور الصعبة تهون ما يلقى الانسان من الاذى والاعلام بما جرى على المكذبين
من العقوبات المستاصلة بانواع العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف فيه
طمانينة نفس وتانيس وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك
الحق ما هو الحق وموعظة وذكرى اشارة الى سائر فوائده العامة وانما قال
للمؤمنين اذ لا ينتفع بها الا المؤمن وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا
عاملون قد سبق تفسيره في سورة الانعام وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة دون غيره
ولا تخفى خافية فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه خاصة لا الى غيره يرجع الامر
كله فلا بد ان يرجع اليه امرك وامرهم فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه
فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل للتنبيه على ان التوكل انما يصح بعد
تخصيصه بالعبادة والانسلاخ عن افعال النفس الى المامور به وما ربك بغافل
عما تعملون انت وهم فيجازيك بما تستحق من الثواب ويجازيهم بما يستحقون
من العقاب والله اعلم بالصواب

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اشارة الى السورة آيات
الكتاب القرآن المبين الظاهر من ابان بمعنى بان والمراد ظهور اعجازه وهو
ههنا بمنزلة قوله لا ريب فيه في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ويجوز ان يكون

من ابان بمعنى بين اي المبين لما سأله اليهود عن سبب انتقال آل يعقوب
عليه السلام من الشام الى مصر وعلى هذا يكون تلك اشارة الى آيات السورة
وهو المراد بالكتاب انا انزلناه اراد تعظيم الكتاب المذكور باسناد انزاله الى
نفسه قرآنا اي حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق اسم الكل على الجزء لان
مبناه على كون القرآن علما بالغلبة وذلك بعد النزول فلا وجه لاعتباره
عنده عربيا اي كسوناه للقراءة كسوة العربية وهو كالتعليل لكونه مبنيا على
المعنى الاول لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا حقائق معانيه ودقائق مبانيه وما
في عبارته من الاسرار والاشارات اذ هي لغتكم كما انزل التورية على اهلها بلغة
العبري والانجيل بلغة السرياني لذلك وفيه اشارة الى ان حقيقة كلام
الله تعالى منزهة في كلاميتها عن كسوة الحروف واللغات ولكن الخلق
محتاجون في تعقل معانيها اليها نحن زيادة تاكيد لان نقص دال على معنى الجمع
عليك احسن القصص اي قصصنا احسن القصص وهو مصدر بمعنى الاقتصاص
ويجوز ان يراد به المفعول او مفعول نقص وهو في الاصل تتبع الشيء ومنه قالت
لاخته قصيه اي تتبعي اثره والقاص يتتبع الآثار فيخبر بها والحسن عائد الى
الى القصص يقال فلان حسن الاقتصاص للحديث اي السياقة له او الى القصة
فانها اتم القصص المذكورة في القرآن واشملها لانواع العبر واصناف الحكم ويجوز
ان يكون المعنى لعلكم تعقلون انه منزل من عند الله تعالى وذلك ان الدليل
عليه اعجازه لغاية بلاغته ونهاية فصاحته وبلوغه اليهما بكونه على لسان
العرب لانه افصح الالسنة وابلغها وعلى هذا يكون تمهيدا لما ذكر بقوله بما اوحينا
اي بايحائنا اليك بواسطة جبريل عليه السلام وانما اسقط الواسطة تشريفا
للموحي والموحى اليه هذا يجوز ان يكون مفعول نقص على ان احسن نصب على
المصدر والاشارة المتضمنة للتقريب بذكر المقصود المذكور القرآن نعت لهذا
او بدل منه او عطف بيان واجاز الزجاج الرفع على اضمار مبتدا كان سائلا سأل
عما اوحي فقيل هو هذا القرآن واجاز الفراء الخفض على التكرير وهو عند البصريين
على البدل من ما وعلى هذين التقديرين يجوز ان تكون ما موصولة والعائد محذوف

والباء بمعنى فى وعلى هذا يجوز ان يكون نصب هذا القرآن على الاختصاص او بيانا
للمحذوف والمراد بالقرآن السورة وان كنت ان هى مخففة من المثقلة واللام هى
الفارقة من قبله الضمير راجع الى ما اوحينا والمعنى وان الشان كنت من قبل
ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة لم يخطر ببالك وهو تعليل لكونه موحًا
كنى بالغفلة عن عدم العلم بالكلية اجلالا لشانه صلى الله عليه وسلم فان التصريح
بكونه من الجاهلين مالا يخفى ومن الغافلين عما فى هذا الكلام من الاحترام من قال
فى تفسيره اى من الجاهلين اذ قال بدل من احسن القصص بدل الاشتمال على انه
مفعول او نصب باضمار اذكر يوسف اسم عبرانى اذ لو كان عربيا لصرف لخلوه عن
سبب آخر سوى التعريف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلقب به لا على انه مضارع
بنى للمفعول او الفاعل من اسف لان القراءة المشهورة شهدت بعجميته لابيه يعقوب
عليه السلام يا ابت اصله يا ابى عوضت تاء التانيث عن الياء لتناسبهما فى الزيادة
ولذلك قلبت فى الوقف هاء وقرئ بالفتح لانها حركة اصلها ولم تسكن كاصلها
لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم فوجب تحريكها كالكاف الخطاب اولانه كان يا ابتا
فحذف الالف واكتفى بالفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض
والمعوض عنه وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار
التعويض كقولك يا ابت انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لانه لو كانت فى اليقظة
لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس لا لانه
يجوز ان يكون اراها ليوسف والكرامة لا يلزمها ان يطلع عليها صاحبها واما
اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان سجودهن مجتمعين فى الارض ولا دلالة عليه
فيما ذكر بل لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياى صريحان فيه احد
عشر كوكبا قرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات وروى بسكون العين لطول
الاسم وكثرة الحركات كوكبا نصب على التمييز والشمس والقمر انما اخرجها
عن الكواكب ليعطفها عليهما بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على سائر
الطوالع رايتهم لى ساجدين استينا فى بيان حالهم التى راها عليها وانما اجريت
مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ويجوز ان يكون الاول لبيان مشاهدتهم فى المنام

كشاف

ص
روى عن ابى حيوة وابى جعفر
بسكون العين وصلا قارى

ع

على وجه التفصيل والثانى لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين فى السجود له فالاعادة
للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية لما هو الاهم وفى ضمنه رعاية الفاصلة
قال يا بنى تصغير الابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص رؤياك الرؤيا فى المنام و
الرؤية فى العين والرأى فى القلب والرؤيا كالرؤية غير ان احديهما مختصة بما يكون
فى النوم والاخرى بما يكون فى اليقظة وفرق بينهما بحرفى التانيث كالقربى والقربة
على اخوتك فيكيدوا لك منصوب باضمار ان جوابا للنهى والمعنى ان قصصتها
عليهم كادوك لانهم يعلمون تاويلها فيحتالون فى هلاكك وانما اتى باللام ولم يقل فيكيدوك
كما قيل فيكيدونى لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو احتال ليفيد معنى الفعلين مبالغة
وتاكيدا فى التحذير ولذلك اكده بالمصدر والكيد الاخذ على خفاء كيدا منكورا بعيدا
عن فهمك وهو معنى تنكيره او ابهاما والمقصود زيادة مبالغة فى التخويف ولذلك استانف
فى قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين على تقدير سواله كان يوسف عليه السلام
استبعد وقوع الكيد فى حقه من اخوته فازال استبعاده ببيان منشائه يعنى ان
الشيطان ظاهر العداوة للانسان كما فعل بادم وحواء عليهما السلام فهو يحمل على الكيد
والمكر وكل شر ليورط من يحمل فلا بد من ان يحمل على مثلهم وكذلك محله النصب على المصدر
اى ومثل ذلك الاجتباء الذى اجتباك للرؤيا يجتبيك ربك يصطفيك من سائر
المخلوقات فضلا من اقربائك لما هو اعظم منها واصل الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء
ثم استانف بقوله ويعلمك لئلا يكون داخلا فى حكم التشبيه اى وهو يعلمك من
تاويل الاحاديث اى تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث
النفس والشيطان ان كانت كاذبة وانما سمى التعبير تاويلا لانه يؤول ما رآى الى ما ذكره
وكان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد
بتاويل الاحاديث تبيين معانى كتب الله تعالى وسنن الانبياء عليهم السلام وما
غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها وسميت احاديث لانها يحدث
بها عن الله تعالى ورسله عليهم السلام واحاديث مبنى على واحده المستعمل كانهم
جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع والقول
بانه اسم جمع للحديث مردود بانه لم يات اسم جمع على هذا الوزن واما اباطيل فجمع لا واحد له

وهو الحديث
م

كعبا ويد وشما طبيط ويتم نعمته عليك بالنبوة او بوصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
وعلى آل يعقوب سائر بنيه قيل استدل على شرفهم ونبوتهم بضوء الكواكب او نسله
كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق تذكير لكونه من حفدة الانبياء الكرام
عليهم السلام وتلويح الى معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به ومن ههنا ظهر
وجه رجحان اضافة الابوين اليه دون يعقوب عليه السلام وايضا في اضافتهما
الى يعقوب عليه السلام تغليب اسحق على ابرهيم عليهما السلام بخلاف ما اذا اضيفا
الى يوسف عليه السلام والمراد بالابوين الجد وابو الجد لانهما في الاصالة في
حكم الاب ومن ثمة يقولون ابن فلان لمن بينه وبين فلان عدة آباء واتمام النعمة
فيهما بالنبوة ورفع الدرجات في الآخرة وقيل على ابرهيم عليه السلام بالخلة
والانجاء من النار وعلى اسحق عليه السلام بالانجاء من الذبح والفداء بذبح عظيم ان
ربك عليم يعلم من يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي فلا يتم نعمته
الا على ما يستحقه لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل على
قدرة الله تعالى وحكمته للسائلين للطالبين لها او دلائل على نبوته عليه السلام للذين
سالوه من اليهود عنهم فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وانما
جمع لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى والمراد باخوته بنو علاته العشرة اذ قالوا
ليوسف واخوه ابن يامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
واشاروا بهذه الاضافة الى ان سبب فضيلته عند ابيهم اختصاصه بيوسف
عليه السلام فذكرهم زيادة محبة ابيه له ليس حسدا منهم عليه بل حسدا على
يوسف لانه راجع الى زيادة محبته له ولهذا خصوا التعرض له وفائدة لام
الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده اي ان زيادة محبته لهما امر
محقق لا شبهة فيه احب الى ابينا منا انما وحد احب مع كونهما اثنين لان
افعل من كذا لا يتغير عن صيغة الواحد المذكر لان تمامه بمن ولا يثنى الاسم
ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه ولا بد في المعرف باللام من المطابقة وفي المضاف
جائز الامران ونحن عصبة اي يفضلهما في المحبة علينا والحال انا جماعة كفاة
اقوياء نقوم بمصالحه ومنافعه وهما صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة فنحن

احق بزيادة المحبة منهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا
بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوائب ان ابانا لفي ضلال
مبين لفي ذهاب عن وجه الصواب في رأيه هذا بايثار اثنين من الضعفاء على
عشرة من الاقوياء مع استوائهم في الانتساب بالغوا في الاسناد بزيادة حرفي
التاكيد وفي المسند بوصف الضلال بالظهور وجعله ظرفا له عليه السلام وذلك
لزيادة تاثرهم عن التفضيل المذكور وروى انه كان عليه السلام احب الى ابيه لما
يرى فيه من المحامد وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا تضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من
جملة المحكي بعد القول اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا او
اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها
نصبت نصب الظروف المبهمة والمعتبر فيها ان لا يكون محدودا بالحدود ومحصورا
بالاقطار ولا ينافيه التقييد بنوع من القيود يخل جزم لانه جواب الامر ومعناه
يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم وذكر الوجه
لتصوير اقباله عليهم لان من اقبل على الشيء يكون وجهه في جانبه ويجوز ان يكون
المراد بالوجه الذات كما في قوله ويبقى وجه ربك لانه اذا صفت محبته لهم يكون
لهم وحده غير مشترك فيه وتكونوا جزم عطفا على يخل او نصب باضمار ان والواو
بمعنى مع من بعده من بعد يوسف او من بعد قتله او طرحه او الفراغ من امره قوما صالحين
تائبين الى الله تعالى عما جنيتم عليه او ذوي صلاح في امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه
ابيكم لكم او بصلاح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه له قال قائل منهم ابهمه سترا
على القائلين بقتله عليه السلام حذرا عن سوء الظن من السامعين بخصوصهم
وهم انبياء عليهم السلام ومن لم يتنبه لهذا قال يعني يهودا كان هذا القائل احسنهم
رايا حيث انكر كلا من الامرين اللذين عزموا على ان يفعلوا واحدا منهما لما رأى
في احدهما افراطا وفي الآخر تفريطا نظرا الى غرضهم لعدم قدرتهم في يوم واحد على
تبعيد يوسف عليه السلام عن ديارهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والغرض
يحصل بدونه ولم يصرح بالنهي عن المنكر الآخر احالة له على دلالة ما اختاره

عليه كانه قال معد وركم الذي يتم به غرضكم هو هذا والقوه في غيابة
الجب الغيابة ما غاب عن عين الناظر واظلم والجب البير الذي لم يطو انما سمي
جبا لانه ليس فيه غير جب الارض اي قطعها وغيابته اسفله الذي يغيب ما
وقع فيه وقعره وقرئ غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات يلتقطه
الالتقاط اخذ الشيء من حيث لا يحتسب الاخذ مطلقا ولهذا حسن موقعه ههنا
وفي قوله تعالى فالتقطه ال فرعون بعض السيارة اي بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية
بعيدة فتستريحوا منه والسيارة جمع سيار وهو كثير السير في الارض وانما اختار
صيغة المبالغة لانها المناسب لما قصده من الاذهاب الى ديار بعيدة وفيما ذكر قرينة
على انه اشار بقوله في غيابت الجب اي بئر قد عرفوها في ديارهم ولذلك عرفها
وقرئ فلتلتقطه بالتاء الفوقانية على المعنى لان بعض السيارة سيارة ان كنتم فاعلين
ما تفرقون بينه وبين ابيه فهذا هو الراي لان هذا القدر يكفي فيه ولما كان اول
كلام هذا القائل على نظر الشفقة اتى في آخره ما يناسبه حيث قال ان كنتم
فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير وما وجدنا في حقه الا النصح والمحبة ارادوا
استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما احس بالحسد ارسله معنا غدا في الصحراء
وفي لفظة ارسله دليل على ان يعقوب عليه السلام كان يمسك يوسف عليه السلام
ويصحبه دائما يرتع الرتع الاتساع في الملاذ بالملاذ بالذهاب في جهات من
اليمين والشمال وقيل اصل الرتع التصرف في الشهوات يقال رتع فلان في
ماله اذا انفقه في شهواته ويلعب المراد من اللعب ههنا هو الاستباق والانتصال
ويتدربون بذلك لقتال العدو وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يكن يريد وابه
اللهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان مرادهم اللهو لما اقرهم يعقوب عليه السلام
وقرئ نرتع بالنون وسكون العين من ارتع يرتع وقرئ بالكسر والياء فيه وفي يلعب
وقرئ يلعب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف عليه السلام لصغره وما يعبر عنه
باللعب يناسب اسناده الى الصغير خاف يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام
الضيعة من جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع اي نتسع في اكل الفواكه

ونحوها

ونحوها وخاف عليه ان يخلعوه امرا يشق عليه ويتبدد فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم
ونلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة وخاف عليه الضيعة بتركهم حفظه فامنوه
عن ذلك بقولهم وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به ذ
ذهابكم به لقلة صبري عليه وشدة مفارقته علي واخاف ان ياكله الذئب اخاف
عليه عودة الذئب وكانت الارض مذئبة الحزن الم القلب لفوت المحبوب والخوف
انزعاج النفس عند نزول المكروه كانه يقول لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته
هذا اذا كانت الحالة حالة السلامة فكيف ومع هذا المخاف ان ياكله الذئب وقيل
راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام فكان يحذره فقال ذلك فقد
لقنهم العلة وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت
من كل جهة لانه يحيط به في مشيه يضطرب وقال الاصمعي ان اشتقاق تذاءبت من
الذئب لان الذئب يختله في عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب اعتذر لهم يعقوب عليه
السلام بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عنه
والثاني تخوفه عليه السلام من الذئب ان يغفلوا عنه برتعهم ولعبهم وعدل اخوة
يوسف عن الاول لتضمنه شدة الحزن وايهامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب واجابوا
عن الثاني لانه السبب القوي في منعه عن الاذهاب لهم واللام موطئة للقسم والقسم
محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو في ونحن عصبة اي فرقة مجتمعة
مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب القسم يجزي عن جزاء الشرط مغبونون
ضعفاء لا غناء بهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والدمار ويقال خسرهم
الله حين اكل بعضهم الذئب وهم حاضرون وقيل ان لم يقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت
مواشينا اذا وخسرناها فلما ذهبوا به متصل بمحذوف تقديره فاذن لهم وارسله
معهم فالفاء فصيحة واجمعوا ان يجعلوه اي عزموا عليه ولا يقال اجمع الا اذا قويت
الدواعي الى الفعل من غير صارف ومنه الاجماع فكانه ماخوذ من اجتماع الدواعي
ولما لم يكن مرادهم من القائه في البئر اهلاكه كان التعبير عنه بالجعل افصح في غيابة
الجب قيل هو بئر على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام ولا يخالفه القول

بانها بارض الاردن لان كنعان ناحية من نواحي الاردن ومنزله عليه السلام كان
فيها وكذا القول بانها كانت بين مصر ومدين لان مدين ايضا كان من ارض الاردن
في جوار كنعان واما القول بانها بئر بيت المقدس فلا صحة له لانهم جاؤا الى منزلهم
عشاء ذلك اليوم وبينه وبين المقدس مراحل وقرئ في غيابات وهي لا توجد
في التي تطوى ومنه ظهر وجه ايثار الجب على البئر وجواب لما محذوف للمبالغة مع
مع الايجاز اي فعلوا به من الاذى والاهانة ما لا يمكن وصفه او لا يحتمل سماعه و
تفصيله مذكور في كتب التفاسير واوحينا اليه يعني في البئر فهو معطوف على محذوف
تقديره والقوه في غيابة الجب قالوا وفي صبحة قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى
عيسى ويحيى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا بالتوبيخ
وذلك قوله عليه السلام لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وفيه تبشير بحسن
حاله في المآل وبما يؤول اليه من علو شان ورفعة مكان ايناسا له وتطييبا
لقلبه وهم لا يشعرون انك ليوسف لطول العهد المغير للهيئات والاشكال و
بعد الحال عن اوهامهم على ما دل عليه قوله فعرفهم وهم له منكرون ومن وهم انه
اشارة الى هذا القول فقد وهم وما فهم ما فيه من التوبيخ فالقولها فانه حرام
وهو المناسب للمقام كما لا يخفى على ذوي الافهام ويؤيده الاشارة الى الامر المذكور
بهذا المتضمنها الدلالة على ما فيه من الدلالة الفاحشة وقرئ لننبئنهم بالنون على
انه وعيد لهم تقول العرب لمن يتوعده لمجازاة سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك
يعني لاجازينك وهذا شايع في سائر الالسنة ايضا وهم لا يشعرون على هذه
القراءة متعلق باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون بذلك وجاؤا اباهم
عشاء وقرئ عُشَيّا تصغير عشاء وعُشًى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا
من البكاء وفيه ضعف لان قدر ما يكون في ذلك اليوم لا يعشو منه الانسان
والعشاء آخر النهار الى نصف الليل ومنه اشتق الاعشى لانه يستضئ ببصر
ضعيف اي جاؤا ليلا وذلك ليكونوا اقدر على الاعتذار في الظلمة ولهذا قيل
لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج
في الاعتذار يبكون حال معناه متباكين دون باكين لان البكاء جريان الدمع من

العين

من العين عند حال الحزن ولا حزن بهم الا انهم اظهروا صورة البكاء ليوهموا انهم
صادقين روي انه عليه السلام لما سمع صوت تباكيهم فزع وقال ما لكم يا بني واين
يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو والرمي والافتعال و
التفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وتركنا يوسف عند
متاعنا اي تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذئب الفاء للتعقيب بلا تراخ ولا بد
من اعتباره في الاعتذار عند عدم التدارك وما انت بمؤمن لنا قد مر ان الايمان اذا
كان بمعنى التسليم يتعدى باللام واذا كان بمعنى التصديق يتعدى بالذات او بالباء و
تقديم انت وايلاؤه حرف النفي لادعائهم ان غيرك مصدق لنا لانا مشهورون بالصدق
موثوق بقولنا عند الكل واما انت فلسوء ظنك بنا وفرط محبتك يوسف فلا تسلم
لنا ولذلك اكده بزيادة الباء والتقييد بقوله ولو كنا صادقين اي ولو كنا عندك
من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وانما اخر
الظرف لان ذكره مقدما يفسد المعنى لافادته الاختصاص الذي لا يناسب المقام
وذكره مؤخرا يفسد اللفظ لانه يفوت محافظة رؤس الآي بتضييع رعاية
الفواصل وهي من شرايط حسن نظام الكلام وفضل الفضيل وجاؤا على قميصه بدم
في محل النصب حال من الدم ومنع تقدمها على صاحبها المجرور في غير الظرف وجوز نصبه
على الظرف بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه ح جاؤا وليس فوق القميص ظرفا
لهم خلاف فوق الجبال في قولك جاؤا على جماله باحمال ومبناه ان تكون الباء للمصاحبة
كما في ذهب الله بنورهم واما اذا كانت للتعدية كما في ولو جئنا بمثله مددا فلا يلزم
المحذور المذكور ولا وجه للحمل على الاول لسبق الاخبار عن مجيئهم كذب وصف
بالمصدر مبالغة او مصدرا اريد به المفعول اي مكذوب فيه كاللغة يراد بها
الموثوق به وتقدير ذي في مثل هذا المقام ينزل الكلام عن منزلة البلاغة وقرئ
بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال الغير المعجمة اي كدر
او طري روي انه عليه السلام لما راى قميصه غير ممزق قال ما رايت ذئبا احلم
من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم كذا قالوا
والذي عندي ان امارة الكذب قلة الدم المفهومة من التنكير ومن التعبير بكونه

على القميص ولو كانت الامارة عدم تمزق القميص لكان هو بالترهن احق بل
اضراب عن مقدر يقتضيه المقام ويدل عليه سياق الكلام وبما تمام الانتظام
فهو كالغاء الفصيحة والتسويل تحسين الشئ وتزيينه وتحبيبه الى الانسان
ليفعله او يقول امرا اى امرا منكرا لا يحتمل التعريف والتوصيف فصبر اى فحقى
صبر كقوله فعدة من ايام اخر اى فعليه جميل فى الحديث المرفوع الصبر الجميل
الذى لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص الشكوى بالتى تكون الى غير الله تعالى اذ
ليس فى كلامه عليه السلام وعد بالصبر الجميل والله المستعان على ما تصفون
اى المطلوب منه العون على كشف ما التبس من امركم هذا هو المناسب لقوله فصبر
جميل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا الا ما قيل على احتمال ما تصفونه من هلاك
يوسف عليه السلام كما لا يخفى وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت
سيارة رفقة يسيرون وفى صيغة المبالغة دلالة على انهم جاؤا من بعيد
والمراد مجيئهم الى قرب بئر بدلالة السباق واللحاق والظاهر من قولهم يلتقطه
بعض السيارة انها كانت قريبة من الطريق العام قيل كان ذلك بعد ثلث من
القائه فيها فارسلوا اى الى البئر واردهم هو الذى يسير الى الماء ليستقى منه
فادلى دلوه تقول ادليت الدلو اذا ارسلتها ليملاء دلوها فتدلى بها يوسف
فلما خرج فاذا هو غلام احسن ما يكون قال يا بشراى هذا غلام بشر اصحابه
بانه وجد عبدا ومعنى النداء التنبيه اى انتبهوا الفرحى وسرورى قيل نادى
رجلا اسمه بشرى وبوبيدة قراءة بشراى فانه لو كان اسما علما لم يكن مضافا الى ضمير
المتكلم واسروه اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة بضاعة نصب على
الحال اى اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال اى قطع منه للتجارة
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف عليه السلام وانهم
قالوا للرفقة هذا غلام لنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من الاختلال لحسن نظم المقال والاشكال من جهة
ان التعبير المذكور لا يناسب الحال والله عليم بما يعملون وعيد لهم حيث
استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن التنكير للتقليل بخس زيف ناقص

العيار دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية
ويعدون ما دونها وفيه تصريح بما قصد بالتنكير تنبيه على انه لم يقصد به المبالغة
فى القلة وكانوا فيه فى يوسف عليه السلام من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة
يقال زهد فى الشئ وعن الشئ وذلك لانهم كانوا التقطوه والملتقط للشئ
متهاون به خائف عن انتزاعه من يده مستعجل فى بيعه وفيه متعلق محذوف
يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وان ما بعد الجار لا يعمل
فيما قبله وكانه قيل وكانوا زهدوا فيه محذوف لدلالة من الزاهدين عليه
وقال الذى اشتراه منهم وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ
ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات فى حياته روى انه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره
الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكم والعلم وهو ابن ثلاث وثلثين سنة و
مبناه الغفلة عن لبثه فى السجن بضع سنين وكون السجن فى منزل العزيز يأباه
قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان وانما قال من مصر تنبيها على انه غير المشترى
الاول لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمى مثواه اى اجعلى
مكانا اقامته حسنا مرضيا والاكرام الاحسان على جهة الاعظام والمراد الارضاء
وانما اضاف الى مثواه دون نفسه مبالغة فى احسان تعهده لان من اكرم غيره
لاجله كان اعظم منزلة ممن يكرم فى نفسه عسى ان ينفعنا نفع مملوك مقبل لما نكله
او نتخذه ولدا فينتفع بنا قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولا دلالة فيه على انه
كان عقيما لا يولد له وكذلك اى مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حين عطف عليه
وامر امرأته باكرام مثواه مكنا ليوسف فى الارض مكنا له فى ارض مصر اى جعلنا
له منزلة فيها كناية عن حكومته فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على
علة محذوفة اى مكنا له فى الارض ليتصرف فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه بعض
تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيبنى
تدبير الامور عليها كما دبر الامر لسنى مصر او علة معللها محذوف اى ولنعلمه فعلنا
ذلك والله غالب على امره لا يمنعه مانع ولا ينازعه منازع فيما يقضى ويريد هذا

على عمومه ويدخل فيه امر يوسف عليه السلام دخولا اوليا فانّ اخوته ارادوا ما
ارادوا ولم يكن الا ما اراده تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كلّه بيده او
حسن كلاءته وعصمته وخفايا لطفه وعنايته ولما بلغ اشدّه الاشد منتهى اشتداد
الجسم والقوة وكمال البنية وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين يؤيده
قوله تعالى ولما بلغ اشده وبلغ اربعين سنة اتيناه حكما حكمة وهو العمل المؤيد بالعلم
وعلما بتاويل الاحاديث او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على
انّ الله تعالى اتاه الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه في العمل وايقانه في عنفوان
العمر وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة المطالبة من راد يرود اذا ذهب
وجاء لطلب الشيء ومنه الرائد ويجوز ان يكون من الرويد وهو التمحل والرفق فالمراودة
هي المطالبة على الرفق والتمحل وهي مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وتعديته
بعن لتضمين معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه من الاحتيال في اخراج
ما في يده وهو يحتفظه ويكره اخراجه فعن للمجاوزة اي راودته ان يجاوز خداعها نفسه
لان يقف عندها بان لا يطاوعها وانما قال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة
العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيت قال
يا ربة البيت قومي صاغرة وفي ذكرها بالموصول توصل الى زيادة تقرير معنى الخبر
ليفيد براءة يوسف عليه السلام فان كونه في بيتها يقرر معنى المراودة وغلّقت الابواب
قيل كانت سبعة والتغليق الاطباق بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان غلقت
الباب غلقا لغة ردية متروكة ذكره الجوهري فمن وهم انه للتكثير او للمبالغة في
الاستيثاق فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل واللام للبيان اي
لك اقول هذا وقرئ هيت لك على لفظ الفعل بمعنى تهيأت وعلى هذا فاللام صلة
قال معاذ الله مصدر اي اعوذ بالله معاذا انه ربي اي الشان سيدي ومالكي احسن
مثواي حين امرك بالاحسان الي فكيف اخونه في اهله نوع من الايجاز البليغ حيث
اكتفى بذكر المقتضي والتقدير مثل هذا والذهاب الى نوع من المجاز من ضيق العطن
كما لا يخفى على ارباب الفطن انه لا يفلح الظالمون ويدخل فيهم الذي يجازي الحسن
بالسيئ دخولا اوليا وايثار صيغة الجمع لبيان ان جمعهم لا يغني ولقد همّت به

اي بخالطه

اي بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهمّ بها اي بمخالطتها ولو قيل ولقد همّا بالمخالطة
لكان اخصر وكان انتاؤه عن الجواب المقدر اظهر الا انه فصل بين الهمّين بذكر كل واحد باله
دلالة على افتراقهما حكما ثم مدحا وذمّا فالجمع بينهما ابطال لما هو المقصود من الكلام
وهو التنبيه على انهما وان كانا مشتركين في الميل المخصوص الا ان احدهما ميل عن
شهوة تبعها العقل فازدادت تسلطا وصارت عزيمة قاهرة والثاني عن شهوة
قاصرة ردعها العقل فاضمحلت في الآخرة واذا كانا كذلك فاللف بينهما عن طباق
المقام بمراحل ولا خلاف في ان همّها كان معصية لانها كانت مصرّة واما همّه فمن
قبيل ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله تعالى فيه المؤاخذة
عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على رفعه فلا زلة فيه مع ان الزلة للانبياء عليهم السلام
حكما زيادة الوجل وشدة الحياء والتخلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد
الامل وكونهم ائمة في الرجاء لاهل الزلل لولا ان راى برهان ربه اي راى في موضع
رفع والجواب محذوف لعلم السامع به اي لولا رؤية برهان ربه لامضى ما همّ به ولا يجوز
ان يجعل وهمّ بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها و
ظاهره يدل على انه سنا هدامرا طرفه عما قصده حتى قيل انه راى جبريل عليه السلام
وقيل تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا الذي ذكروه
غير صحيح لانه ذلك يقتضي الالجاء وزوال التكاليف ولو كان كذلك لما استحق يوسف عليه
السلام مدحا وثوابا على امتناعه عما همّ بوقوعه وقد مدحه بقوله انه من عبادنا
المخلصين فالوجه ان يكون المراد به معنى العلم والبرهان ما دل الله ليوسف عليه السلام
على تحريم ما همّ به كذلك اي ومثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله
تعالى لطاعته وقرئ بالكسر اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى واستبقا الباب اي
تسابقا اليه هو للخروج والهرب منها وهي لتمنعه منه واصل استبق ان يتعدى
بالى فحذف الجار واوصل الفعل ولقد حسن موضعه حيث كان في التعبير عن المراد
ايضا سابقة الى المقصود وانما وحّد الباب هاهنا لان بيان تعدده فضلة في هذا
المقام بخلاف ما سبق والاستباق الى الباب ينتظم الاستباق الى الكل وقيل بتقديم

بالذات باعتبار تضمين الستابق معنى التبادر اي تبادر الباب طالبين السبق فسبقها
يوسف عليه السلام على ما دل عليه قوله وقدت قميصه من دبر عطف على
محذوف تقديره فادركته وقدت والقد الشق طولا قيل ادركته قبل ان
يخرج فتقبضت في اعلا قميصه فتخرق القميص عند لحوقه وترل التخريق
في اسفل القميص فعبر بقوله قدت دون خرقت بيان انها جذبته من اعلا ا
القميص دون اسفله ولولا ذلك لكان المتبادر الى الفهم خلاف ما هو الواقع
وهو الجذب من الذيل فالقيد المعتبر في القد اصاب التحرز والفيا سيدها
اي صادف بعلها تقول المراة لبعلها سيدي لدا الباب لدى خصوص
بالحضور ولا يتضمن معنى الاستحفاظ بخلاف عند فانه قد يتضمنه ويستعمل
في الغيبة ايضا ولذا ذكر عند في قوله عند ستاعنا دون لدا فكل منها صادق
محزه قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم
ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او التعذيب او استفهامية اي اي
شيء جزاؤه الا السجن او التعذيب كقولك من في الدار الا زيد ما عنيت
يوسف عليه السلام بل عممت حيث قال لمن اراد اي كل من اراد باهلك سوءا
فجزاؤه الا السجن او التعذيب ليكون ابلغ فيما هو مرادها من تخويف يوسف
عليه السلام وانما كان ابلغ لانه كالدليل على استيجابه للعقاب قالت لبعلها
لما راها على تلك الهيئة المريبة ايها ما انها فرت تبرئة لساحتها واغراء به يوسف
عليه السلام وهي مغتاظة عليه اذلم يواتها فارادت تخويفه عسى ان يتعشى
وطرها خوفا من مكرها حين لم يقض حاجتها حبا لها كقوله ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن فجمعت بين كيدين وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط والتهديد بينه
وبين السجن يدل على عظم موقع السجن من ذوي الاقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم
ولما اغرت بيوسف عليه السلام واظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن
نفسه ولذلك قال قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة اتى بضمير الغيبة
اذ كان عليه الحيا ان يشير اليها ويعينها بالاشارة لان في المواجهة بالتقبيح ما ليس
في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز كان رجلا فيه اناة ونصفة فيطلب الشاهد

فالواو

فالواو في قوله وشهد شاهد من اهلها عاطفة على مقدر قيل كان ابن عم او خال لها
صبيا في المهد وما قيل انه كان رجلا حكيما يرده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وانما القى الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم للحجة عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين من قبيل المسامحة في احد شقي الكلام لتعين الاخر عند القائل بتنزيل
المحتمل منزلة الظاهر لان الشق بالجذب هذا الشق ايضا محتمل ومن غفل عن
هذا قال لانه يدل على انها قصدها فدفعت عن نفسها فقدت قميصه او انه
اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه فقدته حكيت الشرطية
بعد فعل الشهادة لانها نوع من القول فلا حاجة الى ارادة القول من المخارج قبل استماع
الشهادة الشرطية المذكورة لانها مؤدى الشهادة في اثبات قول يوسف عليه السلام الطال
قولها وسماه الفعل بعنوان القول المذكور معطوف على مقدر به ينتظم الكلام وهو امر
الشهادة على الحقيقة وجواب الشرط فصدقت فكذبت وهو على اضمار قد والجمع بين الاستقبال
والماضي المحقق في الشرط والجزاء على تاويل ان يعلم انه كان قميصه قد كقولك لمن يمتن
عليك باحسانه ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل اي ان تمتن علي باحسانك
امتن عليك باحسان سابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل
وبعد وبالفتحة كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى
قميصه قد من دبر وعلم صدقه وكذبها قال انه اي قولك ما جزاء من اراد باهلك
سوءا وان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن ايتها النسوان فالخطاب لها وجواريها
اولها ولسائر النساء فانهن قد اشتهرن بشدة الحيل ان كيدكن عظيم لان كيد النساء
الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء اني اخاف من النساء اكثر
مما اخاف من الشيطان وهذا لانهن يواجهن الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف
حذف حرف النداء لقربه وكمال فطنته وسرعة فهمه للحديث لذكائه وقيل فيه تقريب له
وتلطيف لمحله وفيه نظر لان الاسم الظاهر علما يجيء في كتب المعاني في طريق الغيبة اعرض

عن هذا اى عن هذا الامر اراد بالاعراض عنه كتمانه وعدم التحدث به ثم اقبل عليها
فقال واستغفرى انت ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله لذنبك ثم اكد ذلك بقوله
انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطا اذا اذنب متعمدا
والتذكير تغليبا للتاكيد التعمد فان النسيان فى النسوان غالب وقال نسوة النسوة
اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقى كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث
وضم النون لغة فيه فى المدينة ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر وبفهم منه كونهن فيها
بخلاف ما اذا كان صفة لنسوة فانه لا يفهم منه معنى الاشاعة فيها فالوجه كونه
ظرفا دون صفة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب منه مواقعة غلامها
اياها والعزيز بلسان العرب الملك والفتى الغلام وعرفه فى المملوك وفى الحديث
لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة
شاذة بمعنى انهن اشعن لهذا الامر من حب راعيل ليوسف عليه السلام وصرحن
باضافتها الى العزيز مبالغة فى التشنيع لان النفوس اميل لسماع اخبار ذوى الاخطار
وما يجرى لهم واخترن صيغة المضارع لدلالتها على انه صار لها سجية لطالما تخادعه
دائما عن نفسه ثم نبهن على علة ديمومة المراودة وهى كونها والهة فى حبه بقولهن
قد شغفها حبا اى خرق حبه الشغاف وهو حجاب القلب حتى وصل الفواد وانتصب
حبا على التمييز المنقول من الفاعل وفيه مبالغة بليغة فى التعشق بذكر الشغاف و
الابهام والتبيين كانه من استيلاء حبه على قلبها قد شق شغاف قلبها وتمكن فى حبة
قلبها وسويدائه وقرى من شعفها من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران
ثم نعتن ذلك عليها فقلن انا لنراها فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب مبين
واضح للناس فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر
مكره لما عرفت ان سياق الكلام معيقهم عن الاشاعة بل لانهن قلن ذلك ليرين يوسف
عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت لهن متكا اى تسوكت وهيأت لهن ما
يتكين عليه من النمارق والوسائد وقيل متكيا مجلس طعام وشراب لانهم كانوا متكون للطعام
والشراب كعادة للترفين ولذلك نهى عن ياكل الرجل متكا والاول يناسب المقام لما فيه من
مقابلة المكر بالمكر كانها قصدت بقعودهن متكيات والسكاكين فى ايديهن ان يقطعن ايديهن

على ايديهن فيقطعنها اذا دهشن ويشغلن عن انفسهن من الدهش والحيرة عند رؤيته لان
المتكى اذا دهش مال عن متكاته فوقعت يده على يده وقرى متكا مفعلا من تكى يتكى اذا
اتكا ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشى بمعنى بتكه اذا قطعه واتت كل
واحدة منهن سكينا واعطت سكينا يعالج به ما يحتاج الى قطعه مما قدم من اللحوم و
الفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن وذلك فى حال ما اكن يعالجن بالسكين فلما
راينه عطف على محذوف تقديره فخرج فلما راينه وحذفه هنا كحذف وضرب فى قوله تعالى
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت وفيه دلالة على سرعة امتثاله لامرها فانه كان بالمعروف
اكبرنه اعظمنه وتعجبن من ذلك الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب وعن النبى صلى الله
عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على
الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل معنى اكبرن حضن يقال اكبرت المراة
اذا حاضت واصله دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر والهاء
هاء السكت او ضمير المصدر او ضمير يوسف عليه السلام على حذف اللام وايصال الفعل
اى حضن له من شدة الشبق ومنه قول ابى الطيب

خذا لله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

وقطعن ايديهن اى جرحنها بالسكاكين لفرط الدهش والتضعيف للتكثير كان
الجرح وقع مرارا فى اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر به لما ذهلت بما راها من جمال
يوسف عليه السلام فكانها غابت عن حسها اثرت رؤيته عليه السلام فيهن ولم تؤثر فى امراة
العزيز لطول الصحبة والاعتياد والتغير صفة اهل البداية وقلن حاش لله تنزيها له
تعالى من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وحاش لله حاشا لله فخففت
بحذف الالف وهى كلمة تفيد معنى التبرئة والتنزيه ومن زاد على هذا قوله فى باب
الاستثناء فقد خبط لما عرفت انه يفيد المعنى المذكور فى غير مقام الاستثناء وانه فى
ذلك الباب لا يفيد الا معنى الاستثناء اذ لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وبين قولك
قام القوم حاشا زيدا ثم انه مثل بقوله اساء القوم حاشا زيد ولم يدر ان معنى التبرئة
انما استفيد لدلالة الكلام على براءة زيد من الاساءة لا ان حاشا فى مقام الاستثناء يقتضى
ذلك قطعا الا يرى انه لو ذكر بدل اساء فعلا آخر لا يفيد المعنى المذكور واللام للبيان

بيضاوى

كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشًا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف عليه السلام اى صار فى ناحية الله مما يتوهم ما هذا بشرا لان مثل هذا الجمال غير
معهود للبشر واعمال ما بمعنى ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتهما فى نفى الحال وقرئ بشر
على لغة تميم واما قراءة بشرى اى بعبد مشترى بمعنى مشترى حاصل بشرى فلا يطابق قوله
قوله ان هذا الا ملك كريم لان هذه المسارة الرائقة بالحسن مع الطيبة فى الجمال لا
تكون الا للملائكة وقد ركز فى الطباع ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان و
يشبه كل منهما فى الحسن والقبح بهما اولان الجمع بين الجمال الرائع والعصمة البالغة
لا تكون الا للملائكة قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى به واللوم الوصف بالقبيح على
وجه التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه وكن خطاب
لتلك النسوة والمعنى ان هذا الذى صدر منكن الاكبار وتقطيع الايدى فيه ونفى
البشرية عنه واثبات الملكية له ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى بسبب الافتتان به قبل
ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورنه بما عاينتن لعذرتننى او فهذا الذى لمتننى
به وانما قيل ذلك وهو حاضر تعظيما له ورفعا لمنزلته فى الحسن واستبعادا لمحله
والمعنى ان يثبت له استحقاق ان يحب ويفتتن به ولقد راودته عن نفسه الاخبار
عن المراودة المذكورة مؤكدا بقد واللام يدل على انه لم تخبر عنها قبل هذا فما قيل فى
تفسير فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ليس بذلك فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن عذرنها
كى يعاونها على الانة عريكته الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ و
التحفظ الشديد كانه فى عصمته وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استجمع
الراى واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه
وبرهان لا شئ انور منه على غاية عصمته ونهاية طهارته وفى الفاء التعقيبية
دلالة على ان ما صدر عن يوسف عليه السلام من المراودة والاستعصام فعل
يتصل عنها فمن هنا تبين ان الواقع من جانبه عليه السلام مجرد وهم غير اختيارى
فما رتبوا على ذلك وذكر فى كتب التفاسير والقصص مردود بنص الكتاب فافهم والله

الهادى

الهادى الى الصواب ولئن لم يفعل ما آمره اى ما امر به فحذف الجار كما فى قولك
امرتك الخير او امرى اياه ومعناه موجب امرى او مقتضاه فيكون الضمير له عليه
السلام واللام فى لئن موطئة للقسم محذوف وجوابه ليسجنن وجاءت النون
المشددة لانها اكد من الخفيفة ثم عطف عليه وليكونا بالنون الخفيفة لان العقاب
اخف من السجن وقرئ بالنون المشددة والاول اولى معنى لما تقدم ولفظا لان النون
كتبت فى المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا فى الخفيفة من الصاغرين
من الاذلاء من صغر بكسر العين يصغر صغارا وصغرا واما الصغير فمن صغر بالضم
يصغر صغرا قال رب السجن وقرئ بالفتح على المصدر احب الى مما يدعوننى اليه
من ركوب المعصية وهى محبة الاختيار والايثار لا محبة النفس فانها تهوى ما
يدعون اليه ودليله قوله اصب اليهن ودلت الآية على ان النسوة راودنه عن
نفسه ولذلك قال راودتن يوسف عن نفسه ويجوز اسناد الدعوة والمراودة
اليهن لانهن ينصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك فى
السجن والصغار وقيل انما ابتلى يوسف عليه السلام بالسجن لانه تجلد على الله تعالى
وتصبر بقوله رب السجن احب الى وكان حقه ان يسال العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف عنى وان لم تصرف عنى كيدهن
فى تحبيب ذلك وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن
او الى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة واكن من الجاهلين
من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء
لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فاجاب الله تعالى دعاءه الذى تضمنه
قوله والا تصرف عنى فان فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف فصرف عنه كيدهن
لتثبيته على العصمة [illegible] للاستجابة انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات هى الشواهد
على براءته كشهادة الصبى وقد القميص واما قطع النساء ايديهن فليس منها كما لا يخفى
وفاعل بدا مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اى

ظهر لهم اى هو ليسجننه وهو جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول
لقول محذوف تقديره قائلين وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه
فى الذروة والغارب وكان مطواعا لها حتى انساه ذلك بعد ما عاين من الآيات
وعمل برايها فى سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من
طاعته لها او لطمعها فى ان يذلله السجن ويسخره لها وقرئ لتسجننه بالتاء
على الخطاب خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى
حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى يبصر ما يكون منه او تحسب
الناس انه المجرم فلبث فى السجن بضع سنين وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل
معه السجن فتيان اى عبدان للملك قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى
شيخا كان او شابا والواو للعطف على محذوف تقديره امضوا رايهم فى سجنه
فسجنوه ودخل معه اى فى صحبته السجن فان مع حقيقة فيها فلا يعرف عنها
الى المجاز الا لصارف كما فى قوله واسلمت مع سليمان والمعنى انه عليه السلام دخل
السجن واتفق ان دخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما
قصدا ان يسماه قال احدهما وهو الشرابى انى ارانى اى ارى فى المنام وهى حكاية
حال ماضية استحضارا للصورة عند السامع لاظهار الاهتمام بتاويلها اعصر
خمرا وفى قراءة ابن مسعود عنبا واطلاق الخمر على العنب مجاز من باب التسمية الشئ
بما يئول اليه ونكتة المجاز بيان ان عصره كان للتخمير لا لامر آخر على وجه الايجاز
وقال الآخر وهو الخباز انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير
منه نبئنا بتاويله تشبيه الاخبار بما سيقع من الامور المغيبة بتفسير المشكل
والافصاح عن معناه لابهامه فسماه التاويل والضمير لما قصا عليه جار مجرى
اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين الذين يحسنون
تاويل الرؤيا قالا ذلك لانهما رأياه يعبر رؤيا لبعض اهل السجن او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام
ترزقانه لما استعبراه اراد ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد فقدم
لذلك مقدمة باعثة اياهما على القبول وهى الاخبار عن المغيبات كما هو طريقة

الانبياء

الانبياء عليهم السلام فى انتهاز الفرصة فى الدعوة الى الحق تعالى فقال لا ياتيكما
طعام ترزقانه من عند اهلكما او اصدقائكما او من غيرهم مما تحتاجون اليه من
الطعام فى السجن الا نبأتكما بتاويله اى ببيان ماهيته وكيفيته قبل ان ياتيكما
بجعل بينهما كل يوم بما يحمل اليهما من الطعام قبل ان ياتيهما ويقول اليوم ياتيكما
كذا وكذا من الطعام من صفته كيت وكيت فيكون كما اخبر ويجوز ان يكون الضمير
فى نبأتكما بتاويله راجعا الى ما استعبراه عنده اى سانبئكما بتاويل ما قصصتما على
قبل ان ياتيكما وظيفة الطعام الذى ترزقانه فكانهما قالا له عليه السلام كيف
تعلم ذلك فهو غيب فقال ذلكما اشارة الى التاويل اى ذلك التاويل والاخبار
بالمغيبات مما علمنى ربى بالالهام والوحى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تعليل
لما قبله وتشويق لهما الى الايمان اى لانى تركت ملة قوم اتفقا على دينهم وهم اهل
مصر وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم
بالآخرة هم كافرون لما اراد ان يحبب اليهما الايمان والتوحيد ويكره اليهما الكفر
والفسوق فقال هذه الكرامة لانى تنحيت عن ملة قوم ليسوا من الايمان بالله
فى شئ ولا من الايمان بالآخرة وعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية وكرر هم و
قدم الآخرة للدلالة على انهم قوم عادتهم الكفر فهو لهم كالطبيعة لا امر حادث
وانهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم وهم الذين على ملة ابرهيم عليه السلام
ولتخصيص كفرهم بالآخرة والجزاء فان على التوحيد والمعاد هما اساس الدين
وللتعريض بان ما هم عليه من الظلم والكبائر لا يرتكبه الا من هو كافر بدار الجزاء
واتبعت ملة آبائى فيه اطلاق الاب على الجد وقدم وجهه ابرهيم واسحق
ويعقوب اى واتبعت ملة آبائى الانبياء عليهم السلام ويجوز ان يكون اعنى قوله
انى تركت الخ ابتداء الكلام بتمهيد الدعوة بعد اظهار المعجزة واثبات انه من بيت النبوة
والشرف والكمال والكرامة ليتقوى رغبتهما فى قبول كلامه واتباعه ووثوقهما
به ولهذا يجوز للعالم العامل ان يصف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويهتدى
بهديه ما كان اى ما صح لنا معاشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان
وتعميم مفعول نشرك وتاكيد النفى بزيادة من لكونه كالبرهان على امتناع اشراك

لاصنام به تعالى على ابلغ الوجوه وانه اذا لم يجز الاشتراك بشيء مما به ولو كان
اشرف الاشياء فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك التوحيد من فضل الله علينا
بالوحي والاختصاص بالنبوة وعلى الناس بارسالنا اليهم لنهديهم اليه ونعلمهم
ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله تعالى عليهم ولا
يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تعالى علينا وعليهم
بنصب الادلة وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون في الادلة اتباعا لاهوائهم
ولا يستدلون بها ولا يتنبهون لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة السنية
يا صاحبي السجن ناداهما باسم الصحبة في مكان المشاق الذي يخلص فيه المودة
وتمحض فيه النصيحة والمعنى يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كما في قوله
يا سارق الليلة اهل الدار او ورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله أأرباب
متكاثرون في العدد متفرقون بتفريق العبد المقهورون تحت قدرته خير ام
الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره مثل ضربه لعبادة
الله تعالى وحده وعبادة الاصنام وبما قدمناه تبين وجه اصابة التوصيف
بالقهار بحذه ولان الظاهر مقابلة الله بالالهة وانما عدل عنه للتنبيه على ان التوحد
بنا في الالوهية ثم استطرد بعد هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما تعبدون فقال
ما تعبدون من دونه اي ما تعبدون شيئا من دون الله تعالى واتخذتموها الها ولمن على
وبينها الا اسماء سميتموها الا اسماء بلا مسميات احدثتموها انتم واباؤكم اي
سميتم اشياء ليس فيها معنى الالوهية آلهة فعبدتموها باعتبار تلك الاسماء
فكانكم تعبدون تلك الاسماء الخالية من المسميات ما انزل الله بها بتسميتها
من سلطان من حجة تدل على تحقق مسمياتها ان الحكم في امر العبادة والدين الا
لله لانه المستحق للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك
للامر ثم بين ما حكم به فقال امر اي على لسان انبيائه عليهم السلام ان لا تعبدوا
الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك اي تخصيصه بالعبادة هو الدين القيم الثابت
الذي دلت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في
جهالاتهم تدرج في الدعوة فبدا بتقبيح ملتهم في اعينهم وابطالها اولا ثم بتحسين

ملة التوحيد وتزيينها عليهم وبيان انه من فضل الله تعالى تنفيرا وترغيبا ثم بين
رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة بالتمثيل على طريق الخطابة ثم ابطل الشرك بانه
لا حجة عليه اصلا لا عقلا ولا نقلا وانه عبادة العدم البحت ثم صرح بان الحق هو
التوحيد وذلك هو الدين الثابت بالبرهان العقلي والسلطان النقلي الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقا يا صاحبي
السجن لما القى اليهما ما كان اهم وهو امر الدين رجاء في ايمانهما ناداهما ثانيا
لتجتمع نفسهما لسماع الجواب اما احدكما يريد الشرابي انما لم يعينه صريحا ابهاما
لامر الاخر مهما امكن واحترازا عن المخاطبة بالقبح والتصدير باما للشروع في تفصيل
ما قصداه من الجواب عما استفتياه فيسقي ربه سيده وقرئ ربه اي يسقي ما
يرويه به خمرا كما كان يسقي قبله اي يعود الى ما كان عليه قبل سقى واسقى لغتان بمعنى
واحد والذي عليه اكثر اهل اللغة ان معنى سقاه ناوله فشرب او صب الماء في
حلقه ومعنى اسقاه جعل له سقيا قال الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا واما الاخر
يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي اي قطع وفرغ عنه الامر الذي
فيه تستفتيان اي تم ما تستفتيان فيه مما يؤول اليه امركما وهو ما اتهما فيه و
سجنا لاجله وفرغ عنه وهما ظنا انه ما رأيا في معنى ما نزل بهما فاستفتياه فيه
ما هما فتنه وقيل جحدا وقالا كذبنا ما راينا شيئا وتحالمنا لنجربك فقال ان ذلك
كائن سواء كان ذلك منكما حلما او تحالما والاستفتاء طلب الفتيا والفتيا جواب
لحكم المعنى وهو غير الجواب عليه وزمان الاستفتاء لا ينقضي ما لم يمض المفتي الرأي
في الفتيا ولهذا قال تستفتيان دون استفتيتما وقال يوسف عليه السلام للذي
ظن انه ناج منهما الظان ايضا هو عليه السلام ان كان تاويله عن اجتهاد و
الشرابي ان كان عن وحي الا ان يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت
اني ملاق حسابيه والنجاة الخلاص عن الورطة بسلامة اذكرني عند ربك اذكر
حالي عند الملك عسى ان يخلصني فانساه الضمير للشرابي الشيطان الانساء
حقيقة من الله تعالى وانما نسب الى الشيطان لانه كان يوسوس اليه من
الاشتغال المانعة عن التذكر والقاء التسبيد فان توصيته عليه السلام به

الخطابة الدليل الاقناعي

المتضمنة للاستعانة من غير الله تعالى كان سببا للانساء الذى ترتب عليه مكثه
فى السجن مدة مديدة ذكر ربه اى ذكر يوسف عليه السلام للملك والاضافة
لادنى ملابسة ومن جوز ان يكون المعنى انسى يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى
حتى استعان بغيره لم يبد ان يحق الفاء ح ان تدخل على قال ويذكر جملته بعد
اختها ولما تاييد لما ذكره فى قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله اخى يوسف لو لم
يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس انما تاييده لما ذكرنا ه
فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع
واكثر الاقاويل على انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقال الملك انى ارى
حكاية حال ماضية فلذلك جاء بلفظ المضارع سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف لما دنى فرجه عليه السلام راى ملك مصر فى المنام سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا آخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عن
حال البقرات وسمان جمع سمين وسمينة ككرام صفة اجريت على المميز دون
المميز للقصد الى التمييز بنوع من الجنس والعجف غاية الهزال والعجاف جمع
عجفاء وقياسه عجف لان فعلى افعل جمع على فعل لكنه حمل على سمان ومن عادة
العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وانما اجريت عجاف على سبع
للاستغناء عن التمييز بالمميز الاول الذى هو الجنس والتمييز انما يكون بالجنس فلو
جعل عجاف مميزا بدون ذكر الجنس لم يجز كما لا يجوز ثلثة غلاظ واربعة ضخام
لعدم دلالتها على الجنس فاذا اجريت على السبع بالوصف بالنوع بعد تمييزه بالجنس
تقديرا فرجع الى الاول وآخر عطف على سبع يابسات منصوب المحل صفته على
قياس عجاف فى الاول يا ايها الملأ خطاب للاعيان والاشراف من العلماء والحكماء
افتونى فى رؤياى عبروها ان كنتم للرؤيا اراد الجنس فلذلك عدل عن
الضمير واللام للبيان او لتقوية العامل لان الفعل اذا تأخر عن معموله ضعف
تاثيره فقوى باللام كاسم الفاعل ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول فلان

على المميز بكسر الياء وهو
بقرات دون المميز بفتحها
وهو سبع زكريا

لهذا

لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه وتعبرون حال او خبر بعد خبر وان
تضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
والعبارة المجاوزة وعبرت الرؤيا جاوزتها اى جاوزت صورتها المتخيلة المرئية
الى الصورة الكائنة فى نفس الامر التى انتقلت المتخيلة منها الى المرئية وكذا اولتها
اى ذكرت مآلها وما ترجع هى اليه من الصورة الواقعة فى نفس الامر وعبرت
اثبت عند اهل اللغة وعبّرت بالتشديد للمبالغة كقطعت وقطّعت قالوا
اضغاث احلام هذه اضغاث احلام او امثال هذه اضغاث احلام اى
تخاليطها جمع ضغث وهو ما جمع من اخلاط النبات وحزم بها شبه ما يجىء
المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان فاستعير للرؤيا الكاذبة والاحلام
جمع حلم بالضم وهو رؤيا كاذبة لا حقيقة لها وفى الخبر الرؤيا من الله والحلم
من الشيطان اخرجه عن جنس الرؤيا لعدم ترتب اثره عليه والاضافة بمعنى
من اى اضغاث من احلام وانما جمع ولم يكن الاحلام واحدا لتضمنها اشياء مختلفة
وقيل للمبالغة فى الوصف بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمايم
الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة واحدة تزيدا فى الوصف و
على تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره وما نحن بتاويل الاحلام بتاويل المنامات
الباطلة بعالمين لما اجابوا بقولهم اضغاث احلام عن سؤال التعبير واستقلوا احتماله
بقى احتمال السؤال بطلب التاويل لانه اوسع دائرة من التعبير فتداركوه بالظاهر
العجز عن تاويل الاباطيل وفيه دليل على انهم نزلوا ما رآه لتضمنه الاشياء منزلة
الاحلام والا لكان حقهم ان يقولوا وما نحن بتاويل الحلم بعالمين وقال الذى نجا منهما
من صاحبى السجن وهو الشرابى وادكر جملة حالية وادكر بالدال المهملة وهو الفصيح
وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة اى تذكر بعد امة بعد جماعة من الزمان طويلة
حين استفتى الملك فى رؤياه واعضل على الملأ تاويلها وقرئ امة بكسر الهمزة وهى
النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة من القتل وقرئ بعد امه بالهاء اى بعد نسيان
انا انبئكم بتاويله عمن عنده علمه فارسلون اليه لاسأله عنه والمعنى فارسلونى
الى يوسف عليه السلام فاتاه فقال يوسف فحذف ايجازا ايها الصديق ناداه ه

بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه عرف صدقه في تأويل رؤياه و
رؤيا صاحبه واخبر حاله في السجن افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى في رؤيا ذلك لعلي ارجع
الى الناس الى الملك ومن عنده وانما بنى الكلام على الظن لانه تادب بصحبة يوسف
عليه السلام فلم يجزم في الرجوع اليهم فربما اخترم دونه ولا في علمهم فربما لم يعلموا
وقيل لم يكن السجن في المدينة لعلهم يعلمون فضلك ومنزلتك فيخلصونك من محنتك
قال تزرعون خبر في معنى الامر كقوله يؤمنون بالله واليوم الاخر ويجاهدون وفائدة
اخراج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب المامور به والاعتناء لبثاته فجعل كانه قد
يوجد فيخبر عنه والدليل على انه في معنى الامر قوله فذروه سبع سنين دأبا بسكون
الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا وظب اى على عادتكم المستمرة وانتصابه
على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا
فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين
نصيحة خارجة عن التعبير واشارة براى نافع بحسب طعام مصر وخيطها التي لا تبقى
عامين الا بحيلة ابقائها في السنبل ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد اى سبع سنين
شداد فحذف المميز لدلالة قوله سبع سنين عليه ياكلن ما قدمتم لهن اسند
الاكل اليهن على سبيل المجاز من حيث انه يوكل فيها كما قال والنهار مبصرا تطبيقا
بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد
ذلك عام لم يقل سنة لغلبتها في عام القحط فيه يغاث الناس يمطرون فيه من الغيث
او يغاثون من القحط من الغوث ففي الاول يبنى من ثلاثي وفي الثاني من رباعي يقول
غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث والغيث المطر الذي يجئ في وقت الحاجة
وباعتبار هذا القيد فيه حسن موقعه في قولهم الغيث لا يجئ من الغيث والغوث
النفع الذي ياتي على شدة حاجة بنفي المضرة وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب
والقصب والزيتون والسمسم لكثرة ما يعصرون من الفواكه وغيرها وقيل يحلبون
في الضروع وقرئ تعصرون بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول
من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل ايضا منه اى يغيثهم الله او
يغيث

يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف
السمان باكل ما جمع في السنين المجدبة فنصحهم وهداهم الى التعبير فيها ثم بشرهم
بان العام الثامن يجئ خصبا وذلك اما بالوحي واما بالعلم بان انتهاء الجدب
الى الخصب وان السنة الالهية جارية بالتوسيع على العباد بعد التضييق عليهم
وقال الملك بعدما جاءه بالتعبير ائتوني به اى بالمعبر وفي الكلام حذف فلما
جاءه الرسول يوسف عليه السلام ليخرجه من السجن قال يوسف عليه السلام
ارجع الى ربك انما تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر
براءة ساحته عما قذف به وفيه دليل على ان السعي في دفع التهم واجب وجوب
اتقاء الوقوف في مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه او لبثت
في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة ومن زاد على ما ذكر قوله ويعلم انه سجن
ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل الى تقبيح امره لم يصب لان التعجيل اعون على
دفع الوهم المذكور فان في التاخير مخافة الآفة وحال السؤال لا يختلف بكونه
في داخل السجن وخارجه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لاسرعت الاجابة
وفي بعض الروايات ما اخرجهم يعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترط ان يخرجوني
وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فسئله
ان يفتش حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال لان الانسان اذا سئل
عن شئ جد فيه واجتهد في تحقيقه بخلاف ما اذا التمس منه شئ وانما لم يتعرض
لامرأة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وانما قلنا صريحا
وقصدا لان التعرض للمقطعات ايديهن يستلزم التعرض بها والسؤال عن بالهن يؤدي
الى السؤال عن بالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك تعظيم لكيدهن
بانه كيد بعيد الغور لا يعلم كنهه الا الله تعالى واستشهاد بعلم الله تعالى عليه و
على انه برئ مما اتهم به وايعاد لهن بان الله تعالى عليم بكيدهن فيجازيهن عليه
قال اى الملك مخاطبا لهن بعدما احضرن وفي الكلام حذف ما خطبكن ما شانكن

والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه لعظمه اذ راودتن يوسف عن
نفسه هل وجدتن منه ميلا الى ما دعوتموهن اليه قلن حاش لله تعجبا
من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا
عليه من سوء بالغن في نفي جنس المكروه عنه عليه السلام بالتنكير و
زيادة من وانما قلن عليه لان مرادهن نفي ما يسوءه لا ما يسوء الغير قالت
امراة العزيز فصله عما قبله ولم يقل وقالت لان مبنى الوصل على دخولها
في الخطاب بقوله ما خطبكن وليست بداخلة فيه الآن حصحص الحق
ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ او ظهر من حصحص
شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه لما سمعت مقالتهن في براءة
يوسف عليه السلام اقرت باعظم ما اقررن به اذ هي كانت اقوى سببا فيما
جرى من المراودة ومن سجنه ولا بينة اجلى من اعترافهن على انفسهن
وشهادتهن له بالبراءة والنزاهة وهن خصومه والفضل ما شهدت به
الاعداء انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني
عن نفسي ذلك ليعلم من كلام يوسف عليه السلام لما جاءه الرسول واخبره
بكلامهن نحو في ما حذف لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ثم قال فماذا تامرون وهو كلام فرعون مع قومه
يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب
بظهر الغيب في حرمه وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه
او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان
الله اي وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم كقوله
ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله يضاهؤن قول
الذين كفروا اي يضاهؤن الذين كفروا في قولهم وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا
من له السليقة وفيه تعريض بامراة العزيز في خيانتها امانة زوجها وتوكيد لامانته
ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي نفيا لتزكية نفسه وهضما لها واحترازا
عن اعجابه [illegible] ان ذلك بتوفيق الله ورحمته وتسديده

وعصمته

وعصمته لامته اي وما ابرئ نفسي من الزلل ولا ازكيها ولا اشهد لها بالبراءة
وهو اعني نفي التبرئة والتبرية اما مختصة بهذه الواقعة وارادة الهم
المذكور الذي هو ميل النفس لا القصد الاختياري واما عامة في جميع الاحوال
ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتاكيد بعد التلويح والمراد بالنفس الجنس
اي هذا الجنس كله دائم الامر بالسوء حامل عليه بما فيه من الشهوات باعث
للقوى والجوارح عليه الا ما رحم ربي الا ما عصمه الله تعالى برحمته نصب على
الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي وعصمته او على الاستثناء المتصل
اي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة واللام في النفس للاستغراق حتى يصح الاستثناء
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء كقوله
ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم
يوسف اني لم اخنه اي لم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت
عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما
جزاء من اراد باهلك سوءا وهو اعتذار منها عما سلف ان كل نفس لامارة بالسوء
الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف وفيه تكلف صرف الخيانة
عن معناها الى معنى الكذب ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفوس ويرحم من
يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه وقال
الملك ائتوني به لما اخبر النساء بما اخبرن قال ملك مصر جيئوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي لما ظهر عنده من علمه وصلاحه فلما كلمه
معطوف على محذوف تقديره فاتوا به فاستنطقه اي الملك فالفاعل
لكلم ضمير يوسف عليه السلام اي فلما كلم يوسف الملك وراى حسن منطقه
بما صدق به الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا وكلمه بها فاجابه
بجميعها فتعجب منه قال انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة امين
مؤتمن على كل شيء قيل توفي العزيز في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج
منه زوجته فوجدها عذراء وولد منها افرائيم وميشا قال اجعلني
على خزائن الارض اي ولني امرها والارض [illegible] بالتمكن

عنده والامانة طالب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين اني حفيظ
لها احفظ ما تستحفظنيه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة
والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل
به الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما
لاجله يبعث الانبياء عليهم السلام الى العباد ولعلمه ان احدا لا يضطلع
بذلك ولا يقيم مقامه فيه فطلب التولية ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب
الملك والدنيا وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي
من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا بالاستظهار به وعن مجاهد
انه قد اسلم على يده عليه السلام وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا
ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث
يهوى لدخول جلها تحت ملكته وسلطانه نصيب برحمتنا بعطائنا من نشاء
في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجور احسانهم عاجلا وآجلا
ولا ينقص من اجورهم في الآخرة بسبب ما اعطيناهم من الملك والغنى شيئا و
لهذا قال ولاجر الاخرة خير لانه الدائم الذي لا يفنى للذين آمنوا وكانوا
يتقون اي وداموا على التقوى من باب وضع الظاهر موضع الضمير تنويها
بذكر الايمان والتقوى وتنبيها لماهية الاحسان واصله بانه هو الايمان
والتقوى اي العلم والعمل وايماء الى ان اجر الآخرة انما يستحق بهما وان غير
المؤمن المتقي اعني عن الشرك لا نصيب له في الاخرة قال سفين بن عيينة
المؤمن يثاب على احسانه في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في
الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية وفيها شهادة من الله تعالى
ليوسف عليه السلام بالاحسان واشارة الى ان حاله في الاخرة خير من حالته
العظيمة في الدنيا وايذان بان الاحسان هو الذي لا يضيع الله تعالى اجره
وجاء اخوة يوسف اي من كنعان من ارض فلسطين من نواحي الشام الى مصر
ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف عليه السلام للميرة روي انه اصاب بلاد
الشام وارض كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عليه السلام بنيه

ليمتاروا

ليمتاروا واحتبس بنيامين عنده فدخلوا عليه فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال
ملتحون ورأى زيهم قريبا مما كان من قبل وهم له منكرون لانهم فارقوه في سن
الحداثة غير ملتح وحسبانهم انه هلك ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان
عن حاله التي فارقوه عليها وتبدل زيه وأبهته ولما نابهم من التهيب والاستعظام
مما ينكر له المعروف ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا له
من الميرة وقرئ بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح والكسر عدة المسافر من الزاد وما يحتاج
اليه المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد اخرى ومنه جهاز
العروس قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة تقتضي هذا الامر وروي انهم لما
دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد
هو شيخ صديق نبي من انبياء الله تعالى اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر
فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر
قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هنا من يشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصاب شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا
لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحضهم
على الاتيان باخيهم بقوله الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف اي
المضيفين يعني في قطره وفي زمانهم وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم يؤنسهم
بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم يأتوا به بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون يحتمل ان يكون نهيا وان
يكون نفيا مستقبلا معناه النهي وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت في قوله تعالى فبم
تبشرون وان يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندي فيكون
مجزوما كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا تلطفا في استجلاب بنيامين بين الترغيب
والترهيب قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده ثم اكدوا
ذلك الوعد بقولهم وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نتوانى فيه ولا نغتم او لقادرون
على ذلك وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيانه على جمع الكثرة

ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحد يعني فيه بضاعتهم
التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم
وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيهم ما يرجعون
به والرحل الة السفر من وعاء ومركب لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه
بعد هذا ان لم يذهب بنيامين فارسل معنا اخانا نكتل ما نحتاج اليه من الطعام
لوجود الشرط ورفع المانع وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا
ويجوز ان يكون المعنى يكن سببا للاكتيال على الاسناد المجازي لان امتناعه بسبب عدم
ذهابهم به فاذا ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم فكانه هو المكيال وانا له لحافظون
عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل استفهام بمعنى النفي
وهذا تقرير وتوقيف وتالم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من ارساله لما راى في
ذلك من المصلحة وشبه هذا الايمان في ابنه هذا بايتمانه اياهم في حق يوسف عليه السلام
كانه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما
كدتم بذلك لكنه لم يخف عليه كما خاف على يوسف عليه السلام واستسلم لله تعالى
فقال فالله خير حافظا فاتوكل عليه واعتمد على حفظه وكلاءته دونهم ورضي بدفعه
اليهم وقرئ حفظا وانتصابه وكذا انتصاب حافظا على التمييز وكون حافظا حالا ليس
بجيد لان فيه تقييد خير بهذه الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه
ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي وضعت
في رحالهم وقرئ ردت بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل
وبيع قالوا يا ابانا ما نبغي ما استفهامية منصوبة المحل اي شيء نطلب وراء هذا هل
من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا متاعنا او نافية اي ما نبغي في
القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك وروي ما تبغي بالتاء على الخطاب اي
اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او الشاهد على صدقنا هذه بضاعتنا ردت
الينا جملة استينافية وقعت بيانا لقوله ما نبغي ونمير اهلنا عطف على محذوف اي

هذه

هذه بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا اذا فسر البغي بالطلب واذا
فسر بالكذب والتزيد في القول جاز ان يعطف نمير على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما
مبتدا اي وينبغي ان نمير اهلنا كقولك سعيت في حاجة فلان ويجب علي ان اسعى
له ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب والاياب ونزداد كيل بعير اي وسق
بعير باستصحاب اخينا لزيادة وسعه على اوساق اباعرنا فما نبغي وراء هذه
المساعي ذلك الذي جئنا به كيل يسير لا يكفينا فلا بد ان نرجع اليه ونضاعفه
او ذلك الزائد لاخينا مكيل قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه او ذلك
الذي بعير ويكال لنا شيء يسير زاد عليه ما يكال لاخينا وقيل هو من كلام يعقوب
عليه السلام اي ذلك المراد وهو حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر بمثله بالولد
كقوله ذلك ليعلم واياه تاخر قال عنه فان حقه ان يتقدم عليه قال لن
ارسله معكم البتة بعد ان رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله ما
اتوثق به من عند الله يعني الحلف بالله تعالى وانما جعله موثقا من الله تعالى
لان الحلف بالله مما يؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله تعالى فيه فهو اذن
منه تعالى لتاتنني به جواب القسم لان المعنى حتى تؤتوني موثقا حتى تحلفوا الي لا
ان يحاط بكم الا ان تهلكوا او الا ان تغلبوا فلن تطيقوا الاتيان به مفعول له
وقوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تتركوه لعلة من العلل الا لعلة الاحاطة بكم
لانه استثناء مفرغ من اعم العلل ولا يكون الا في النفي كقولك اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب منك الا فعلك او ظرف مستثنى من اعم الظروف اي لا تمتنعون عن
الاتيان به وقتا ما الا وقت الاحاطة بكم فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله
على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل اي مطلع رقيب وقال حين انفذ
اخاهم معهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وصا
هم بالحذر عن اصابة العين لانهم كانوا جماعة ذي ابهة وشارة حسنة
مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في الصدور وقد عرف كونهم اخوة والعين
تتسارع تاثيرا الى مثلهم ولذلك لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم ح

كانوا مجهولين مغمورين بين الناس او كان الداعي له الى التوصية خوفه على بنيامين
وتاثير العين مما لا ينكر وقد ورد في الخبر عن خير البشر العين حق وفي خبر آخر ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وانه صلى الله عليه وسلم تعوذ الحسنين
رضي الله عنهما فقال اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين
لامة وشهدت به التجربة ولا ينافي ذلك ان لا مؤثر الا الله تعالى لان حقيقة
التاثير واصله ليس الا منه تعالى وان ظهر على مظاهر الاشياء بحسب جري العادة
وليس هذا بمحل الامتحان والابتلاء لانه ليس من خوارق العادات وما اغني
عنكم من الله من شيء فاقضي عليكم مما اشرت به اليكم اي لا انفع ولا ادفع ان
اراد الله تعالى بكم شيئا سيئا ولم يرد به الغاء الحذر عن القاء النفس الى محل الخطر
ببيان عدم التاثير للتدبير في تغيير ما في التقدير لانه لا يناسب شان النبي عليه السلام
ان يوصي بشيء على وجه الاهتمام ببنيه الكرام ثم يبطله ويظهر انه من خطرات
الاوهام بل اراد دفع ما يخطر بالبال عند سماع مثل هذا المقال من معارضة التقدير
بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام بما مرجعه الى ان الحذر لا يغني من القدر
ومع هذا لا بد للعاقل من الحذر عن مظان الضرر ولذلك امر به في قوله تعالى
خذوا حذركم ونهينا عن خلافه في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ان الحكم الا لله
اي ليس الفصل بين الامور على ما تقتضيه الحكمة الا لله تعالى ولما كان في توصيتهم
مظنة التوسل بالاسباب العادية تداركه بقوله عليه توكلت اي فوضت امري
الى الله تعالى يدبره كيف يشاء وتقديم الصلة لتخصيص التوكل به تعالى وعليه
فليتوكل المتوكلون جمع بين حرفي العطف مع تقديم الصلة واراد بالواو العطف
على جملة من تخصيص التوكل بالله تعالى في حفظهم وبالفاء التسبيب لان فعل
الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى به اي وعليه خاصة اذ خصصته
بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم او وعليه ان توكل متوكل
فليتوكل كما عليه توكلت ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة
في البلد ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان دخوله في البلد متفرقين
على راي يعقوب عليه السلام مغنيا عنهم من قضاء الله في حقهم شيئا الا حاجة

في نفس

في نفس يعقوب قضاها اي لكن كان اضطرابا في قلبه ودغدغة في خاطره ازال
ذلك عن نفسه بوصيته واما ما قيل فتفرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام فلا يناسب المقام لان مساق الكلام في
عدم تاثير تدبيره فيما وصاهم به وهو الاحتراز من مظنة الضرر من جهة اصابة
العين بهم لا من جهة اخرى وانه اي وان يعقوب عليه السلام لذو علم عظيم وفي التنكير
للتعظيم توطئة لما في قوله لما علمناه من كمال التفخيم الحاصل من اضافة التعليم الى نفسه
تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر ولما
دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل الايواء
الضم والتصيير الى موضع الراحة ومنه الماوى وهو المنزل الذي يصير اليه صاحبه
للراحة فيه روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين
منكم بيتا واحدا وهذا الا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه فعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس
فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون بما استمر به عادتهم من الجفاء في حقنا
وذكرن بغير الجميل عندك مما يخطر ذلك وكانه قصد الاشارة الى ما هم بصدد ان يعملوا
في حقهم من اسناد السرقة بقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولذلك اتى
بصيغة المضارع وكان ذلك معلوما له بطريق الوحي فلما جهزهم بجهازهم الفاء فصيحة
عاطفة على محذوف تقديره ظاهر وقد مر تفسير الجهاز جعل السقاية المشربة في
رحل اخيه قد مر تفسير الرحل قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت
يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد الايذان الاعلام يقول
يسمع بالاذن يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه ايتها
العير العير القافلة ومنه المثل لا في العير ولا في النفير وهو في الاصل اسم ما يمتار عليه من
الابل والحمير والبغال لانها تعير الى تردد والقول بتخصيصه بالابل ليس بظاهر نص عليه

قوله وقرئ وجعل اي بزيادة واو
العطف عن ابن مسعود رضي الله عنه
علي القاري

للازهري ثم قيل لاصحابها كالخيل في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي انكم
لسارقون من قبيل نسبة الفعل الى جماعة كلهم واحدة لصدوره عن واحد منهم
والسرقة اخذ الشيء من حرز في خفية بغير حق قيل لم يامرهم يوسف عليه السلام
بذلك ولا علمه وانما كان امر بعض خواصه بجعل السقاية في رحل اخيه على ما امره
الله تعالى به فلما افتقدها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها قالوا اي اخوة يوسف
عليه السلام واقبلوا جملة حالية اي وقد اقبلوا عليهم اي على طالبي السقاية
وفيه تنبيه على ما في قوله ثم اذن مؤذن من ايجاز الحذف والاقبال مجيء الشيء الى
جهة المقابلة بوجهه وضده الادبار ماذا تفقدون يحتمل ان تكون ماذا استفهاما
ما في موضع نصب بتفقدون ويحتمل ان تكون ما وحدها استفهامية مبتداء وذا
موصولة بمعنى الذي خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف اي تفقدونه
وفقد الشيء طلبه عند غيبته عن الحس بحيث لا يدرى اين هو قال الجوهري رح
فقدت الشيء افقده فقدا وتفقدته اي طلبته عند غيبته ولما فيه من معنى
الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة عن الطلب لكان حقهم ان
يقولوا ماذا فقدتم وقرئ تفقدون من افقده اذا وجدته فقيدا قالوا
نفقد صواع الملك هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى معنييه
واخرى بالثانية وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ
من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير اي وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله
وتمام الكلام في هذا المقام من وعيد المسيء ووعد المحسن من رئيس تلك الجماعة
الا انه اختصر واكتفى بجزئه الثاني مصدرا بالواو الفصيحة الدالة على محذوف
وهو جزؤه الاول وح ينتظم الافرادي وانا به زعيم اي كفيل اديه الى من رده
مع الجميع في قوله قالوا نفقد قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل
قبل تمام العمل ويرد عليه انه لا دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام
بدون اللزوم مما لا حاجة الى الدليل عليه قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما
اضيف اليهم والتاء بدل من الواو في قول اكثر النحويين وقال السهيلي انها اصل
بنفسها وقد حكي عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحياتك قالوا ترب الكعبة

وتالرحمن

وتالرحمن وتحياتك لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض اي في ارضكم وانما استشهدوا
بعلمهم لاشتهارهم بينهم بالامانة والديانة واختبار رحالهم في كرتي المجيء ومداخلتهم
ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم معكومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد
ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين مرادهم نفي
السرقة عن انفسهم فكان حقهم ان يقولوا وما سرقنا الا انهم ارادوا ان يضمنوا
عبارتهم الدلالة على ان الاقدام على مثل هذه السرقة انما يتيسر ممن هو معتاد بها
قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته على حذف المضاف ان كنتم
كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه اي جزاء سرقته من وجد في رحله اي اخذه
واسترقاقه هكذا شرع يعقوب عليه السلام فهو جزاؤه جملة اخرى لتقرير الحكم
والزامه او خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة
كما هو خبر جزاؤه على اقامة الظاهر مقام الضمير تفخيما لشان الجزاء كانه قيل جزاؤه
من وجد في رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي
الظالمين بالسرقة وهذا كلام من لم يشك انهم براء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة
علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته فبدأ باوعيتهم اي فبدأ من قال
وانا به زعيم وقد تقدم انه مقدم المتفقدين بتفتيش اوعيتهم وقيل يوسف عليه
السلام لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية
وتذكير الضمير فيما سبق لان الخدمة عبروا عنها بالصواع فاما الكلام منقولا عن
لسانهم ذكر الضمير عائدا اليه من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك
اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اي علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ما صح
لياخذ اخاه بالسرقة في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ
دون الاسترقاق وهو تفسير للكيد وبيان له الا ان يشاء الله نصب على الظرف او المفعول
له اي ما كان لياخذ اخاه وقتا من الاوقات الا وقت مشيئة الله تعالى واذنه فيه او لعلة ما
الا لمشيئة الله تعالى او الا بسبب مشيئة الله تعالى نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا
درجته عليه السلام فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم
ارفع درجة منه في العلم ارادوا المبالغة في عدم انتهاء مراتب العلم في المخلوق ودرجاته

لعدم انتهاء المعلومات وعلم الله تعالى ليس بوصف زائد على ذاته فلا يقال لله تعالى
ذو علم وبما قررناه ظهر وجه العدول عن العالم الى ذي علم قالوا ان يسرق يعنون
بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف عليه السلام قيل ورثت
عمته من ابيها منطقة ابرهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف عليه السلام
وتحبه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها فشدت المنطقة
على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت
احق به في حكمهم وبقي عندها حتى ماتت فاسرها يوسف في نفسه الضمير لما
يفهم من سياق الكلام اي اكن كراهة ذلك القول في نفسه والفاء للعطف على
محذوف تقديره وسمع يوسف كلامهم فاسرها وقوله ولم يبدها لهم تاكيد للسابق
وبيان للمراد من اللاحق فانه علم عنه انه عليه السلام قال في نفسه انتم شر مكانا
اي شر منزلة في سرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون اي يعلم ان الامر ليس
كما تصفونه من نسبة السرقة الينا وصيغة افعل للمبالغة لا للتفضيل على معنى
والله اعلم منكم بما تصفونه اذ لا علم لهم به فان ما قالوه ناش عن الجهل غير مطابق
للواقع قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ذكروا له حال ابيهم في كونه شيخا كبيرا
القدر استعطافا له عليه وكانوا قد اخبروه بانه كان له ولد قد هلك وهذا شقيقه
يستانس به وهو احب اليه منهم فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاستعباد
والاسترقاق انا نراك من المحسنين الينا وما الانعام الا بالتمام فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام
الفعل اي نعوذ بالله معاذا ان ناخذ من ان ناخذ فاضيف الى المفعول به وحذف من
الا من وجدنا متاعنا عنده اي ان نظلم فان اخذ السارق على فتواكم واجب
فلئن اخذنا غيره انا اذا لظالمون في مذهبكم ودينكم فلم تطلبون منا ما هو ظلم عندكم
كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه اني مامور من عند الله تعالى باخذ بنيامين فلو
خالفته كنت ظالما مرتكبا خلاف الوحي عاصيا وانما قال الا من وجدنا متاعنا
عنده اجراء للكلام على مجرى ما قالوه عند بيان الجزاء واحترازا عن التصريح باسناد
السرقة الى اخيه والا فالاخصر لفظا والاظهر معنى ان يقول الا من سرق فلما استيأسوا

منه

منه يئسوا من يوسف عليه السلام اي من اجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة
كما ذكر في استعصم خلصوا انفردوا واعتزلوا الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا ذوي نجوى
او فوجا نجيا حال او مفعول له او متناجيا او لينا جي بعضهم بعضا وكان تناجيهم في
تدبير امرهم والنجي قد يجيء بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر ومنه قوله تعالى وقربناه
نجيا وقد يكون بمعنى المصدر بمعنى التناجي كالنجوى ومنه قيل قوم نجوى كما قيل وهم
نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه على زنة المصدر
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او رئيسهم وهو شمعون او كبيرهم في الرأي والعقل
وهو يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل
حلفهم بالله تعالى موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته وانما قال عليكم لما في
اخذه من التكلف والايجاب ومن قبل اي ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم
في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم فيه وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب
بالعطف على مفعول تعلموا كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف
ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف واما الرفع على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل اي وقع من قبل تفريطكم في يوسف فمردود بان قبل اذا كان خبرا او صلة
لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص او موصولة اي ومن قبل هذا ما فرطتموه في
حق يوسف اي ما قدمتموه من الخيانة العظيمة ومحله النصب والرفع على الوجهين
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله
لي بالتوفي او بالخروج منها او بتخليص اخي من يدهم اخذ بسبب من الاسباب
ولو بالمقاتلة معهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى
السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه و
ما كنا للغيب لباطن الحال حافظين اعتذار من مواعدتهم اياهم بحفظه اي ليس
من شاننا حفظه لامر غائب عنا فانا كنا ضمنا لك حفظه مما يمكننا الحفظ عنه من
الآفات في الطريق فاما السرقة فيما لم يكن لنا الى حفظه منها سبيل هذا هو الظاهر
من الكلام المتبادر الى الافهام المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة الى صرفه لحفظ

عن معناه الى معنى العلم كما سبق الى بعض الاوهام وسئل القرية التى كنا فيها هى مصر اى
ارسل الى اهلها فاسئالهم عن كنه القصة والعير التى اقبلنا فيها فقد مر ان العير
يطلق على القافلة وهم كانوا من كنعان جيران يعقوب عليه السلام وقيل من
صنعاء وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم ونحو الكلام اضمار معناه فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم
امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يواخذ بسرقته لولا فتواكم فصبر جميل
قد مر تفسيره عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف واخيه والكبير المتوقف هناك
انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيره ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة وتولى عنهم
واعرض عنهم كراهة لما اخبروه به وقال يا اسفا على يوسف اى يا اسفا تعال فهذا اوانك
والاسف اشد الحزن على الغايب وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يكون اجتمع له
المعنيان الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته وعلى نفسه بعبده معهم ويناسبه
ما فى لحاق الكلام من التعرض لهما وانما تاسف على يوسف عليه السلام والحادث مصيبة
اخويه لان الرزاية اشد المصايب وانكاها وهو الاخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه
كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه
راجعون عند المصيبة الا امة محمد عليه الصلوة والسلام الا ترى الى يعقوب حين
اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى على يوسف منادى مضاف الى ياء المتكلم
ابدلت الياء الفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن فان العبرة اذا
كثرت محقت سواد العين وغيرته الى بياض كدر وعلل الابيضاض بالحزن وانما هو من
البكاء المتوالى لانه ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذى نشا منه البكا والحزن الهم الغليظ
على النفس من الارض الحزن بفتح الحاء اى الغليظة والظاهر انه عليه السلام كان
عمى لقوله تعالى فارتد بصيرا وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء
عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد و
لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده
ممسك له فى قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده

قوله وقرئ من الحزن اى بفتحتين كما عن مجاهد والحسن او بضم الزاى كما عن قتادة
نخارى

على

على ملائه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله
من كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه والكظم بفتح الظاء مجرى النفس قالوا تالله
جواب القسم تفتؤ حذفت منه لا وحذفها جائز لانها لا تلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا
بعد القسم لقيل لتفتأن اذ لا بد فى الاثبات من اللام والنون فهو قرينة النفى خلوه عن
علامة الاثبات والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر يوسف خبر تفتؤ اى لا
تزال تذكر تفجعا عليه حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذى اصابه
هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والنعت بالكسر كدنف ودنق وقد قرئ بضمتين كجنب او تكون من الهالكين الهلاك ذهاب
الشئ بحيث لا يدرى الطالب له اين هو فالميت هالك لهذا المعنى ويطلق على الوا اله
لشئ وهو المراد ههنا ولهذا اخر فانه لو اريد المعنى الاول لكان حقه التقديم قال انما
اشكو بثى البث اصعب الهم الذى لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اى ينشره وحزنى
الى الله اى لا اشكو الى احد منكم ولا من غيركم انما اشكو الى الله تعالى ملتجئا اليه فخلونى
وشكايتى وهو معنى توليه عنهم الى الله تعالى واعلم من الله اى اعلم من لطفه ورحمته
انه ياتينى بالفرج من حيث لا احتسب واعلم من جهة الله تعالى بالوحى ما لا تعلمون من
حياة يوسف قيل انه راى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال
لا والله هو حى فاطلبه وقيل علم من منام يوسف انه لا يموت حتى يسجد له ابوه واخوته
يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس
الاستقصاء والطلب بالحواس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب ومنه الجاسوس امرهم
بطلب يوسف بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره ولا تيأسوا من روح الله ولا
تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط
من رحمة الله فى شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه اى على يوسف بعدما رجعوا الى مصر
رجعة ثانية قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته
وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة

قوله من روح الله اى بضم الراء فيهما عن الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز
نخارى

وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل التمسوا منه ايفاء الكيل بعد ما قدموا باعث الشفقة
وموجب الرحمة ولذلك صدره باداة التفريع وتصدق علينا اى بالمسامحة و
الاغماض عن رداءة البضاعة او زد نا على حقنا فسموا ما هو فضلة وزيادة لا تلزمه
صدقة تمسكنا وتواضعا له فلا دلالة فيه على عدم اختصاص حرمة الصدقة
لنبينا صلى الله عليه وسلم نزلوا او ضع منزل كانهم قالوا ان لم نستوجب معاملة البيع و
الشراء فقد استوجبنا بذل العطا وعلى الله المكافاة والجزا ان الله يجزى المتصدقين احسن
الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى القصر هذه صدقة
تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى فيه ثواب من الله تعالى قال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه سؤال عن الملزوم وارادة اللازم اى هل تبتم عن ذلك
ورجعتم الى الله تعالى فهو شفقة عليهم وتنصح لهم فى الدين كما هو عادة الانبياء عليهم
السلام لا معاتبة وتثريب ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه ولذلك قال لا تثريب
عليكم اليوم فلا ينافيه تقدير القبح على ان يكون المعنى هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلو
عن نوع توبيخ وتثريب والمراد من فعلهم باخيه افرادهم اياه عنه واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته فلذلك اقدمتم عليه وانما قال ذلك
اعتذارا من جانبهم واظهارا للشفقة فى حقهم حتى يوثر نصيحه لهم وتحريضه اياهم
على التوبة وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو
فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لانهم كانوا حينئذ صبيانا
لانه لا يطابق الواقع وينافى ما تقدم من قولهم ونحن عصبة بل لان فعلهم فعل الجهال
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام ويدل عليه
قراءة انك على الايجاب وهذا كلام متعجب مستغرب لما سمع فهو بكرر الاستيناف
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم وعرفوه بثناياه وقيل
رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت
لسارة ويعقوب عليه السلام مثلها قال انا يوسف انما قال وهذا اخى
حين سالوه عن نفسه بيانا لما سالوه عنه اى هذا اخى من ابى وامى تفخيما له
وليدخلاله فى قوله قد من الله علينا اى بالسلامة والكرامة والاجتماع بعد

التفرقة

التفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان السبب من الله هو التقوى والصبر
فقال على طريقة الاستيناف التعليلى انه من يتق الله اى في اموره ويصبر على البلايا
او على الطاعات وعن المعاصى فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع
هم للتنبيه على ان المتقى الصابر هو المحسن والتسجيل عليهم بالاحسان قالوا
تالله لقد اثرك الله علينا فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل الاحسان
وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا متعمدين الاثم فلذلك اعزك بالملك
واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم تفعيل من الثرب وهو
الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد
فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وتثريب اسم لا وعليكم
الخبر واليوم منصوب بالعامل فى الخبر اى لا تثريب مستقر عليكم اليوم ولا يجوز
تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله ولا يجوز ذلك
لان معمول المصدر من تمامه والمعنى لا اثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم
بساير الايام ثم دعى لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق الظرف بيغفر
اى ابشركم بغفران الله تعالى عاجلا لما تجدد اليوم من توبتكم وندمكم على
خطيئتكم ولما دعى لهم بالمغفرة اخبر عن الله تعالى بالصفة التى هى سبب
الغفران بقوله وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغاير والكباير ويتفضل
على التائب فيرجى منه قبوله دعائه لهم بالمغفرة ويروى ان اخوته لما عرفوه
ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحى منك
لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاول ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم
حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصى هذا القميص
الذى كان عليه وقيل هو القميص المتوارث امره جبريل عليه السلام ان يرسله اليه
فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا عوفى فالقوه على وجه ابى
يات بصيرا اى يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما اى صار محكما ودليله فارتد
بصيرا اى يات الى وهو بصير ويبصره واتونى باهلكم اجمعين اى يأتى واله جميعا

ولاحاجة الى التغليب على ان يكون المعنى وانولى ابى وانتم لان اباهم لما كان شيخا
كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا فى اهلهم ولما فصلت العير يقال فصل من
البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشئ
فصلا فرق وهو متعد والمعنى انفصلت العير من عريش مصر ومن غفل من
التفعيل المذكور قال اصله فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله فصار كاللازم
قال ابوهم لمن حضره انى لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ما عبق بقميصه من
ريح يوسف عليه السلام حين اقبل به يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون
التفنيد النسبة الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من الهرم يقال شيخ
مفند اى قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفندة لان المراة لم يكن لها قط راى
اصيل فيدخله التفنيد وجواب لولا محذوف اى لولا تنسبكم اياى الى الخرف
لصدقتمونى قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب
قدما بالافراط فى يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير وهو
يهودا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم افرحه بحمل هذا اليه
القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه يعقوب عليه السلام او طرح يعقوب
نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم انى اعلم
من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل انى اعلم مبتدأ والقول
لا تيأسوا من روح الله او انى لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربى اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه
عفا عنهم لان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه
السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعد ذلك على
النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم اما ما
قيل اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة فيأباه
سوف لانها ابلغ فى التنفيس من السين وعلى ما ذكر حق العبارة ان يكون بالسين

ولما

ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور يغفر المعاصى
الرحيم يرحم العاصى اذا اناب واستغفر فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه
اموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف عليه السلام والملك واهل مصر
باجمعهم وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة اوى اليه
ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب
فى قوله واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها
بعد امه والرابة تدعى اما وقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحياة وعلى هذا
لا حاجة الى التاويل وقال ادخلوا مصر والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد
كانه ضرب لهم مضرب او بيت حين استقبلهم فى الطريق فدخلوا فيه ان شاء الله
آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن لان
القصد الى اتصافهم بالامن فى دخولهم ورفع ابويه على العرش اى رفعهما على السرير
وخصهما بذلك تكرمة لهما دون اخوته وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان
السجود كان يجرى مجراها والواو لابويه ولاخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم
لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما والواو لا تفيد الترتيب وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله
وقيل الضمير لله ويأباها قوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل رايتها ايام الصبا
قد جعلها ربى حقا صدقا اذ لا مطابقة بين الرؤيا والواقع وقد احسن بى جعله
على تلطف حمل النظير على النظير عداه بالباء والا فالاحسن اصله ان يتعدى بالى
او باللام واما التضمين فلا يناسب المقام لان احدهما يغنى عن الاخر فلا فائدة
فى الجمع بينهما اذ اخرجنى من السجن لم يذكر الجب اكتفاء بدلالة النزع اللاتى
ذكره عليه لا صفحا عن ذكر ما يتعلق بفعل اخوته لئلا يكون تثريبا عليهم لانه على
تقدير ان يكون خطابه عليه السلام لابيه بمسمع منهم ولا دلالة فى الكلام عليه
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل عمد عد نقلهم من البدو
نعمة اخرى وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا ينقله
من البادية الى الحاضرة اى اصلح حالكم من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى
اى افسد بيننا واغوى نزغ بمعنى نخس من نخس الرائض الدابة وحمله على الجرى

وانما ذكر هذا القدر من امر اخوته لان النعمة اذا جاءت إثر بلاء وشدة كانت احسن
موقعا وليت شعري من قال عدم ذكر الجب للاحتراز عن التثريب عليهم ما يفعل فى بيضاوى
ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم والعجب انه قال فى تفسير قوله تعالى ما فعلتم
بيوسف قبح ما فعلتم به والتثريب فيه اظهر منه فى ذكر الجب ان ربى لطيف
لما يشاء اى لطيف التدبير لما يشاء من الامور ما من صعب الا وتنفيذه فيه مشيئته
ويتسهل بلطف تدبيره انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذى يفعل كل
شئ على وجه تقتضيه الحكمة رب قد آتيتنى من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
ومن قال او بعض ملك مصر لكانه غفل عن قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض
يتبوأ منها حيث يشاء وعلمتنى من تاويل الاحاديث بعض تاويلها لانه عليه السلام
لم يؤت تاويل جميع الكتب والرؤيا فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على الصفة او على النداء انت وليى ناصرى او متولى امرى فى الدنيا والاخرة او الذى يتولانى
بالنعمة فيهما توفنى مسلما لما عدد نعم الله تعالى تشوق الى لقاء ربه ولحاقه
بصالحى سلفه وراى ان الدنيا فانية كلها فتمنى الموت وقيل لما راى امره الى الكمال علم
انه على الزوال فسال سعادة الانتقال وليس فيه سوال التوفى للحال بل سوال الختم
على الاسلام متى كان فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا ولقد توارث الفراعنة بعده
مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه عليهم السلام الى
ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام والحقنى بالصالحين من آبائى او على العموم
وفيه اشكال وهو ان الصلاح اول درجات المؤمنين ويوسف عليه السلام من
اكابر الانبياء فكيف يليق به ان يطلب البداية وحله ان النفوس المفارقة اذا
اشرقت بالانوار الالهية وكانت متناسبة انعكس النور من كل واحدة منها الى
الاخرى كالمرآت الصقيلة اذا اجتمعت انعكست الصورة من كل واحدة الى الاخرى
حتى يقوى الضوء وتكمل السعادة ومن لم يتنبه لهذا قال فى الرتبة والكرامة وقيل
المراد منها ذكرها على الاطلاق الانبياء عليهم السلام لكمال حالهم واستجماع خصال
كمال الخير فيهم ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه
للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران

له و

له وان جعلت اسم الاشارة بمعنى الموصول فمن انباء الغيب صلته والخبر نوحيه
اى الذى من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليها
والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين
عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون به
الغوائل او بابيه ليرسله معهم جملة حالية وتفصيل ذلك ان اخباره عليه السلام
عن هذه القصة لا يكون الا عن مشاهدة او نقل او وحى ولم يخف على احد من
المكذبين انه عليه السلام لم يكن من جملة هذا الخبر ولا امثاله عن قومه فاستغنى عن
ذكره لظهوره فكان الشك فى انتفاء المشاهدة اوقع من الشك انه لم يسمعها من
احد ولذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
فاذا انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحى ونحوه وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى
موسى الامر وما اكثر الناس قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اهل مكة ولو حرصت
وتهالكت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على
الكفر وما تسالهم عليه اى على ما تحدثهم به من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار
ونقلة الاثار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وكاين وكاى عدد كثير
من آية دالة على وجود الصانع وتوحيده وكمال قدرته وحكمته فى السموات والارض
يمرون عليها على الايات ويشاهدونها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة و
غير ذلك من العبر والدلائل وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
فلا غرو ان يعرضوا عن الايات التى تاتيهم بها وقرئ الارض بالرفع على انه مبتدأ
خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ و
الارض يمشون عليها اى يترددون فيرون مشاهد الهالكين وآثارها من الهالكين
اقطارها وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته للكل الا وهم
مشركون بعبادة غيره من الاوثان او باتخاذ الاحبار اربابا او القول باتخاذه للولد
او القول بالنور والظلمة وامثال ذلك جملة حالية اى يؤمنون ملتبسين بالشرك و
عن ابن عباس رضى الله عنهما هم الذين يشبهون الله تعالى بخلقه افأمنوا استفهام
انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد والفاء للترتيب على ما تقدم وهو مقدم فى الاعتبار

ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة اى
يوم القيمة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين
لها تاكيد لقوله بغتة قل هذه سبيلي اى هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان
والتوحيد سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة اى ادعوا الى دينه فى حالة كونى على
حجة واضحة غير عمياء حال من الياء فى سبيلي والعامل معنى الاشارة فى هذه
او بيان وتفسير لسبيله وعلى بصيرة حال من المستكن فى ادعو وانا تاكيد له
ومن اتبعني عطف عليه اى ادعوا الى الله انا ويدعوا اليه من اتبعني او مرفوع
بما فى الظرف من معنى الفعل على الفاعلية اى كائنا او ثابتا على بصيرة انا ومن اتبعني
او مبتداء خبره على بصيرة والجملة ابتداء اخبار بانه ومن تبعه على حجة وبرهان لا
على هوى كفرهم وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء وما انا من المشركين
فيه تعريض بانهم هم المشركون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا
لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه نفى استنباء النساء يوحى
اليهم كما اوحى اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرئ نوحى بالنون من اهل القرى
لانهم اعلم واحلم من اهل البدو فان فيهم الجهل والجفا والقسوة ولا دلالة فى قوله
وجاء بكم من البدو على ان يعقوب عليه السلام من اهل البدو وانما دلالته على انه عليه
السلام كان فى البدو ساكنا لمصلحة مواشيه افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من
المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيتغفلوا عن حبها ولدار الاخرة اى دار الساعة
او الحياة او الحالة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى حض على العمل لدار
الاخرة والاستعداد لها افلا تعقلون تستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرئ بالياء
حملا على قوله قل هذه سبيلي اى قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية
لمحذوف دل عليه الكلام اى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتلبثوا ويبلغون الرسالة
ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر او عن ايمان قومهم و
ظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم قومهم
بوعد الايمان اى لا تحزن قريشا تمادى اباهم فان الرسل قبلك قد تطاول عليهم

مدة التكذيب وعداوة الكفار وانتظار النصر حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصرة لهم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما وظنوا حتى ضعفوا وغلبوا
انهم قد اخلفوا ما وعدهم من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول
الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وقد رواه البخارى فى صحيحه فقيل فى تصحيحه
اراد بالظن ما يهجس فى القلب على سبيل الوسوسة وحديث النفس بحكم البشرية
لا الظن بمعنى الاعتقاد الراجح فانه غير جائز على احاد المسلمين فكيف بالرسل ويجوز
ان يراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقيل وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوا من جهة الرسل اى كذبهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم
وقرئ بالتشديد او ظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما اوعدهم من العذاب
والنصرة عليهم اما على تاويل ابن عباس رضى الله عنهما واما على انهم كذبوا عند
قومهم لانهم اذا لم يروا لوعدهم اثرا قالوا ان الرسل قد كذبوا فيكونون كاذبين
عند قومهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا بغتة فنجي على
لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وقرئ
فنجا من نشاء الرسل والمؤمنين وانما ابهم تعظيما لهم وتنبيها على انهم هم الذين
يستاهلون ان يشاء الله نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم ثم بين ذلك بقوله ولا يرد
باسنا عن القوم المجرمين ايذانا بان العذاب مخصوص بالمجرمين لازم لهم فيلزم نجاة
اضدادهم من الرسل واتباعهم ومفعول نشاء محذوف تقديره من نشاء تنجيته
لقد كان فى قصصهم فى قصص الانبياء عليهم السلام واممهم او فى قصة يوسف عليه السلام
واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول البراة عن شوايب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى الضمير للقران لقوله ولكن تصديق الذى بين يديه من الكتب
الالهية وانتصب تصديق على انه خبر كان المحذوفة انما جعله نفس التصديق
مبالغة فى كونه مصدقا لما بين يديه وتفصيل كل شئ عبارة كل للتكثير والتفخيم
لا للاحاطة والتعميم كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله فتحنا عليهم ابواب
كل شئ ومن لم يتنبه لهذا احتاج الى تخصيص الشئ بالذى يتعلق بالدين ثم تكلف
فى بيانه فقال اذ ما من امر دينى الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط

ولم يدر ان عبارة التفصيل لا تحتمل هذا التاويل وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير
الدارين وقرئ تصديق وتفصيل وهدى ورحمة كلها بالرفع اى ولكن هو تصديق ولكن
على هذه القراءة تختلف فيها العطف الجملة لقوم يؤمنون تصديقونه خصهم بذلك لانهم
هم الذين ينتفعون به كما قال هدى للمتقين

سورة الرعد

بسم الله
الرحمن الرحيم المر قد مر فى تفسيرها تاويل وقيل معناه انا الله اعلم وارى تلك
اشارة الى ايات السورة وفيها تعظيم ها ايات الكتاب اللام للماهية والمراد به
السورة اى تلك الايات العظام ايات السورة الكاملة العجيبة فى بابها والذى
انزل اليك من ربك يعنى القران كله ومحله الرفع على الابتداء وخبره الحق اى هو
الحق الذى لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفى ايقاع الموصول مسندا
اليه تفخيم المنزل وتعريض الحق انه هو الذى اذا تحققت الحق وماهيته فهو هو
لا غيره والمراد الاخبار عنه بكمال حقيته حيث ثبت على مر الدهور ولم يتطرق له
التحريف والتغيير او ثبت تلاوته وحكمه بخلاف سائر الكتب الالهية فلا دلالة
فيه على ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلاً فلا حاجة الى تعميمه للمنزل ضمنا بل لا وجه
له بعد التصريح بان المراد منه القران كله على انه لا يجدى نفعا فى دفع النقض بحقية
ما نزل الى سائر الانبياء عليهم السلام وفى درجه فى الذى انزل اليه عليه الصلوة
والسلام ضمنا باعتبار انه نطق بحسن اتباعه ما لا يخفى من التعسف وهو بعد
اللتيا والتى يؤدى الى ان يكون نزل قوله اليك خيرا من ذكره والجملة الثانية كالحجة
على الجملة الاولى وطريقتها طريقة الانمارية فى الكملة من بنى عبس هم كالحلقة
المفرغة لا يدرى اين طرفاها اى كما انها نفت التفاضل اخرا باثبات الكمال لكل واحد
دلالة على ان كمال كل لا يحيط به الوصف وهو اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك
لما اثبت لهذه السورة خصوص الكمال استدرك بان كل المنزل كذلك لا يختص به سورة
دون اخرى للدلالة المذكورة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اى لا يصدقون بانه منزل
من الله تعالى لاعراضهم عن النظر فيه او اضلالهم بحق التاويل فى وجوه اعجازه
الله الذى مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر والاول
اولى لان قوله وهو الذى مد الارض عطف عليه على سبيل التقابل بين العلويات

والسفليات

والسفليات وفى التقابل تعيين الخبرية فكذلك فيه ليتوافقا ولدلالته على ان كونه
كذلك هو المقصود بالحكم لا انه ذريعة الى تحقيق الخبر وتعظيمه كما هو مقتضى الوجه
الاخر رفع السموات اى خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها بغير عمد جمع
عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل والعمود السارية و
اصله منع الميل ومنه الاعتماد والاسطوانة نحو مرادف له ترونها استئناف للاستشهاد
برؤيتهم السموات كذلك وقيل هى صفة لعمد وفيه ايهام ان يكون لها عمد غير مرئية
ومقتضى المقام نفى العماد اصلا وذكره بصيغة الجمع للتعدد فى السماء وقرئ ترونه اى
ترون رفعها بغير عمد قيل وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر
الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجسمية الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك
لانه لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض
بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ولا يخفى ان مبنى تلك الدلالة على ثبوت
المساواة المذكورة ولا دليل عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوى على
العرش بالحفظ والتدبير ولفظة ثم مستعارة للتراخى فى الرتبة وسخر الشمس والقمر
اى ذللهما وجعلهما طائعين له غير مستعصين عليه وقهرهما على سنن واحد لمنافع عباده
ومصالح بلاده لما يوجد بهما من الاثار فى الحبوب والثمار كل يجرى لاجل مسمى اى كل منهما
يجرى لمدة معينة يتم فيها دورة فالقمر يقطع الفلك فى شهر والشمس فى سنة لا يختلف
جرى واحد منهما كما قال والشمس تجرى لمستقرها والقمر قدرناه منازل وقال الشمس
والقمر بحسبان اى بحساب معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبير لمنافع
العباد ومصالح البلاد بخلاف ما قيل يجرى لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير
ثم ان غايتهما المذكورة متحدة والتعبير بكل يجرى صريح فى التعدد وما للغاية الى دون
اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته فى الايجاد والتصرف نحو المراد يفصل
الايات اى ياتى بالايات الدالة على القدرة والتدبير فصلا فصلا للتمكن من تدبر
كل آية على حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون فان من تدبر هذه الايات وتفكر فيها
ايقن ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء فلابد

بيضاوى

من الرجوع اليه بمقتضى وعده والجملتان اما حالان من الضمير في قوله ثم استوى على
العرش وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى من تتمته لانه تقرير معنى الاستوا
وتبيين له واما مقررتان له وفي تعقيب الاوائل بهما للايقان والثواني بقوله ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون فضل السوابق لافادتها العين واللواحق ذرايع الى حصوله لان الفكر
الة والاشارة الى تقدم الثواني بالنسبة الينا مع التاخرية وكذلك فايت على تقدير
جعل الموصول وصفا لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال
وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان
ولما كان مظنة ان يقال لولا ما فيها من الجبال لكان الثبات فيها ايسر ومواضع التقلب
اكثر دفعه ببيان الفائدة في خلقها بقوله وجعل فيها رواسي من الرسو وهو ثبات الجسم
الثقيل وقراره ومنه ارسى السفينة وامرسى كانت الارض مضطربة فثقلها الله تعالى
بالجبال في احيازها فزال اضطرابها كذا قيل ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت
الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحايط وحوايط وكاهل وكواهل والتحقيق
ان فاعل يجمع على فواعل اذا كان لغير الادميين على ما نص عليه الجوهري حيث قال
ان فواعل جمع فاعلة نحو ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة المؤنث
مثل حايض وحوايض اما اذا كان لغير الادميين مثل جمل بازل وجمل بوازل وحايط
وحوايط فاما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك ونواكس وبهذا التفصيل
بيان فساد ما قيل رواسي جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة
وانهارا الانهار المجاري الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي ضمها الى الجبال
وتعليق الفعل الواحد بهما ايماء الى ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا اكثر قران ذكرها
لذكرها في القران ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اثنين فالزوج
قد يكون اسما للشفع وقد يكون اسما للفرد المقارب لشيء فاتبعه اثنين ليعلم انه
لم يرد به الشفع اي جعل من انواع الثمرات فيها صنفين متقابلين كالابيض والاسود
والحلو والحامض والكبير والصغير واما ما قيل خلق فيها من جميع انواع الثمرات
زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ففيه انه دعوى بلا
دليل مع ان الظاهر خلافه فان النوع الناطق المحتاج الى الزوجين خلق ذكره اولا

فكيف

فكيف في الثمرات ويكون واحد من كل اولا كان في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة
حتى يلزم ان يوجد في الارض صنفين من انواع الثمرات التي في حيز الامكان يغشي
الليل النهار استعارة تبعية فانه شبه اطفاء نور الجو وستره بالظلمة بالتغشية اي
يغطي الليل النهار فيذهب ضوءه ويغشي النهار الليل فيذهب ظلمته فهو مختصر في
الذكر مراد في المعنى بدلالة نظايره ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها
وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود قادر مختار وفي الارض عدل عن الضمير
الى الظاهر لان المتبادر منه الظرفية كما في قوله جعل فيها والمراد ان يكون في انفسها
كون الجزء في الكل قطع وفي بعض المصاحف قطعا عطفا على وجعل وح يكون الاحتياج
الى وجه العدول اظهر متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة
الى سبخة وكريمة الى زهيدة ورخوة الى صلبة بعضها يصلح للزرع والضرع
دون الشجر والثمار وبعضها بالعكس وذلك من الدلائل الناطقة بانه القادر على
ما يشاء من تخصيص كل واحدة بخاصية تضاد ما للاخرى مع اتحادها في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يحدث من الاسباب السماوية من حيث
انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وكذا الكروم والزروع والنخيل
النابتة في قطعة واحدة من تلك القطاع مختلفة الاجناس والانواع متفاوتة
الثمرات في الوانها واشكالها وطعومها وروايحها متفاضلة فيها وهي تسقى بماء
واحد في ارض واحدة وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله والفصل به من نوعي
جنس واحد وهو من جنس اخر لما فيه من الفضل حيث كان به قوام المعاش
وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات وقرئ جنات بالنصب عطفا على
زوجين وبالجر عطفا على كل الثمرات صنوان جمع صنو وهي نخلة ذات ساقين
تفرعا من اصل واحد وغير صنوان وغير متفرقات مختلفة الاصول وقرئ
بالضم كقنوان جمع قنو تسقى بماء واحد وقرئ يسقى بالياء على تاويل ما ذكر
اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقرئ بضم
الكاف وسكونها وقرئ يفضل بالنون والياء على البنائين جميعا والبناء للفاعل

يطابق ليدبروا انما خص التفضل في الاكل بالذكر مع وجود التفاضل في غيره لانه غالب
وجوه الانتفاعات من الثمرات ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في التفكر وفيه اشعار بان العاقل اذا لم يستعمل عقله المخلوق له فكانه لا يعقل وان تعجب يا محمد
او ايها السامع الموحد من قولهم في انكارهم البعث فعجب حقيق بان يتعجب منه قولهم
وتقديم الخبر للتخصيص اي ما قولهم الا عجب لا العجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد
من الفطر العجيبة كان على الاعادة اقدر اذ الاعادة اهون من الابداء وايسر فانكارهم
اعجوبة من اعجب الاعاجيب اءذا كنا ترابا في محل الرفع بدلا من قولهم او في محل النصب بالقول
واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد اي انحيي بعد ذلك بعد ما كنا ترابا
او هذا ابلغ في الانكار اولئك المنكرون الذين كفروا بربهم هم المتمادون في الكفر بربهم
لانهم بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم اي المصرون الذين لا يمكنهم النظر
والاستبصار ورفع الرؤس الى ما دعوا اليه وغل الاعناق تمثيل كقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا او يجوز ان يكون وعيدا كما بعده واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وتكرير اولئك تعظيم لانكارهم
وتاكيد في تقبيحه وبيان لاستيجابهم العذاب الابدي اي انهم اذا انكروا ما ثبت بهذه الدلا
الدالة على قدرة المبدي على الاعادة ودلالتها على الابداء اقوى فما اقبح انكارهم واشد
اصرارهم وما احقهم بالخلود في النار هم فيها خالدون لا ينفكون وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار فان عبادته وان كانت مخصوصة بصنف منهم وهم المنكرون للبعث
لكن دلالته تعم سائر الاوصاف ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل
العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددهم به من عذاب الدنيا استهزاء وانكارا وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحترزوا
حلول مثلها بهم والمثلة بوزن السمرة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه وقرئ
المثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وهي العقوبة المستاصلة كقطع الانف
والاذن ونحوها وان ربك لذو مغفرة للناس اللام للعهد والمعهود هم المستعجلون المذكورون
والمراد من المغفرة الستر والامهال على ظلمهم في محل النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
اي ظالمين انفسهم اي ظالمين فان على ابلغ من مع وان ربك لشديد العقاب للظالمين
فلا يهمل وان كان يمهل فلا دلالة في الاية على جواز العفو قبل التوبة لان مبناها على حمل

يتضمن الانكار الاستدلال على ما ذكره لانه ح كفروا
لابد منه الاستبعاد
بالخلق الجديد ثم
الاستبعاد لمن الالات متعلم

المغفرة

المغفرة على التوبة وهو غير مسلم عند المخالف ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه لعنادهم وعدم اعتدادهم بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومكابرتهم مقترحين مثل ايات موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر
مرسل للانذار والتخويف من سوء العاقبة كغيرك من الرسل لا للاتيان بما اقترحوا عليك
وما عليك الا الاتيان ما يصح به نبوتك من الايات والايات كلها سواء في ذلك ولكل قوم
هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق بوجه من الهداية
التي تخصهم او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى اي ما عليك الا الانذار فلا يهمنك عنادهم
وانكارهم للايات المنزلة عليك فليس اليك هدايتهم ولست بقادر عليها انما القادر
على ذلك هو الله تعالى لكنه يهدي الا من يشاء من عباده بما يشاء من اياته ثم عقبه
بما دل على كمال علمه وقدرته وتقديره للاشياء على مقتضى حكمته تنبيها على انه عالم باحوال
الانبياء عليهم السلام والامم قادر على انزال مقترحاتهم ولكن الامر مقدر عنده على ما
يجب ان يكون عليه من حكمته من تخصيص كل شيء بما خص به من الايات واما ما قيل
او عالم بهم قادر على هدايتهم لكنه لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فرجعه الى تصحيح
مبنى مذهب الجبرية الله يعلم ما تحمل كل انثى اما استيناف لبيان سبب الامتناع من
انزال ما اقترحوا واما جملتان الاولى تفسير لهاد اي هو الله والثانية ابتداء كلام لبيان
كون الكل بعلمه [illegible] وتقديره ويجوز ان يكون جملة قوله الله يعلم مقررة ويكون
من باب اقامة الظاهر مقام المضمر كانه قيل هو يعلم اي ذلك الهادي ما تحمله كل
انثى او حملها على انه اي حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة والمتوقعة وما
تغيض الارحام وما تزداد ما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وقيل
المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد وقال تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلا لازمين تعين ان تكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام
على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر واحد من جهة الكم والكيف
والزمان لا يجاوزه ولا ينقص عنه والمراد من العندية الحضور العلمي اي هو عالم بكمية
كل شيء وكيفيته ووقت حدوثه فيهيئ لها اسبابا مسوقة اليه يقتضي ذلك وهذه
الجملة مقررة لما تقدم وليس في الاتصال كالتي بعدها ولذلك وصل هذه بالواو وفصل

هي عما قبلها عالم الغيب الغايب عن الحس والشهادة الحاضرة له الكبير العظيم في شانه
وسلطانه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته فلا يخرج شي عن حكمه كما لا يعزب عن علمه
سواء منكم من اسر القول اي اخفاه عن نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو اي وسواء
هو مستخف بالليل طالب للخفاء بالليل في مختبا من الليل وسارب بارز بالنهار يراه كل
راء من سرب سروبا اذا برز عطف على من او على مستخف ومن في معنى الاثنين كما في قول
الفرزدق نكن مثل من يا ذيب يصطحبان • كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل
وسارب بالنهار والنكتة في زيادة هو في الاول انه الدال على كمال العلم فناسب زيادة تحقيق
وهو النكتة ايضا في تقديم اسروا عماله في صريح القول على جهروا عماله في ضميره وفي حذف
الموصوف من سارب على الوجه الاول له لمن اسر او جهر واستخفي وسرب معقبات
ملائكة تعتقبه في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه لان
بعضهم يعقب بعضا على الدوام او لانهم يعقبون ما يفعل ويتكلم به فيكتبونه والتاء
للمبالغة ولانها جماعة ومن وهم ان اصله متعقبات ادغمت التاء في القاف كقوله
وجاء المعذرون اي المعتذرون فقد وهم لما نص عليه التصريفيون من ان التاء لا تدغم
في القاف والقاف في التاء لا من كلمتين ولا من كلمة ثم ان المعذرون لا يتعين ان يكون
اصله المعتذرون وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف
احدى القافين في التكثير من بين يديه ومن خلفه من جوانبه يحفظونه من امر الله
اي من الافات التي لا يمكن دفعها باسباب عادية والانسان ليس في وسعه التحرز
عنها فالله تعالى بلطفه في عين له حفظة يحفظونه من هذا النوع من الافات قال
النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة
العسل الذباب ولو وكل المومن العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وانما خص هذا النوع من الافات بالاضافة الى امر الله وان كان كلها بامره تعالى لعدم
ظهور اسبابها العادية هذا ما عندي والذي ذكره القوم انه صفة لمعقبات ليحفظونه
اي له معقبات ثابتة من امر الله يحفظونه او متعلق بيحفظونه اي يحفظونه من اجل
امر الله تعالى يعني من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه ولا يدل عليه قراءة بامر الله لجواز
تعلقه بالسابق اي معقبات بامر الله اي يحفظونه من باس الله اذا اذنب بالاستمهال

اولا ستمهال عسى ان يتوب وقيل المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه من قضاء او على التهكم به ان الله لا يغير ما بقوم من العافية و
النعمة الى البلاء والنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الصلاح والطاعة الى الفساد
والمعصية واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه
الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء او يدفعه بالعنف
او باللطف اي لا رافع ولا دافع ولا شافع ولا نافع اصلا واما الدلالة على ان خلاف
مراد الله تعالى محال فالاية ساكتة عنها هو الذي يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا
في نفعه اذا لمع البرق يخاف الصواعق ويطمع في الغيث كما قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق
او يخاف عنه المطر من له فيه ضرر فان الغيث لا يخ عن العبث ويطمع فيه من له نفع
فيه وانتصابهما على الحالية من المخاطبين اي يريكم خائفين طامعين او من البرق كانه في
نفسه من شدة ما يخاف ويطمع فيه عين الخوف والطمع او ذا خوف وذا طمع او
مفعول لهما على ان المخاطبين رائين لان اراءتهم مستلزم لرؤيتهم والخوف والطمع من
افعالهم من حيث انهم فاعلوا الفعل المعلل الذي هو الروية فيرجع المعنى الى معنى قعدت
عن الحرب جبنا فيكون مفعولا لهما او على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع
بمعنى اخافة واطماعا وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال جمع ثقيلة
وانما وصفت به لان اسم الجنس في معنى الجمع ويسبح الرعد عن ابن عباس رضي
الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب بحمده ملتبسا به ويجوز ان يكون اسناد
التسبيح والحمد الى الرعد مجازيا من باب الاسناد الى سبب فاعلية الفاعل اي يسبح
سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين لله يضجون سبحان الله والحمد لله
ولما كان الرعد باعثا لتسبيحهم وتحميدهم فكانه سبح وحمد وهذا الوجه اولى
لان الرعد في المتعارف يقع على الصوت المخصوص وهو الذي يقرن بالذكر مع البرق
والسحاب والكلام في ارادة الايات الدالة على القدرة الباهرة في ايجادها وتسبيح ملك
الرعد لا يلايم ذلك انما حمل الصوت المخصوص للسامعين على التسبيح والحمد فتشديد

الملايكة واذا حمل على الاسنا د حقيقة فالوجه ان يكون اعتراضا دلالة على اعتراف
الملك الموكل بالسحاب وسائر الملائكة بكمال قدرته تعالى وجحود الانسان ذلك
والملائكة اى ويسبح الملائكة من خيفته اى من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير
للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء اصابته فيهلكه وهم يجادلون فى الله
اى والذين كفروا وكذبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلونه فيما وصفه به من كمال
العلم والقدرة والتفرد بالالوهية والاعادة والجزاء بعد مشاهدتهم الايات المذكورة
بقولهم من يحيى العظام وهى رميم واتخاذهم الانداد ونسبتهم الولد اليه قالوا والعطف
الجملة على الجملة والمعطوف عليه قوله ويقول الذين كفروا المعطوف على ويستعجلونك
والعدول من الفعلية الى الاسمية وطرح رعاية التناسب للدلالة على انهم ما ازدادوا
بعد الايات الا عنادا فزادتهم رجسا الى رجسهم ويجوز ان يعطف على قوله هو الذى
يريكم على معنى هو الذى يريكم هذه الايات الكوامل الدالة على القدرة والرحمة وانتم تجادلون
فيه وهذا اقرب ماخذ والاول املا بالفائدة وقيل للحال اى فيصيب بها من يشاء
فى حال جدالهم وهو التشديد والخصومة من الجدل وهو الفتل وجه هذا هو ان
اربد اخا لبيد العامرى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل قاصدين
لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد الصاعقة
فقتله ورمى عامر بغدة فمات فى بيت سلولية فهو يقول غدة كغدة البعير وموت فى
بيت سلولية فنزلت اعلم ان فى الكلام التفاتا لان قوله سواء منكم هو الذى يريكم فيه التفات
من الغيبة الى الخطاب وان شئت فتامل قوله اولئك الذين كفروا بربهم الى قوله الكبير
المتعال ثم التفت من الخطاب الى الغيبة وحسن موقعهما اما الاول فلما فيه من تخصيص
الوعيد المدمج فى سواء منكم ولهذا ذيله بقوله ان الله لا يغير الى قوله من وال وفيه من
التهديد ما لا يخفى على ذوى بصيرة ومن الحث على طلب النجاة وزيادة التقريع فى قوله هو
الذى يريكم ومجئ سواء منكم هو الذى يريكم بعد قوله الله يعلم هكذا من دون حرف
النسق لان الاول مقرر لقوله الله يعلم مع زيادة الادماج المذكور تحقيقا للعلم والثانى
مقرر لما ضمن من الدلالة على القدرة فى قوله وكل شئ عنده بمقدار مع رعاية نمط التعديد

على اسلوب الرحمن علم القران مما يبهر الالباب ويظهر للمتامل فى وجه الاعجاز التنزيل
العجيب العجاب واما الثانى فلما فيه من الدلالة على انهم مع وضوح الايات وتلاوتها
عليهم والتنبيه البالغ ترغيبا وترهيبا لم يبالوا بها نازلة فكانه يشكو الى من يستحق
الخطاب او كن بدموم فى نعتها اى اصنع بهم وافعل كيت جزاء ما ارتكبوه بسوى ما
يريد ان يوقعه بهم وهو شديد المحال قوى المكر باعدائه ياتيهم بالهلاك من حيث
لا يحتسبون المحال المماحلة وهى شدة المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة
ومنه تمحل لكذا اذا تكلف له استعمال الحيلة واجتهد فيه وقرئ بفتح الميم على انه
مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اى اشد حيلة منه
وجاز ان يكون شديد المحال على هذه القراءة مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله
اشد وموساه احد لان المحال جمع المحالة وهى الفقارة فيكون معناه شديد
الفقار والحيوان اذا اشتد فقاره كان منعوتا بشدة القوة له دعوة الحق الدعاء
الحق فانه الذى يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة
فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على وجهين ما يقابل الباطل واضافة
الدعوة اليه للملابسة بينهما او على ما وبل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل
دعا اليه دعوة الحق والجملتان على الوجه الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم الرسول صلى الله
عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عليه الصلوة والسلام عليهم
او بيان ان دعوته عليه الصلوة والسلام الى التوحيد حق وعلى قصة اربد نزول الاية
فيها فمعناها ان اصابته بالصاعقة واصابة صاحبه بالغدة محال من الله تعالى ومكر
بهما من حيث لا يشعر وان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اكفنيهما بما
شئت دعوة الحق وان دعوتهم الهتهم ضلال باطل لتخصيص دعوة الحق به والذين
يدعون من دونه اى والالهة الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يستجيبون لهم
بشئ من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه اى كاستجابة من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه وما هو ببالغه
لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا بعطشه ولا يقدر على اجابته فكذلك الهتهم لانها
جمادات كالماء وقيل شبهوا فى عدم جدوى دعائهم لالهتهم بمن بسط كفيه

نا شراً اصابعه الى الماء ليغرفه الى فيه فلم يمسك كفاه شيئا منه ولم يبلغ حاجته
من شربه لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه فهو على الاول من تشبيه المركب
بالمركب التمثيلي في الاصل ابرز في معرض التهكم حيث اثبت انها استجابة زيادة في التحيير
والتحسير وعلى الثاني من تشبيه المعقول بالمحسوس بمثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه شيء
هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به
هو الراقم مقيدا بكونه على الماء وكذلك فيما نحن فيه وما دعاء الكافرين الا في ضلال
الا في ضياع لا فائدة له اما ضياع دعائهم لالهتهم فظاهر واما ضياع دعائهم لله تعالى
فلانه لا يجيبهم لكفرهم وبعدهم عن حيز الاجابة ولله يسجد من في السموات والارض
الظاهر ان السجود على حقيقته ولهذا خص بالذكر من المخصوصة بالعقلاء ويشهد له
قوله طوعا وكرها الساجدون له طوعا هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين والساجد
كرها من ضمه السيف الى الاسلام وانتصابهما على الحال وظلالهم اي ويسجد ظلالهم
والسجود هنا بمعنى الانقياد لامره تعالى ولهذا اخره عن قوله طوعا وكرها وانقيادها
لتصريفه تعالى من جانب آخر على ما افصح عنه في قوله تعالى او لم يروا الى ما خلق الله من
شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قال الفراء الظل مصدر يعني في
الاصل ثم اطلق على الخيال الذي يظهر للجرم عند مسامته للشمس بالغدو والاصال
ظرف ليسجد المقدر او حال من الظلال وقد مر تفسيرهما في سورة الاعراف والمراد بهما
تمام النهار قل من رب السموات والارض اي خالقهما ومتولي امرهما قل الله حكاية
لاعترافهم وتأكيد عليهم اي لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله فهم والخصم في الجواب
سواء لكونه من البين الذي لا امتراء فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون لله فهو قول المناظر لصاحبه اهكذا قولك فاذا اعترف به
حكاه تقريرا له واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك كذا وكذا فيبكته بالحجة او
تلقين اي تلعثموا في الجواب بعلمهم بما يلزمهم من الحجة بناء على اقرارهم فلقنهم فانهم
يتلعثمونه ولا يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم من دون الله اولياء الزام وتقريع
وتوبيخ اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم
ما هو سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الشرك فالفاء عاطفة للتسبيب و

التفريع

وعندي ان السجود على المعنى
العام المتناول لكل شيء لئلا
يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز
في يسجد ومن التغليب العقلاء
منه

التفريع ودخلت الهمزة عليه لان المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا اي لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا
فكيف يستطيعون انفاع الغير وادفاع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى و
البصير تمثيل للمشرك الجاهل الذي لا يهتدي والموحد العالم المهتدي الهادي ام
هل تستوي الظلمات والنور تمثيل للشرك والضلالة والتوحيد والهداية ام
جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله تعالى خلقوا كخلقه صفة
لشركاء داخلة في حكم الانكار ومعنى الاضراب ان تعكيسهم ذلك لما لم يكن عن
شبهة فضلا عن حجة كان حكاية ذلك ادخل في ذمهم وفيه طرف من التهكم فه
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم اي انهم ما اتخذوا لله تعالى شركاء خالقين
مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا
العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق فضلا عما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق ينبه على بكاء الشبه
نافيا ناعيا عليهم ومتهكما بهم وليس من ارخاء العنان والتدريج في شيء قل الله
خالق كل شيء ولا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية
والربوبية القهار لكل شيء فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان يكون له شريك
انزل من السماء من جهتها ماء التنكير للتكثير وباعتباره صح التفريع في قوله فسالت
اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء
الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع فتسيل في بعض الاودية
دون بعض وكذا في الممثل له ليس كل قلب قابلا بعض منها دون بعض بقدرها بمقدارها
الذي علم الله تعالى انه نافع غيرها ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل
زبدا احتمل بمعنى حمل فجاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر وعرف السيل لانه
عني به ما فهم من الفعل والزبد كدر الجوهر السيال وخبثه المتميز منه بالحركة
والخضخضة والغليان رابيا منتفخا مرتفعا على وجه الماء ومما توقدون عليه

في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز على وجه التهاون به
حيث لم يذكر الانواع باسمائها بل اجمل بذكر وصفها في اخس الاحوال واهانها بالايقاد
كما هو عادة الملوك اظهارا لكبريائه زبد مرفوع بالابتداء وخبره مما توقدون وقرئ توقدون
بالياء اي الناس واصاره للعلم به ومن لابتداء الغاية او للتبعيض اي منه زبد او
بعضه زبد وانتصب ابتغاء على انه مفعول له والحلية ما يحلى للنساء مما يتزين به
من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما اشبههما من الآلات
التي هي قوام العيش كالاواني والمساحي والات الحرث والحرب وغير ذلك والمقصود
منه بيان منافعها مثله مثل زبد الماء والمائلة في كونهما يتوالدان من الاكدار والاوساخ
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فذلكة وتبيين
وكذلك يضرب الله الامثال تاكيد له وتتميم فاما الزبد من السيل والفلز المذاب
فيذهب جفاء يجفوا اي مرميا به يقال جفات القدر بزبدها وجفاء السيل رمى
به واجفا السيل واجفل وقرئ اجفالا والمعنى واحد وانتصابه على الحال واما ما
ينفع الناس من الماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض مدة ينتفع بها اهلها
كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات قد مر ما في تكثير الامثال في كتب
الالهية وكلمات الحكماء من الفوائد ولما ضرب الظلمات والاعمى مثلا للباطل واهله
والنور والبصير مثلا للحق واهله اكد التمثيل الاخير وهو قوله ام هل تستوي الظلمات
والنور بهذا المثل لان الغرض اثبات الحق وابطال الباطل فمثل الحق من العلم النازل الى
الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء الذي ينزل من السماء والقلوب الصافية والمفهوم
الصائبة بالاودية وقبولها له بقدر استعدادها بسيلانها بقدر سعتها والباطل من
الجهالات والشكوك والشبه التي سفيها العلم بالزبد الذي يرمى به السيل وكذا
يشبه الحق من العمل الصالح الصحيح بالفلز الذي ينتفع به الناس باتخاذ الحلي والاواني
والامتعة منه والعمل الفاسد والباطل في اضمحلاله وسرعة زواله بزبده وانتفاء
الشكوك والشبه والاعمال الفاسدة وكونها هباء في الاخرة وبقاء الحق من العلم والعمل
وحصول سعادة الدارين بهما والثواب الابدي والنعيم السرمدي باستقاء الروحين
في اضمحلالها سريعا وبقاء ما ينفع الناس من الماء بالسقي والحرث والزرع وسرايته

في

في عرق الارض الى منابعه وتنوع العيون والغني منه ومن الفلز بصوغ الحلي واتخاذ
الامتعة وآلات الحرث والحرب منه للذين استجابوا لربهم الحسنى كلام مستانف بعد
ضرب الامثال وتمام الكلام فيه والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا اي للذين استجابوا
المثوبة الحسنى والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو ان لهم ما في حيزه اي الجملة الشرطية
والواو عاطفة الجملة على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والحسنى صفة لمصدر
استجابوا اي الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا عطف على الذين استجابوا وقوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الامثال للمومنين والكافرين اي بهما مثلا الفريقين يعني على
سبيلها ودينها اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب المذنب
بذنبه كله لا يغفر له منه شيء وما واهم جهنم مرجعهم بعد الحساب وبئس المهاد والمه
المستقر والمخصوص بالذم محذوف وفي المهاد تهكم بهم على ما تقدم بيانه في تفسير سورة
الاعراف افمن يعلم انما انزل من ربك الحق فيستجيب به كمن هو اعمى عمي القلب لا
يستبصر فيستجيب لما ذكر تعالى مثل المومن والكافر وذكر ما للمومن والكافر من الثواب
والعقاب ذكر استبعاد من جعلهما سواء وانكر ذلك متفرعا على ما تقدم فالفاء
للعطف على وجه التفريع وانما قدمت همزة الاستفهام وهي موخرة معنى لان له صدر
الكلام انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول المبراة من شائبة الالف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله مبتدا خبره اولئك لهم عقبى الدار او صفة لاولي الالباب وحينئذ
يكون اولئك لهم استئنافا بالصفات من استونف عنهم اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات
دلالة على ان استحقاقهم بعقبى الدار انما كان بسبب تلك الصفات والاول اوجه لان عطف
الجملة الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة يشهد بذلك
وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله
تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى
وما بينهم وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات وموالاة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواصلة المومنين
كلهم بالاخوة الايمانية ومراعاة حقوقهم بالاحسان والشفقة والنصيحة ونحو

ويخشون ربهم فلا يعصونه هيبة وحياء ورهبة ولا يخالفونه في شئ عموما و
يخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على
مخالفة النفس والهوى وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه ربهم طلبا لمرضاته خاصة لا نظرا الى
الخلق رياء وسمعة او الى النفس زينة وعجبا جاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين
قبله وما عطف عليهما بلفظ المضارع لانه قصد بها الاستمرار والالتباس دائما و
هذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لان حصولها
مترتب على حصول الصبر وتقدمه عليها ولكونه مما لا بد منه في حصول التكاليف لم
يات صلة في القران الا بصيغة الماضي واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن تعهد المبرة ان ياخذه وعلانية لمن
لا تعهد قيل ومما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض
لانها بالجهر افضل نفيا للتهمة واياه التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور
في الخبر ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعونها بها اي يجازون الاساءة بالاحسان
او يتبعون السيئة بالحسنة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي
ان يكون مآل اهلها وما يصلح ان يكون عاقبة وهي الجنة جنات عدن بدل من عقبى
الدار والعدن في الاصل الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان السبع على ما مر تفصيله في
تفسير سورة البقرة يدخلونها ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها من غير
تاكيد للفصل بالضمير المنصوب او مفعول معه من ابائهم جمع ابوين كل واحد منهم يعني
اباهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم ثم جمعوا فيها من قرابتهم ليتم لهم النعمة بزيادة
الانس والجمعية بهم وقيدوا بالصلاح دلالة على ان مجرد النسب والقرابة لا يكفي في
الجمع بينهم بل لا بد من شرط الصلاح لا دلالة فيه انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم ويستدل به على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
خصوصا اذا كان ومن صلح مفعولا معه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف سلام عليكم في محل الحال اي قائلين سلام عليكم بشارة
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بمحذوف والباء للسببية او البدلية او هذا الثواب
بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من الصبر ومتاعبه هذه الملاذ الملائمة والنعم

ويجوز

ويجوز ان يتعلق بالظرف اي سلام عليكم بسبب صبركم ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان
الخبر فاصل فنعم عقبى الدار المخصوص بالمدح محذوف اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فبنقل كسرة العين اليها ومن فتحها فبسكون العين
تخفيفا بلا نقل والذين ينقضون عهد الله يعني مقابل الاولين من بعد ميثاقه من
بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار
عذاب النار وسوء عاقبة الدنيا لانها في مقابلة عقبى الدار وانما لم يقل سوء عاقبة الدار
تفاديا ان يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة هي الجنة الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر لما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم ابواب نعم الدنيا ولذا تها اخبر تعالى
انه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه والكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق
فقد يقدر على المؤمن ليعظم اجره ويبسطه للكافر املاء لا زديادا اثمه وفرحوا اي
اهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله
تعالى عليهم واغتروا ولم يشكروا ما انعم الله تعالى عليهم ولم يصرفوه فيما يستوجبون
به نعيم الاخرة وما الحياة الدنيا في الاخرة في جنب ما اعد لاهلها فيها الا متاع الا
شئ نزر حقير يتمتع به ولا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا
مقتضى الظاهر اظهار فاعل فرحوا اذ لم يجر لكفار مكة ذكر واضمار فاعل يقول يجري
ذكره حينئذ فاخرج على خلاف الظاهر لارادة التمكين في ذهن السامع بالابهام و
التوضيح او للظهور والتعين في الاول والذم والتسجيل بالكفر في الثاني لولا انزل
عليه اية من ربه عنادا وجحودا للايات المنزلة عليه عليه الصلوة والسلام لعدم اعتدادهم
بها واعتبارهم لها ولهذا اعرف الجواب بقوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه
من اناب اقبل الحق ورجع عن العناد وحقيقته دخل في نوبة الخير وهو كلام جار مجرى
التعجب من قولهم كانه قيل قل لهم ما اعظم عنادكم حيث لم تعتدوا بهذه الايات الباهرة
التي لم توت نبي مثلها كفى بالقران وحده اية ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
من الجحود والتصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدائه وان اتى بكل اية ويهدي من يشاء
من كان على خلاف صفتكم من التصميم وفي تنزيله اليه من اناب منزلة من يشاء تنبيه

على ان مشيئة الهداية مخصوصة بغير المعاند الذين امنوا بدل من من وتطمئن قلوبهم
بذكر الله انسًا به او بالقران او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه جلة اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن قلوبهم
به ولا اطمئنان للقلب بغيره الذين امنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب
على تقدير المضاف اى قلوب الذين امنوا او مبتداء خبره طوبى لهم وهو فُعلى
من الطيب كبشرى وزلفى قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر
وقرئ طيبى بكسر الطاء وهى من المصادر المنصوبة او المعدولة الى الرفع
اى طيبًا لهم وطيب لهم كقولك سلامًا لك وسلامٌ لك والقراءة فى قوله
وحسن ماب بالرفع والنصب تدل على محليهما واللام فى لهم للبيان مثلها
فى سقيا لك ويكون الجملة الدعائية خبرا على التاويل كذلك اى مثل ذلك
الارسال العظيم الشان الذى له فضل ومزية على سائر الارسالات او مثل ارسال
الرسل قبلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها قد تقدمها امم ارسلوا
اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو لتقرأ عليهم الذى اوحينا اليك من الكتاب
العظيم وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة الذى
وسعت رحمته كل شئ فكفروا بنعمه خصوصا ما انعم به عليهم بارسال مثلك
اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لسائر الكتب الذى هو مناط المنافع الدينية
والدنياوية وقيل نزلت فى مشركى مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه
عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم فيحكم بيننا قوله
ولو ان قرانا سيرت به الجبال دال على ان اسم الاشارة والموصول فيما تقدم
لتعظيم القران وتفخيم شانه او قطعت به الارض او كلم به الموتى جواب لو محذوف
اى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت او قطعت به الارض حتى
ينصدع قطعا قطعا من خشية الله تعالى او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا
القران لكونه على غاية فى التذكير والاعجاز ونهاية فى التخويف والانذار كقوله لو
انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقيل اراد به

المبالغة

المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض
وتكليم الموتى لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية قيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان تريد ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين
وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث من كنانة قصى بن كلاب وغيره
من اباتنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الجبال قطعها بالسير وقيل الجواب
مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال
الموتى على المذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا اضراب عما تضمنه لو من معنى النفى اى بل لله
القدرة على كل شئ فله القدرة على الاتيان بما اقترحوا من الايات الا انه لم يتعلق
ارادته بذلك لعلمه انهم لا يومنون ويزدادون العناد والجحود ويويده قوله افلم ييأس
الذين امنوا اى عن ايمانهم مع ما رأوا من مكابرتهم وانكارهم والاكثر على ان معنى افلم ييأس
افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين قرؤا افلم
يتبين وهو تفسير افلم ييأس فيكون بمعنى افلم يعلم وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب
عن العلم بان المايوس لا يكون وقيل هى لغة قوم من النخع ولذا علقه بقوله ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا لان معناه نفى هداية بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم
وتعلقه على الاول بامنوا اى لو لم يقنط من ايمان هولاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا او بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل اى القارعة قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتى وعد
الله اى الموت او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من
دارهم بجيشك كما بالحديبية حتى ياتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده
ذلك ان الله لا يخلف الميعاد لا لعدم القدرة عليه لان ما تعلق به الوعد كان ممكنا
وبتعلقه لم ينقلب ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته تعالى

بل لان الخلف لا يليق بشانه تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه فامليت للذين كفروا
الاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى
كان عقابى اياهم استفهام معناه التعجب مما حل بهم والتقرير وفى ضمنه وعيد لمن
فى عصره صلى الله عليه وسلم من الكفار افمن هو قائم على كل نفس افالله الذى هو
قائم رقيب على كل نفس بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شئ من اعمالهم ولا يفوت
عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن هو ليس كذلك دخلت الهمزة
على الفاء لانكار ان يسوى من هو مطلع على سرهم وعلنهم قادر على مجازاتهم بمن هو
على خلافه بعد علمهم بما حل بالمنكرين من الاخذ المفاجاة والبطش الشديد وجعلوا
لله شركاء استيناف او عطف على مقدر اى لم يوحدوه وجعلوا وفيه اظهار فى موضع
الاضمار للتهويل والتوبيخ والتفضيح فى معرض الاحتجاج والتوكيد ويؤيدهما بعده
اسلوب بديع ضمن فيه الترقى فى الانكار اولا يعنى لا عجب من انكارهم لا يات الباهرة
مع ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزالها المجازى لهم على اعراضهم عن تدبر
معانيها وامثالها بقوارع تترى واحدة عقب اخرى فيئا هدونها اى عين يتراءى بهم الى
دار البوار واهوالها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن اتخذه ربا يرجو منه جلبا
اودفعا مدمج فيه التسلى ثانيا وفى العدول عن صريح الاسم الى قوله افمن هو قائم تخييا
بواسطة الابهام المضمن فى ايراده موصولا مع تحقق ان القيام كاين وهم محققون ما
يدهش له الالباب وتضمن من بديع ايراده العجب العجاب وفى قوله وجعلوا لله بوضعه
مقام المضمر الراجع الى من دلالة على انه المتوحد ذاتا واسما جعلوا شركا ولا شريك كذلك
ولا يهلك على الله الا هالك وفى حذف الخبر تغطيا للفانى وتحقير المن رتبتك الحاله مالا يخفى
من الجزالة قل سموهم كان قوله افمن هو قائم كافيا فى هدم قاعدة الاشراك المتفرع
السابق والتحقيق بالوصف اللاحق وهو ابطال من طرف الحق فذيله بابطاله من
طرف النقيض على ابلغ وجه اى الزمهم بذلك كانهم ان سموهم قالوا حجرا وخشب
اونحاس ونحو ذلك فافتضحوا باشراكهم من لا يستحق العبادة الا هو وحده ام
تنبئونه بل اتنبئونه بما لا يعلم فى الارض بشركاء لا يعلمهم فى الارض يعنى بما ليس بشئ

للقائل
م

المالة

لان

لانه ما لا يعلمه عالم الغيب والشهادة لا وجود له كقوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا
يعلم فى السموات ولا فى الارض والهمزة المضمنة فيها تدل على التوبيخ وتقرير انهم يريدون
ان ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلم وهذا محال على محال ثم اضرب عن ذلك وقال قد
تبين الشمس لذى عينين وما تلك التسمية الا بظاهر من القول من غير ان يكون تحته
طائل وما هو الا مجرد صوت فارغ ام بظاهر من القول اى بل اتسمونهم شركا مجرد
ظاهر القول واطلاق لفظة الشركاء او الالهة من غير ان تكون لذلك معنى وحقيقة
من الالوهية والمشاركة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج
واساليبه العجيبة التى ورد عليها منادى على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام
البشر لمن عرف وانصف من نفسه ومن زاد على هذا قوله فتبارك الله احسن الخالقين
فقد اتى بكلمة حق اريد بها باطل تدين بها من هو على حلية الانصاف عاطل بل
زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتزلوا بالباطل ثم قالوا وا واختدا عهم للضعفة فصدوا
عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ
وصد بالتنوين عطفا على مكرهم ومن يضلل الله بالخذلان فما له من هاد فما له من احد
يقدر على هدايته بوجه من الوجوه لهم عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر
ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الاخرة اشق لدوامه وشدة ايلامه وما لهم
من الله من عذاب الله تعالى فى الدارين قبل الحق من رحمته ولا يساعده المساق
ولعله انعقد عبارة واق من واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم من الاول
صلة قدمت عليه والثانية مزيدة للتاكيد ولما ذكر ما اعد للكفار فى دار القرار
ذكر ما اعد للمؤمنين فيها فقال مثل الجنة التى وعد المتقون صفتها التى فى
غرابة المثل تقول مثلت الشئ اذا وصفته وقربته للفهم وارتفع مثل على الابتدا
فى مذهب سيبويه والخبر محذوف اى قصصنا عليهم مثل الجنة وتجرى من تحتها
الانهار تفسير لذلك المثل اى فى غاية النزهة وذلك ان العرب كانوا فى عوز
من الماء فكانوا يعدون هذا اعظم نزهة او حال من العائد المحذوف من الصلة
وقيل هو خبره على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل
الجنة جنة تجرى فعلى هذا لفظ المثل على حقيقته قصد به تمثيل الغائب

منها الوكيد بعهم للاسلام شبكهم فكانه لم يفرق بين الحرب والصيد وقد حينا الفرق بينهما فى تفسير سورة الاعراف

نكته

ثالثة

لما فى الشاهد ثم استعير من القول السائر للصفة الغريبة اكلها دايم لا ينقطع
والاكل ما يوكل فيها وظلها اى وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس
تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا عن الكفر مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى
الكافرين النار لا غير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكفار والذين
اتيناهم الكتاب اى من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه ومن النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون
بما انزل اليك اذ جاءتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل موافقا كتبهم ومن الاحزاب لما فى
اى كفارهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن
الاشرف واصحابه والعاقب والسيد اسقفى نجران واشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرايعهم وما حرفوه منها دون الاقاصيص وما يوافق قل انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا جواب للمنكرين اى قل لهم انما امرت فيما
انزل الى بان اعبد الله ولا اشرك به وهو العمدة فى الاسلام ولا سبيل لكم
الى انكاره لانكم قايلون بوجوب عبادته وتوحيده واما ما يخالف بعض
شرايعكم من جزئيات الاحكام فليس اختلاف ذلك ببدع فى الكتب الالهية وقرئ
ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب مرجعى
للجزاء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم لان هذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء
كلهم فاما ما عدا ذلك من التفاريع مما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى
لانكاركم المخالفة فيه وكذلك اى مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات
المجمع عليها انزلناه اصل الكلام انزلناه هذا الانزال الذى بينا صدرنه
مشتملا على التوحيد والدعوة اليه فاوثر ذلك تفخيما وجئ بالمثل زيادة له
ولامر ما كثر فى كتابه الكريم من ايراد هذا الاسلوب حكما يحكم فى القضايا و
الوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه و
حفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها من الامور
الموافقة لدينهم وخصوصا الصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك
من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى ولا واق ينصرك ويمنع العقاب

عنك

عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمومنين على الثبات فى الدين واللام فى لئن
موطئة للقسم وما لك جواب ساد مسد جواب الشرط ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك بشرا امثالك والتنكير للتكثير وجعلنا لهم فيه تغليب للاكثر على الاقل وثمه فيهم
من لا زوج له ولا ذرية كعيسى عليه السلام ازواجا وذرية نساء واولادا كما هو لك
كانوا يعيبونه عليه الصلوة والسلام بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول
ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله
كذلك ذوى ازواج وذريات وما كان لرسول ما صح ولم يكن فى وسعه ان ياتى باية
بما اقترح عليه قوله ولا مما اقتضاه رأيه الا باذن الله فانه القادر على ذلك الحكيم
الذى لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل كتاب اى لكل وقت ومدة حكم يكتب على العباد
بحسب ما يقتضيه استصلاحهم فان الشرايع مصالح الاحوال وصلاح الاحوال والعادات
والاستعدادات تختلف فى الاوقات والازمان فتختلف الشرايع بحسب ذلك يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يكون الصلاح فى نسخه ويثبت بدله ما هو صالح او اصلح فى وقت
لعباده او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت بدلها الحسنات وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به الجزاء ويترك ما يتعلق به مثبتا وقيل يمحو قرنا
ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وعنده ام الكتاب اى اصل
كل كتاب وهو اللوح المحفوظ اذ لا كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض
الذى نعدهم او نتوفينك اى وكيف ما دارت الاحوال اريناك بعض ما وعدناهم
من العذاب النازل بهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ فما عليك الا التبليغ
الوعيد بالعقوبة لا تعجيلها وعلينا لا عليك الحساب حسابهم اى مراعاة اجلهم
المعلوم والايقاع بهم عند الوقت المحتوم ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن الاهتمام
بغير التبليغ والتضجر لتأخر النصر عقبه بالتسلية وطيب نفسه ونفس عنها
بذكر طلايع ما وعد بقوله اولم يروا انا نأتى الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها
بما تفتحه على المسلمين منها فننقص من دار الحرب ونزيد فى دار الاسلام والله يحكم
لا معقب لحكمه اعتراض لا محل لها او حال كانه قيل نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد
لا عمامة على راسه اى حاسرا والمعقب الذى يكر على الشئ ويبطله وحقيقته الذى

يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالتقاضي
والطلب والمعنى لا رادّ لحكمه ولا مبطل وقد حكم الاسلام بالظهور والاقبال وعلى
الكفر بالتراجع والادبار وذلك كائن لا يمكن لاحد تغييره وهذا من تباشيره
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة ويجازيهم باشد العذاب
بعد عذاب الدنيا بالقتل والاجلاء وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمومنين
منهم فلله المكر جميعا جملة تعليلية اقيم مقام المحذوف وهو المعطوف على ما ذكر
قبلها تقديره ولا عبرة بمكرهم فلله المكر جميعا وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم بالنسبة
الى مكره تعالى كلا مكر لانه القادر على ايقاع المراد من المكر بهم دونهم فلا مكر
الا مكره تعالى يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزائه تعليل لاضمحلال كل مكر عند
مكره تعالى لانه اذا علم كل ما كسبوا واعد لهم جزاؤه فياتيهم به بغتة من حيث لا
يعلمون كان المكر كل المكر له تعالى وسيعلم الكافر وحج يعلمهم لمن عقبى الدار لمن حسن العاقبة
من الفريقين والسين لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه واللام في لمن
على ان المراد بالعقبى المضاف الى الدار العاقبة المحمودة وقرئ سيعلم الكفار اي اهله
وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء
اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم حيث اظهر من الدلائل الواضحة والحجج
البينة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب و
الذي عنده علم القران وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر و
التورية والانجيل من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام رضي الله
عنه واضرابه لانهم يشهدون بنعته عليه الصلوة والسلام في كتبهم وقيل هو
الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة و
بالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم ويؤيده قراءة
من قرا من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف لانه معتمد
على الموصول او مبتدا خبره الظرف وهو متعين على الثاني وقرئ ومن
عنده علم على الحرف وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب والله اعلم بالصواب

سورة ابرهيم عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم

الر

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك حجة رسالتك باعجازه لتخرج الناس كافة
بدعائك اياهم الى الدين الحق من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن
ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور وتكرير
العامل او استئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط
الى الله لانه مقصده او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر يدل على انه يعز سالكه و
يجعله حميدا الله الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف بيان للعزيز
الحميد لانه يجري مجرى اسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ
بالرفع على هو الله وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة واصله
النصب لانه مصدر فعدل الى الرفع لافادة معنى الثبات كما في سلام عليك واتصاله
قوله من عذاب شديد له بالمعنى المذكور ظاهر فلا حاجة الى صرفه للتلفظ بكلمة
التلهف من شدة العذاب الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اي على الحيوة الاخرة
والاستحباب استفعال من المحبة لان المختار للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من الاخرة وتعديته بعلى لتضمنه معنى الايثار والاختيار و
يصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو
منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس بفصيح كاوقفه لان في صده وقفه
مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا اصله يبغون لها فحذف
الجار واوصل الفعل اي يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان يقولوا لمن يصد وندعنها انها
سبيل ناكبة عن الحق غير مستقيمة والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم او الرفع عليه
ولا يحتمل الجر صفة للكافرين لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي بينهما
وهو قوله من عذاب شديد لما عرفت ان اتصاله بالويل وعلى الرفع يجوز ان يكون مبتدا
خبره اولئك في ضلال بعيد عن طريق الحق اي ضلال فيه بعد لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل مكانا بعيدا والافصح ان وصف الضلال بالبعد
من باب الاسناد المجازي لان البعد في الحقيقة للضال المتباعد عن الطريق فوصف به
فعله كقولهم جد جده للمبالغة وتنكيره للتكثير وفي جعله ظرفا لهم دلالة على تمكنهم

فيد تمكن المظروف في الظرف وتصويرًا لاشتمال الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط فيكون كناية بالغة
في اثبات الوصف المذكور لهم على الوجه الابلغ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بلغة قومه الذي
بعث فيهم كانبياء بني اسرائيل او ارسل اليهم كلوط ويونس عليهما السلام فمن قال الذي هو منهم و
بعث فيهم لم يصب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة و
سكون على الجمع كعُمُد وعُمْد ليبين لهم ما يدعوهم اليه فيفقهوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانهم احق برعاية حالهم سواء كان مبعوثا فيهم او مرسلا اليهم ومن قال اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم
اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فكانه غفل عن ان المحذور المذكور
يندفع بترجمته لهم وايضا الغير العرب من الامم ان يحتج بما ذكره على نبينا صلى الله عليه وسلم ولا جواب
عنه الا بما قلنا ولا دلالة في قوله ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته على ان يكون
مجال الاحتجاج بالوجه المذكور على تقدير نزوله بلغة اخرى واما ما قيل ولو نزل على من بعث الى
امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة
فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكدا لنفس
من القُرَب المقتضية لجزيل الثواب فمبناه الغفول عن ان ما ذكر من الفوايد فوايت على تقدير
الترجمة من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عرفت ان مدار الكلام وتمام المرام عليها على تقدير
عموم الرسالة وخصوص النزول فيضل الله من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق
وفيه دفع ما سبق الى الوهم من البيان البالغ في تسهيل الفهم ان يكون ذلك كافيا في عام
امر الهداية فينسد باب الضلالة والهداية وفي الترتيب باداة التسبيب اشارة الى ان ما
ذكر من الارسال مع كونه على وجه الكمال كان في حق قوم سببا للضلال وهو العزيز
فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد
والعصى وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ان مفسرة معناها اي لان
في الرسالة معنى القول اي ارسلناه وقلنا له اخرج او مصدرية اي ارسلناه بان اخرج لان
صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء فيصح وصلها بالامر كوصلها بالخبر وان يوصل
بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بنعمائه وبلائه ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو
الموافق لقوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور والقران يفسر بعضه بعضا ان في ذلك لايات لكل صبار على بلاء الله
تعالى شكور على نعمائه فانه اذا سمع بما انزل الله تعالى على الامم من البلاء وافاض عليهم من

النعمة

النعمة اعتبر وتنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل لكل مؤمن لان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وانما قدم الصبر على الشكر لانه اشق منه
فهو بالاهتمام احق والعد ولعن الصبور مع مناسبته للشكور لانه في مقام الحث
والتحريض ابلغ صيغتي المبالغة اليق واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب
بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون
الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمته بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب و
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين وعطف
قوله ويذبحون على يسومونكم يفيد فائدة زائدة على جعله تفسيرا له كما سبق في
تفسير سورة البقرة وهو ان العذاب جنس يتناول التذبيح والاستعباد والاستحياء
والاستعمال بالاعمال الشاقة فجعل التذبيح كانه جنس اخر براسه او في على جنس
العذاب وزاد عليه بزيادة ظاهرة وفي ذلكم بلاء ابتلاء من ربكم عظيم وانما كان فعل ال
فرعون بلاء من ربهم لان الله تعالى ابتلاهم بتمكينهم واقدارهم عليه وامهالهم فيه ويجوز
ان يكون الاشارة الى الانجاء لان البلاء كما يكون بالنقمة يكون بالنعمة قال الله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات وهذا انسب لقوله من ربكم وعلى الاول يكون عبارة الرب للاشارة
الى ان ابتلاء المؤمن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى عليه السلام لقومه
منصوب المحل بالعطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم واذكروا حين تاذن ربكم لئن شكرتم لا على ارادة القول على معنى تاذن ربكم فقال
لعدم الحاجة الى التقدير بل على اجراء تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد
غير انه ابلغ في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما
خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن
كفرتم غمطتم ما انعمت به عليكم فقد صرح الوعد على الشكر بقوله لازيدنكم وعرض
بالوعيد على الكفر حيث قال ان عذابي لشديد اي عسى عذابي ان ينالكم بالكفران
ومن عادة من هو اكرم الاكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد وقال موسى

ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الثقلين جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر كل شاكر وما ضررتم بكفرانكم الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد حميد مستوجب للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملائكة بل كل ذرة من ذوات المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده الم ياتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من جملة كلام موسى عليه السلام او ابتداء كلام من الله تعالى والهمزة في الم للتقرير والتوبيخ والذين من بعدهم عطف على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او مبتداء خبره لا يعلمهم والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله كانه يقول دع التفصيل فانه لا مطمع في الحصر قيل ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قراها قال كذب النسابون اي في دعوى علم الانساب لان الله تعالى قد نفى علمها عن العباد وفيه نظر لعدم الدلالة فيه على نفي علم الانساب مطلقا اغاد لالته على نفي علم جميع الانساب ولم يدعه احد من النسابين جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم اي هذا جوابنا لا غير اقناطا لهم من التصديق قيل عضوها غيظا وخنقوها مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها على افواههم ضحكا واستهزاء كمن غلب عليه الضحك فوضع يده على فمه او اسكاتا للانبياء عليهم السلام واشارة عليهم بالسكوت او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام لذلك او وضعوها على افواههم ولا يذرونهم يتكلمون او الايدي جمع يد بمعنى النعمة او ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف والشرايع والنصايح التي هي اجل النعم في افواههم لانهم اذا لم يقبلوها وكذبوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منها على طريق التمثيل ولا يذهب عليك ان الاولان لا يطابقان المقام فانه يحكي اول ما جاءهم بالبينات الى اخر ما ينتهي اليه حالهم وذلك بعد التكرار و ايضا الرد ينبئ عن التكرار وليس وحاصل الرابع والخامس ما ذكرنا لنا لكن الرد لا يلايم الثالث والخامس والمعتاد في الاسكات ما في الثالث لا ما في الخامس و السادس غير ظاهر الدلالة لما فيه من نوع تعقيد والايدي بهذا المعنى قليلة الاستعمال

وذكر

وذكر الرد والافواه يلايم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا اليه التاكيد في انا وانا للاقناط والمبالغة في الرد والتكذيب والمراد بما ارسلتم به الكتب والشرايع ومما تدعوننا اليه التوحيد فترددهم في الثاني لا ينافي قطعهم في الاول مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة وهي قلق النفس وان لا يطمئن الى الشيء وعلى الثاني يكون وصف الشك به من باب الاسناد المجازي قالت رسلهم افي الله اي في وحدانيته شك وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيه على ان الله تعالى لا يكون الا واحدا فالشك في وحدانيته شك في ذاته وشك مرتفع بالظرف وادخلت همزة الانكار عليه مع تقديمه لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الايمان بالله ووحدانيته وهو لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادة وجود السموات والارض عليه ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي ان لا يقع فيه شك البتة بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدا او بدل يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم وفيه دلالة على ان الكافر مواخذ بكفره قبل البعثة وان لم يكن مواخذا بغيره لكفاية العقل الصحيح ليغفر لكم لمصلحتكم لا لمصلحة تعود لنفسه من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو الكفر لما عرفت انهم لا يؤاخذون بغيره قبل البعثة ففي قوله يدعوكم ليغفر لكم توطئة لهذا التبعيض على تقدير تقريرنا معناه وعلى تقدير ان يكون المعنى يدعوكم الى المغفرة على اقامة المفعول له مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني تفوت هذه التوطئة وتلك الدلالة وقيل في وجه التبعيض ان المغفور قطعا ما فعلوه حالة الكفر واما ما يفعلوه بعد الاسلام فهو بحاله و ماخذ هذين الوجهين يظهر السر في زيادة من في خطاب الكفرة دون المؤمنين في مواضع من القران وفي الاخر فائدة اخرى وهو ابقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان وحده وهذا معنى حسن واما ما قيل انه اريد به الله يغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى لان الاسلام يجبه دون المظالم فلا يصلح وجها للتخصيص لاشتراك الفريقين فيه والتوجيه بان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن

المعاصي ونحو ذلك فيتنا والخروج عن المظالم منظور فيه لان تمام التقريب به على تقدير ان يكون
معنى قوله مرتبة على الايمان مرتبة عليه وحده وح يتجه النقض بقوله تعالى قال يا قوم انى لكم منه
نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ثم ان منشا منشا ما قدمه
من دعوى الافراد في زيادة من في خطاب الكفرة الغفول عن قوله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ومن قال في تفسير سورة الانفال ان الحربي اذا اسلم لم يبق عليه
تبعة قط ثم جوز ان يكون ههنا التبعيض لاخراج المظالم عن حيز الارادة فقد غفل عما قدمه
ويؤخركم الى اجل مسمى قد سماه الله تعالى وبين مقداره وقضى ان يبلغكم اليه ان آمنتم و
لا عاجلكم بالاهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم
تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله تعالى ان يبعث الى البشر لبعث من جنس افضل تر
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على
فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية او على صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم بالبينات
والحجج فلم يعتدوا بها مكابرة وعنادا واقترحوا عليهم عليها تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن يمن على من يشاء من عباده الله
اثبات للمزية بمحض الامتنان والعناية لا لفضل لهم يقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما
لانفسهم فلا دلالة فيه على عدم التفاوت بين افراد البشر في الاستعداد والاستحقاق
للرسالة وقد دل قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته على التفاوت فيه ولا ايجاب
بحسبه حتى ينافي الاختيار وما كان ما صح لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله
الا بتيسيره اى ليس لنا الاتيان بما اقترحتموه انما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى
فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون تعميم قصدوا به تخصيص
انفسهم على وجه الاولوية والاولية واشعارا بان قضية الايمان وجوب التوكل على
الله تعالى فامروا المؤمنين كلهم به والمراد امرهم انفسهم وفيه نزول عن حقهم و
تواضع وهضم لانفسهم حيث نزلوا الى مراتب احاد المؤمنين ومبالغة في وجوبه
عليهم كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
فان ذلك حق كل مؤمن فكيف بالانبياء الا ترى الى قولهم وما لنا ان لا نتوكل على
الله اى واى عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب

توكلنا

توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين
حتى عرفه وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف
اكدوا به توكلهم على الله فيما يجري عليهم من ايذاء الكفار وعدم مبالاتهم به على
سبيل الاعتراض وعلى الله فليتوكل المتوكلون تكرير الامر بالتوكل للتاكيد ووجوب
الثبات عليه بعد استحداثه والفاء للسببية في الموضعين لانه مسبب عن الايمان
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا ليكونن
احد الامرين اما اخراجكم من دياركم واما عودكم في ملتهم وقد عرفت في تفسير سورة
الاعراف ما يتعلق بهما فاوحى اليهم ربهم اى الى الرسل عليهم السلام لنهلكن الظالمين
اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه فلا حاجة الى اضمار القول وقرئ ليهلكن
ولنسكننكم الارض اى ارضهم وديارهم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن
من بعدهم من بعد اهلاكهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر حق
لمن خاف مقامي اى موقفي الذي يوقف فيه العباد للحساب يوم القيمة لانه موقف الله
تعالى او قيامي عليه وحفظي لاعماله او على اقحام المقام وخاف وعيد اى وعيدي بالعذاب
او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا وطلبوا الفتح واستنصروا الله على اعدائهم
او سالوا القضاء بينهم من الفتاحة وهو الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا على لفظ الامر عطفا على
لنهلكن اى اوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا والضمير للانبياء عليهم السلام وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار
عنيد منهم اى من المستفتحين معطوف على محذوف تقديره ففتح لهم فافلح المؤمنون
وخاب كل جبار عنيد عات متكبر على الله تعالى معاند للحق فلم يفلح والخيبة اخلاف ما
تدركه من المنفعة ومقابلة النجاح وهو ادراك الطلبة والعنيد هو المعاند
الا ان فيه مبالغة والعناد الامتناع من الحق مع العلم به ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح
من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه وهو واقف

عليها قال الزجاج الوراء ما توارى عنك ولهذا قد يطلق على الخلف كما في قولهم
قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان ما ورائي من لا يتركني
ورائي وقد يطلق على القدام كما في قوله
ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائي
وليس من الاضداد ويسقى معطوف على محذوف تقديره يدخلها ويسقى من ماء
التنكير للتنويع اي نوع من الماء غير معهود سقيه قال المجاهد وغيره هو ما يسيل من
اجساد اهل النار صديد هو قيح اي دم مختلط لمده يسيل من الجرح عطف بيان لماء
فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد وخصه من بين انواع العذاب بالذكر ايذانا بانه اشد
عذابها ولشدته قال يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة اي يتكلف جرعه ولا يقارب
ان يسيغه فكيف بالاساغة بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق
بسهولة وقبول نفس والتجرع تناوله جرعة جرعة على الاستمرار ويلزمه التكلف فيه
وما جاء في الحديث انه يشربه يحمل على ذلك وقوله يتجرعه صفة الماء او حال من
الضمير في يسقى ويأتيه الموت اي اسبابه مع الشدائد من كل مكان فيحيط به جميع
الجهات ففيه اطلاق المكان على الجهة تنصيصا على ان المراد اسباب العذاب الجسماني
لا اسباب العذاب الروحاني وذلك لان الجهة قد توسع فيها توسعا شايعا في
المكان وقيل من كل مكان في جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو
بميت اي ليس من فاته الحس والشعور حتى لا يتألم والتجوز عنه بالميت سايغ
شايع في كلام الفصحاء وقد حسن ههنا موقعه لما في ظاهره من الابهام الى ان موجب
ما ذكر من مجيء اسباب الموت من جميع الجهات هو ان يكون ميتا ومن حمل الميت
على حقيقته فقد نزل الكلام عن منزلته والمناسب لارادة الحقيقة ايراده بصيغة
المضارع كما ورد في قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين يديه
عذاب غليظ في كل وقت يستقبله اي يتلقى عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه دفع
ما يسبق الى الوهم من ان تخفف عذابهم بالاعتبار كما هو المعهود من عذاب
اهل الدنيا مثل الذين كفروا بربهم مبتداء خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم والمثل
مستعار للصفة التي فيها غرابة اعمالهم كرماد جملة مستانفة لبيان مثلهم

وقيل

وقيل اعمالهم بدل من المثل على تقدير مثل اعمالهم والخبر كرماد ويجوز ان يكون الخبر
هذه الجملة كما ذكر في قوله مثل الجنة اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه وماله مبذول اي هذا الكلام اشتدت به الريح اي حملته
واسرعت في الذهاب به الاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة ومنه اشتد
به الوجع لانه اسرع اليه على قوة الم في يوم عاصف العصف شدة الريح وصف
به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صايم وليله قائم شبه مكارمهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسارى واكرام الضيفان واغاثة الملهوفين والاجارة
وامثالها في حبوطها وكونها هباء منثورا لعدم ابتنائها على اعتقاد صحيح من المعرفة
والتوحيد والايمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وباليوم الاخر برماد
يسفها الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا باعمالهم على شيء التنكير
للتقليل والتعبير بالشيء للتحقير اي لا يترتب عليه اثر من الثواب وتخفيف العذاب
لحبوطه وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم وهو ابتناء اعمالهم على
الشرك والتفاخر والرياء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن الثواب
والخلاص عن العقاب الم تر خطاب لكل واحد من الكفرة على التلوين لقوله تعالى ان
يشاء يذهبكم او لكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب ان الله خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة وما يجب ويحق ان يكون الامر عليه ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد
اي من هو قادر على خلق السموات والارض فهو قادر على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا
آخر ولم يتوقف الا على مشيته فان القدرة على خلق الاصول وما يتوقف عليه خلقهم
ثم تغيير الطبايع وتكوينهم منها وتصويرهم دليل قاطع على ان اعدامهم وانشاء خلق آخر
غير ممتنع عليه ولذا عقبه بقوله وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر بل هو هين
عليه يسير لانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا
شأنه كان حقيقا بان يتقى ويخاف ويرجى ولا يعبد الا هو وحده وبرزوا لله
جميعا اي يبرزون له تعالى يوم القيمة من قبورهم لحساب الله تعالى وحكمه او يظهرون
لله تعالى باعمالهم وما كسبوا على خلاف ما حسبوا لانهم كانوا يستترون من العيون
عند ارتكاب الفواحش ظنا منهم ان ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشف

غطاؤهم وعلموا ان لا يخفى على الله منهم شئ فى الارض ولا فى السماء ولا يتوارى عنه
متوارٍ حتى ذرات الهباء فذلك بروزهم عند انفسهم بعد ما اعتقدوا خلافه كقوله
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد لا انهم كانوا خافين عليه فبرزوا فى
ذلك اليوم اذ لا تخفى عليه خافية وقتاً ما وانما ابرز يبرزون فى صيغة برزوا
لتحقق وقوعه كانه قد وقع واخبر عنه فقال الضعفٰؤا الاتباع والعوام جمع
ضعيف قيل يريد به ضعاف الرأى ولا دلالة عليه فى الكلام ولا هو مما يقتضيه
المقام ولذا كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا الرؤساء منهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل
والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كخدم وخادم او مصدر نعت به للمبالغة و
اضمار المضاف فى مثل هذا الابنا بسبب البلاغة والظاهر ان هذه المحاورة كمحاورة ال
فرعون المذكورة فى قوله تعالى واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين
استكبروا انا كنا لكم تبعا اه فى النار لا فى المحشر ويترتب قوله فقال على المحذوف لا
على المذكور فهل انتم مغنون عنا استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا
انهم لن يغنوا شيئا من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول به اى بعض شئ هو عذاب الله اى كائنا عذاب الله او
كلاهما للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله وتقديره بعض شئ كائنا بعض عذاب الله
فيكون الاعراب بحاله او الاولى مفعول والثانية مصدر اى بعض العذاب بعض الاغناء
قالوا اى المستكبرون لما بكتهم اتباعهم بما ذكر وعلموا انهم لا يقدرون على شئ من الاغناء
عنهم اجابوهم معتذرين اليهم عما كان منهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا به لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دونا سبيل الخلاص
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان عندنا الجزع والصبر الهمزة وام للتاكيد
التسوية كما فى قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ولما كان عتاب الاتباع
جزعا عما هم فيه قالوا لهم ما هذا الجزع انا مشتركون فى العذاب كما كنا مشتركين
فى الضلالة ولا ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا الصبر والجزع انزعاج النفس لورود

مايغم

مايغم ونقيضه الصبر قال الشاعر

فان تصبرا فالصبر خير مغبة   وان تجزعا فالامر ما تريان

ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار
اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيث والمشيب وقال الشيطان
خطيبا فى الاشقياء من الثقلين لما قضى الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم وعد الحق وعدا
حقا لا خلف فيه فوفى لكم وانجزه وهو البعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل
وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين
خلاف ظاهرها وعدهم اخلافا حذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله فى الجملة
الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله فى الاولى وهذا من لطايف الايجاز التى
بها يرتقى الكلام الى ذروة الاعجاز وما كان لى عليكم من سلطان من تسلط وقهر
فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم الى الضلالة بوسوسة
وتسويلى وهذا الاستثناء على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع لان
الدعاء ليس من جنس السلطان بل المراد نفى السلطان على اكد الوجوه كانه قال
قال ان كان مجرد الدعاء سلطانا كان لى عليكم سلطان فاستجبتم لى اسرعتم
اجابتى فلا تلوموني بوسوستى واضلالى وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة
الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث اغتررتم
بمجرد دعائى بلا حجة ودليل فاطعتموني ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم على حجج وبينات
لم يرد انه لا يستحق الملامة بل يقول لومكم انفسكم اولى بكم اذا انتم اهلكتم انفسكم
باجابتكم لى طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد فى افعاله اذ يكفى فى استحقاق
الملامة ان يكون لقدرته الكاسبة مدخلا فيه ومن قال وهذا دليل على ان الانسان
هو الذى يختار الشقاوة والسعادة ويحصلهما لنفسه وليس من الله تعالى الا
التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني
ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فقد خلط فى كلامه وخبط فى
تمشية مرامه فان ما ذكره اولا لا يساعده فيه اهل الحق وما ذكره ثانيا وهو مذهب

الباطل لا يساعد الشيطان ايضا وقد نبهت فيما سبق على انه لا دلالة في كلامه
عليه وما ذكره اخيرا انما يتجه على الجبرية لا على اهل الحق القائلين لا جبر ولا تفويض
بل امر بين ذلك ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي منه
وقرئ بكسر الياء وقد طعن ناس فيه ولا ينبغي ان يلتفت اليه لانها قراءة متواترة
نقلها السلف واقتفى آثارهم الخلف وقد نص قطرب على انه لغة بني يربوع اني
كفرت بما اشركتموني من قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم
باشراككم اياي بالله من قبل هذا اليوم في الدنيا بمعنى برئت منه واستنكرته كقوله
ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما هذه كالتي في
قوله سبحان ما سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
فيما دعوتكم اليه من عبادتكم الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين ابيت السجود
لآدم عليه السلام واشرك منقولة من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين
لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية قول ابليس في ذلك
الوقت ايقاظ للسامعين وتنبيه لهم على ما سيؤول اليه امرهم ليحترزوا اليوم عن
مكايده ويتعوذوا بالله تعالى من تسويلاته ويخلصوا فيتخلصوا عن تسليطه و
ادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن
ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى وامره او بخالدين وهذا
متعين على قراءة وادخل على المتكلم وقد مر في سورة التوبة ما يتعلق بخالدين تحيتهم
فيها سلام اي تحية بعضهم بعضا قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه يعني في الجنة سلام واما
تحية الملائكة فلا يناسبها التقييد بقوله فيها لوقوعها من خزنة الجنة وهم من
الملائكة قبل الدخول فيها قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين الم تر كيف ضرب الله مثلا قد تقدم الكلام في اوائل سورة البقرة كلمة طيبة
بدل من مثلا كشجرة طيبة صفة لها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة او منصوب
بفعل مقدر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله ضرب الله مثلا
او اول مفعولي ضرب ومثلا ثانيهما اجراء الضرب مجرى جعل وقرئ كلمة بالرفع على الابتداء
اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقها فيها وفرعها اي اعلاها ورأسها او فروعها اي

افنانها

كما في قوله ان الله وعدكم وعد الحق وقد مر بيانه في هذه السورة منه

قوله وقرئ ثابت اصلها اي بجعل ثابت ورفع اصلها عن انس بن مالك تكاري

افنانها على الاكتفاء بالجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة في السماء اي صاعد
في جهة العلو حذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية
ما اثبت مقابله في الاولى وعبارته في ابلغ معاني اذا اريد المبالغة في الارتفاع وقرئ
ثابت اصلها والاولى على اصله ولذلك قيل انه اقوى لان المخبر عنه بالاصالة هو الاصل
لا الشجرة واذا اجريت الصفة على الشجرة كان القصد الى ثبوت الشجرة باصلها
فلم تقو قوتها حين كانت جملة واقعة صفتها ولكن على الثاني هو جار على ما هو له
فهو اقوى في اثبات ما هو له وهو ظاهر اذا كان المقصود اثبات الوصف على سبيل
القوة كما نحن فيه توتي اكلها تعطي ثمرتها كل حين كل وقت قد ورد في الخبر عن خير
البشر ان المراد من الشجرة هي النخلة اكلها الطلع والبسر والرطب والتمر فهو دائم
لا ينقطع وكذا عمل المؤمن لا يخلو وقتا من الاوقات من خير ومن لم يتنبه لهذا قال
كل وقت وقتها الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها ومدبرها ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني في
صور مشاهدة وادناء للمعقول من المحسوس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل
شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها اجتثت استؤصلت والاجتثاث اخذ الجثة
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار وثبات
اختلفت كلماتهم في الكلمة فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام
والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق
والاولى ان يعتبر كل منهما بما يعم الكل فيقال الكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا
الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وقد مر تفسير الشجرة الطيبة
وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظلة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت اي
الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم واعتقدوا اعتقادا يمتنع زواله في
الحياة الدنيا وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا افتتنوا في الدين لم يزالوا كزكريا
ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة و
تثبيتهم فيها انهم اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف لم يتلعثموا او لم يدهشهم
اهوال القيمة وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر ورد فيه الخبر المرفوع

ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون
الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض
بالهداية واذلال الآخرين بالاضلال من غير اعتراض عليه الم تر الم تنظر الى الذين
بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة الله كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس نعمة الله
كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل
مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب
رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين و
اسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر واحلوا
قومهم الذين تابعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف
بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين حرها او مفسرة
لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس
القرار هي اى جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد
وقرئ ليضلوا بفتح الياء جعل الضلال او الاضلال غرضهم عن اتخاذ الانداد
على سبيل التشبيه والتقريب لانه لازمه ونتيجته كالاكرام الذى هو نتيجة
المجئ كما في قولك جئتك لتكرمنى فادخل عليه اللام وان لم يكن غرضا فى
الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى
يتمتع بها وفيه تهديد بليغ جعل انهماكهم في الشهوات وتهالكهم على الشرك واللذات
كامتثال المامور مطيع لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا
دونه لانغماسهم في التمتع بها وانجذابهم اليها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون
سواه ولا يرفعون راسا الى ما عداه فقيل تمتعوا على لفظ الامر وفي قوله فان
مصيركم الى النار ايذان بان المهدد به كالمطلوب لهم حتى جعل المهدد عليه
المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا ولا تقصروا فيه فانكم
ان داومتم عليه فان مطلوبكم حاصل ولا يخفى ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد
قل لعبادى الذين امنوا تخصيصهم بالاضافة الى نفسه تنويه لهم وتنبيه على
انهم القائمون بحقوق العبودية ولهذا رتب اقامتهم الصلوة وانفاقهم على

الامر

الامر جوابا له فقال يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم ايذانا بان فعلهم لا ينفك
عن امر الرسول لفرط مطاوعتهم له وتحقق عبوديتهم لله تعالى وانه كالسبب الموجب
لفعلهم ومفعول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى اقيموا الصلوة وانفقوا
وقيل المقول يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا وانما جاز حذف لام الامر لدلالة
الامر عليه سرا وعلانية نصبا على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين
ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر وعلانية او على المصدر اى انفاق سر و
علانية والاحب في الانفاق اخفاء التطوع به والاعلان بالواجب من قبل
ان ياتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك تقصيره او يفتدى به نفسه
ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان ياتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ومخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرئ بالفتح فيهما على النفى
العام الله الذى خلق السموات والارض مبتداء وخبر وانزل من السماء ماء
فاخرج به اى بالماء والفاء للتسبب للاخراج بالانزال من الثمرات رزقا لكم تعيشون
به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه او
بالعكس ويجوز ان يكون رزقا نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق او على
المفعول له وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم
الانهار جعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل في تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية
اتخاذها وقوله بامره متعلق بالمعطوفين كمن قيل في قوله تعالى لم تكن امنت من
قبل او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم ذكر انواع النعم وابرز كلا منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها
على عظم مكانها واتاكم من كل ما سالتموه من كل شئ سالتموه بلسان الحال و
الاحتياج ليصلح به معاشكم ومعادكم على ان من لابتداء الغاية ويجوز ان يكون
السوال على ظاهره على ان صارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله
تعالى ففتحنا عليهم ابواب كل شئ وحمل من على التبعيض يفضى الى اخلاء لفظ كل
عن فائدة زائدة لان ما نص في العموم بل يوهم ايتاء البعض من كل فرد يتعلق به

السؤال ولا وجه له ومن قال في تفسيره ح يعني من كل شيء سألتموه شيئاً فإن الموجود
من كل صنف بعض ما قدره الله تعالى في تقليله ما لا يناسب المعلل لأن الكلام
في أن المحصول بعض المسؤول فكونه بعض المقدور لا يجدي نفعاً في بيانه وقرئ
من كلٍّ بالتنوين وما في محل النصب بالمفعولية أو نافية ومحل ما سألتموه نصب
على الحال أي آتاكم من كل شيء غير سائليه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تستوفوا عددها كما قال من أحصاها دخل الجنة يعني أنها غير قابلة
للإحصاء لعدم تناهيها فإن نعمة النفع وإن كانت أفرادها متناهية
لدخولها تحت الوجود وكذا نعمة الدفع أي دفع الضر ما لياً كما نا وبدنيا
ولكن نعمة الدفع غير متناهية إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال
شكرها أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان باستعمالها لا فيما ينبغي ولا فيما يبتغى
به وجه الله تعالى كفار شديد الكفران لها وقيل لظلوم في الشدة يشكو و
يجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة
مكة آمناً ذا أمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلداً آمناً أنه سأل لمن
ثمة أن يجعله من جملة البلاد الأمن أهلها وههنا أن يزيل الخوف عنه و
يصيره ذا أمن وذلك لأن محط الفائدة هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة
الخبر واجنبني وبني بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في
جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون
جنبني شدة رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فلذلك سألتك أن
تعصمني وبني وإسناد الإضلال إلى الأصنام مجازي لأنهن السبب في ضلالهم
كقوله غرتهم الحياة الدنيا ولما توجه أن يقال لم تخصص طلب العصمة عن الضلال
بأبنائك دفع هذا السؤال بقوله فمن تبعني بالسلوك في الصراط المستقيم و
التمسك بالدين القويم فإنه مني أي بمنزلة بعضي فيشمل له طلبي العصمة فكأنه قال
ولا أخصص طلب العصمة بهم فإن من تبعني فهو في حكمهم بحكم أن النبي أبو أمته
فالفاء التعليلية للعطف على محذوف تقتضيه المقام ويستدعي تقديره انتظام
الكلام فانظر إلى حسن نظم هذا المقال ولطف طلبه الأمهال لسائر الأشياع

وعامة

وعامة إلا بقوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لأن التبعية طاعة فإنك
غفور تستر عليه ذنبه رحيم تمهله فلا تعاجله بالعذاب وهذا على وفق ما أخبر
به تعالى بقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فلا دلالة فيه على أن الله تعالى أن
يغفر الشرك كما زعمه من قال في تفسيره بعد أن يغفر له ويرحمه ابتداء أو بعد
التوفيق بالتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعد
فرق بينه وبين غيره ثم إنه لم يدر أنه بالترديد المذكور قد هدم مبنى تلك الدلالة
ربنا كرر النداء رغبة في الإجابة وإظهار التذلل وأتى بضمير الجماعة لأنه تقدم
ذكره وذكر بنيه إني أسكنت من ذريتي بعض أولادي وهم إسمعيل عليه السلام
وأولاده فإن إسكانه متضمن لإسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة
شرفها الله تعالى لأنها حجرية لا تنبت والوادي سفح الجبل ومن ذلك قيل للأنهار
العظام أودية لأن حافاتها كالجبال لها والزرع كل نبات يتفرع من غير ساق
عند بيتك المحرم هو الكعبة شرفها الله تعالى والإضافة إليه تعالى للتشريف
وتوصيفه بالمحرم لأنه تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله
حرماً لمكانه فقوله بواد غير ذي زرع إخبار من صرف توكله وصدق تفويضه
وقوله عند بيتك بيان أنه رأى الرفق في الجوار لا في الثمار ربنا ليقيموا الصلوة
اللام بمعنى كي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع إلا ليقيموا
الصلوة عند بيتك المحرم وقيل هي لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلوة كأنه
لما أسكنهم هناك طلب منهم إقامة الصلوة وسأل الله تعالى أن يوفقهم لها وتكرير النداء
وتوسيطه للإشعار بأنها المقصود بالذات من إسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها
فاجعل أفئدة ذوي أفئدة من الناس من للتبعيض قيل لو لم يقل من لازدحموا عليها فارس
والروم والترك والهند أو لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم أي قلبي وقرئ آفدة
وهي مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر وإما اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة
يعجلون نحوهم وقرئ أفِدة فإما أنا نيث أفد بوزن خشن وإما تخفيف أفئدة بطرح
الهمزة وإن كان الوجه إخراجها بين بين تهوي إليهم تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً
وأصل الهوي أن يكون من علو ويلزمه السرعة وقرئ تهوى على البناء للمفعول من

هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هَوِى يَهوَى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديتها وارزقهم من الثمرات مع سكناهم في واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شى وتجلب اليه من كل ناحية حتى يجتمع فيه البواكير والفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجاء الى الله تعالى واظهارا للافتقار اليه واستلذاذا وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم ما نخفي على ما نعلن تفاديا عن اسلوب الترقي لان مبناه على التفاوت في علمها وهو منتف في حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما في علمك فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا فلا حاجة بنا الى السوال ولكنا ندعوك اظهارا للعبودية والتذلل والتخشع لك امتثالا لامرك وافتقارا اليك والى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وما يخفى على الله من شى الظاهر انه من كلام ابرهيم عليه السلام على طريقة الالتفات تاكيدا بقوله وتبيينا له بالبرهان وتعظيما لله تعالى باظهار اسمه وتقريرا للحكم كانه قال وكيف لا تعلم وانت الله والله هو العالم بالغيب كله لا تخفى عليه خافية ومن للاستغراق وان جعل من كلام الله تعالى كان تصديقا منه تعالى لابرهيم عليه السلام على طريقة الاعتراض بين حكاية قوله كقوله تعالى وكذلك يفعلون في الارض ولا في السماء عبر عن العالم بقطريه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير يعني كانت الهبة في حال الشيخوخة وبعد استمراري عليها فللدلالة على ان هبة الولد له لم تكن في ابتداء دخوله في سن الشيخوخة بل كانت بعد ما استمر برهة من الزمان عليها الى بلغة على ما روى عن سعيد بن جبير رحمه الله انه لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وتقييد الهبة بحال الكبر استعظام للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة فان الظفر بالحاجة عند وقوع الياس اعظم واجلى ولانها في ذلك كانت اية بينة له عليه السلام اسمعيل واسحق كان اسمعيل عليه السلام اكبر من اسحق عليه السلام فلهذا قدمه عليه ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن

حمده

حمده كان عليه السلام قد دعى ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر حمد الله تعالى على موهبة الولد وراى المنة عليه في قبوله دعاءه السابق فوقع قوله الحمد لله وتذييله موقع الاعتراض تاكيدا لما قدمه من الطلب وتذكيرا لما وعد من الاجابة بتوسل اليه تعالى بسابق نعمته في شانه والسميع من ابنية المبالغة مضاف الى مفعوله معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه ويجوز ان يكون من اضافة الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعاء الله سميعا مجازا عقليا والمراد سماع الله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني اي بعض ذريتي وانما بعضها لانه عليه السلام علم باعلام الله تعالى اياه ان في ذريته كفارا وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير للتنادي فلا يمنع عطف قوله وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقرى ولولدي يعني اسمعيل واسحق عليهما السلام وللمؤمنين دعاء بالمغفرة لجميع المومنين وتدخل فيه هذه الامة فهو قد دعى لنا ونحن ندعو له في الصلوة بامر الله تعالى اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الاخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القايم على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او وسند الى الحساب اسنادا مجازيا وهو لاهله لا على حذف المضاف فانه حينئذ يكون الاسناد حقيقيا والكلام نازلا عن منزلته عن قال او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا فقد خلط بين الاسنادين وخبط ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد النهي عن لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية اي لا تحزن بما عملوا فانه تعالى يطلع على احوالهم واعمالهم لا يخفى عليه شى من ذلك وان تاخير العذاب عنهم لتشديده عليهم في العقبى فهو امهال لا اهمال او لكل ... يستعجل عذاب الظالمين او يتوهم اهمالهم بانه يجب ان يعلمه تعالى رقيبا عليهم فيتسلى الاول ولا يظلم الثاني ولا يحزن ان ظلم فانه المجازي والمنتقم المنتصر من الظالم للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يوخرهم اضاف التاخير اليهم والموخر عذابهم على سبيل المجاز ايماء على انهم من شدة العذاب في ذلك اليوم يكونون بحيث يظن

وقد تقدم عذر استغفاره لهما اي في تفسير وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة ... اعتذار عن ابيه ... الذي تقدم ذكره انما هو استغفاره لابيه فقط واما امه فلا حاجة الى الاعتذار عن استغفاره لها لانها كانت مومنة . قاضي زكريا

فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من تحته ...

بيضاوی

من ورآهم انهم عذاب بحيثم ليوم تشخص فيه الابصار اى تبقى مفتوحة لا تنطبق لعظم هول
ذلك اليوم ولا اختصاص لتلك الحالة بهم ولهذا اطلق الابصار ولم يضفها اليهم كما اضاف
اليهم فى قرايبها وهذا ابلغ فى التهويل ممن وهم ان المعنى تشخص ابصارهم فقد وهم
ثم انه لم يصب فى تفسير الشخوص بعدم القرار قال الجوهرى يقال شخص بصره فهو
شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف مهطعين يقال هطع الرجل اذا اقبل بصره
على الشئ لا يقلع عنه وبه فسره ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال المهطع الدائم
النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق الكلام ولحاقه بخلاف تفسيره المسرع كما لا يخفى
مقنعى رؤسهم اقناع الراس رفعه اى رافعيها حتى لا يبصروا مواضع اقدامهم
لا يرتد اليهم طرفهم اى تبقى اعينهم ممدودة نحو الهول مفتوحة لا تطرف ولا تتحرك
اجفانهم او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم ولا يخفى ان هذا يغنى عن اضافة
الابصار اليهم فى وصفها بالشخوص وانما وحد الطرف لانه فى الاصل مصدر وافئدتهم
هواء خلاء وصف القلوب بالهواء مبالغة فى الخلو عن الفهم والعقل لفرط الحيرة
والدهشة كانها نفس الخلا ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا رأى فيه و
لا قوة والتجوز فيه عقلى كما فى رجل عدل لا لغوى كما نعقد من فسره بالخالية فاخلاه
عن تلك المبالغة ونزل الكلام عن المنزلة العالية وقيل وقيل معناه منخرقة لا تبقى
شيا للخوف والفزع الذى دخلها فهو كهواء الجو فى الانخراق وبطلان الامساك
وانذر الناس خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة
او وقت الموت فانه اول اوقات عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا
بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اى ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد
من الزمان قريب او اخر اجالنا مقدار ما نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك
واتباع رسلك فقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة
القول وجواب القسم ما لكم من زوال واقسامهم على انتفاء الزوال عن الدنيا اما
لغاية الغفلة والانهماك فى الجهل وغلبة البطر والاشر واما بلسان الحال حيث
بنوا شديدا واملوا بعيدا كانهم اقسموا على انهم خالدون فيها وانما قيل ما لكم

على المطا

على المطابقة لا قسمتم ولو حكى قول المقسمين لقيل ما لنا من زوال اى اقسمتم انكم لا تزالون
عن الدنيا وقيل معناه لا تنتقلون الى دار اخرى لقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت اى اقسمتم على انكار البعث وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود سايرين بسيرتهم واصل سكن ان يعدى بفى كقر و
غنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء والتوطن فيجرى مجراه كقوله اسكن انت وزوجك
الجنة والسكنى سكون خاص فترك على الاصل ويجوز ان يكون بمعنى السكون اى لبثتم فيه
اقمتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة اثار ما نزل بهم فى مساكنهم وتواتر اخبارهم
فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولم تحدثوا انفسكم بما لقوا من عذاب الله وضربنا لكم الامثال
اى صفات ما فعلوه وفعل بهم التى صارت امثالا سائرة بين الناس فى غاية الغرابة
مضروبة لكل ظالم وبينا انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب وقد مكروا مكرهم
الذى استفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو المكر المخصوص بهم ليس
لاحد مكر فى قوته وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو العذاب الذى يأتيهم بغتة
من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم ذلك بمكرهم وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم وشدته اى وان كان مكرهم
لشدته وعظمه مستوى معدا لزوال الجبال منه كانوا اذا عظموا الشئ وصفوه
بمثله قال الشاعر لما اتى خبر الزبير تضعضعت   سور المدينة والجبال الخشع
اى وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذى يبطله والمكر الاول مضاف الى الفاعل والثانى
مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون الثانى ايضا مضافا الى الفاعل اى وعندهم
مكرهم الذى يمكرون الرسل به يعنى مكتوب به عنده فهو مجازيهم عليه بمكر هو
اعظم منه وان كان مكرهم مما يضرب به المثل فى العظم قيل ان فى قوله وان كان
مكرهم نافية واللام لتاكيد النفى كقوله وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من
المثقلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات
الله وشرايعه وقرئ بالفتح والرفع على انها المخففة ومعناه تعظيم مكرهم و
قرى بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كى وقرى وان كاد مكرهم والجمهور على
انها ان الشرطية وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند الله مكرهم فلا تحسبن

الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله
مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان
الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمراد بالنهي عن الحسبان المذكور الامر بضده على ابلغ وجه وهو الجزم بنصر
المومنين وقهر اعداء الدين اي فكن على ثقة ويقين بانجاز ما وعدناك من الاعزاز
للاسلام واهله والاذلال للكفر والانتقام من اهله يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم ياتيهم العذاب او ظرف للانتقام ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل
ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات اي
تبدل الارض المعهودة ارضا اخرى والسموات المشهورة سموات اخرى والتبديل هو
التغيير اما في الذات كقولك بدلت الدراهيم بالدنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم
جلودا غيرها واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وجعلتها
خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تعالى اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات و
الاية تحتملها فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما تحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل
الارض غير الارض فتبسط فتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا
امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا و
سماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله تعالى
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لما
كان البروز مسوقا للوعيد كان الوصفان المذكوران ترشيحين له ببيان
شدة الامر في ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الامر

والملك

والملك اذا كان لواحد لا يشاركه فيه قهار لا يعاز ولا يغالب لا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة وترى المجرمين
يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض لاشتراكهم في العقايد والاعمال كقوله
واذا النفوس زوجت او مع الشياطين الذين حملوهم على الاجرام او قرنت
ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال ويجوز ان يكون مثلا لمواخذتهم بما
اقترفته ايديهم وارجلهم وكان ايديهم غلت الى ارجلهم في الاصفاد متعلق
بمقرنين او حال من ضميره قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد
وفي الصحاح الصفاد ما يصفد به من قيد وقد وغل اي يوثق وقول الشاعر

ورنح الخيل قدلا في صفادا ... نعض بساعد وبعظم ساق

ظاهر في ان صفادا واحدا يجمعهما فكانه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشد الى
على العنق سرابيلهم اي قميصهم جمع سربال من قطران فيه ثلاث لغات فتح القاف مع
كسر الطاء وسكونها وكسر القاف مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر الابهل يطبخ
فيهنا به الابل الجرب فيحرق الجرب والجلد بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار
بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران
ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال النار بهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بانفسهم من ظلمة الهيئات الردية
والملكات الفاسدة الموحشة فتجلب اليها انواعا من الاذى والالم والعذاب
وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وانما جيء جملة اسمية لان سرابيل القطران
الجامعة بين الانواع الاربعة المذكورة افظع من الصفد واما ما يغشى فللتجديد
والاستحضار المقصود في قوله وترى لان الثاني اهول والاول في بيان حالهم في
الموقف الى ان يكب بهم في النار والاخيرين لبيان حالهم بعد دخولها وكان الاول
حرك من السامع ان يقول واذا كان هذا شانهم وهم في الموقف فكيف بهم وهم
في جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في
قوله وتغشى وجوههم النار لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فحالا

وانما تغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي خلقت فيها
في تدبر الحق كما تطلع افيدتهم لانها خالية عن المعرفة مملوة بالجهالة ليجزي الله كل
نفس اما ان يتعلق بمحذوف تقديره يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او بقوله وبرزوا اي ليجزي الله كل نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر
عقاب المجرمين ليستدل به على ثواب المطيعين ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
فيه تامل وتتبع ولا يمنعه حساب عن حساب حتى يستريح بعضهم عند الاشتغال
بمحاسبة الاخرين فيتاخر عنهم العذاب وبهذا التفصيل يتبين وجه اصابة التذييل
المذكور تحرزه هذا اشارة الى السورة او الى ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله
الى قوله سريع الحساب اي هذا الكلام او هذا الكتاب بلاغ اي كفاية للناس في
الموعظة والتذكير والاشارة الى جميع ما في السورة من العظة والتذكير اولى
ليكون كالفذلكة والخاتمة على منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا به فاللام متعلقة بالبلاغ او متعلقة بمحذوف واي
ولينذروا به انزل وقرئ ولينذروا به بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد
له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة على
التوحيد او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم قيل ان الفوائد الثلث التي ذكرها لهذا البلاغ هي الغاية
والحكمة في انزال الكتب وهي تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي
غايتها في كمال التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس
التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها سورة الحجر بسم الله
الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة
والكتاب والقران السورة وهذا ابلغ على ما قدمنا بيانه في تفسير سورة يوسف
عليه السلام واللام في الكتاب للماهية والتنكير في القران للتفخيم اي تلك ايات
الكتاب الكامل في كونه كتابا وقرانا اي قران مبين يبين الرشد من الغي بيانا
عربيا يعني الجامع للكمال والغرابة في البيان والبلاغة ولما كان في التعريف نوع
من الفخامة وفي التنكير نوع اخر وكان الغرض الجمع عرف الكتاب ونكر القران ههنا

وعكس

وعكس في سورة النمل وقدم المعرف في الموضعين لزيادة التنويه ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين منقادين لحكم هذا الكتاب وهذا التمني حين يخرج الله تعالى عصاة
المؤمنين من النار وروي فيه حديث مرفوع وقيل اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين
عند البعث للحساب او عند الموت اذ راوا العذاب وقيل في كل الاحوال التي تخطر
بالبال لظهور بطلان ما كانوا عليه من الضلال وهذا انسب لما قصد بربما من معنى التكثير
على وجه ابلغ وقوله لو كانوا مسلمين حكاية ودادهم على لفظ الغيبة كقولك حلف بالله
ليفعلن وحق ربما ان تدخل الماضي لانشاء تحقق التقليل لكن لما كان الغرض من الماضي
تحقق وقوعه والترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي في تحقق وقوعه اجري مجراه
ومعنى التقليل فيه وارد على طريق العرب وقولهم في موقع النصح وارتكاب المخاطب لا ابتداء
في استبعاده للتندم لعلك ستندم وربما ندم الانسان على ما فعل وليس مرادهم الشك
والتقليل بل المراد ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع عما تفعل لكان حقا عليك
ان لا تفعل لان قضية العقل التحرز من الغم المظنون والقليل فكيف واستتباع فعلك
للغم والندم الكثير محقق اي لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا
اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وبناء التانيث و
دونها وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخوله على الفعل وقيل نكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال اي ربما تكرهه النفوس وله فرج سريع وبعض تكرهه النفوس وله فرج سريع ذكره

ربما تكره النفوس من الامر ذرهم اتركهم ياكلوا تخصيصه بالذكر مع اندراجه
في قوله ويتمتعوا وتقديمه عليه للتنبيه على ان حظهم من الحياة الدنيا حظ البهائم يأكلون
ويشربون والاقتصار على ياكلوا لان الاكل يستتبع الشرب عادة فذكره يغني عن
ذكره ويتمتعوا بدنياهم وينهمكوا في شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول
الاعمال وجريان امورهم واحوالهم على وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف
يعلمون وخامة عاقبتهم وسوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءهم فيه تهديد ووعيد وتحذير
عن ايثار التنعم وطول الامل والزام الحجة لان الامر بضده لا يكون الا عند تكرر الانذار
وثبوت الجحود وكذلك ما رتب عليه واقناط للرسول صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم
وايذان بانهم من اهل الخذلان لا يقبلون النصح ولا يجدي فيهم الانذار وما اهلكنا من
قرية اهلاكنا كناية عن اخلائها عن اهلها بافنائهم وهو ابلغ من المجاز في القرية واما

تقدير المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة الا ولها كتاب معلوم
اجل مكتوب في اللوح معلوم عند الله تعالى موقت ولهذا قال ما تسبق من امة اجلها
اي كتابها اي لا يتقدم امة ومن مؤكدة وما يستأخرون اي عنه محذوف للعلم به و
وحد تسبق بالتاء لظاهر كلمة امة وجمع في قوله يستأخرون بالواو والنون للمعنى
والكلام متصل بقوله فسوف يعلمون اي العذاب نازل بهم في وقته الذي جعلناه اجلا له
اخرنا اليه لما كان في علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله وجبت كلمة
العذاب على الكافرين ولم يتاخر عنهم وجملة المستثنى وقعت حالا من قرية لانها في معنى
العموم قريبة من المعرفة اذ المراد قرية من القرى وهذه الواو هي التي تعطي ان الحالة التي بعدها
في اللفظ هي قبلها في المعنى ومنه قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومن جعلها على
الصفة المذكورة لكون القرية نكرة ثم قال والقياس ان لا يتوسط الواو بين الصفة و
الموصوف وانما جيء بها التاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال تقول جاءني زيد عليه
ثوب وعليه ثوب فقد تعسف لان الواو انما جيء بها لئلا يشتبه الحال بالصفة لتقدم
الحال على النكرة الا ترى الى قولهم جاءني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان
بالواو دفعا للاشتباه المذكور وكذا هنا ثم ان فيما اختاره فصلا بين الصفة و
الموصوف بالا وهو غير جائز نص عليه الاخفش وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي
مكة على وجه الاستهزاء يا ايها الذي نزل عليه الذكر نداء للرسول صلى الله عليه وسلم
على سبيل التهكم الا ترى الى ما نودي له وهو قولهم انك لمجنون والتعكيس في الكلام
للاستهزاء والتهكم طريق واسع ونظيره قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون يعنون ان ادعاءه لنزول الذكر عليه قول المجانين والمراد من الذكر القرآن
لوما تأتينا اي هلا تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود
غيره والتحضيض والفرق بينهما ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا
والامتناعية لا يليها الا الاسماء لفظا او تقديرا عند البصريين بالملائكة ليصدقوك
ويشهدوا لك ويعضدوك على الانذار كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او ليعاقبونا على تكذيبنا اياك كما اتى الامة المكذبة من قبل ان كنت من الصادقين
ان كنت صادقا في دعواك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين في دعواهم

ما نزل

كشاف

ما ينزل الملائكة بالياء مسندا الى الضمير اسم الله تعالى وقرئ بالنون وهو بناء
لما تقدم وما تأخر من الفاظ التعظيم وقرئ بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة
وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق متعلق بفعل قبله او بمحذوف على انه حال من
الفاعل او المفعول او ملتبسين بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزيلا
ملتبسا بالحق اي بالحكمة والصواب ولا حكمة في ان يأتيكم بصور تشاهدونها
ويشهدون بصدقه فانه لا يزيدكم الا لبسا كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا في معاجلتكم بالعقاب فمنكم ومن ذراريكم من سبق
له حكمنا بالايمان وقيل الحق الوحي وقيل العذاب وما كانوا اذا منظرين جواب
لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو انزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا
الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولهذا اكده بان والضمير وبناء الفعل عليه و
قرره بقوله وانا له لحافظون اي من الطعن والتحريف والزيادة والنقصان
بان جعلناه مباينا لكلام البشر لا يخفى على اهل البلاغة اعجازه وتغيير نظمه
بخلاف الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتول حفظها واستحفظها الربانيين والاحبار
ولم يجعل لفظها ونظمها معجزا الا امكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا وغيروا وقيل
الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين اي ارسلنا رسلا ومن قبلك يجوز ان يتعلق بارسلنا وان يتعلق
بالمحذوف على انه نعت له والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة
ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد
بها الحطب الكبار والمعنى نبأنا فيهم رجالا وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم قيل وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو
في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال ورد عليه بان ما يكثر دخوله
على المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به الاستقبال كقوله تعالى قل ما
يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وانشد شاهدا له قول ابي ذؤيب
اودى بني واودعوني حسرة عند الرقاد وعبرة ما تقلع

وقول الاعشى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

لدنا حلات ما نعات نوالها   وليس عطاء اليوم مانعه غداء

وقوله الا كانوا يجوز ان يكون حالا من مفعول ياتيهم ويجوز ان يكون صفة لرسول فيه وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا كانت حالا فهي حال مقدرة كذلك مثل ذلك السلك نسلكه في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للذكر اي ندخله في قلوبهم مكذبا مستهزئا به غير مقبول كالضمير الاخر في قوله لا يومنون به وهو حال من هذا الضمير او بيان للجملة المتضمنة له او حال من المجرمين او منهما ولا ينافي كونه مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وتعاقب الضماير وان لم يستلزم توافقها في المرجوع اليه لكنه مستحسن لا يعدل عنه عند سداد المعنى وقد خلت سنة الاولين استينا فا اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا الرسل وكذبوا الذكر المنزل اليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم موقع هذا الكلام موقع الغاية في سورة الشعرا اعني قوله حتى يروا العذاب الاليم ولو فتحنا عليهم على هولاء المقترحين المتلذذين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون اي يسرنا لهم معراجا يصعدون فيه اليها طول النهار ويعاينون ما هنالك وذكر الظلول ليكون عروجهم بالنهار مستوضحين لما يعاينون طوله لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكا في الحق انما سكرت ابصارنا حيرت من السكر ويدل عليه قراءته بالتخفيف اي حبست وسدت من الابصار كما حبس النهر من الجري بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الايات اي هذا امر تخيلي لا حقيقة له قد سكر ابصارنا بل سحرنا به ومعنى انما انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكير الابصار وهذا معنى الاضراب في بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا سحرا ثابتا لا افاقة معه ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي الاثنى عشر المعروفة مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة وزينا ها على هذا قوله مع بساطتها تعداد ع ما دون اثباته خرط القتاد وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها الضمير للسماء وكذا في وزيناها اذ الاوجه

لتخصيص

لتخصيص الزينة بالبروج من كل شيطان فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها رجيم مرجوم بالنجوم اي مرمي بها الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء المتصل واستراق السمع اختلاسه سرا شبهت الخطفة اليسيرة التي لشياطين من سكان السموات لبعض الغيب بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاعها وحركاتها بالسرقة في المسموعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الشياطين غير محجوبين عن السموات فلما بعث عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا منها جميعا بالشهب فلا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر ويجوز ان يكون في محل الرفع بالابتداء وخبره فاتبعه اي طلبه لحوقه وانما دخلت الفاء لان من اما شرطية واما موصولة شبهت بالشرطية والاستثناء منقطع وقيل انه بدل من كل شيطان فيكون محله الجر وفيه ان الكلام موجب فيحتاج الى تاويله بالنفي ولا ضرورة ههنا بخلاف قوله فشربوا منه الا قليلا منهم فان فيه ضرورة على قراءة الرفع ومن قال اي فتبعه ولحقه فكانه لم يفرق بين تبعه واتبعه والفرق قائم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني اللحوق بالاول وتبعه تبعا اذا مر به فمضى معه وكذلك اتبعه بالتشديد ثم ان ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد قوله منعوا منها جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب قبس فان اصابه احرقه وان اخطاه خبله فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في عدم اعتبار اللحوق في الاتباع شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة واطلاقه على الكوكب والسنان بطريق الاستعارة لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها وقيل مددناها الى حد لا يدرك منتهاه ولما كانت هذه الجملة تقدمها جملة فعلية كان النصب على الاضمار ارجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب والارض والقينا طرحنا وانما قال فيها دون عليها لدفع ما يتبادر الى الفهم من القاء الجبال القاؤها على الارض من الخارج وبيان ان المراد تكونها فيها على وجه يتظاهر كانها ملقاة عليها رواسي جبالا ثوابت وقدم ما يتعلق به

في تفسير سورة الرعد وانبتنا فيها اى فى الارض والانبات فى الجبال يندرج
فى الانبات فى الارض بدون العكس فلا حاجة الى الجمع ولا وجه لعود الضمير
الى الجبال خاصة من كل شئ لفظة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم
وقدمر نظايرها موزون بميزان الحكمة مقدر بقدر تقتضيه او مستحسن مناسب
كقولهم كلام موزون اى ذو قدر ووقع فى باب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم
فيها معايش قدمر تفسيره فى سورة الاعراف ومن لستم له برازقين نصب
عطفا على لكم لا على الضمير المجرور والا لوجب اعادة الجار اى وجعلنا لكم
فيها معايش ولمن لستم له برازقين من العيال والخدم والمماليك والانعام
والدواب ممن تظنون انكم رازقوهم ظنا كاذبا والله يرزقكم واياهم او على
معايش اى وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما ذكر فان فيها من معايشكم و
فذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة
الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة
مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته تعالى وتناهى حكمته والتفرد فى
الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ فى ذلك فقال وان من شئ الا عندنا خزائنه من شئ فى محل الرفع بالابتداء
خبره عندنا خزائنه ومن زائدة لتاكيد العموم الخزائن جمع خزانة وهى اسم المكان
الذى يخزن اى يحفظ فيه نفايس الاموال شبه معلوماته تعالى الممكنة التى
اذا تعلقت الارادة بها وجدت بقدرته بالاشياء المخزونة فى الخزائن فهى
استعارة وقيل ضرب ذلك مثلا لاقتداره على كل مقدور وايجاده وتكوينه
بحسب الارادة اى ما من شئ من الاشياء الممكنة الا ونحن قادرون على ايجاد
اضعاف ما وجد منه وما ننزله اى نكونه ونوجده فى العالم السفلى الا بقدر
معلوم الا بمقدار معين وحد معين تقتضيه الحكمة واقتضته المشيئة فان تخصيص
كل منها بصفة دون اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون ما يخالفها لا بد
له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح فيه اشارة الى ان مقتضى طبع الريح الهبوب
وانما يوكد بالعنصر الالهى ما فى هبوبه الزايد عن قدر الحاجة مفسدة عظيمة لواقح

حوامل

حوامل او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح بمعنى المطاوح جمع مطيحة كقوله
ومختبط مما تطيح الطوايح اى ملقحات شبه الريح التى جاءت بخير كانشاء
سحاب ماطر وانبات زرع وعشب بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم وقرئ
وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء قدمر تفصيله فى تفسير
سورة البقرة فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى لما اثبته
لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه عنهم كانه قال نحن الخازنون للماء
لا انتم اى نحن القادرون على خزنه فى السحاب وانزاله وما انتم عليه بقادرين
دلالة باهرة على عظم قدرته واظهار العجزهم وقيل معنى وما انتم له بخازنين فى
الغدران والعيون والابار وانا لنحن نحيى ونميت تقديم الضمير للاختصاص
وتكريره وتاكيده بان للحصر والتقوية اى لا قدرة على الاحياء والاماتة الا
لنا ويجوز ان يراد بالحياة ما يعم الحيوان والنبات وبالموت ما يقابله ونحن
الوارثون الباقون بعد فناء الخلق كله استعير الوارث للباقى من وارث الميت
لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من
استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين فيها او من يخرج من اصلاب
الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن
تاخر لا يخفى علينا من احوالكم شئ فهو بيان لكمال علمه تعالى بعد الاحتجاج على كمال
قدرته وقد دل على علمه ايضا ما دل على قدرته وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الصف الاول فى الصلوة فازدحموا عليه فنزلت وروى ان امراة حسناء
كانت فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقدم بعض القوم
لئلا يقع بصره عليها واستاخر بعضهم ليبصرها فنزلت وما تقدم من الوجوه والذى
يتلوه هو المطابق للسابق واللاحق وان ربك هو يحشرهم الحشر جمع الحيوان من
جهات شتى الى مكان اى هو يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف عددهم و وحده م
تصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدليل على كمال قدرته
تعالى وعلمه يدل على صحة هذا الحكم كما صرح به فى قوله انه حكيم اى باهر الحكمة
متقن فى افعاله عليم اى واسع العلم محيط بكل شئ علما ولقد خلقنا الانسان

من صلصال لما انه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيمة اى ما يستقر
فيه نبههم على مبدا واصلهم ادم عليه السلام والصلصال الطين اليابس الذى
يصلصل لشدة يبسه وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا سمع
فى صوته مد عند النقر فهو صليل واذا سمع ترجيع فهو صلصلة وقيل هو تضعيف
صل اذا انتن من حمإ صفة لصلصال اى كاين من حمإ ويجوز ان يكون بدلا من
صلصال باعادة الجار والحما طين تغير واسود من طول مجاورة الماء مسنون
مصبوب مفرغ من سن الماء اذا صبه اى افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور و
التماثيل من الجواهر المذابة كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من
روحه والجان ابو الجن كما ان ادم عليه السلام ابو الانس ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان فان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل
من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام وهذا
باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة
كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التى الغالب فيها الجزء
النارى فانها اقبل لها من الغالب فيها الجزء الارضى ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال
قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها
امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملائكة
انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون انما قال ههنا بشرا لان المراد الجسد الخالى
عن الروح والمراد فيما سبق جنس الانس ولم يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر
عنه ثمة بالانسان فاذا سويته عدلت خلقته وهيئته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه
من روحى اى احييته وهو تمثيل لتحصيل ما يحيى به جنسه فيه وما ثمة نفخ ولا منفوخ
لكن لما كان ظهور الروح الانسانى المخصوص بالله تعالى انما هو بعينا القوة الحيوانية
على البخار اللطيف المتولد فى القلب السارى منه فى الشراين الى ساير اعضاء البدن
عبر عن احيائه بنفخ الروح فان النفخ انما هو اجراء الريح فى تجويف جسم آخر واضافة

الروح

الروح الى نفسه لانه صدر منه بلا واسطة فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من
وقع يقع فسجد الملائكة كلهم معلقة لامر منجز مذكور فى مواضع اخر وقد قررنا فى تفسير
سورة الاعراف لامر معلق مذكور ههنا فالفاء الفصيحة للعطف على محذوف تقديره ظ
لم توقف على الامر التنجيزى اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص
هذا على قول سيبويه وعن المبرد اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم
سجدوا دفعة واحدة ورد بالزجاج بان اجمعين معرفة فلا يكون حالا الا ابليس استثناء
متصل وقد سبق وجهه فى سورة البقرة والاعراف ابى استيناف كان سائلا قال
هلا سجد فقيل ابى ان يكون مع الساجدين فى عبارة مع اشارة الى ان ابليس كان فى حيز
التابعين فى امر السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفى لطف موقع هذه الاشارة حيث كان
الكلام فى تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك ان لا تكون اى غرض لك فى ان لا تكون مع
الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان
اسجد لبشر كثيف وانا روحانى لطيف خلقته من صلصال من حما مسنون اى
خلقته من اخس الاجرام وانا مخلوق من اشرفها استنقص ادم عليه السلام باعتبار
النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه قال فاخرج منها من السماء او من الجنة فانك
رجيم مطرود من رحمة الله تعالى اى ملعون لان الطرد من الرحمة هو اللعن والرجم
فى الاصل هو الرمى بالحجارة وجعل الرجم طردا لان من يطرد يرجم بالحجارة وقيل من
الشياطين المرجومين بالشهب وهذا ليس جوابا عن الشبهة على سبيل التصريح بل
هو جواب على سبيل التنبيه وذلك ان الذى قاله تعالى نص والذى قاله ابليس
قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا وان عليك اللعنة هو الابعاد
والطرد الى يوم الدين جعله منتهى امد اللعن لا بمعنى انه ينقطع عنده بل بمعنى ان الاغواء
الموجب للطعن على لسان المكلفين ينقضى بانقضاء التكليف وقت الجزاء فينقطع ذلك
اللعن ثم يجازى بما ينسى معه اللعن ويستحقر من انواع العذاب والا فاللعن فى
القيمة منصوص عليه فى مواضع من كلام الله تعالى كقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت اختها فاذن موذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين وقيل حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس فى

التابيد كقوله ما دامت السموات والارض قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه سياق الكلام فتقديره فاذا جعلتني رجيما الى يوم القيمة فانظرني الى
يوم يبعثون انما سال الانظار طلبا للامهال في العقوبة قيل اراد ان يجد فسحة في الاغوا
او نجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني وما ذكرنا اتم
وهو مستلزم لما ذكره اولا واما ما ذكره ثانيا فمبناه ضعيف على ما ستقف عليه قال فانك
من المنظرين الفاء للعطف على محذوف تقديره لا حاجة الى السؤال فانك من الذين اقتضى
حكمة التكليف انظارهم فكان فيها تنبيها على انه لا حاجة له ولا اكرامه من جهة الاسعاف
لبعض سؤله الى يوم الوقت المعلوم هذا ويوم الدين ويوم يبعثون واحد الا انه خولف بين
العبارات اقضاء لحق البلاغة في الكلام فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم
البعث لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت المعلوم لوقوعه في الكلامين
وزيادة الوقت المعلوم للتنبيه على ان التاخير الى ذلك اليوم لا يقتضي نجاته عن الموت
لانه زمان ممتد والبعث في بعض اوقاته فيجوز ان يموت في اوله ثم يبعث مع سائر الخلائق
في وقت البعث وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على كرامته عند الله تعالى
لانه على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للسبب وما مصدرية اي
بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم — بيضاوى
وقيل الباء للقسم ويرده قوله تعالى في موضع آخر فبعزتك لاغوينهم اجمعين والقصة واحدة
وهو صريح في ان القسم بصيغة الذات فمن قال والمعنى اقسم باغوائك اياي ثم قال وفي
انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف فقد اخطاء في الاول ولم يصب في الثاني لان
الخلاف للفقهاء ونزاعهم في انه يمين يترتب عليها احكامها من الكفارة وغير ذلك لا في اليمين
المتعارف فانه لا خلاف في ان اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا
ورد النهي عن الحلف بالاباء وعدة الاصحاب مكروها فالكلام المذكور لا مساس له بهذا
المقام لازينن لهم في الارض اي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور وكقوله
اخلد الى الارض وقيل معنى تقييد التزيين بقوله في الارض اني قدرت على تزيين الاكل من
الشجرة لادم في السماء فلان اقدر على تزيين المعاصي لذريته في الارض اولى ولاغوينهم
اجمعين ولاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اي الذين خلصهم الله

تعالى

تعالى لطاعته وطهرهم عن الشوائب وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم و
دينهم لله تعالى وكان يكفيه ان يقول الا المخلصين منهم فزاد قوله عبادك اشارة الى
وجه خلاصهم عن اغوائه وهو اختصاصهم بالله تعالى من جهة العبودية وتوطئة
لتوصيفهم بالوصف المذكور قال هذا اشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين
من اغوائه او الى الاخلاص صراط علي اي تخلصهم من اغوائك وانتفاء سلطانك عليهم حق علي
ان اراعيه او الاخلاص طريق علي يعني يؤدي الى الوصول الي والدخول علي وايثار حرف
الاستعلاء على حرف الانتهاء لتاكيد الاستقامة والشهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو
ادل على التمكن من الوصول فهو تمثيل اذ لا استعلاء لشيء عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
مستقيم من غير اعوجاج او هذا الصراط حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان
على عبادي فقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان تفسير للصراط المشار اليه بهذا
على طريق الاستيناف وقرئ علي من علو الشرف والمكانة وفي القول المذكور رد لما وهم
اللعين من انه انما استثنى المخلصين رعاية لشرف تقربهم من الله تعالى والاضافة في
عبادي للتشريف يعني ان المخلصين بعبادي المشرفين بالانتساب الي لا قدرة لك على
اغوائهم فالاستثناء في قوله الا من اتبعك من الغاوين منقطع اي لكن من اتبعك
من الغاوين فلك عليهم سلطان والواو في قوله وان جهنم لموعدهم اي لموعد المتبعين
للعطف على المحذوف المذكور واما ما قيل انه تكذيب له فيما اوهم انه سلطان على من ليس
بمخلص من عباده فان منتهى امره التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا يخفى بعده لانه ان اريد بالسلطان القدرة على الاغواء والاضلال
فلا وجه للتكذيب له وان اريد به ما اراده في القول المنقول منه من القدرة القاهرة
فكلامه خلو عن ايهامه ثم ان مبناه على انقطاع الاستثناء مع صحة التناول في المستثنى
منه للمستثنى ولا يخفى ما فيه فان حق الاستثناء على تقدير العموم في الاستثناء الاتصال
كما ذهب اليه من قال انه تصديق لابليس فيما استثنى ولا يذهب عليك ان خطابه بالتصديق
فيما قاله لا يخلو عن نوع اجلال له فلا يناسب مقام الاهانة والاذلال اجمعين تاكيد للضمير
او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته
اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب بحسب طبقاتها استينافا او خبر ثان ومن قال

قوله وقرئ علي اي بفتح عين وكسر لام وتشديد وحيد وكذا قراءة يعقوب [illegible] قارى بيترب

يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم لكل باب في واحد منها اما
في الثاني فظاهر لان الابواب مداخل تلك الطبقات لا نفسها واما في الاول فلان مبناه
على ان يكون التعدد في المدخل فقط وليس كذلك قال علي رضي الله عنه ان الله تعالى وضع
الجنان على الارض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها
لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية
ومن وهم عكس الترتيب فقد وهم لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها
للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى وروي ان الثانية للنصارى والثالثة
لليهود والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة
للمنافقين قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا صريح في انها دركات
بعضها فوق بعض وبما قررنا ظهر ان تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق لانحصار مجامع
المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوى الشهوانية والغضبية وقرئ جزؤ
بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها الى الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم على موصوفها ان المتقين من اتباعه من قال من الكفر والفواحش فان
غيرها مكفرة فكانه غفل عن اشتراط كفارة الصغائر بالاجتناب عن الكبائر في
جنات قد سبق تفسيره في سورة البقرة ان الجنان ايضا سبع وفي كل واحدة منها مراتب
ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال وعيون يحتمل ان يكون المراد بها
الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وان يكون منابع مغايرة لتلك الانهار
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض من الادخال بسلام
سالمين او مسلما عليكم اي تسلم عليكم الملائكة آمنين من الآفات والعاهات واما الزوال
فالامن عنه انما يعلم من قوله وما هم منها بمخرجين فلا وجه لدرجه في الامن المراد ههنا و
نزعنا ما في صدورهم من غل كان بعضهم في الدنيا على آخر نزع الله تعالى ذلك من قلوبهم بعد
دخولهم الجنة وطيب نفوسهم روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان اهل الجنة يدخلون الجنة بما في صدورهم من الشحناء والغل فاذا تواصوا

وتقابلوا

وتقابلوا نزع الله تعالى ذلك من صدورهم فذلك قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
الآية فمن وهم ان ذلك النزع في الدنيا فقد وهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم والغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل فلا
وجه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير المجرور
في صدورهم وجاز ذلك لان المضاف جزء من المضاف اليه او من فاعل ادخلوها او من الضمير
في آمنين او من الضمير في جنات وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا
او حالين من ضميرهم لانه بمعنى متصافين او يكون متقابلين حالا من المستتر في على
سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين و
النصب الوصب الذي يلحق من التعب في العمل وما هم منها بمخرجين نص في الخلود وبه تتم
النعمة ولما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان
عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وهو فذلكة لذلك وفي ذكر
المغفرة ايماء الى انه لم يرد بالمتقين الذين اجتنبوا الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وفي توصيف ذاته بالغفران
والرحمة دون التعذيب والتاكيد بالضمير وتعريف الاسمين ترجيح لجانب الوعد
وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم تحقيق لهما بما يعتبرون به مما نزل بقوم لوط عليه السلام
من العذاب وانجاء لوط واله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك او سلمنا
سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون خائفون الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وكان
ذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لامتناعهم من الاكل قالوا لا توجل وقرئ
لا توجل بضم التاء من آجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله
انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك في محل الامن والبشارة
فان المبشر لا يخاف منه وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر بغلام هو
اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق عليم بالدين فادرج فيه الاشارة الى نبوته
كما ضمن قوله بغلام البشارة بكون الولد ذكرا قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
كناية عن تعجب اباه عن الحالة التي يطمع في الولد الحال اليائس عنه ومعنى الهمزة التعجب
او الاستنكار اي البشارة بالولد سن الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك اكده

بقوله فبم تبشرون اى فباى اعجوبة تبشرونى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه فى
العادة كلا بشارة او [illegible] بغير شئ وقرئ تبشرونِ بكسر النون والتشديد على ادغام
نون الجمع فى نون الوقاية وبغيرها والتخفيف على حذف نون الجمع والاصل تبشروننى قالوا
بشرناك بالحق اى بما هو محقق الوقوع او باليقين الذى لا لبس فيه ويجوز ان يكون قوله
فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقته اى باى طريقة تبشروننى بالولد ولا طريق
الى هذه البشارة فى العادة وعلى هذا يكون معنى قوله بالحق بطريقة هى حق وهو قول
الله تعالى ووعده فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه القادر على ايجاد بشر
من غير ابوين فكيف من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم عليه السلام باعتبار
العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى المخطئون طريق
المعرفة فلا يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته كقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون اى لم استبعد ذلك قنوطا من رحمته تعالى بل استبعادا من قدرته بل استبعدته
استعجابا باعتبار العادة وقرئ يقنط بالحركات الثلاث وقرئ من القنطين من قنط يقنط
قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما الامر الجليل الذى بعثتم له تفريع على ما علم مما تقدم من
ان كل القصد من ارسالهم ليس البشارة لانهم كانوا ذوى عدد ولو لم يكن المقصود
الا البشارة لاكتفى بالواحد كما اكتفى به فى بشارة زكريا ومريم ولانهم بشروه فى اثناء ازالة
الوجل ولو كان المقصود هى وحدها لابتدؤا بها ولان نزول الملائكة يكون غالبا للعذاب قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين اريد بهم معينون يدل عليه قولهم فى سورة هود عليه السلام
انا ارسلنا الى قوم لوط وانما نكرهم هنا على سبيل الاستهانة بهم كانهم ابهموا اولا ثم بينوا
فنقل كل منهما فى موضع اكتفا بقدر الحاجة وفى الاشارة فى توصيفهم بالمجرمين الا ان
ارسالهم بالعذاب يغنى عن العبارة عنه بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين الواقع فى موضع
آخر فكانهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب الى قوم مجرمين والمجرم المنقطع عن الحق الى الباطل
الا آل لوط استثناء متصل من الضمير فى مجرمين اى قوم اجرموا كلهم الا آل لوط او من قوم على
ان توصيفهم بالاجرام باعتبار الغالب وعلى كلا التقديرين القوم والارسال شاملان للمجرمين
وآل لوط المؤمنين به عليه السلام والمعنى انا ارسلنا الى قوم لوط واله ليهلكوا قومه
وينجوا اهله الا امراته انا لمنجوهم اى مما يعذب به القوم اجمعين استيناف للجواب

عن

عن سوال ابرهيم عليه السلام وهو مذكور فى موضع آخر بقوله قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته وهذا القدر من الاختلاف فى اسلوب
الكلام لا يضر اذا كان المراد نقل خلاصة المعنى وحاصل المرام الا امراته استثناء من
الضمير المجرور فى منجوهم او من آل لوط على ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن
الغابرين انها كسرت لاجل اللام فى خبرها ولولاها لفتحت وهى معلقة لما قبلها لان فعل
التقدير يعلق اجراء له مجرى القول لان التقدير بمعنى القضا قولا ومجرى العلم اما لكونه بمعناه
او لكونه مترتبا عليه واما تضمينه معنى العلم فلا يجدى نفعا لبقاء التعليق واصل التقدير
جعل الشئ على مقدار غيره والغابر الباقى والمراد البقاء فى العقوبة وهذه الجملة من كلام
الله تعالى ذكرت تفسيرا للاستثناء الواقع فى كلام الملائكة لان قوله تعالى فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها من الغابرين صريح فيه والقصة واحدة فلا مساغ لان يكون من
كلام الملائكة كالذين سعوا فى توجيه اسنادهم التقدير الى انفسهم بما لا يخلو عن نوع تعسف
لم يكن سعيهم مشكورا فلما جاء آل لوط المرسلون الفاء للفصيحة والعطف على محذوف تقديره
ظاهر بقرينة المقام وباقى الكلام قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسى واخاف ان
تطرقونى بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله و
تخافه بل جئناك بما يسرك ويشفيك من اعدائك وهو العذاب الذى تتوعدهم
بنزوله فيجادلونك فيه تكذيبا لك وقوله فى سورة هود عليه السلام قال لو ان
لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لا يمكن توفيقه لهذه المقاولة
الا بحمل قوله عليه السلام هنا على تصوير الحال والتعبير عنها وحمل ما نقل عنهم
على نقل مآل المعنى وحاصل الكلام واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم فى الليل قرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها
من اسرى وسرى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه وقيل من آخره

قال افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم لئلا يتخلف منهم احد فيصيب العذاب
ولتكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يشتغل قلبك بمن خلفك ولا يصدر من احدهم
هفوة فى تلك الحالة الهولة احتشاما منك ولا يلتفت منكم احد فيرى ما بهم من

العذاب ويرق لهم او يرى ما لا يطيقه من الهول فيبقى على مكانه دهشا فيهلك او
يشرف فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات الى الاوطان والمالوفات تحتم
عليها ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويجوز ان يكون النهى عن الالتفات كناية عن الامر
بتواتر السير وانضاله وترك التوانى والتوقف فان الملتفت لابد له من ادنى وقفة
وتوان وامضوا حيث تؤمرون اى حيث امركم الله تعالى بالمضى وهو الشام او مصر عدى
امضوا الى حيث نفسه لانه ظرف مبهم فى الامكنة وكذا تؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع
وقضينا اليه ضمن قضينا معنى اوصينا فعدى بالى كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا
ذلك الامر مبهم بتفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحلها النصب على البدل منه اى يستاصلون
عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد وفى ابهامه والاشارة اليه بذلك ثم تفسيره تفخيم للامر
وتعظيم له وقرئ ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال ما ذلك الامر فقال ان دابر
مصبحين داخلين فى الصبح حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وانما جمع حملا على
المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفى الضيف فى الاصل مصدر اضاف
يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى وهو اسم يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
واطلاق الضيف على الملائكة لكونه فى صورته فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من
اسى الى ضيفه فقد اسى اليه يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا ظهر من امره
ما يلزمه العار واتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزى
وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهى الخجالة وهذا القول منه عليه السلام
صريح فى ان مجئ اهل المدينة والمقاولة معهم فى شان الاضياف قبل العلم بانهم ملائكة ارسلوا
للنصر فجاء فى قوله وجاء اهل المدينة يستبشرون اخبار عن مجيئهم عقيب نزول الملائكة
فى بيت لوط عليه السلام قبل محاورته معهم وعلمهم بانهم ملائكة وما فى قوله فلما جاء ال
لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اخبار عن محاورته عليه السلام مع الملائكة بعد تمام
مقاولته مع اهل المدينة ولا دلالة فى الواو على الترتيب قالوا اولم ننهك عن العالمين
الهمزة للاستفهام الانكارى والواو للعطف على محذوف تقديره الم نقل لك لا تجر احدا
بالانزال فى بيتك ولم ننهك عن العالمين اى عن المنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون

الكل

الكل واحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم منه بقدر وسعه قال هؤلاء بناتى فيه وجوه
قدمر بيانها فى تفسير سورة هود عليه السلام ان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله
كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله تعالى دون ما حرم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو نبينا صلى الله عليه
وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك واللام لام الابتداء وعمرك
مبتدا خبره محذوف تقديره لعمرك قسمى والعمر بالفتح لغة فى العمر يختص به
القسم ايثارا للاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم وهو متى اقترن بلام الابتدا
يلزمه حذف الخبر لسد جواب القسم مسده انهم لفى سكرتهم اى غوايتهم او شدة
غلمتهم التى اذهبت تمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى يشار به
اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون النصح فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به
الفرد الكامل فى معناه وهو صيحة جبريل عليه السلام فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه
مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس
بانسان والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة واخذهم الصيحة قهرها اياهم و
تمكنها منهم ومنه الاخيذ بمعنى الاسير مشرقين داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس
يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت واشرق الرجل اذا دخل فى شروق الشمس
كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فلا منافاة بينه وبين قولهم
ان موعدهم الصبح فجعلنا عاليها عالى المدينة او عالى قراهم سافلها منقلبة عليهم
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر عليه كتاب من اسجل لقوله حجارة من طين
مسومة اى معلمة بكتاب قيل قذفوا بالحجارة اولا ثم قلبوا وقيل التقليب كان للحاضرين
والامطار لمن شذ منهم ان فى ذلك لايات للمتوسمين للمتفرسين اى الناظرين اى
المتثبتين فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته يقال توسمت فى فلان كذا اذا عرفت
وسمه فيه وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون
اثارهم لم تندرس بعد وهو تنبيه لقريش المارين به وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل ان فى ذلك لايات للمؤمنين بالله ورسوله ولام الاختصاص
لان الانتفاع بها مخصوص بهم وان كان انه هى المخففة واللام فارقة اصحاب

الايكة هم قوم مما بعث اليهم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة والايكة ا
الشجرة الملتفة واحده الايات لظالمين لانهم كذبوه عليه السلام فاهلكوا بالظلة
فانتقمنا منهم في عبارة الانتقام دلالة على انهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما اي مدينة
لوط عليه السلام او قراها والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان
مبعوثا اليهما فدل ذكر الايكة على مدين فاتى بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح و
الامام اسم لما يوتم به فسمى به الطريق واللوح ومطمر البنا لانها مما يوتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود وكذبوا صالحا عليه السلام ومن كذب واحدا من الرسل
فقد كذب الجميع لان سايرهم يصدقون فلا حاجة الى التاويل بحمل المرسلين على
صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام كانوا
يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم
او معجزاته وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب
الاعداء لوثاقتها او من عذاب الله لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين اتاهم صيحة من السماء فاخذتهم زلزلتها وهو المذكور في سورة
الاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت المحكمة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
اي بالعدل والحكمة لا ملتبسا بالباطل والعبث فيمهلون على فسادهم وظلمهم ولا يواخذون
بالعذاب فانه ينافي الحكمة والعدل وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن
كذبك فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح عنهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم بالخلق
الجميل بمعاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما
يجري بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازيكم على اعمالكم او هو الذي خلقكم وعلم ما هو
الاصلح لكم فامر اليوم بالصفح لعلمه بانه الاصلح الى ان يكون السيف اصلح ولقد
اتيناك سبعا سبع ايات وهو الفاتحة على ما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وقد بيناه في تفسيرها وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية ورد بان هذه السورة

قد

قد نزلت وما نزل من السبع الطوال شيء والصرف عن الظاهر باباه مقام الامتنان
من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير او من الثناء لاشتمالها على ما هو
ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة اي موضع التثنية او الثناء تنكير سبعا للتعظيم والابهام
الذي فيه والتوضيح بقوله من المثاني للتمكين في نفوس السامعين وقوله والقران العظيم
من باب عطف الكل على البعض للتعميم وتكثير الامتنان وتفخيم شان البعض المعطوف عليه كانه
المقصود بالذكر والاصل لسائر الابعاض والمراد من الكل مجموع ما نزل وقت نزول
هذه الاية لا مجموع القران حتى يلزم المحذور المذكور انفا لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك
طموح راغب الناظر انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر اليه واذا مد النظر
الى الشيء يدل على استحسانه والرغبة فيه الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فانها اوتيته من القران العظيم اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات موصل
الى دوام جوامع اللذات او ما اوتوا فهو مستحقر بالنسبة اليه اقل من لا شيء و
لا تحزن عليهم انهم لم يومنوا فيتقوى بهم الاسلام او انهم المتمتعون به وقوى المؤمنين
واخفض جناحك للمؤمنين لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم خفض الجناح مجاز
مرسل عن التعطف والرفق مرتب على الكناية واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه
بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيانه وبرهانه
ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا وانما وصفه بالمبين لان انذاره صلى الله عليه وسلم
ابين من انذار سائر الانبياء عليهم السلام لانه صلى الله عليه وسلم من امارات الساعة فهو
منذر بلسان الحال كما انه منذر بلسان المقال وقد نبه صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى
حيث قال انا النذير العريان كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة مصدر
لاتيناك لانه في معنى انزلنا عليك كانه قال ولقد انزلنا عليك سبعا من المثاني و
القران العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب المقتسمين الذين اقتسموا القران الحق و
باطل حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما او اقتسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين فيكون ذلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا لها او صفة مفعول للنذير اقيم
مقامه اي انذر قريشا عذابا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين الذين اقتسموا

مكة للتنفير عن الرسول عليه الصلوة والسلام والصد عن الدين الذين
جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة بمعنى جزء واصلها عضوة فعلة من عضى
الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل هي فعلة من عضهت اذا بهته وعن عكرمة العضة بلسان
قريش السحر يقولون للساحرة العاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة و
المستعضهة ونقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء وانما جمع جمع السلامة جبرا
لما حذف منه كقولهم قلون وثبون والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم والنسبة الى السحر فيجازيهم عليه
وقيل عام اي عن كل ما عملوا من المعاصي فيتناولها وهو وعيد لهم وقيل سؤالهم سؤال تقريع
فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره وقيل افرق بين الحق والباطل به والصدع في الاصل
شق في الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ويلزمه الابانة والتمييز وما موصولة اي
بالذي تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او مصدرية اي بامرك كقول ابي طالب فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وهو مصدر
من الفعل المبني للمفعول قيل فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز ورد بان الخلاف هو المصدر
المصرح به واما الحرف المصدري فليس محل النزاع واعرض عن المشركين اي لا تلتفت اليهما
يقولون فالاعراض كناية عن عدم الالتفات انا كفيناك اي نكفينك وذكره على صيغة الماضي
للدلالة على قربه المستهزئين باهلاكهم وتدميرهم وهم كانوا خمسة نفر من اشراف قريش
وقصتهم مذكورة في كتب التفاسير والسير الذين يجعلون مع الله الها آخر صفة المستهزئين
فسوف يعلمون ما ينزل بهم عاجلا وآجلا ولقد نعلم انك يضيق صدرك ضيق الصدر كناية
عن انقباض النفس كما ان انشراحه كناية عن انبساطها بما يقولون من تأويل الطاعنين
فيك وفيما انزل عليك والمستهزئين فيك فسبح بحمد ربك فنزه ربك عن العجز و
الانتقام منهم وفعلهم وتفريعه على ما تقدم باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو
السبب لضيق صدره صلى الله عليه وسلم ومن لم يتنبه على هذا فسره بقوله فنزهه عما
يقولون حامدا على ان هداك للحق واما ما قيل فافزع الى الله فيما نابك يكفيك ويكشف
الغم عنك ثم يصب بحزنه والفزع الى الله تعالى هو الذكر الدائم وكثرة السجود فلم يصب
حزه لان التوسل بما ذكره انما هو معنى قوله وكن من الساجدين اي المصلين وعنه

صلى

صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك دم على عبادة
من خلقك ورباك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن الوقوع لكل جسم ذي حياة
ولا تخل بالعبادة مادمت حيا وفيه اشارة وبشارة اما الاشارة فالى انه صلى الله
عليه وسلم يموت كما يموت سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام كما في قوله تعالى وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل واما البشارة فبانه عليه الصلوة والسلام عن
العاهات المانعة للتكليف بالعبادة الى ان تقضي نحبه تم الكلام في هذا المقام و
الحمد لله على التمام

سورة النحل بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله اي دنى وقرب يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث و
المراد من امر الله ما اوعدهم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم وعلى هذا وجه
اصابة الفاء في قوله فلا تستعجلوه تحرزها ظاهر بخلاف ما اذا كان المعنى ان الامر الموعود
بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع والاستعجال طلب الشيء قبل حينه كانوا
يستعجلون ما اوعدهم الله استهزاء وتكذيبا فنزلت ولما كان المستعجل المستهزئ معجزا
له تعالى عن القدرة على ما اوعده وفيه تشبيه المخلوق قال سبحانه وتعالى عما
يشركون اي تنزه ان يحوم العجز حول سرادق كبريائه وجل عن ان يكون له شريك في
العبودية ليدفع ما اراد بهم كانوا يقولون ان صح ما قلت يا محمد فالاصنام تخلصنا
منه فنزلت قرئ تشركون بالتاء على وفق فلا تستعجلوه وبالياء على تلوين الخطاب و
اما ما قيل الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي
صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فياباه التصدير بالفاء
ينزل الملائكة بالروح استعار الروح للوحي والقرآن لانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل
حياة الجسد بالروح وذكره عقيب ما وعد به اشارة الى طريق العلم به وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالعلم به وقرئ ينزل من انزل وتنزل
بمعنى تتنزل وتنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجل
امره على من يشاء من عباده ان انذروا بان انذروا والانذار الاعلام
ويختص بما فيه تخويف ولتلك الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان الشرك دائر
امره بين الاسلام والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام يتضمن التخويف بالقتل ونحوه

ان يكون ان مفسرة لان في الوحي معنى القول وبمصدرية في موضع الجر بدلا من الروح
او مخففة من الثقيلة انه لا اله الا انا اي الشان لا اله الا انا او خوفوا اهل الشرك بانه
لا اله الا انا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والاية تدل على ان نزول
الوحي بواسطة الملك وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة
العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية
والتي بعدها دليل وحدانيته تعالى من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول
العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة
قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون لانه موجد العالم كله وكلها سواه مفتقر
اليه فهو المتعالي عن رتبة الكل والتحقيق ان قوله اتى امر الله تنبيه وايقاظ ليكون
ما يرد بعده متمكنا في نفس حاضرة ملتفتة اليه وهو تمهيد لما يريد من دلائل التوحيد
وقوله ينزل الملائكة بالروح تفصيل لما اجمله في قوله سبحانه وتعالى اتعظا والاتم نفي
عليهم ما هم فيه من الشرك ثم اردفه بدلائل السمع والعقل وقدم السمعي لان صاحبه
هو القائم بتحرير العقل وتهذيبه ايضا فليس النظر الى دليل السمع بل الى من قام به
من الملائكة والرسل عليهم السلام خلق الانسان من نطفة جمادا لا حس لها ولا
حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو عطف على ما تقدم باعتبار ان المراد
من خلق الانسان ايجاده وترتيبه الى ان يبلغ حد النطق والادراك فاذا انما التعقيب
والمفاجاة اضابتا الحز خصيم منطيق مجادل عن نفسه في الخصام مبين للحجة
على خصمه مميز الحق عن الباطل فهو صفة مدح اي نقله من تلك الحالة الخسيسة
الى هذه الحالة الشريفة وهي حالة النطق والابانة ويؤيده التعقيب بذكر ما امتن
به عليه في قوام معيشته وقيل معناه مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم
وهو صفة ذم ويأباه التوصيف بالابانة ولا يساعده الكلام ولحاقه وسياقه
فانه للدلالة على كمال القدرة والارادة والانعام ذكرا ولا ما هو اكثر منفعة والزم
لمن انزل القران بلغتهم وقد تقدم شرح الانعام في سورة الانعام وانتصابها بمضمر يفسره
قوله خلقها ولكم في قوله لكم فيها دفء خبر مقدم لدفء وفيها حال منه والجملة بيان

لما خلق

لما خلق له او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله ودفء مبتدا خبره
فيها والجملة مع ما بعدها تفصيل لما خلق له والدفء ما يدفؤ به اي يسخن فيقي البرد
ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها
تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للاختصاص
اشارة الى ان الاصل المعتد به في الاكل انما هو منها واما الاكل من غيرها فكغير المعتد
به وكالجاري مجرى التفكه فجعل بمجرد محافظة الفاصلة تنزيل للمنزل عن منزلته
الفاصلة ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراوحها
بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها ويجاوب
الرغاء والثغاء فيها من اهلها او يفرح اربابها ويجلبهم في اعين الناظرين اليها ويكسبهم
الجاه والحرمة وتقديم الاراحة على السرح لان الجمال فيها اظهر اذا اقبلت ملاى
البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها يانسون بها مبتهجين
وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون كلاهما وصف لحين اي تريحون فيه وتسرحون
فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي ليس من شانكم بلوغه بانفسكم
على قدامكم الا بشق الانفس الا بجهد ومشقة لو لم تكن الابل فضلا عن ان تحملوا
على ظهوركم اثقالكم فكيف اذا فضلت اثقالكم من ان تحملوها ولم تكونوا بالغيه بها الا
بشق الانفس وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وهما لغتان في المعنى المذكور وقيل
بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق
الذي هو الصدع واما الشق بالكسر فهو النصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال له
من الجهد ان ربكم لرؤف رحيم يرؤف بكم بتيسير مصالحكم ومعايشكم ويرحمكم بخلق
هذه المنافع والحوامل والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام وواحد الخيل
خايل كضائن وضان وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر هنا منفعة الركوب عبارة
واحال بان منفعة الحمل على الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبارا في كل منهما للاصالة
وزينة انتصب بالعطف على محل لتركبوها على انها مفعول له وخولف بينهما لان
الركوب فعل المخاطبين فتعقد شرط نصبه واما الزينة ففعل الخالق لانه لا يابى عن
نظم الثاني في سلك الاول بل لان الاول مقصود بالذات والثاني بالعرض وقرئ

قوله وقرئ [illegible]

زينة بغير واو و نجاز ان يكون حالا عن احد الضميرين وان يكون علة لتركبوها و
استدل به على حرمة لحومهن ووجه الاستدلال ان المقام مقام الامتنان بعد
المنافع والكلام مشتمل لنوعي المقصود استيفا لها فلو كان اكلها حلالا لكان احق
بالتعرض من الزينة واما اكل لحم الحمار وان كان حلالا وقتئذ الا انه في معرض التحريم
فالامتنان به لا يليق بالحكيم ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات المحتاج اليها لنا
احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها مما لا يعلم كنهه وتفاصيله اي منكم ولكم
على سبيل الامتنان وما لم تحصوه ولم يكن لكم به علم لكثرتها دلالة على مزيد قدرته و
حكمته ويدخل فيه ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه
وعبر بالنظم الى المضارع استحضار الايجاد ما لم يحط به علما من الاشياء النافعة له
والدلالة على قدرته تذكيرا للنعمة وتعجيبا وتقريرا لدلائل القدرة وتعجيزا لما يشركون به
من الالهة وعلى الله قصد السبيل اي عليه تعالى رحمة وفضلا هداية الطريق
المستقيم الموصل الى الحق او عليه الطريق المستقيم اي يصل اليه من يسلكه لا محالة
كما تقول هذا الطريق على موضع كذا اذا انجرت اليه والقصد مصدر بمعنى اسم الفاعل يقال
سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك والمراد
بالسبيل الجنس لاضافة القصد اليها ولقوله ومنها جائر لا يوصل الى الحق لسوء
استعداد صاحبه وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد وتغيير الاسلوب للدلالة على
انه ليس على الله تعالى الهداية الى الطريق الجائر عن القصد والاستقامة او لا يوصل
الى الله سالكها او لان المقصود بيان سبيله وذكر قسيمه انما جاء بالعرض ولو
شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء الله هدايتكم اجمعين الى قصد السبيل لهداكم
اليه هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من
جانب السماء لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان اتبعه بذكر
الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات ماء تنكيره للدلالة على خلاف الماء المعهود حيث
لا يسيل بل ينزل قطرات غير متداركة لكم متعلق بانزل او خبر لشراب في قوله منه
شراب اي مشروب ومنه على الاول خبر لشراب وعلى الثاني تبعيضية متعلقة و
في حصر المشروب المستفاد من تقديم منه دلالة على ان مياه الارض منه ومنه شجر

ومنه

قوله وقرئ ومنكم جائر اي بالكاف للخطاب عن ابن مسعود رضي الله عنه قاري

ومنه تكونه والمراد بالشجر ما يرعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض يطلق على
الشجر قال الشاعر يعلفها اللحم اذا عز الشجر فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها واصلها من السومة
التي هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع وقرئ بالنون على
التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب تقديم الزرع لانه الاصل في الغذاء وتخصيص
الاجناس الثلاثة من الثمرات وتقديمها لاظهار فضلها واناقتها على سائرها ولعل تقديم
ما يسام فيه على اكل الصبور وتدعو غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية اسرع ما يكون
في الارض اي اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض كلها لان كل ما يمكن من الثمرات
لا يكون في الارض ان في ذلك لاية لدلالة واضحة لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون
بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته ولما كان الاستدلال بانبات الماء وهو واحد و
ان كثرت انواع النبات قال هنا لاية على صيغة الافراد وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره نصب على الحال اي نفعكم بها حال كونها مسخرات
بامره التكويني او على المصدر وجمع للتنويع جمع مسخر بمعنى تسخير اي سخرها انواعا من التسخير
كانه قيل سخرها تسخيرات وقرئ برفع الشمس والقمر والنجوم على الابتداء والخبر مسخرات
بالرفع وبرفع النجوم وحده ونصب ما قبله ومسخرات خبره بمعنى انها مسخرات حقيقة لله
تعالى وانما قيل انها سخرت لكم باعتبار ان فائدة تسخيرها عائدة اليكم ومن زعم ان المعنى
مسخرات لما خلقن له فقد وهم اذ يكون اعادة بلا فائدة ان في ذلك لايات اتى
بصيغة الجمع لان وجه الدلالات في السموات متعددة لقوم يعقلون ذكر العقل لان
الاحتياج الى تجريد العقل الصرف في الاستدلال بها اشد فان القوة الفكرية كافية
في الاستدلال بما يشاهد من احوال النبات وتغيير الوانه واختلاف اشكاله والوانه
واما احوال العلويات فلا بد فيها من مزيد عقل ومعرفة العلم الطبيعي والهيئة والهندسة
ومن زعم ان وجه الدلالة هنا مع تعدده اظهر من وجهها مع وحدته فقد
كابر مقتضى العقل الصريح وما ذرأ لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن
في موضع نصب بفعل محذوف اي وخلق وانبت كذا قال ابو البقاء استبعد تسلط سخر
على ذلك اذ يلغو قوله لكم فقدر فعلا لائقا ومن لم يتنبه لهذا قال اي سخر لكم ما خلق

لكم فيها مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
اي يعتبرون فان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع قادر حكيم وافرد
الاية لانه عبر عنه بمفرد ووصفه بمفرد وهو الذي سخر البحر بان مكنكم من الانتفاع به
بالركوب والاصطياد والغوص وغير ذلك لتاكلوا منه لحما طريا هو الحوت وانما عبر
عنه باللحم وهو ما يوكل من الحيوان تنبيها على جهة فضله وامتيازه عن سائر الحيوانات
الماكولة فانها لا تكون لحما الا بعد الذبح والسلخ ولا يخفى لطف موقع هذا التنبيه و
التمهيد السابق بقوله منه حيث يتضمن الاشعار بانهم يبتدؤن اكله من البحر مبالغة
في تهيئته للاكل في مقام الامتنان وفي تخصيص اكله طريا بالذكر اشارة الى انه في معرض ان
يسرع اليه الفساد لكمال لطافته فيسارع الى اكله فكانه قيل لتاكلوا منه لحما في غاية اللطافة
وهذا من لطف الكنايات التي قلما يتنبه لها ولا بد من الحمل عليها اذ على تقدير ابقائه على
ظاهره يكون بيانا للواقع خاليا عن فائدة الخبر ولازمها روى ان ابا حنيفة رضي الله عنه
لما قال لو حلف لا ياكل اللحم فاكل لحم السمك لا حنث لان لحم السمك ليس بلحم سمع سفيان
الثوري قوله فانكر عليه محتجا بهذه الاية فبعث اليه ابو حنيفة رحمه الله فسأله عمن
حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل حنث ام لا فقال سفيان رحمه الله
لا يحنث فقال الرجل اليس ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف
سفيان رحمه الله ان ذلك بتلقين ابي حنيفة وقيل في وجهه قوله ان مبنى الايمان على
العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال
الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار وهذا معارض
بانه اذا قال لغلامه اشتر بهذه الدرهم لحما فجاء بلحم العصفور استحق الانكار ايضا مع
انه يحنث باكل لحم العصفور من حلف لا ياكل اللحم لما اخرج من البحر الملح الزعاق الحيوان
الذي لحمه في غاية العذوبة ونهاية اللطافة علم انه انما حدث لا بحسب الطبع بل
بقدرة الله وحكمته حين اظهر الضد من الضد وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ و
المرجان فان الحلية اسم لما يتحلى به وزيادة حرف التنفيس هنا للدلالة على ان
اخراجها بمشقة يقتضي المهلة تلبسونها تلبسها النساء وهو من قبيل اسناد فعل
البعض الى الجملة كما هيئة السابق وترى الفلك مواخر فيه جواري فيه تشقه

رجلا

الثاني عدا الانسان فان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة ابو السعود

تجري في مقام الامتنان عن لبس نسائهم لهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم ابو السعود

بحر

بخير وهما مع صوت من المخر وهو شق الماء صوت ولتبتغوا عطف على محذوف
تقديره لتركبوا فيها ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم
تشكرون اي ولتشكروا الله تعالى على هذه النعمة الجليلة حيث يقطع بها
المسافة البعيدة في المدة القليلة مع ما فيها من الاحمال والاثقال بلا مؤنة
الرفع والوضع في اثناء السفر كما هو المعتاد في مسافرة البر هذا هو الوجه
بتخصيص هذه النعمة بتعقيب الشكر وانما جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش فلا يناسب مقام الامتنان بالاحسان انما يناسب مقام اظهار القدرة والقى
في الارض رواسي عطف على محذوف تقديره والارض مددناها والقينا فيها رواسي
ولما حذف المعطوف عليه عدل عن الضمير الى الظاهر وقد مر تفسيره في سورة الحجر
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم اي تتحرك وتميل والميد الاضطراب وذلك ان الارض
لو بقيت على بساطتها كانت كرية مجيبة للتحرك بادنى سبب او متحركة كالفلك
فلما خلقت الجبال راسخة فيها تعادلت جوانبها وتوجهت الجبال نحو المركز بثقلها
فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة والميل من جانب الى جانب وانهارا اي جعل
فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لتهتدوا بها في اسفاركم الى
مقاصدكم وانما قال لعلكم لانه لا بد من الاستدلال في بعض المواضع للاهتداء الى المقاصد
وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة في النهار من الجبال والانهار ونحو ذلك وبالنجم
المراد به الجنس او الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ويساعدها قرائته بضمتين
وضم وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل في البراري والبحار وتقديم النجم وتوسيط
الضمير افخاما واخراج الكلام عن سنن الخطاب الى الغيبة للدلالة على ان هؤلاء المنكرين
من قريش بالنجم خاصة هم خصوصا يهتدون لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة
مشتهرين بانهم اعلم الناس بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم فكان الاعتبار بذلك الزم لهم
والشكر لله به اوجب عليهم فلذلك خصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق الهمزة للانكار
ودخلت على الفاء التعقيبية اي ابعد هذه الدلائل المتكاثرة الواضحة الدالة على كمال قدرة
الله تعالى وحكمته وانفراده بخلق ما عدد من مبدعاته يقولون بمساواة الخالق المطلق
لما لا يخلق شيئا وايراد من للجماد التي هي الاصنام اما للمشاكلة واما بناء على اعتقادهم

وتسميتهم الهة وعبادتهم لها وفيه ضرب من التهكم واما لان المراد بمن لا يخلق من اولى
العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان حق الكلام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق لانه الزام
لعبدة الاوثان لكنه عكس تغليظا لشانهم بانهم لما سموها باسمه وعبدوها كعبادته
وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالى من جنس هذه المخلوقات وشبهوه بها فانكر
ذلك عليهم وحذف مفعول يخلق لان المراد نفس صدور الفعل منه اي لا يكون الخالق
شبيها بغير الخالق او للتعميم اي افمن يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا او لان ما عدد
من المخلوقات دل عليه اي افمن يخلق ما عدد من الاشياء العظيمة العجيبة كمن لا يخلق
شيئا منها افلا تذكرون بعد هذه البينات فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه ووضوحه
كالبديهي المغفول عنه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تبلغ طاقتكم ضبط عددها
فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على انفرادها
باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراءها من النعم ما لا ينحصر وان القيام بحق
عبادته وشكره غير مقدور لاحد ان الله لغفور حيث يغفر تقصيركم في اداء شكرها
ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
وفيه اشعار بانه تعالى ما كلفكم حق الشكر لعدم الامكان وتجاوز عن الممكن
الى السهل الميسور وفي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ما يشعر بانهم
قصروا في هذا الميسور ايضا فاستحقوا العقاب اي يعلم ما تسرون من عقايدكم
وعزايمكم وما تعلنون من اعمالكم واقوالكم وهو وعيد على شركهم باعتبار العلم
والعمل وتقصيرهم في الشكر والعبادة وتقديم ما تسرون لان الوعيد من جهة
العقايد والعزايم اهم والذين يدعون من دون الله اي والالهة الذين يدعونهم
الكفار من دونه تعالى او يعبدونهم لا يخلقون شيئا لما نفى المساواة والمشابهة
بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يساوونه ولا
يماثلونه ثم اثبت لهم صفات تنافي الالوهية تاكيدا لذلك فقال وهم يخلقون اي
وهم ممكنات مفتقرة الى التخليق فكيف يكون الها والاله يجب ان يكون واجب
الوجود غنيا عن الكل اموات هم اموات ولما احتمل ان يكون المعنى اموات فيما
بعد على طريقة انك ميت وانهم ميتون دفعه بقوله غير احياء ويجوز ان يكون

المعنى

المعنى جمادات لا يعرض لها حياة كما يعرض لبعض الاموات كالنطف التي يحييها الله
تعالى ويجعلها حيوانات وكاجساد الموتى التي يبعثها الله تعالى وذلك اعرق
في كونها اموات ويجوز ان يكون المعنى اموات حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول
كل معبود والاله يجب ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان
يبعثون امواتا اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فان المعبود يجب
ان يعلم عبادة العابد وقت بعثه وجزائه حتى يقدر على مجازاته بعد موته فان البعث
والجزاء من لوازم التكليف بالعبادة وفيه تهكم بهم وبالهتهم فانها جمادات لا شعور
لها بشيء فكيف بما لا يشعر به حتى غير الله تعالى الهكم اله واحد تخليص للنتيجة وتكرير
للمطلوب بعد اقامة الحجة عليه على ابلغ الوجوه فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم
منكرة تعكيس للمقصود من النتيجة وبيان لموجب انكارهم اي انه قد ثبت وتحقق
بالبراهين المذكورة ان الالوهية تمتنع ان تكون الا لله وحده لا شريك له فيها
فانتج لهم ذلك اصرارهم واستمرارهم على شركهم وانكار قلوبهم للوحدانية وذلك
لعدم ايمانهم بالاخرة فان الذي لا يؤمن بها لا ينظر في الدلائل ولا يتاملها بخلاف
المؤمن بها وهم مستكبرون وهم قوم عادتهم الاستكبار عن التوحيد وعن الاقرار
به لما رسخ في قلوبهم من تقليد ابائهم لا جرم قد سبق تفسيره في تفسير سورة هود
عليه السلام ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ذلك وعيد على
ما ذكر على ابلغ وجه وهو في موضع رفع على الفاعلية لان جرم فعل او مصدر انه
لا يحب المستكبرين تعليل للوعيد اي لا يحب كل مستكبر فكيف بالذي استكبر عن توحيده
او اتباع رسوله وفي اطلاق المستكبرين تعميم برهاني واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين
ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم وتقرير الجواب ما تدعون نزوله اساطير الاولين
او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله ربكم وتقرير الجواب هو اساطير الاولين او المنزل اساطير
الاولين على السخرية والتهكم والمجيبون المقتسمون مداخل مكة ينفرون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة متعلق بقالوا على التعليل في نفس الامر
لا الغرض واللام لام العاقبة او كالتوطية لذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان ضلالهم

اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
ضلال من ضل بسببهم وهو وزر الاضلال فانه ضلاله انما حصل بامرين اضلال هذا
ومطاوعة هذا فيتحاملان الوزر بغير علم حال من المفعول اي يضلونهم على جهلهم و
فائدة التقييد به الدلالة على ان جهلهم ليس بعذر اذ كان عليهم ان يبحثوا وينظروا
فيعرفوا من يقلدونهم ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه
فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم
من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم
السقف قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان
يملكه وان لم يكن عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج به هذا عن الذي من كلام العرب
اي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون تمثيل اي قد دبروا حيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك
المماكر والحيل واشبه حالهم بها كحال قوم بنوا بنيانا واحكموا قواعده فاتى الله
بنيانهم من جهة الاساس فسقط عليهم السقف وهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم
يذلهم قيل يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويابا د
قوله ويقول اين شركائي لانه قبل دخولهم في النار اضاف الى نفسه الشركاء
حكاية لاضافتهم توبيخا لهم بها وتهكما بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
المؤمنين في شانهم وقرئ بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة
الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء اي الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد
فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بظرفيه والسوء الذلة
والعذاب على الكافرين تقريرا لما كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما وعدهم واظهارا
للشماتة بهم وحكى الله تعالى قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل المراد من القائل الملائكة
ويابا قوله الذين تتوفاهم الملائكة يحتمل الجر صفة للكافرين فيكون داخلا تحت
القول والنصب والرفع على الذم ظالمي انفسهم بان عرضوها على العذاب المخلد
نصب على الحال فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وتولوا عما كانوا عليه في
الدنيا من الشقاق والتكبر والتعظم قيل حين عاينوا الموت وياباه السياق في

والحاق

والحاق ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون
تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام لما جحدوا وما كانوا عليه
من الكفر والعدوان ورد عليهم اولوا العلم بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون
فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من باب الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم اي كل
صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين هي اي جهنم والوصف بالتكبر للايذان باستحقاق صاحبه النار ومن
لم يجوز الكذب يومئذ اول قولهم ذلك بانا لم نكن في زعمنا عاملين سوءا ولا
يناسبه الرد المذكور كما لا يخفى وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين عطف على قيل لهم
في قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وانما رفع الاول و
نصب الثاني فرقا بين جواب الجاحد وجواب المقر اي ان المتقين لم يتلعثموا واطبقوا
الجواب على السؤال بينا مكشوفا والمشركون عدلوا اعدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا
هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء للذين احسنوا في هذه الدنيا كلام مدح الله
تعالى به القائلين خيرا وجعل قولهم ذلك من جملة احسانهم وحمدهم عليه ووعدهم
به فهو كلام مبتدا لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون بما بعده بدلا من خيرا على انه
من كلام المتقين اي قالوا خيرا ثم فسروا الخير بهذه الجملة بمعنى انزل هذا الكلام بعد
ما ابهموه وسموه خيرا حسنة مكافاة باحسانهم في الدنيا وهي العصمة والتوفيق
والنجاة من العذاب المعجل ولدار الاخرة ولثوابهم في الاخرة خير مما لهم في الدنيا
ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعم كلمة مدح اذ لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم
وملكها دائم وصاحبها فيها خالد وحذف المخصوص بالمدح وهو دار الاخرة لتقدم
ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن تقديم لهم للتخصيص اي لهم خاصة دون غيرهم
وعمومها مع تقديم فيها تنبيه ان الانسان لا يجد جميع ما يشاء من المشتهيات الا في الجنة
كذلك يجزي الله المتقين فذلكة للتاكيد مع تعظيم الجزاء وفيه تقوية للوعد الاول
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه

ايمانهم وتوجه نفوسهم بالكلية الى عالم القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على الاعمال الصالحة وانما قالوا ادخلوا
الجنة لان القبر روضة من رياض الجنة في حقهم ومن غفل عن هذا ذهب الى ما
ذهب وارتكب لما يخل حسن الانتظام في الكلام هل ينظرون اى الكفار المار ذكرهم
الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او ياتى امر ربك العذاب المستاصل الواقع فجاة وقد
سبق وجه التعبير عن مثله بامر الله تعالى وتفسير الامر بالقيامة يا باه كلمة او ولا انتظارها
يجامع انتظار الملائكة كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع القبيح من الشرك والتكذيب من قبل
هنا فاصابهم ما اصابهم فكانه غفل عن ان الاخبار عنه بعد هذا صريحا في نظم القران
يابى عن اعتباره هنا تقديرا فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم او تعذيبهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بما استوجبوا به ذلك فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء
سيئات اعمالهم لا على حذف المضاف بل على تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا الحيق
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء
من البحاير والسوائب وغيرهما مما احل الله تعالى وانما قالوا ذلك عنادا وتعنتا
والزاما للموحدين بناء على زعمهم هو قولهم ما شاء يجب وما لم يشاء يمتنع ومنعا
للبعث وانكارا للتكليف لعدم الفائدة فيها حينئذ وانكارا القبيح ما انكر عليهم من
الشرك والتحريم ونحوهما متمسكين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها
عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم كذلك فعل
الذين من قبلهم اى مثل ذلك الفعل الشنيع من الاستهزاء بالرسل وانكار البعثة
والتكليف والجدال بالباطل فعل اسلافهم ولما فهم منه ان انذار الرسل وارشادهم
لم يجد نفعا في حق الضالين المعاندين اتجه السوال ان يقال فما بال المرسلين حيث
لم يفتوا مصلحة الارشاد اجاب عنه بما حذف واقيم تعليله مقامه لاستلزام
العلة للمعلول قوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين اى لا باس فيه فهل عليهم
الا الابلاغ الموضح للحق اى ليس لهم عليهم الهداية ولكن الله تعالى تسبب الاسباب
بحكمته وجعل تبليغ الرسل من اسباب الهداية لمن يشاء هدايته فليس عليهم
له

له عليهم السلام الا ما كلفهم من التبليغ والابانة ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة ثم بين ان بعثة الرسل والدعوة الى الحق والتكليف امر جرت
به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وازدياد ضلال
من اراد ضلاله كالغذاء الصالح الذى ينفع من اعتدل مزاجه ويضر من انحرف
مزاجه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله ان
يجوز ان يكون تفسيرية لان البعث يتضمن معنى القول وان تكون مصدرية اى
بعثناه بان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قد سبق تفسيره في سورة البقرة
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة تغيير
الاسلوب بالعدول عن قوله ومنهم من اضله للتنبيه على ان الثانى لسوء استعدادهم
على ما افصح عنه قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك ومن لم يتنبه لذلك قال انه لم يوفقهم ولم يرد هداهم فسيروا في الارض
ترتيبه على موجب ما تقدم من نزول العذاب عليهم فكانه اخبر عنه واحالهم في معرفة
ذلك على المسير في الارض ولا اختصاص للامر المذكور بقريش فانظروا العطف بالفاء
للدلالة على ان الغرض من الامر بالسير هو النظر المذكور اى سيروا في الارض هذا الامر و
اجعلوه غاية لسيركم فالفاء لبيان ترتيب احد الامرين على الآخر بكون الاول وسيلة
للثانى لا للتعقيب السير بالنظر فتدبر كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم
لعلكم تعتبرون ان تحرص الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على هداهم فان الله لا يهدى
من يضل من حقه ان يضل تعليل للجزاء اقيم مقامه لاستلزام العلة للمعلول اى فهون على
نفسك ولا تتعبها وتسل عنهم فان هديهم ممتنع وقرى لا يهدى على البناء للمفعول
وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم اذ خذلهم الله تعالى او يدفعون العذاب عنهم
اذا عذبهم وانما نفى الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة والقدرة على النصرة
واقسموا بالله جهد ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا بلغ طاقتها واقصى وسعها
للمبالغة في اليمين وبلوغ غاية غلظها واقصى وكادتها وهو في حكم الحال لان اصله
واقسموا بالله يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع المصدر مكانه مضافا الى المفعول
لا يبعث الله من يموت ارادوا به نفى قدرته تعالى على بعث الموتى والجملة عطف على وقال

الذين اشركوا تصريحا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده للايذان بانهما كفرتان عظيمتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا ليتعجب منهما و
يعتبر بهما وقد ردّ الله تعالى عليهم ابلغ ردّ فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر موكد لما دل
عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى صفة لوعدا حقا صفة اخرى له اى وعدا ثابتا
عليه الوفاء به حقا لامتناع الخلف في وعده ولكون البعث مقتضى حكمته ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعده حقا عليه انجازه بمقتضى حكمته وعدم العلم به
لا يستلزم العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع فما قيل في التعليل لقصور نظرهم بالمألوف
يتوهمون امتناعه من قصور النظر ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم
والضمير فيمن يموت عام للناس كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم
كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب و
العقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا ان نقول
خبره واذا لمجرد الظرفية اى وقت ارادتنا له او شرطية محذوفة الجزا لدلالة الجملة
الاسمية عليه اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فحدث عقيب ذلك
بلا توقف تمثيل لبيان امكان البعث وسهولته على الله تعالى وهو ان كل ما تعلق به ارادته
من الاشياء لا يمتنع عليه ولا يتوقف بل يكون كمامور مطيع امر امر مطاع فلم يلبث ان
يمتثل والمبعوث احد الاشياء الممكنة فكيف يمتنع عليه ولا قول ثمه وقرئ فيكون بالنصب
عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
المهاجرون رضي الله عنهم ودل قوله في الله على ان الهجرة اذا لم يكن لله لم يكن لها
موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله تعالى من بعد ما ظلموا على
انهم كانوا مظلومين في ايدي الكفار وا المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة اى تبوئة
حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا لو كانوا يعلمون الضمير للمهاجرين
اى لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم او للكفار اى لو كانوا يعلمون ان
الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لرغبوا في دينهم الذين صبروا

على

كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق ابو السعود

على اذى الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون
منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى
اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه والموحى لا يلزم ان يكون بواسطة
الملك فضلا عن ان يكون على لسانه والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام
فاسالوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون جوابه
محذوف دل عليه ما قبله وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل ملكا ولا امراة
ولا صبيا للدعوة العامة ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد
لانها اخص من الرسالة وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام
من حيث الاعتراف بعد العلم وسبيل الجاهل سؤال من يعلم لا الانكار ويجوز
ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء اى وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات وان يكون صفة لرجالا اى رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحى على
المفعولية او بحال عن الفاعل من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا
اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات
والزبر فهو على هذا كلام آخر مستانف وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمى
ذكرا لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط
نزوله عليك من الاحكام والمواعيد والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او
يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان
يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق والواو للعطف على محذوف تقديره ارادة
ان يصغوا اليه افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم
الذين احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام او الذين مكروا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ودخول الهمزة على فاء التعقيب
انكار لامنهم بعد اطلاعهم على عاقبة المكذبين والبينات التي نزلت على
الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخسف الله بهم الارض كما خسف قارون

او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اى فى حال غفلتهم نائمين ولا يلزم ان يكون من
جانب السماء ولا ان يكون بغتة وبهذا جمع بينهما فى قوله من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون او يأخذهم الاخذ هنا كناية عن الاهلاك كما فى قوله فكلا اخذنا
بذنبه فى تقلبهم فى تصرفاتهم فى امورهم وهذا ايضا زمان غفلتهم عن تطرق الآفات
لتوغلهم فى تحصيل المهمات الا ان لهم فيه شعورا وهذا تفصيل ما اجمله الضحاك
بقوله بالليل والنهار فما هم بمعجزين بفائتين والفاء للدلالة على شدة الاخذ
بحيث لا ينفلت المأخوذ ولو انا وبه تتم الكناية المذكورة آنفا او يأخذهم
على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون
وهو خلاف الاتيان والاخذ المذكورين سابقا لانه اخذ على توقع فيكون الغرض
التعميم وقيل من تخوفته اذا تنقصته اى يأخذهم على تنقصهم شيئا بعد شىء وانفسهم
واموالهم حتى يهلكوا فان ربكم لرؤف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم بها
وهذا كالتعليل للاخذ على التخوف لان فيه مهلة وامتدادا وقت فيمكن فيها التلافى
اولم يروا الى ما خلق الله استفهام انكارى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم
يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وانما قال من شىء لان المخلوقات
على نوعين ما خلق من شىء كعالم الاجسام وما خلق من غير شىء كعالم الامر وهو
عالم الارواح كما قال الله تعالى الا له الخلق والامر وانما سمى عالم الارواح عالم الامر
لانه خلق بامر كن من غير شىء والظل من خواص ما فى عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل
ان بيان ما خلق بشىء بيان المبهم بما هو ابهم فافهم يتفيؤ ظلاله يتفيؤ تفعل من
فاء يفيء رجع واختلف فى الفيء فقيل هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال او بعده
وهو الموافق لمعنى الآية وقيل الفيء هو الذى بعد الزوال عن اليمين والشمائل اى عن
الجوانب كلها استعير اليمين والشمال من جنبى الانسان لجانبى الشىء ثم اراد بالشمائل
الشمال والخلف والقدام على طريق التغليب لان الظل يفيء من الجهات كلها سجدا لله
وهم داخرون حالان من الضمير فى ظلاله باعتبار المعنى لانه يرجع الى ما ووحد باعتبار
اللفظ وجمع داخرون بالواو لتغليب العقلاء على سائر ما خلق الله تعالى او لان
السجود والدخور من اوصاف العقلاء ويجوز ان يكونا حالين عن الظلال والاول

منها

منها والثانى من الضمير وهذا اولى لما فيه من وصف الظلال بالسجود ووصف اصحابها
بالدخور الذى هو ابلغ لانه انقياد وقهرى مع صفة الانقياد فيكمل حسن المعنى
بتصوير سجود الظل وذى الظل وتقاربهما فى الوجود وبظاهر وجه تغيير الاسلوب
فى الحال الثانى واستعير السجود والدخور للانقياد والاستسلام والتسخير لما يريد
من المخلوقات او من ظلالها سواء كان بالاضطرار او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا
مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب والمعنى والله اعلم يرجع الظلال
بارتفاع الشمس وانحدارها وباختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله من جانب الى
جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة
الساجد والاجرام فى نفسها داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها
ولله خاصة يسجد ينقاد لارادته وقدرته انقيادا يعم الاختيارى والاضطرارى
ومن ذكر بدل الاول ما يكون طوعا وبدل الثانى ما يكون طبعا لم يصب فى واحد منهما ما
فى السموات وما فى الارض من دابة بيان لما فى الارض لان الدابة ما تدب فى الارض ولا
يلزم ان يكون على وجهها والسكوت عن بيان ما فى السموات للاشعار بكثرة ما فيها
اجناسا وانواعا ومن رام تعميم البيان زاعما ان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء
كانت فى جسم سماوى او ارضى فقد غفل عما فى قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء من
الدلالة على اختصاص الدابة بما فى الارض لان ما فى السماء لا يخلق بطريق التوالد و
الملائكة خصت بالذكر معطوفة على ما فى السموات للتعظيم عطف جبريل على الملائكة اى
والملائكة خصوصا من الساجدين لانهم اطوع خلق الله واعبدهم وهم لا يستكبرون
عن عبادته جملة استئنافية وتقديم هم للتخصيص يخافون ربهم خوف اجلال و
هيبة وتعظيم حال من ضمير لا يستكبرون او بيان لنفى الاستكبار وتأكيد له لان
من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته من فوقهم حال من ربهم بمعنى القهر و
العلو اى غالبا لهم وقاهرا ويفعلون ما يؤمرون خوفا له وعلما بعظمته ونفاذ سلطانه
وقدرته ولا دلالة فيه على ان الملائكة مكلفون بالتكليف الشرعى الذى يترتب عليه الثواب
والعقاب وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اكد الهين بالوصف باثنين وان دلت التثنية
عليه للدلالة على ان مساق النهى هو العدد لا الالهية وان الاثنينية تنافى الالهية

كما وصف الله بواحد في قوله انما هو اله واحد دلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية
دون الالهية وانها لازمة للالهية فاياى فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم ايقاعا
للرهبة في القلوب وتمكينا لها في النفوس ومبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود ولذلك
قدم المفعول مع فاء السببية وكرر الفعل اى ان كنتم رهبتم شيئا فاياى فارهبون لا
غيرى فانا ذلك الاله الواحد القاهر لكل شئ وله ما في السموات والارض التفات آخر
للتعظيم وتقرير وجوب تخصيص الرهبة به ووجوب الانقياد له في قوله ولله يسجد اى له
ما فيهما خلقا وملكا فكيف لا ينقادون له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم الظرف تاكيد وتقوية
لمعنى الاختصاص الذى في اللام وكذا قوله وله الدين اى الطاعة والانقياد واصبا اى
واجبا ثابتا اى وله الجزاء دائما سرمدا لا يزول وهو تاكيد وتقرير اخر وتعليل لوجوب
الانقياد والرهبة على الوجه الثانى وكذا افغير الله تتقون تاكيد اخر بتقديم المفعول
مع ان الهمزة الانكارية داخلة على الفاء التعقيبية اى ابعد العلم بالتوحيد وتخصيص
الكل به خلقا وملكا تخصون غيره بالاتقاء وفيه توبيخ بليغ وما بكم واى شئ اتصل و
استقر بكم من نعمة فمن الله والذى اتصل بكم فهو من الله وما شرطية او موصولة
متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار او العلم لا ان استقرار النعمة بهم سبب الاخبار او العلم
بانه من الله لا بحصوله منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون الجوار رفع الصوت بالدعاء
والاستغاثة اى فتتضرعون في كشفه الا اليه وفرق بين حصول النعمة ووقوع الضر
بعموم ما وايراد الباء الالصاقية في الجملة الاسمية اى وكل ما استقر بكم من النعم المستمرة
فهو من الله يجب عليكم شكره لان الانسان لا يخلو في حال ما من نعم كثيرة وبايراد ثم المفيد
معنى التراخى والمس الذى هو ادنى اصابة وجنس الضر الذى يكفى في اطلاقه اقل ما يطلق
عليه الاسم في الجملة الفعلية اى ثم اذا تجدد اصابة ادنى شئ من جنس الضر بعد زمان
طويل لا تجأرون الا اليه وانما جاء باذا دون ان لان وقوع هذا القدر من الضر في بعض
الاحايين محقق ثم اذا كشف الضر عنكم ثم هنا لاستبعاد الشرك بعد كشف الضر
عند تخصيصه تعالى بالتضرع اليه في طلب كشفه والعلم بحصول جميع النعم منه اذا فريق
منكم بربهم يشركون اذا فجائية والخطاب عام والفريق هم الكفرة وخاص بالمشركين ومنكم
للبيان لا للتبعيض اى اذا فريق وهم انتم بربهم يشركون او للتبعيض على ان منهم من اعتبر

وازدجر

وازدجر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف منهم بيان
لرسوخ الكفران فيهم وغلبته على طباعهم حتى كانهم جعلوا غرضهم من الشرك كفران النعمة
فتمتعوا وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان اللام للتعليل ويجوز ان
يكون لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب فسوف تعلمون تخلية لهم ووعيد بليغ ويكون
ليكفروا ايضا واردا على سبيل الخذلان والتخلية ويجعلون لما لا يعلمون اى لالهتهم التى لا يعلمون
حقيقتها فيعتقدون انها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تعالى وهى جمادات لا تضر ولا تنفع
على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به
او لالهتهم التى لا علم لها لانها جمادات فيكون الضمير لما نصيبا مما رزقناهم من انعامهم وزروعهم
تقربا به اليه تعالى تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو
وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن قولهم وتعجيب منه ولهم ما يشتهون نصب عطفا على البنات اى ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون من البنين اى يختارونه او رفع على الابتداء ولهم خبره وسبحانه
اعتراض واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة واسوداد الوجه مجاز من الاغتمام والتشويش وهو كظيم مملوء غيظا اى على
المرأة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ايمسكه
محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون ذل ام يدسه ام يخفيه فى التراب اى يئده
وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن
الولد ما هذا محله عندهم ولا نفسهم من هو على ضد هذا الوصف للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء صفة السوء من الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم وارادة
الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق الشاهد على
انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى من الغنى المطلق بالوجوب الذاتى والجود
الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة والقوة
على بطشهم واخذهم بذنوبهم الحكيم الذى يؤخرهم الى اجل مسمى تقتضيه الحكمة
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وجاز
اضمارها من غير ذكر لدلالة الدابة عليها لما عرفت انها ما يدب فيها من دابة قط

خو ... سبيا للمفعول اى تمتعنا الضارع
و ... روى عنه صلى الله عليه وسلم والا
دحوم ... وعن ابن مسعود قل
عن ابى العاليه وعن ... فارع
تمتعوا

لان غير الانسان من الدواب انما خلقت لاجله لقوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ولو اخذ
الظالم بظلمه لانقطع نسل الانسان او ما من شخص الا وفي ابائه ظالم فلا دلالة في الآية
على ان يكون الناس كلهم ظالمين لما عرفت ان المراد من الظلم المضاف اليهم ما صدر عن بعضهم
ولكن يوخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ويجعلون
لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل
وارذال الاموال وتصف السنتهم مع ذلك الكذب وهو ان لهم الحسنى اي عند الله تعالى
كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى بدل عن الكذب او على اسقاط الحرف
اي ان لهم وقرئ الكذب بضمتين جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم قد سبق تفسيره
في سورة هود عليه السلام ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم
مفرطون بالفتح مخففا ومشددا يعني مقدمون الى النار اي معجلون من افرطت فلانا
وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا
خلفته ونسيته وقرئ بالكسر مخففا من الافراط في المعاصي ومشددا من التفريط
في الطاعات وما يجب عليهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات
القوم ووعيد لاهل مكة فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كانت يزين لهم
الشيطان اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت اراد استحضار صورة
التزيين في وقته للسامعين عسى ان يعتبروا بها فيحترزوا عن مثلها ويخرجوا
عن الآية المعنى الولي بمعنى القرين والذي يتولونه او حكاية الحال الآتية وهي
حال كونهم معذبين في النار والعائدة للاستحضار المذكور في اذهان المخاطبين
والولي بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره فيكون
نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في النار وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد من
البعث والجزاء واحكام الافعال من التحليل والتحريم ونحوهما وهدى ورحمة
لقوم يومنون عطفا على محل لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعل فاعل الانزال

المعلل

المعلل بها بخلاف التبيين فجيء فيه باللام لفقدان شرط نصبه والله انزل من السماء ماء
قد سبق وجه تنكير الماء فاحيا به الارض انبت فيها انواع النبات بعد موتها بعد يبسها
والتعقيب الذي يدل عليه الفاء لا ينافي المهلة الواقعة بين المعطوفين لان ذلك
انما يكون على حسب ما يعده الناس متعقبا والاحياء بعد الانزال يعد متعقبا لا متراخيا
الا يرى الى صحة قولك تزوج زيد فولد له اذا لم يكن الا مهلة الحمل ان في ذلك لآية
لقوم يسمعون اراد بالسمع القبول كما في سمع الله لمن حمده اي لقوم يتاملون فيها
ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وانما خص كونها اية لهم لان غيرهم
لا ينتفعون بها ويحتمل ان يكون المعنى لقوم يسمعون من الغير فكيف الذي يبصرونه
اي ذلك اية للاعمى فكيف البصير وهذا التخصيص كالتخصيص في قوله وهدى و
رحمة لقوم يومنون وبما قررناه تبين وجه العدول عن يبصرون الى يسمعون وان لكم
في الانعام لعبرة دلالة على قدرة الله تعالى وحكمته والتنكير للتفخيم نسقيكم اسقينا ولبنا
العبرة مما في بطونه ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى
فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال ومن
قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له
على المعنى فان المراد به الجنس من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى
من العلف في الكرش وكثيف ما يبقى من الاكل في المعا من الاولى تبعيضية لان
اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية لان الاسقاء يبتدئ من مادة
مبدؤها الدم ومنتهاها الفضلة التي لا حاجة اليها بل يجب ان يدفع كالثفل
دفعا للضرر عن البدن او من مادة بين الفرث الذي من الفضول المحضة والدم
الذي من الاصول المحضة فهو بالنسبة الى الفرث اصل لانه لا بد منه في بقاء
النسل وبالنسبة الى الدم فضل لانه لا حاجة اليه في بقاء الشخص وعلى هذا
يجوز ان تكون من الثانية ايضا تبعيضية لان تلك المادة غير منحصرة في اللبن
فان الدم الذي يصير غذاء الجنين منها وكذا مادة المني وح يكون المقول المذكور
حالا اي كائنا من بين فرث ودم وانما قدم على لبنا وهو صفة له في المعنى لانه
موضع العبرة فهو معنى به جدير بالتقديم لكونه حاصلا من نجس وهو في

معرضا ان ينقلب اليه لانه ان لم يسبق يخرج من مخرج فضلا الهضم الرابع وذلك
ان العلف ينهضم فتنجذب صفاوته الى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث فى
الكرش ويتسفل ويتوزع الدم على الاعضاء ليغذوها وينتقل من غذائه قسط
صالح يرتقى الى الضرع الذى هو لحم غدوى رخو ابيض فينقلب الدم عندما نصباته
اليه الى اللبن هذا هو القول الصحيح فى تولد اللبن فمن وهم ان محله بين الفرث
والدم فقد وهم خالصا مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه
ولهذا صار سايغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم واما ما قيل صافيا لا يستصحب
لون الدم ولا رايحة الفرث فبناه الزعم الفاسد المذكور آنفا والا فاين موضع تولد
اللبن من محل الفرث ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما فى الاسقاء من معنى الاطعام
اى نطعمكم منها فينتظم الماكول منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة الى
تقدير محذوف وتعلقه بنسقيكم يودى الى اخراج التمر والزبيب من الرزق الحسن
ولا وجه له تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاطعام وتذكير الضمير باعتبار
جنس التمر ولما كان اللبن لا يحتاج الى معالجة منا اخبر عن نفسه تعالى بقوله نسقيكم
ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج الى المعالجة منا قال تتخذون وانما قال منه
لان منه ما لا يوكل لا محالة والسكر مصدر سمى به الخمر وقيل السكر النبيذ ورزقا
حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل ونحوها وفى عطفه على سكرا تعريض بكراهة
الخمر وانه ليس بحسن ورمز الى ان السكر وان كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه
وهذا على ما قالوا ان الاية نازلة قبل تحريم الخمر قيل لما ميز السكر من الرزق الحسن
قال اكثر الصحابة رضى الله عنهم لو كان فيها خير لم تميز عن الرزق الحسن فامتنعوا
عن شربها ونزول الاية قبل تحريمها لا ينافى كونها جامعة بين العتاب والمنة فان
المنافى لاباحتها هو العتاب فى الاخرة لا العتاب فى الدنيا الذى مرجعه النهى
الارشادى ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل فى
الايات ولما قال فى الكلام لعبرة ناسب ختمه بيعقلون لانه لا يعتبر الا ذوو العقول
واوحى ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها وايداعها دل عليه حذاقتها فى
صنعتها وتدبير امرها وترتيب مراتب عملها ان اتخذى من الجبال بيوتا بان

اتخذى

اتخذى ويجوز ان يكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتانيث الضمير لان النحل
جمع نحلة ومن الشجر ومما يعرشون ما يعرش الناس ويرفعونه من سقوف البيوت
وانما ذكر بحرف التبعيض لانها لا تتخذ فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون ولا فى كل
مكان منها وليس المراد من بيوتها ما تبنيه لتعسل فيه كما توهمه من قال وانما سمى
ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها بالذى بناه الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التى لا تقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات رفيعة وانظار دقيقة ولعله
ذكره للتنبيه على ذلك بل ما تتخذه فى الجبال وكواها وفى متجوف الاشجار وفيما يعرش
ابن ادم من السقوف ثم كلى فيه ارشاد الى العمل فانها تسوى البيوت اولا ثم تاخذ
فى الحرس للعسل من كل الثمرات كل للتكثير كما فى قوله واوتيت من كل شئ ومن لابتداء
الغاية فاسلكى سبل ربك التى الهمك راجعة الى بيوتك لا تضلين فيها فانها ربما
ابعدت فى طلب نجعتها الى مواضع بينها وبين بيوتها فراسخ ذللا جمع ذلول وهو حال
من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك يخرج من بطونها التفات من خطاب
النحل الى الغيبة تصريحا للخطاب الى الناس لان الغرض الامتنان بالنعمة الجسيمة
بين الغذائية والدوائية واللذة والشفاء عليهم والاعتبار بحالها العجيبة ولطف
صنعتها التى تبهر العقول والاستدلال بها على قدرة الصانع وكمال علمه وحكمته شراب
يعنى العسل لانه مما يشرب وفيه دلالة على ما هو المختار عند المحققين من ان النحل
باكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل فى باطنها ثم تقى ادخارا للشتاء ومن زعم
ان العسل بانى محض وقال انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على
الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا لزمه ان يجعل البطون مستعارة للافواه
النحل ويكون الاكل ترشيحا لها مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر وازرق بحسب
لون النور او سن النحل فيه شفاء للناس لانه من الاغذية الدوائية وقل
معجون لم يقع فيه وانما نكر شفاء لان فيه شفاء لبعض الامراض لا لكلها او للتعظيم
الشفاء الذى فيه ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك

وبحلها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد نعيا دعطف على
محذوف تقديره فمنكم من يعجل وفاته ومنكم من يرد فالواو فصيحة الى ارذل العمر
اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم
بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية فى النسيان وسوء الفهم كى مصدرية
ناصبة بنفسها الفعل بعدها وهى ومنصوبها فى تاويل المصدر مجرور باللام التعليلية
المتعلقة بيرد ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب القوى ويبقى الشيخ الضعيف
وفيه دليل على ان تفاوت احال الناس بتقدير قادر حكيم وانما انه لا دخل فيه للاستعداد
واقتضاء الطبع وسوء التدبير فلا دلالة عليه والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق
تقديم اسم الله تعالى للتخصيص اى الله تعالى فضل دون غيره بان جعلكم متفاوتين فى
الرزق فما الذين فضلوا اى جعل رزقهم افضل من رزق غيرهم برادى رزقهم بمعطى
رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فيسووهم بانفسهم فى الماكل والملبس فهم فيه
سواء اى هم اخوانهم وامثالهم فحقهم ان يساووهم فى ذلك فالجملة لازمة للجملة
المنفية ومقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فالذين فضلوا برادى
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستوى فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون
بالله تعالى بعض مخلوقاته فى الالوهية لا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم
فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون اى ترك التسوية شكر نعمة الله فاذا لم
تسووهم بانفسكم فى ذلك فذلك هو كفران نعمة الله او فما المفضلون فى الرزق برادى
رزقهم على مماليكهم فان رزقهما يا كلونه بل نحن نرزق المماليك كما نرزق الموالى
فهم اى الموالى والمماليك سواء فى رزق الله فلا تحسبن الموالى انهم يرزقونهم فانه
رزق اجريته اليهم افبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون رزق مماليكهم الى انفسهم
لا الى الله ويجحدون انه من عند الله والباء فى بنعمة الله بحمل الجحود على الكفر حمل النظير
على النظير وعلى الوجه الاول فما الذين فضلوا جملة توبيخية والهمزة الداخلة على الفاء
التعقيبية وتقديم بنعمة الله تقرير للتوبيخ وانكار لفعلهم اى ابعد علمهم بان الله هو
الرزاق ووضوح دلائل ذلك بنعمة الله تعالى خاصة يكفرون جاحدين لها وعلى الوجه

الثانى

الثانى فالتوبيخ انما يكون فى الجملة الاخيرة بالاصالة لا فيما قبلها والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا اى جنسكم لتانسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وجعل لكم من ازواجكم لم يقل
منها لاحتمال العود الى الانفس بنين وحفدة جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة و
الطاعة قيل المراد منهم البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين وقيل هم البنات وفيه اى
وفى التعبير عنهن بالحفدة دون البنات تنفيس على وجه الامتنان بالبنات وهو انهن
يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وح يكون اشارة الى ان البنات
من حيث انهن وصلة بالاجانب نعمة جليلة وقيل هم الربائب وح يظهر وجه الاحتياج
الى قوله من ازواجكم واما الحمل على اولاد الاولاد فيابى تخصيص البنين بالذكر فانه ح تعد
النعيم اولا ايضا ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما يكون فى الجنة والمراد الاطعمة
الشهية افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحاير والسوايب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوها الى غيره تعالى وحرموا ما
احل الله لهم والجامع بين قوله بنعمة الله ويكفرون للمقوية المعاضدة للتوبيخ و
الانكار بالهمزة الواردة على فاء التعقيب اى ابعد وضوح دلائل بطلان ما يعتقدونه
يؤمنون بذلك الباطل ويجوز ان يكون لايهام التخصيص مبالغة وكذا تقديم الباطل و
بنعمة الله على ما تعلقنا به ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات و
والارض شيئا من مطر ونبات وهو مفعول رزقا ان كان بمعنى المصدر او بدل منه ان كان بمعنى المرزوق
ويجوز ان يكون مصدرا ليملك للتاكيد اى ما لا يملك رزقا ما شيئا من الملك من السموات
والارض صلة للرزق ان كان مصدرا او صفة له ان كان اسما والتنوين فى رزقا و
وشيئا للتحقير والتقليل وفى ابدال شيئا من رزقا تقليل آخر وفى ايرادها دون من تحقير
آخر وفى التقييد بقوله من السموات والارض مبالغة فى نفى ملك الرزق عنها اى ما لا يملك
لهم رزقا ما فى جهة من جهات العالم ولا فى مكان دون مكان منه ولا يستطيعون الضمير
لما لانه فى معنى الالهية وهو من الافعال التى لا يقدر لها مفعول ويجعل مطلقه كالفعل
اللازم والمراد نفى الاستطاعة مطلقة اى لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم
اصلا لانهم موات وان قدر المفعول لدلالة القرينة وهو مفعول يملك عليه فالمراد الجمع
بين نفى الاستطاعة والملك جميعا التوكيد او نفى الوقوع وامكانه اى لا يملكون الرزق

واما لحاقه التنوين فانما يجار اليها عند عدم باعث مخصوص

ولا يمكنهم ان يملكوه ويجوز ان يكون الضمير للكفار اى ولا يستطيع هؤلاء الكفرة مع انهم
احياء متصرفون عقلاء شيئا من الرزق فكيف بالجماد الذى لا حراك به ولا حس فلا
تضربوا لله الامثال نهى عن الاشراك بالله فى التشبيه على طريقة التمثيل لان من يضرب
المثل يشبه حالا بحال وقصة بقصة فجعل ضرب المثل مثلا للاشراك والتشبيه فكانه قيل
ولا تشركوا بالله وعدل الى المنزل دلالة على التعميم فى النهى عن التشبيه وصفا وذاتا وفى لفظ
الامثال لمن لا امثال له اصلا نعى عظيم عليهم على سوء فعلهم وفيه ادماج ان الاسماء توقيفية
وهذا هو الظاهر لدلالة الفاء وعدم ذكر ضرب المثل منهم سابقا ان الله يعلم تعليل للنهى عن الشرك
ووعيد عليه اى ان الله يعلم قبح ما تفعلون وكنهه وعظمه فهو معاقبكم عليه بما يوازيه
فى العظم وانتم لا تعلمون كنه ذلك وكنه عقابه فلذلك اجترأتم عليه ويجوز ان يراد بقوله
فلا تضربوا ظاهره وهو النهى عن ضرب الامثال لله تعالى ويكون معنى التعليل ان الله وحده
يعلم بضرب المثل له وانتم لا تعلمون ذلك وكانه اريد المبالغة فى ان لا يلحدوا فى اسمائه تعالى
وصفاته فانه اذا لم يجز ضرب المثل والاستعارة يكفى فيه شبه ما والاطلاق بتلك العلاقة
كاف فعدم جواز اطلاق الاسماء من غير سبق تعليم منه تعالى واثباتا لصفاته اولى واولى
ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شىء عبدا بدل من مثلا ومن رزقناه منا رزقا حسنا من موصوفة عطف على
عبدا وموصولة فهو ينفق منه سرا وجهرا مثل ما اشرك به المملوك العاجز العاجز
عن التصرف مطلقا او مثل ذاته تعالى بالحر الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء وقيد العبد بالمملوك ليمتاز عن الحر فان العبد قد يطلق على
الحر باعتبار انه عبد الله تعالى وبقوله لا يقدر على شىء ليخرج عنه المكاتب والماذون
فانهما يقدران على شىء ولا دلالة فيه على ان المملوك لا يملك لانه لم يجعل قسيما للمالك
الا بعد التقييد بقوله لا يقدر على شىء والاصل فى القيود الاحتراز بل للمخالف كالك
على ما قيل ان يتمسك به بناء على هذا الاصل هل يستوون اى هل تستوى الاحرار
والعبيد فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد مشتركين
فى الانسانية فكيف تشركون بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له مقهور
بقدرته الحمد لله كل الحمد لله لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها

بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وكلمة بل رد لما
زعموه من استحقاق الاصنام للعبادة والشكر وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم اى لا نفع فيه من جهة القول وقد سبق بيان معنى ابكم والفرق بينه وبين
الاخرس لا يقدر على شىء فلا نفع فيه من جهة الفعل ايضا وهو كل على مولاه مع
ذلك هو ثقل وعيال على من يلى امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه فى امر
لا يات بخير بنجح ونفع والتنكير للتقليل هل يستوى هو ومن يامر بالعدل ومن
هو منطيق منهم ذو كفاية ورشد يامر الناس بالعدل لكونه جامع الفضائل كلها
وهو على صراط وهو فى نفسه على طريق مستقيم ودين قويم اى كامل مكمل كرر
التمثيل لزيادة الكشف والايضاح وتصوير امتناع الاشراك والتشبيه
فى صورتين محسوستين ليتمكن فى نفس السامعين واحتج فى كل واحد من المثلين
بامتناع الاشراك والتسوية بين ممكنين متماثلين مع اشتراكهما فى الجنسية
والمخلوقية على امتناع الاشراك والتسوية بين الاصنام التى هى اخس
المخلوقات واعجزها وبين الله تعالى الواجب بذاته الخالق القادر على
الاطلاق ولله غيب السموات والارض اى يختص به تعالى علم ما غاب فيهما عن
العباد وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وعلى
هذا يكون العدول عن الضمير فى قوله وما امر الساعة اى امر قيامها فى
سرعة وقوعها الى الاسم الظاهر لما فيه من التقوية للخبر الا كلمح البصر الا
كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها تمثيل لامرها فى الوقوع بمجرد زمانى
باقل ما يمكن ان يدرك من الزمان ولهذا قال او هو اقرب اى اسرع واقصر
زمانا بان يكون فى مقدار نصف تلك الحركة او فى ان ابتداء تلك الحركة لان
الله تعالى يحيى الخلايق دفعة واحدة وما هو دفعى الوجود ويكون
حدوثه فى آن وا وبعض بل ان الله على كل شىء قدير فيقدر على ان يقيم الساعة
ويبعث الخلق فى اسرع وقت كما قدر على احيائهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم بيان لعجزنا فى الابتداء يعنى لم تكونوا قادرين
بانفسكم على الخروج فانا اخرجتكم كما ان قوله لا تعلمون شيئا بيان لجهلنا

فيه في نحو منع الحال اي غير عالمين وفيه دلالة على ان حركة الجنين غير ارادية
وجعل لكم السمع والابصار وخصهما بالذكر والمراد جميع الحواس لانهما اشرفها
والاعتبار والاستدلال بمدركاتهما اكثر كما خص الصلوة والزكاة في مواضع
من القرآن بالذكر والمراد جميع العبادات لانهما اصلها وتقديم السمع لانه اعم
نفعا واتم حيث يحصل به العلوم النقلية التي لا يتطرق فيها الغلط والافئدة
اي انعم عليكم بهذه الآلات والقوى لتدركوا بالحواس والمشاعر الجزئيات
وتنبهوا بالافئدة لكلياتها فتحصل لكم العلوم البديهية وتقدروا على
اكتساب النظريات بها والافئدة من جموع القلة التي جرت مجرى جموع
الكثرة اذ لم يرد في السماع غيرها لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا نعمه
الظاهرة والباطنة بالعمل بتلك العلوم فتورثوا العلوم الكشفية كما قال
صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم فتكملوا وتسعدوا
وانما ذكرت آلة العلم في مقام الامتنان والحث على الشكر دون آلة القدرة تعظيما
للعلم وتنبيها على ان المقصود من خلق بني آدم بل من ايجاد العالم هو العلم على ما
علم من قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون ومن قوله
عليه الصلوة والسلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف الحديث الم
تروا الى الطير جمع طائر مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة و
هيئ لها من الاسباب المواتية لذلك في جو السماء في الهواء المرتفع من الارض
وفي اضافته الى السماء اظهار لجهة لطافته وتقوية لمعنى التسخير ما يمسكهن
فيه الا الله فان ثقل اجسادها يقتضي السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة
تحتها تمسكها فلا ممسك الا الله تعالى بقدرته ان في ذلك لآيات تسخير الطير
للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيها وامساكها مع ما فيها من الثقل في الهواء مع غاية لطافته على خلاف طبعها
لقوم يؤمنون خصهم بتلك الآيات لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من
بيوتكم التي تبنونها من الحجر والمدر سكنا فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن فيه
او اليه من مسكن او مالف وجعل لكم انما اعاده لان الامتنان هنا بنوع آخر

حديث كنت كنزا لا اعرف فاحببت ان اعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني قال ابن تيمية انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي وشيخنا السخاوي منه

من النعمة

من النعمة من جلود الانعام بيوتا التنكير للتنويع اي نوعا غريبا منها وهي
القباب المتخذة من الادم ولا حاجة الى ان يتكلف في تعميمها المتخذة من الوبر
والصوف والشعر لاندراجها فيما يأتي بعيد هذا تستخفونها تجدونها خفيفة
يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم
اقامتكم وقت نزولكم واقامتكم في مساكنكم لم يثقل عليكم ضربها ونقضها اي يوم
قراركم في منازلكم والاول اولى اذ ظهور المنة في خفتها في السفر اتم واظهر ومن
اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز و
الكنايات راجعة الى الانعام والفصل بها للابل بينها للضان وما للمعز لانه
اكثر استعمالا في السفر والحضر اثاثا اي امتعة وثيابا تصلح للحضر والسفر منها
ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب كاخبية الشعر واللبود ومتاعا
المتاع ما ينتفع به ويتجر الى حين الى ان تبلى وتفنى او الى ان تقضوا منها اوطاركم
والتنوين للتعظيم والاشارة الى انها تبقى مدة مديدة او للابهام لانه غير معين
اي مدة ما من الزمان غير معلومة والله جعل لكم شرع في الامتنان بنعمة خالصة عن
شوب الكسب ولهذا اعاد الاسناد الى ظاهر اسم الله تعالى مما خلق في السماء كالسحاب
المظلم على ما ذكر في قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام او في الارض كالجبل والشجر ظلالا
ما يستظل به كما كانت بلاد العرب غالبا عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون به
من حر الشمس وفيه نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما يأتي وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تكتنون بها من الكهوف والغيران لان الانسان اما مقيم او مسافر
والمسافر اما غني يستصحب معه ما يستظل به ويكون بدا او فقير لا يقدر عليه
فامتن على الاول بقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا وعلى الثالث بقوله جعل لكم مما خلق ظلالا ومن الجبال اكنانا
وجعل لكم سرابيل من القطن والكتان والصوف جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته
فهو سربال تقيكم الحر اقتصر عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا محتملا او اكتفى باحد
الضدين عن الآخر وتخصيص الحر بالذكر لما اشار اليه من كون وقاية الحر اهم عندهم
وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن كذلك لاتمام هذه النعم التي تقدمت

يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون في نعمه الفايضة عليكم فتؤمنون به و
منقادون له وقرئ تسلمون بفتح التاء من السلامة اي تشكرون نعمه فتسلمون
من نقمه او تسلم قلوبكم من الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
يحتمل ان يكون ماضيا على الالتفات اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون
مضارعا اي فان تتولوا وحذفت التاء ويكون جاريا على الخطاب السابق فانما
عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت فهو من اقامة
السبب مقام المسبب فان البلاغ سبب العذر وكونه معذورا كناية عن عدم
التضرر من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي
عددناها وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادة
غير المنعم بها وبقولهم هي من الله لكن بشفاعة الهتنا او بسببها الى من اجراها
الله تعالى على يديه وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها عنادا وثم مستعار لاستبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وانما قال اكثرهم لان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا لم يعرف
الحق لنقصان عقله او لتفريطه في النظر او لان فيهم من لم يتم عليه الحجة لانه
لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا يكون الكافر على اطلاقه وعلى كلا التقديرين
لا مساغ لحمل الاكثر على معنى الكل ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم
وعليهم بالايمان والكفر وهو نبيهم ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اي
لا عذر لهم فدل بانتفاء الاذن انتفاء العذر ثم مستعار لغاية البعدين تمنيهم
بشهادة الرسل عليهم السلام وبين بليتهم بانتفاء الاذن في الكلام لما فيها من الاقناط
الكلي عن العفو والغفران بالمنع من الاعتذار والادلاء بحجة او شبهة ولا هم
يستعتبون الاستعتاب طلب الرضى وازالة الغضب من العتب وهو الرضى
او لا يطلب منهم ارضاء الرب لان الاخرة دار الجزاء لا دار العمل ويوم منصوب
بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه او كان ما لا يدخل تحت الوصف
او واذكر يوم نبعث وكذا واذا راى الذين ظلموا العذاب اي حاق بهم ما حاق او
شق عليهم ونحو ذلك فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون واذا راى

الذين

الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم
في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم
او نطيعهم وهو اعتراف بكونهم مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول اي اجابوهم بقولهم انكم لكاذبون في انهم شركاء الله او في دعوى عبادتنا و
لا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا اي الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم ضاع
عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان لهم شركاء لله وانهم يشفعون لهم وينصرونهم حين
كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا عن الاسلام و
حملوا على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا يعني نبيهم عليهم من
انفسهم من جنسهم ومن وهم ان نبي كل امة كان منهم فقد وهم وهذا التقييد
لم يذكر فيما سبق لدلالة من عليه وجئنا بك يا محمد شهيدا تشهد على صدق
هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك بمجامع قواعدهم و
اما كونه صلى الله عليه وسلم شهيدا على امته فقد علم مما تقدم ونزلنا عليك
الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء عبارة كل
للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تدمر كل شيء وما قيل من امور
الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة الى السنة والقياس فيأباه ما في التبيان
من المبالغة في البيان ثم ان قوله من امور الدين تخصيص لا يساعده الكلام
ولا يقتضيه المقام وهدى ورحمة وبشرى وبشارة للمسلمين متعلق ببشرى
ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة ايضا لقوله تعالى هذا بصائر من ربكم و
هدى ورحمة لقوم يؤمنون ان الله يأمر بالعدل بمراعاة الوسط بين الاطراف
وسلوك طريق الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط فهو جماع الفضائل كلها
الشامل للحكمة المتوسطة بين البلاهة والدهاء والشجاعة المتوسطة بين
الجبن والتهور والعفة المتوسطة بين التنزه وخمود الشهوة فمن الحكمة اعتقاد

كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض
الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المتوسط بين المداهنة والعنف في الامور
الدينية وخلقاً كالتواضع المتوسط بين الضعة والتكبر والجود المتوسط
بين البخل والتبذير والقناعة المتوسطة بين الحرص والقعود عن طلب الضروري
من المعاش ولما كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه بالاحسان
بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات من العدالة احتياطا فان العدل هو القيام
بالواجب في كل شيء والاحسان هو الندب والانحراف عن سمة العدالة الذي هو
الطريق المستقيم لاحد الجانبين وقد يكون الى جانب التفريط احسن والى جانب
الافراط فالاحسان هو الاتيان بالحسن والمحافظة على جانبه كالميل الى
التنزيه في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة في
الاختصاص باعتبار الكيفية والميل الى الصلابة التي هي الحمية الدينية في الشجاعة
والى الضعة والصفح دون الانتقام فيما يتعلق بحق نفسه فيها والى الافراط في
الجود والى التفريط في كلها سواه من خصال العفة ولهذا نهى عن الافراط في متابعة
الشهوة وهي الفحشاء وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد التعميم للاهتمام به تنبيها على فضل هذه الخصلة من بين
خصال العدل والاحسان وكذا الرذائل الثلاث المذكورة بعدها فان النهي عنها
داخل في الامر بالعدل وخصت بالذكر والنهي عنها بالانفراد تنبيها على قبحها وكونها
في غاية الرذالة الا ترى ان البغي هو الظلم المنافي لصريح العدل فلا يفيد ذكره الا
التاكيد والمبالغة في التحذير وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة
الشهوانية كالزنا والحرص والمنكر اي ما ينكر شرعا او عقلا من افراط القوة الغضبية
والبغي اي الاستعلاء والتجبر على الناس والاستيلاء وهو من تسلط القوة الوهمية
على العاقلة التي يتولد منها الشيطنة فتارة يغلب الغضب ويحدث الاستكبار
وتارة يميل الى الافراط في باب الحكمة فتحدث الجربزة والمكر والتعزم وتارة
تغلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب حقوق الناس وكلها

تنافي

تنافي العدالة ولا يوجد من الانسان شر الا وهو داخل في هذه الاقسام الثلاثة
بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي
اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سببا لاسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولو
لم يكن في القرآن الا هذه الاية لكفى به تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
ولامر ما عقب قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير
والشر حال من فاعل يامركم او من مفعوله او منهما جميعا او خبر ثان لان لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الاسلام في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي اثبتوا
على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم رسول الله بالايمان التي تحلفون بها ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها اي لا تنكثوها بالحنث بعد احكام عقدها على انفسكم بذكر الله
تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل شاهد بحال المكفول
به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود وعيد ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي
نقضت غزلها بعد ما ابرمته واحكمته انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث وهو
ما نقض فتله وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت لتضمنه
معنى صيرت ولا يجوز انتصابه على المصدرية لان النكث اسم لا مصدر والمراد
تشبيه الناقض عن هذا شانه وهي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت
خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا دخلا ثاني
مفعولي تتخذ اي تتخذونها دخلا اي مفسدة ودغلا واصله ما يدخل الشيء ولم يكن
منه ان تكون بسبب ان تكون امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر
مالا من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة
لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتوفون بعهد الله وبما عقدتم
على انفسكم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتتمسكون به او تغترون
بكثرة قريش وثروتهم وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم فتنقضون كانت قريش
اذا رات شوكة وقوة في اعادي حلفائهم غدروا وحالفوا اعداءهم فنهى المؤمنون

قوله وانما التوقع عليها تخفيف العذاب قيل انما عبر بالتوقع لتعارض الادلة والنصوص في تخفيف عذاب الكفرة بسبب اعمالهم الحسنة كقوله واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وحديث ابي طالب انه اخف الناس عذابا ورد بان هذا الحديث لا يدل الا على تفاوت عذاب الكفرة بحسب تفاوت شرورهم زيادة ونقصانا اذ لا نزاع فيه وليس بشيء لانه لا شيء اشد من الكفر المستحق صاحبه العذاب الاليم فقد ورد في حق ابي طالب انه لمحبته وحمايته للنبي صلى الله عليه وسلم خفف عذابه وفي البخاري ما معناه انه في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه شهاب

من عادتهم في الغدر وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم
على اعمالكم بالثواب والعقاب انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان و
يهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سوال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي وتكرير له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه
ومبالغة في قبحه ولهذا وحد قدم ونكر في قوله فتزل قدم والمراد فتزل اقدامكم عن
محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها تنبيها على ان زلل قدم واحد عظيمة من عظايم الذنوب
فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله و
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل
ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قد سبق
تفسيره في سورة البقرة والمراد هنا من الثمن القليل ما يعده قريش لضعفاء المسلمين
ويشترطون لهم على ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيمكم في الدنيا والثواب الجزيل
في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز
ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وينقضي وما عند الله من الثواب الموعود والمدخر
في خزاينه لكم باق لا يزول وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق
ولنجزين الذين صبروا اجرهم على اذى الكفار ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله على تركه مما فعلوا كالواجبات والمندوبات وما
ترجح تركه على فعله مما تركوا كالمحرمات والمكروهات والتعبير بالعمل عن الكل للتنبيه على ان
الترك انما يثاب عليه اذا قارنه عمل القلب وهو النية والقصد الى الامتثال
بالانتهاء عما نهي عنه وفي عبارة المصنف نوع اشارة اليه وفي الاية دلالة على
ان المباح حسن وانه لا يثاب عليه وعبارته كان للدلالة على ان المباح لا يستحق
الاجر وان وجد الاستمرار عليه فكيف اذا وجد نادرا من عمل صالحا من ذكر او
انثى بين من لابهامه وكونه ظاهرا في الذكور لو لم يبين فعمم بها ليعم الموعد و
انما قال وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا في استحقاق الثواب ولا في
تخفيف العقاب لانها تجعل هباء منثورا بدلالة نص الكتاب هذا ما عندي والله

اعلم

اعلم بالصواب ثم العمل الصالح لا يكون الا للمومن فزيادة القيد المذكور لبيان ان المعنى
من عمل صالحا في الحال وهو مومن في المآل لان اعتبار صفاء الحال بوفاء المآل والامور
بخواتيمها فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا لان المومن الصالح ان كان
موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر
العظيم في الاخرة والفاجر بالعكس فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه
الحرص وخوف العواقب ان يتهنا بعيشه واغا قلنا انه في الدنيا لدلالة قوله ولنجزينهم
باحسن ما كانوا يعملون يعني في الاخرة عليه وليس بتكرار لان الاول في حق الذين
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا عهودهم وهذا في كل من آمن وعمل صالحا
فاذا قرات القران اي اذا اردت قراءته دل اطلاق الفعل على ارادته من قبيل اطلاق المسبب
على السبب مجازا للملابسة له ولزومه اياه غالبا ودليل المجاز السنة المستفيضة
واما الفاء فلا دلالة فيها عليه وانما دلالتها على تاخير المراد بمدخولها عن المعنى المراد بقرات
واجماعهم على صحة هذا المجاز قد دل على ان وجود القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة
ليس بشرط فيها فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه
لئلا يوسوسه في القراءة والجمهور على انه للاستحباب ولا دلالة فيه على ان المصلي
يستعيذ في كل ركعة بناء على ان الحكم المترتب على الشرط يتكرر بتكرره لانما يقع في
خلال الصلوة من القراءات في حكم قراءة واحدة ولهذا لا يستحب الحمدلة والبسملة
عند الشروع لكل فعل من افعال الصلوة قيل تعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل ولا يذهب عليك ان الامر الاستحباب
اغنى عن هذا الايذان والاولى ان يقول استعيذ بالله ليوافق القران ويقرب
منه اعوذ بالله كذا قالوا ويرده ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال
قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله العليم من الشيطان
الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم
عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة ولما ذكرها عقيبها بسبب سلطانه

[illegible]

لئلا يتوهم ان له سلطنة عليهم انما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه
دون غيره والذين هم به بالله تعالى او بسبب الشيطان مشركون لانه هو الذي حملهم
على الاشراك بالله واذا بدلنا اية مكان آية لنسخنا اية باية فجعلنا الناسخة
مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل في باب المصالح فان الشرع صلاح حال
العباد بحسب المعاش والمعاد وما يكون مصلحة في وقت قد يصير مفسدة في وقت
آخر وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمهور منهم فينزل في كل وقت ما هو صلاح ذلك الوقت
وينسخ به ما كان صلاح الوقت الماضي وقد تغير في الوقت الاتي الى مفسدة فوجدوا
مدخلا للطعن لجهلهم بحكمة النسخ قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر
بشئ ثم تبدو لك فتنهى عنه ونسبوا اليه صلى الله عليه وسلم الافتراء بانواع
من المبالغة والتغليظ وهي الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على الثبوت و
الاستقرار وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم
والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون بل اضراب عن
الافتراء الذي نسبوه اليه وما بعده تاكيد للاعتراض والتوبيخ بانهم جاهلون
بحكمة الاحكام لا يميزون بين الخطاء والصواب وانما قال اكثرهم لان منهم من
يعلمها لكن ينكرها عنادا قل نزله روح القدس يعني جبريل اي الروح المطهر عن
الالوات البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود
في قولهم حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي ينزل ونزله من
معنى التدريج في الانزال على حسب المصالح ما يشعر بان التبديل انما هو لرعاية المصالح
التي فاتت لو انزلت دفعة من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا
باعتقاد انه الحق من ربهم فانهم اذا لم يتشوش اعتقادهم بالنسخ وتيقنوا انه مقتضى
حكمته وعلموا ان الناسخ هو الذي فيه صلاح الحال دون المنسوخ ثبتت اقدامهم و
رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما
مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه
تعريض لحصول اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر اراد به جبر الرومي وقيل جبرا ويسارا لسان الذي يلحدون اليه لغة

الرجل

الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه يقال لحد والحد اذا مال عن القصد
ومنه اللحد اعجمي غير بين وهذا وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستانفتان رد لقولهم وابطال لطعنهم وتقريره ان القران معجز بلفظه
كما هو معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا الكلام الذي
بد كل كلام عربي في البيان والفصاحة وهو اعجمي وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات
الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يومنون بايات الله اي الذين يعلم الله
منهم انهم لا يومنون بها اي لا يصدقون انها من عند الله تعالى لا يهديهم الله الى الحق
او الى طريق النجاة في الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد
ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين
لا يومنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى
الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون بالحقيقة الكاملون في التكذيب لا التكذيب
بايات الله هو اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شئ اذ لا يحجبهم
عنه مروة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل
من الذين لا يومنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره
محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب او منتصب بالذم او مرتفع على خبر مبتدا مضمر
على الذم او من شرطية محذوفة الجواب دل عليه الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر
استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير
عقيدته جملة حالية ولا دلالة فيه على تخصيص الايمان في التصديق القلبي ولكن
من شرح بالكفر صدرا اي وسعه لقبول الكفر مجاز عن الرضا وطيب الخاطر فعليهم
غضب التنكير للتعظيم وقوله من الله لترهيبه لان الغضب من العظيم عظيم ولهم
عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا رضي الله عنه فاعطاهم
بلسانه ما ارادوا مكرها ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي قال
ما لك ان عادوا لك فعد لهم وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان
كان الافضل التجنب عنه اعزازا للدين ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة آثروها عليها وان الله لا يهدي

والجملتان دها قوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
فافهم ذكره

القوم الكافرين وبان الله لايهدى الى الايمان من حقت عليه الضلالة وعلم منهم الكفر
فان هذا هو السبب الحقيقى والاول هو السبب العادى اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم قد سبق تفسيره فى سورة البقرة واولئك هم الغافلون الكاملون
فى الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان غاية الغفلة ومنتهاها هى الغفلة عن تدبر
العواقب لا جرم قد سبق تفسيره انهم فى الآخرة هم الخاسرون البالغون فى الخسران
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا
بالولاية والنصر من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار رضى الله عنه وثم مستعار لتباعد حال
هولاء عن حال اولئك ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم على المشاق ان
ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم
عليهم مجازاة ما صنعوا بعد يوم تاتى كل نفس منصوب برحيم او اذكر تجادل عن
نفسها عن ذاتها اى كل شخص يسعى فى خلاص نفسه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسى
نفسى والمراد بالمجادلة الاعتذار عنها بمثل قولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين و
توفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا يعاقبون بغير ذنب ولا ينقص
الاجر فلا احتمال له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية جعل الله قرية هذه صفتها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فابدلهم الله بالنعمة نقمة او لمكة
خاصة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا
واسعا من كل مكان من نواحيها ولفظة كل للتكثير فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس واختار جمع القلة
للتنبيه بالادنى على الاعلى يعنى ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران
النعم الكثيرة اولى به فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن واتيان
الرزق قابلهما بالجوع الناشئ من انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلى
المتاخر وهو اتيان الرزق كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما
الذين اسودت وجوههم والاذاقة استعيرت للاصابة والعلاقة المشابهة بين المدرك
من اثر الضرر والمدرك من طعم المر والبشع واللباس استعير لما غشى الانسان من اثر
الجوع والخوف وهو ضررهما فالغشى هو الضرر لا الجوع والخوف والا لكان لباس الجوع

تشبيها

بالولاية والنصر متعلق بتولى الذين هاجروا بمعنى هاجروا لعاصمون بالامر او هاجروا ابيهما
زكريا

او لمكة عطف على لكل قوم
زكريا

تشبيها على حد لجين الماء وحينئذ يتبين وجه ايقاع الاذاقة على اللباس اذا المعنى فاذاقهم
ما غشيهم من ضرر الجوع والخوف وبهذا التقرير ظهر وجه ايثار التجريد على الترشيح لان
الاذاقة تجريد لما لا يناسب الكسوة من زيادة التاثير الموجبة لقوة الادراك واما ايثار
اللباس على الطعم فللدلالة على الشمول وهذا اولى من حمل اللباس على انتقاع اللون ورثاثة
الهيئة اللازمين للجوع والخوف اذ حينئذ تكون الاصابة ابلغ موقعا قرئ والخوف بالنصب
عطفا على لباس او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى ولباس الخوف
بما كانوا يصنعون بصنيعهم الذى استمروا عليه جرى ههنا على ما هو المراد من
القرية وفيما تقدم على ظاهر المجاز ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعنى محمدا صلى الله
عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب بعد
ما اصابهم من الحرب الشديد او ضرب الحديد فى حرب بدر وهم ظالمون فى حال التباسهم
بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما
زجرهم عن الكفر وهدد عليهم بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع
الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء فى فكلوا التسبيب اى اذا نبهتم على سوء
صنيع اهل القرية ووخامة عاقبتهم وذكرتم بالتمثيل فاعتبروا بحالهم وخذوا بضد ما
انتم عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم وجعل هذا الوصل ذريعة
الى ما رتب عليه من تعداد نوع اخر من قبائحهم وقد سبق فى تفسير سورة البقرة ما يتعلق
بهذا الكلام من وجوه الاعراب وما فى قوله طيبا من الفائدة الزائدة واشكروا نعمة
الله اضافة النعمة اليه تعالى للتشريف فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر على نعمه ان
كنتم اياه تعبدون وتقديم المفعول للمحافظة على الفاصلة اذ لا دخل لمعنى التخصيص فى التعليق
فلا وجه لما قيل ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته لان مبناه على
اعتبار التخصيص فى الشرط المذكور انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم قد سبق تفسيره فى
سورة البقرة وسورة الانعام لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلموا
ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام

خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس
الاربعة وقت نزول تلك الآية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام
بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم
فتقول هذا حرام وهذا حلال او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما
مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا
ولا تحلوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل وفى نصب الكذب بوصف الالسنة
نوع من المبالغة بديع ووجه من الفصاحة جيل ومبالغة فى وصف كلامهم بالكذب
عظيمة وهو انه جعل قولهم كانه نفس الكذب وحقيقته وكانت مجهولة فعرفته
السنتهم بوصفها وحليتها وبينه بكلامهم هذا كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحر ورد هذا الوجه الاخير بان النحاة نصوا على ان المصدر المنسبك
من ان والفعل لا ينعت لا يقال لا تعجبنى ان تخرج السريع ولا فرق بين هذا وباقى
الحروف المصدرية وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب
وبالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكذب لتفتروا على الله
الكذب تعليل لا يتضمن الغرض لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم
الفوز بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا تجدى عليهم افتراؤهم شيئاً
ثم بينه بقوله متاع قليل اى منفعتهم فيما هم فيه من الافعال الجاهلية والتحريم و
التحليل منفعة قليلة تنقطع عن قرب ولهم عذاب اليم فى الاخرة وعلى الذين هادوا
حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر الخ من قبل متعلق بقصصنا او حرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم ببغيهم وهو قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون
للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء يعم الافتراء على الله تعالى
وغيره بجهالة بسببها او ملتبسين بها وتنكيرها للابهام فتشمل عدم العلم بالله
تعالى ومعاندة وعقابه وثوابه وعدم التدبير للعواقب بسبب الغفلة اللازمة
للانهماك فى الشهوات ومتابعة الهوى فى طلب اللذات ثم تابوا فدل ثم بالتراخى

الا انها قد تستعار للتراخى فى الرتبة ولهذا زاد قوله من بعد ذلك السوء واصلحوا
اى تاب عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليه واصلح العمل فى المستانف ان ربك من
بعدها من بعد التوبة واما الاصلاح فهو تكميل للتوبة لا انها شئ آخر ولهذا لم يذكر فى قوله
تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وانما اعيد ان ربك على سبيل التاكيد لطول الكلام ووقوع الفصل لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة المستتبعة للعمل الصالح ان ابرهيم كان امة اى
كان وحده امة لحصول الكمالات والفضائل التى لا تكون الا متفرقة فى امة كثيرة مجموعة
فيه وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين
وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك
عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله الله
تعالى او لانه عليه السلام كان وحده مؤمنا وسائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى
مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله
مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل مائلا الى دين الاسلام لقوله تعالى
ولكن كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين اى لم يك من عدادهم وهذا فى سياق النفى
ابلغ من لم يشرك والمراد استمرار النفى لا نفى الاستمرار فمفهوم كان مقدم على مفهوم لم فى
الاعتبار وانما نفى عنه عليه السلام الشرك على ابلغ وجه تكذيبا لكفار قريش فى
زعمهم انهم على ملة ابرهيم عليه السلام وترغيبا لهم الى التوحيد ودين الاسلام شاكرا
يجوز ان يكون خبرا ثالثا او حالا من احد الضميرين فى قانتا وحنيفا لانعمه انما جاء
بلفظ القلة للتنبيه على انه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
هذا ما بحسب جليل النظر والذى هو بحسب دقيقه انه للتنبيه على صعوبة تمام الشكر
بالاشارة الى عجز البشر عن الشكر للكثير من نعمه تعالى فضلا عن الشكر لكلها وذلك انه
عليه السلام مع جلالة قدره لما كان قاصرا عن شكر النعم الكثيرة فغيره اولى بالقصور
عنه وانما قلنا انه كان قاصرا لان المقام مقام مدحه بما كان فيه من الاوصاف الكاملة
فلولا القصور عنه لكان المذكور على صيغة جمع الكثرة اجتباه اختاره واختصه لنفسه
والاجتباء هو ان ياخذ الشئ بالكلية واصله جمع الماء فى الحوض وهو الجابية حال او خبر

اخرلكان وهداه الى صراط مستقيم ارشده الى طريق الحق واتيناه في الدنيا حسنة
هي اسم جامع لحالة جميلة فيتناول كل خصايصه المذكورة في النصوص من الرسالة
والخلة واللسان الصدق وغير ذلك والعدول من الغيبة الى التكلم للالتفات تعظيما
لشانه وتفخيما لما اعطاه وانه في الاخرة لمن الصالحين المستحقين لكل منزلة رفيعة
ودرجة عالية في الجنة لم يقل وجعلناه في الاخرة من الصالحين تنبيها على انه اثر ذلك
الايتاء الى امر آخر فتدبر ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم الخطاب لنبينا صلى الله
عليه وسلم وفيه اشارة الى ان من اجل ما اوتي خليل الله عليه السلام واشرف ما اولي
من النعمة والكرامة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من جهة ان ثم دلت
على تباعد هذا النعت في المرتبة من سائر النعوت التي اثنى الله بها عليه وفيها من
تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله ما لا يخفى على الفطن و في لفظ
اوحينا ثم الامر باتباع الملة لا اتباع ابرهيم عليه السلام ما يدل على انه عليه السلام
ليس بتابع له بل هو مستقل بالاخذ عن اخذ ابرهيم عليه السلام عنه و هذا البيان اندفع
ما عسى ان يتبادر الى الوهم من انه عليه السلام كان دون ابرهيم عليه السلام ولذلك
امر باتباعه وانتضح وجه ايثار فبهداهم على فيهم في قوله فبهداهم اقتده والمراد من الاتباع
الاتباع في اصول الدين لا في فروعه لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والملة
ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته
حنيفا ولما كان التوصيف بالحنيف في مقام التعليل للامر بالاتباع كان في معنى فانه مال عن
الاديان الباطلة فعطف عليه قوله وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما
جعل السبت فرض عليهم تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد السبت مصدر سبت
اليهود اذا عظمت سبتها على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وذلك ان موسى عليه السلام
امرهم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت الذي فرغ الله تعالى
فيه من خلق السموات والارض الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فذلك اختلافهم في
السبت فالزمهم الله تعالى السبت وشدد الامر عليهم وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر
القرية التي كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
اي يحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب تميزا بينهم وفصلا بخصومتهم في محل الاختلاف

وهذا

وهذا ظاهر في ان الاختلاف انما كان بين العاصين والمطيعين ويشهد لذلك ما في سورة
الاعراف من قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الاية فلا وجه لما قيل معناه انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد تارة وحرموه اخرى واحتالوا الحيل ادع
حذف المفعول للتعميم وفيه الاشارة الى بعثته العامة والتنبيه على فضله عليه السلام
على من تقدمه من الرسل وفيه تابيد للتدارك السالف ذكره الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل القاطع الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة بالخطابيات الاقناعية والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم و
تقصد ما ينفعهم والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
واختيار الوجه الايسر والطريق الاشهر فان ذلك اشد تسكينا لشغبهم وتكبينا لعريكتهم ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي ما عليك الا الدعوة بهذه الطرق
واما الهداية والمجازاة فليسا اليك فان الله اعلم بهم فمن علم هدايته كفاه القدر
اليسير من الحكمة ان كان مستعدا والموعظة ان كان معاندا فكل امره الى من هو اعلم به
فانه يجازيه وانما قدم الضال لان الكلام وارد فيهم والخطاب وان معهم وذكر مقابله
بصيغة الفاعل لان الدوام والثبات يناسب حاله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من تابعه بمراعاة
العدل مع الخلق وملازمة طريق العدل مع من يناصبهم لان الدعوة لا تنفك عن المناداة
والمناصبة من حيث انها ترفع العادات وتبعث على رفع المالوفات وتقدح في الاديان والمعتقدات
وتحكم على اهلها بالكفر والضلال روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله عنه وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله
بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه امر رخصة في المثلة يوم احد
ثم نسخت المثلة وفيه حث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد
بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمسلمين ويجوز ان يرجع
الضمير الى صبرهم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع
الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون في الشدايد وفيه ارشاد

الى انه ان صبرتم فهو شيمتكم المعروفة وفيه ترغيب فى الصبر بابلغ وجه ثم صرح الامر
لرسوله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى وتوقفه
عليه فقال واصبر ولما كان الصبر فى هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته
فقال وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه ومعونته ولما ذكر هذا السبب الكلى الاصلى فى
حصول جميع الطاعات ذكر بعده ما هو السبب الجزئى القريب فقال ولا تحزن عليهم ولا
تك فى ضيق مما يمكرون وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب
وهو اما الفوات نفع كان حاصلا فى الماضى واليه الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم على قتل
احداى ولا تحزن بفوات اولئك الاصدقاء وعلى اعراض الكافرين عنك واما لتوقع
ضرر فى المستقبل واليه الاشارة بقوله ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق صدر من
مكرهم ان الله مع الذين اتقوا المعاصى يدخل فيها دخولا اوليا استيفاء الزيادة
والذين هم محسنون فى اعمالهم بالولاية والفضل ويدخل فيها دخولا اوليا ترك الانتقام
فكانه قال ان اردت ان اكون معك بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين المحسنين
وقيل الاول اشارة الى التعظيم لامر الله والثانى الى الشفقة على خلق الله تعالى

سورة الاسراء

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح
بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح وهو الابعاد فى الارض والنقل الى
التفعيل والعدول عن المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة والعامل فيه الفعل الذى من
معناه لا من لفظه اذ لم يجئ من لفظه الفعل فالتقدير انزه الله تنزيها ولما كان حديث الاسراء
مظنة ان يذهب الوهم الى انه تعالى زمانى او مكانى صدره بما هو علم فى تبعيده تعالى عما
لا يليق بشانه ويجوز ان تكون كلمة سبحان للتعجب بما يشير الى اعجب امر جرى بينه وبين
افضل خلقه الذى اسرى بعبده الاسراء سير الليل خاصة فقوله ليلا لقطع مجاز السير
خفية كان قوله يطير بجناحيه بعد قوله ولا طائر لقطع مجاز السير السريع والتنكير
لتقليل مدة الاسراء فانه كما يدل على البعضية فى الافراد كذلك يدل على البعضية فى الاجزاء
دل على ذلك قول الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز ان التنكير فى حيوة فى قوله تعالى ولكم
فى القصاص حياة للدلالة على ان تلك الحياة بعض حياة المهموم بقتله والثانى هو المراد
يشهد لذلك قراءة من الليل اى بعضه وهذا الاسراء كان جسمانيا ولذلك كذبت

قريش

فوقع سبحانك تنزيها م

من الليل قراءة ابن مسعود وحذيفة فارسى

قريش به وفى عبارة العبد اشارة الى ذلك من المسجد الحرام بعينه او من الحرم فانه
مسجد كله الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمى اقصى لانه لم يكن وقتئذ مسجد وراءه
الذى باركنا حوله البركة بدرور الخير وثبوته وهى دينية ودنياوية وكلاهما مراد
ههنا لانه مهبط الوحى ومعبد الانبياء عليهم السلام ومحفوف بالانهار والاشجار
والالتفات من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات لنريه من اياتنا فقطعه
مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس فى برهة من الزمان وتمثيل الانبياء عليهم السلام
والوقوف على مقاماتهم واما البراق وسرعة سيره فليسا منها لانه عليه السلام راى
الاول قبل السير والثانى قبل الوصول الى المسجد الاقصى فلا ترتب لرؤيتهما على السير اليه
انه هو السميع بلا اذن والبصير بلا بصر دل على ذلك صورة الحصر فلا يحتاج الى قرب
المسموع وحضور البصر فلا يختص بمكان دون مكان فلم يكن الاسراء لاجله بل لاجل عبده
بدأه بعبارة التنزيه وختم باشارته فتجاوب طرفا الكلام واتينا موسى الكتاب التورية
وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على ان
لا تتخذوا كقولك كتبت ان افعل كذا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية
من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ بالتاء والفوقانية على النهى او
على انه احد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء ابائهم من الغرق
وايماء الى ان ذلك لكونهم اتباع نوح عليه السلام ثم قال فى تعليل تلك الفضيلة الجليلة
الثابتة له عليه السلام انه كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتداء به و
قضينا اصل القضاء الاحكام والاتمام وانما قال الى بنى اسرائيل لتضمين معنى الانزال اى
اعلمنا اعلاما محكما منزلا اليهم فى التورية وتفسير القضاء بالوحى اياه فى الكتاب
كما لا يخفى على ذوى الالباب لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء
المبتوت مجرى القسم كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اوليهما مخالفة احكام التورية
وقتل شعيا عليه السلام وثانيهما قتل يحيى وزكريا عليهما السلام ولا حاجة لما قيل المقتول
فى الاولى زكريا وفى الثانية يحيى لان الكرة الاتى ذكرها لم تتخلل بينهما ولتعلن علوا كبيرا
هو غلبة المفسدين منهم على المصلحين افراطا متجاوزا عن القدر والعلو لغة هو الغلبة

بحق كان او باطل فاذا جاء وعد اولىهما اى وقته والوعد بمعنى الموعود وهو العقاب
فلا حاجة الى تقديره بعثنا عليكم هذا البعث من قبل تولية بعض الظالمين وكان على
مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تعالى الى نفسه دون المجوس الآتى ذكره فلا حاجة
لصرفه عن معناه الى معنى التخلية عبادًا لنا سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر
وقيل جالوت قطع اضافتهم عن نفسه لعدم استحقاقهم للتشريف المستفاد منها
وايضا ما فى التنكير من التهويل يناسب المقام اولى بأس ذوى قوة وبطش فى الحرب
شديد فجاسوا خلال الديار وقرئ خلل وهو واحد الخلال كجبل وجبال ويجوز
ان يكون الخلال ايضا واحدًا اى ترددوا وتخللوا بين الدور فى طلبكم القتل والسبى
وقرئ بالحاء وهما اخوان وكان وعدًا مفعولا اى لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اى الدولة والغلبة عليهم اى على الذين بعثوا عليكم وامددناكم باموال وبنين و
جعلناكم اكثر نفيرًا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل ولا يلزم ان يكون من قومه و
قيل جمع نفر وهم المجتمعون لامر ولا يلزم ان يكون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم
لانفسكم لان جزاءه لها وان اساتم فلها اى فالاساءة لها واللام للاستحقاق كما فى
قوله تعالى لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص لا نفع الاحسان
وضر الاساءة قد يتعديان الى الغير على ما دل عليه الاخبار وتشهد له الاثار واما
الازدواج فانما يصار اليه عند تعذر المعنى الحقيقى فاذا جاء وعد الآخرة وقت موعود
المرة الآخرة وجواب اذا محذوف دل عليه جواب الاولى اى بعثناهم وانما عطف
بالفاء مع انه من تفصيل المجمل والظاهر فيه العطف بالواو للدلالة على ان مجئ وعد
الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم وثروتهم وذلك انهم كلما ازدادوا عددا وعدة ازدادوا
عدوانا وطغيانا الى ان تكاملت اسباب الغرة ففاجاهم اخذ الله تعالى على الغرة
ليسوءوا وجوهكم بياء الغائبة على الجمع اى ليسوء هؤلاء وجوهكم وانما عدى
المساءة الى الوجوه وان كانت عليهم لان اثار الاعراض النفسانية انما تظهر فى الوجه
وقرئ بياء الغيبة على الواحد والضمير للعابهم للقراءة السابقة ذكرها او لله تعالى
للقراءة بالنون وفتح الواو وليدخلوا المسجد بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه اول
مرة وخربوه وليتبروا اى ليدمروا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم

تتبيرا

تتبيرا تفنيتا ومنه التبر لفتات الذهب عسى ربكم ان يرحمكم وعد من الله تعالى
ان يكشف عنهم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم
وقد عادوا فبعث الله تعالى عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم هذا ما لهم فى الدنيا ثم ذكر
ما لهم فى الآخرة بقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسًا ضيقا قال القشيرى
يقال للذى يفرش حصير لحصر بعضه على بعض بالنسج ان هذا القرآن يهدى للتى
للطريقة التى هى اقوم الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان اى بان لهم
اجرا كبيرا الفسق لا ينافى الايمان ولا العمل الصالح فلا خروج للفسقة باحدى
القيدين المذكورين فلا حاجة الى المكابرة بان يقال كان الناس حينئذ اما مؤمن تقى
واما مشرك شقى وانما حدث الفاسق بعد ذلك وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف
على ان لهم اجرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثواب وعقاب اعداهم اعتدنا
لهم عذابا اليما فى زيادة اعتدنا ههنا انباء عن شدة الغضب فى حقهم ويدع الانسان
حذفت الواو من يدعو لفظا لاستقبال اللام الساكنة كما فى قوله تعالى سندع الزبانية
وحذفت فى الخط ايضا لكنها غير محذوفة معنى بالشر هو دعاؤه على نفسه واهله و
ماله عند الضجر بما لا يحب ان يستجاب له دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير يعنى ان
القرآن يهديهم الى ما فيه السلامة وهم يأتون الا ان يأتوا بما فيه الندامة ثم ذكر ان
ذلك من عدم تثبته وقلة صبره فقال وكان الانسان عجولا العجلة طلب الشئ قبل
وقته الذى ينبغى ان يقع فيه والسرعة عمل الشئ فى اول وقته وجعلنا الليل و
النهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق يترتب عليه اثار غريبة
واحكام عجيبة فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة الفاء فصيحة كانه
قيل وحالفنا بين الآيتين فجعلنا الآية التى هى الليل ممحوة اى عديم النور و
الآية التى هى النهار مبصرة اى مضيئة اصله مبصرة للناس من ابصره فبصر فان الاضاءة
لازم الابصار على ان الاضافة فى الآيتين للتبيين وقيل اية الليل القمر ومحوه اطلاؤه
من النور فانه ما يرى فيه نور الشمس واية النهار الشمس وابصارها نورها
الذى يقع به الابصار لتبتغوا تعليل لجعل اية النهار مبصرة فضلا رزقا من
ربكم والابتغاء الطلب والمعنى لتقدروا فى بياض النهار على تحصيل اسباب المعاش

وفي عبارة الفضل اشارة الى انه لا يجب على الله تعالى ان يرزق عباده وانما
ذلك تفضلا ففيه ردّ على المعتزلة ولتعلموا عدد السنين والحساب تعليل
لمحواية الليل اى لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب
وما يحتاجون اليه منه او الحساب المتعلق بالاوقات على ان التعريف للعهد بقرينة
عدد السنين او بنقص نور القمر شيئا فشيئا لان معرفة السنة القمرية المعتبرة
عند العرب بذلك وكل شيء كلمة كل للتكثير والتفخيم لا للتعميم والاحاطة كما سبق
الى وهم من قال من تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا كافيا والمقام مقام الامتنان باتمام الاحسان لا مقام الالزام والافحام
كما سبق الى بعض الافهام وكل انسان الزمناه طائره اراد بالطائر حظه من الخير
والشر كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون
بسنوح الطاير وبروحه استعير لما هو سبب الفرح والترح من قدر الله تعالى
وعمل العبد في عنقه خص العنق بالاضافة اليه من بين سائر الاعضاء لانه فيه
يكون الزاين من القلايد والشاين من الاغلال والادهان فاستعير لمحل الزام
الخير والشر ونخرج له اللام للاختصاص يوم القيمة يعنى وقت الموت فانه القيمة
الصغرى قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته كتابا هيكلا مصورا
بصور اعماله يلقاه منشورا لظهور تلك الهيئات فيه بالفعل مفصلة لا منطوية
كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني
حال من مفعوله وقرئ يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة
القول فيقرأ قارئا كان او غير قارئ لان الاعمال هناك متمثلا بصورها وهيئتها يعرفها
كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الا الامي وهذا وجه ما روي عن
قتادة رحمه الله يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا كفى بنفسك الباء مزيدة
للاشارة الى لصوق ذلك الوصف ولزومه لها اليوم قدم الظرف لتخصيص الحكم
المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا حاسبا او كافيا نصب على التمييز وتعديته
بعلى لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال
فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وتقديم الصلة للاشارة الى ان الكلام في يومئذ

وقراه ابن عامر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف وكذا ابو جعفر من تلقيه وبعض اهل ...

شان

شان يغنيه عن الالتفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدى لنفسه فجزاء
اهتدائه له ومن ضل فانما يضل عليها فوبال ضلاله عليها واما ان الغير لا ينتفع با
باهتدائه ولا يتضرر بضلاله فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا صحة له ايضا لما قدمنا في
تفسير قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر
وازرة وزر اخرى مر تفسيره في سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
الجمهور على ان هذا في حكم الدنيا خاصة وقال فرقة انه في حكم الدنيا والاخرة ذكره
القرطبي وعلى كلا التفسيرين لا دلالة فيه على انه لا وجوب قبل الشرع اما على الاول
فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق
كل منهما عليها وانما نفى الكينونة دون البعث لان المراد الاخبار عن عادته تعالى لا الوعد
بعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة وكلمة حتى لبيان غاية الامن عن العذاب
لا لبيان غاية عدم العذاب حتى يتعين العذاب عند البعثة ولما ذكر تعالى انه
لا يعذب احدا حتى يبعث رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد البعثة وهي
مخالفة امر المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اى اذا تعلق ارادتنا
في الازل لاهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص امرنا اى وجهنا الامر قبيل
مجيء ذلك الوقت مترفيها متنعميها خصهم بالذكر مع عموم الامر للفريقين بدلالة
ان الكلام في بيان سبب استحقاق اهل القرية لعذاب الاستيصال لانهم الرؤساء
المتبوعون ولانهم المامورون بنوعي العبادة البدني والمالي ففسقوا فوجد
منهم الفسق وهو الخروج عن الطاعة منهم اى من اهل القرية كلهم لما بينت
على ان غير المترفين ايضا مامورون لكنه استغنى بذكر المترفين عن ذكرهم
كما اكتفى بذكر الملائكة عن ذكر الجن في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا على ما
مر تحقيقه في تفسير سورة البقرة وقرئ امرنا بمعنى كثرنا لقول العرب امر القوم بكسر
الميم اى كثروا قرءها الله بالفتح اى كثرهم فصارت الحركة بما يصير به الفعل متعديا
كما في شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتحها ويؤيده قراءة آمرنا
بالمد وامّرنا بالتشديد فيها فيه دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضا داخلة
تحت المراد فلا مجاز في لفظ القرية كما لا مجاز في الارادة والامر فحق عليها اى

التعذيب خ

على القرية بما فيها القول هو وعد الله تعالى الذي قاله رسولهم عليهم السلام فدمرناها
التدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء مع اهلاك اهلها تدميرا ذكر المصدر للمبالغة
في العذاب الواقع بهم وكم اهلكنا كم في موضع نصب باهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له
اي كثيرا من القرون اهلكنا من بعد نوح خصه بالذكر لانه اول من حلت بقومه عقوبة
الاستئصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقديم متعلقه من المعتقدات والنيات فانها اقدم على الاعمال الظاهرة
التي متعلقات البصير والعقاب عليها اشد والعفو عنها اقل من كان يريد العاجلة
من استمر على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل على ذلك زيادة كان ههنا
دون قسيمه واما اعتبار قصر الارادة عليها بمعونة المقابلة فيرده عدم صحة
اعتباره في المقابل ولا وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها ما
نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة على اختلاف العبارة لانه
لا يجد كل مريد ما اراده ولا كل واحد جميع مراده ومدلول الكلام ان حصول المرام
موقوف على مشية الله تعالى واما انه لا دخل فيه للهمم والارادة فلا دلالة عليه
فيه فانه يجوز ان يكون ذلك من الاسباب العادية ومشية الله تعالى انما تتعلق
بشيء بعد تمام الاسباب العادية الا في خوارق العادات ولمن نريد بدل من له
بدل البعض من الكل وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى ليطابق المشهورة
ثم جعلنا له جهنم يصلاها حال من الضمير في له او من جهنم مذموما مدحورا
مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو
الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي بالجد قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون
العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو
مؤمن هو الشرط الاعظم فلا ينبغي السعي الا به فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف
كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه كلا كلا من الفريقين و
التنوين بدل من المضاف اليه نمد كلا الامداد المواصلة بالشيء هؤلاء وهؤلاء بدلان من كلا
بدل التفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد والعطا بمعنى المعطى وما كان عطاء ربك
محظورا ممنوعا عن عباده مؤمنا كان او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في العطا

ردّ لما عليه الكشاف ومن تبعه كالقاضي وصاحب الكشف منه

قوله وقرئ يشاء اي بالياء عن سلام قارى

وانتصاب

وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات من درجات الدنيا ودرجات
منصوبة على التمييز واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها اكبر لانه بالجنة ودرجاتها وبالنار
ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للانسان او للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته والجعل بمعنى التصيير والعقد فتقعد فتبقى عاجزا فان القعود مما يكنى به عن العجز
مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى
وقضى ربك امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه ويجوز ان تكون ان مفسرة
ولا ناهية قال القرطبي في مصحف عبد الله ووصى ربك وذكر ابو حاتم عن ابن عباس رضي الله
عنهما ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقرئت وقضى ربك اذ لو كان على القضا
ما عصى الله تعالى احد وقال الضحاك مثل ذلك ثم ابى ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال
ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا واما التعليل الذي نسبوه اليه فهو
مما نقل عنه من انه ليس قضاء حكم بل هو قضاء امر وبالوالدين وبان تحسنوا
بالوالدين احسانا ويجوز ان يتعلق الباء بالاحسان وقد مر في تفسير سورة الانعام
تحقيق وجه جواز تقدم صلة المصدر اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي
ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك صح دخول النون المؤكدة في الفعل واحدهما
فاعل يبلغن وبدل من الالف الراجع الى الوالدين على قراءة يبلغان وكلاهما عطف على
احدهما على الاحتمالين ولا احتمال لان يكون تاكيدا لضمير يبلغان لا لكونه معطوفا على
البدل لانه لا يقتضي ان يكون بدلا فان عطف التاكيد على البدل سائغ بل لان فيه دلالة
على ان التاكيد غير مراد في المقام لان فائدة تاكيد التثنية الشمول والاحاطة ولو قصدت
تلك الفائدة لما قيل احدهما فالمانع ذكره لا عطفه على البدل وانما قيد بقوله عندك
لان مراعاة الادب مع طول المصاحبة اشق فكانت مظنة التضجر فقد ورد به وانما
خص حالة الكبر لان من بلغها يسوء خلقه فكان فيه تقوية لما ذكر آنفا من المظنة وايضا
هي حالة يحتاجان فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف فلا تقل لهما اراد تعميم النهي
لكل منهما لا تقييده بحالة اجتماعهما لعدم تحمل احد التقديرين اف صوت يدل على
التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين و
تنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرئ بالفتح على التخفيف وقرئ منونا بالضم

ويحكى عن الضحاك [illegible] انهم قرأها ووصى ربك فالصقت الواو بالصاد فصارت قافا [illegible] منه

كلاتباع والنهي عن هذه اللفظة الدالة على التضجر والتبرم يفصح عن النهي عن سائر انواع
الايذاء بطريق الدلالة وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار فكثر
استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به وعلى هذا يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا
تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما وهو السالم عن كل عيب واخفض
لهما جناح الذل اي قل لهما قولا كريما بدل القول اللئيم وهو اف وافعل لهما الفعل
اللطيف بدل العنيف وهو النهي نهي عن قول وفعل وامر بقول وفعل بدلا عنهما وفي
تقرير الثاني وجهان احدهما الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا
اراد ترك ذلك خفض جناحه فصار خفض الجناح مجازا مرسلا مرتبا على الكناية عن
فعل التواضع والثاني ان الطير اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض
الجناح في الاصل كناية عن حسن التدبير فكانه قيل للولد اكفل والديك بضمهما الى نفسك
كما فعلا ذلك بك حال صغرك يرشدك الى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويقوى الاول
اضافة الجناح الى الذل بطريق الاستعارة التخييلية وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
من الرحمة من فرط رحمتك اليهما حيث افتقرا الى من هو افقر خلق الله اليهما وقل رب
ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية والكفر
لا يمنع عن ذلك ما داما حيين لان الهداية الى الايمان من جملة الرحمة بل من معظمها
وصحة التثنية في قوله كما ربياني صغيرا باعتبار ان التربية صغيرا لا تكون الا عن
رحمة فذكر تلك التربية ذكر الرحمة اقتضاء فكانه قال كما رحماني وربياني صغيرا
وبالعبارة المذكورة منبه على العلة الموجبة للاحسان اليهما واسترحام الله تعالى
لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما تزيد اشفاقا لهما ورحمة اذ هي تذكر بحالة
احسانهما وقت لان لا يقدر على الاحسان لنفسه ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد
البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا
ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين الاواب الرجاع عن ذنبه
بالتوبة غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم
ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته اندراجا
اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة وحق

قولا كريما اي قولا تكرمهما به وتعظمهما

الفعل

هنا

هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة
بكل وجه والمسكين وابن السبيل قد مر تفسيرهما ولا تبذر تبذيرا اصل التبذير التفريق
من القاء البذر في الارض هو تفريق حباته والفرق بينه وبين الاسراف ان الاسراف
تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز عن موضع الحق فهو جهل بمواقعها
وكلاهما مذمومان والثاني ادخل في الذم ويفصح عن التفاوت بينهما قوله ان الله لا يحب
المسرفين وقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اتباعهم الملازمين لهم فان العرب
تسمي الملازم للشيء اخا له فتقول اخو المكارم اذا كان مواظبا عليها وكان الشيطان
لربه كفورا كثير الكفران لنعمه جحودا لحقوقه وفضول كان فيه اخبار لعادته ومذهبه
في القديم واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي ان عرضت لك حاجة
احوجتك الى الاعراض عن هؤلاء المحتاجين لضيق يد انتظار الرزق ترجوه من
الله تعالى فقل لهم قولا ميسورا فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل والميسور من
يسر الامر مثل سعد ونحس فان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل ولم يكن عنده ما
يعطي سكت انتظارا للرزق ياتي من الله تعالى كراهة الرد فنزلت هذه الاية فكان
بعد ذلك اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال رزقنا الله واياكم من فضله وذلك
قوله فقل لهم قولا ميسورا اي لا تسكت فيكون ايحاشا لهم ولا تؤيسهم فيكون ايلاما
لهم ولا يجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة بالجواب لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها في غير
باب اما وما يلحق بها في المذهب المنصور الا اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن
ما يتضمنه ويجعل المذكور جاريا مجرى التفسير ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واتلاف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد
الذي هو بين التبذير والامساك البليغ واما الكرم فلا اختصاص له ببذل النوال
بل يعم سائر الاحوال فتقعد فتبقى عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح وهذا اثر النهي
اولا محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف بسبب التبذير وهذا اثر النهي ثانيا و
الاوجه ان يكون كلاهما مرتبا على الثاني واما الاول فقد اكتفي فيه بما فهم من تمثيله
على الشح وجه في التصوير ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
لمن يشاء لا لعجز ولا لبخل انه كان بعباده خبيرا عالما بخفيات امورهم بصيرا

بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لآخرين على مقتضى علمه وحكمته ويجوز ان يكون المعنى
ان البسط والقبض يليق لله تعالى العالم بالسرائر والظواهر واما العباد فحقهم ان
يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تفرطوا
ولا تفرطوا وعلى كلا التقديرين يكون جاريا مجرى الاستيناف للتعليل ويجوز ان
يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة فقر وكان هذا
نهيا عن وأد البنات وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم بسبب
الرزق وزيادة قوله واياكم لبيان ان رزق الاباء ايضا على الله تعالى فكيف
يتولى رزق الغير من يعجز عن رزق نفسه ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما فيه من
قطع التناسل وانقطاع النوع وقرا الجمهور خِطأ بكسر الخاء وسكون الطاء
والهمزة والقصر وقرا ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء والهمزة والمد وقال النحاس
لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا وقال ابو علي هي
مصدر خاطأ يخاطئ وان كنا لا نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع
خاطأ فدلنا عليه والخِطأ والخطأ مصدر خطئ يخطأ كالحِذر والحَذر ويقال
خطئ اذا اثم واخطأ ضد تعمد والخاطئ بالكسر لا يكون الا تعمدا والخطأ بالفتح
قد يكون عمدا وقد يكون خطأ ولا تقربوا الزنا بمباشرة مقدماته وهذا نهي عنه
بالبلغ وجه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة في القبح متناهية فيه وساء
سبيلا وبئس طريقا طريقه لانه غصب على الابضاع لانه غير لازم له بل
لانه يؤدي الى النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها وحقن
دمها بالاسلام او العهد الا بالحق الا بحق يوجب قتلها كالرجم وبيعه كالقصاص من قتل
الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وفيه نظر
ذكرناه في تفسير سورة الانعام ومن قتل مظلوما غير موجب للقتل ولا مبيح له سواء
كان عمدا وخطاء فان الظلم غير مشروط بالعهد يشهد بذلك انهم شرطوا الاول في
الشهيد دون الثاني فقد جعلنا لوليه هو من له حق الطلب بدمه شرعا
سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه فلا يسرف في القتل
نهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد قرا ابن عامر وحمزة

والكسائي

والكسائي بتاء المخاطبة جزما والخطاب للولي وقرا الباقون بياء الغائبة جزما
والضمير يرجع الى الولي ورجوعه الى القاتل وتوجيه الخطاب اليه يأباه عبارة
الاسراف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي على الاستيناف
والضمير للولي لتناسق الضمائر ونصره بتسليط الله تعالى اياه على القاتل وامر الولاة
بمعاونته ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل وتجاوز عن حد الشرع ينقلب
عليه الامر ويدخل تحت القاتل ظلما ولا تقربوا مال اليتيم قد مر الكلام في نظيره والنفس
مايلة الى المال والمباشرة دون القتل ولهذا خص النهي عن القربان بالاولين الا بالتي الا
بالطريقة التي هي احسن الطرائق حتى يبلغ اشده قد مر في سورة الانعام واوفوا
بالعهد عام لما عقده الانسان بينه وبين ربه وما عقده بينه وبين آدمي في غير معصية
ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف الجار واوصل مسئولا الى الضمير كما في قوله
ويفعلون ما يؤمرون اي به وقيل ان العهد يسئل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت
كما تسئل الرحم عن وصلها وقطعها قيل يجوز ان يراد صاحب العهد كان مسئولا وعلى
هذا لا يظهر وجه العدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وقيل اي مطلوبا يطلب من
العاهد ان لا يضيعه ويفي به وفيه تعسف لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ
يكون المسئول عدم تضييعه لا نفسه واما الثاني فظاهر لانه لا يزيد على معنى
اوفوا بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل له على الاستيناف واوفوا الكيل اي لا
تبخسوا فيه وفائدة قوله اذا كلتم اي وقت كيلكم تضمن النهي عن الكيل بنقصان ما
تم تكيله بعد زمان وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس الميزان صغيرا كان او
كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي معرب والاجراء على قانون لغة العرب ليس بشرط في
التعريب على ما حققنا في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم السوي ذلك خير في الدنيا
لانه امانة توجب المحمدة والرغبة في معاملته واحسن تاويلا عاقبة اذ لا يبقى عليه
تبعة في الاخرة تفعيل من آل اذا رجع فيه نفع العارين ولا تقف ما ليس لك به علم
لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهي ان يقول ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه
التقليد على العمى يقال قفوته وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافية لتتبعهم
الاثار وقافية كل شيء آخره ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الثلثة

المذكورة ولا اختصاص له بالعقلاء قال الزجاج ووافقه الطبرى ان العرب تعبر عما
يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد قول الشاعر والعيش بعد اولئك الايام
وان نظر الى غلبة استعماله فى العقلاء فنقول لما كانت تلك الاعضاء مسئولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلاء كان عنه مسئولا عنه فى موضع نصب والضمير
عائد على معنى اولئك اى عن كل واحد مما تقدم ومسئولا فيه ضمير يعود على كل من حيث اللفظ
وهذا الضمير هو المفعول الذى لم يسم فاعله ويجوز ان يكون مسئولا مسندا الى عنه كقوله
غير المغضوب عليهم والمجرور بالحرف لا يلتبس بالمبتدا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه
كان لذلك وفى دلالة فى الاية على ان العبد مواخذ بالعزيمة اذ يجوز ان يكون ما سئل عنه
الفواد الظنون والعقايد ولا تمش فى الارض الشى انما يكون فى الارض فالتقييد به لقطع
المجاز شايع فيه كما فى الذهاب مرحا نصب على الحال اى ذات مرح ولا بد من التقدير
لان المبالغة المستفادة من التوصيف بالمصدر لا يناسب المقام لان المراد الذى عن اصل
المرح لا عن المبالغة وقرئ مرحا بالكسر والمرح هو الخيلاء والكبر وقد دل قوله تعالى ولا تمش
فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور على ان المرح هو مشى المختال الفخور انك لن
تخرق الارض بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك
كان سيئه قرئ بالرفع والاضافة الى السيئ منه لانه سبق ذكر الماموربه والمنهى عنه
فكان القبيح بعضه وقرئ سيئة غير مضاف على انه خبر كان والاسم ضمير كان والاشارة
الى المبينات من الخصال المذكورة عند ربك مكروها بدل من سيئه او صفة لها ولا حاجة
الى الحمل على المعنى لانها فى حكم الصفات ولا اعتبار بتانيثه ويجوز ان يكون حالا من المستكن
فى كان او فى الظرف على انه صفة لسيئه والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل
المراد ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة اى من الاشياء الموضوعة
فى مواضعها متعلق باوحى او بدل من ما او حال من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما ولا تجعل
مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدء الامر ومنتهاه ورتب عليه اولا ما هو
عائدة فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجة فى العقبى فقال فتلقى فى جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مطرودا مبعدا على سبيل الاهانة والاستخفاف به افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب
للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل

الاولاد

الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا
خلاف المعقول والمعروف والتعبير عن البنات بالاناث لاظهار جهة خساستهن انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلايق ادونهم ولقد
صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فترك الضمير لانه معلوم فى هذا القران فى مواضع منه و
يجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه تعالى لانه مما صرفه وكرر ذكره بتقدير ولقد صرفنا
القول فى هذا المعنى او اوقفنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا
ومخففا اى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم التصريف المذكور
الا نفورا عن الحق والنفور عنا بدل الطمانينة قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون والكاف
فى موضع نصب اى مثلها وقرئ بالياء على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم اذا لابتغوا اى طلبوا
متوصلين الى ذى العرش اى مغالبته وافساد ملكه اشير الى ذلك بالتعبير عنه تعالى بذى العرش
سبيلا لانهم شركاؤه على الفرض المذكور كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا على وفق قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا
متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ
الا يسبح بحمده وينزه عما هو من عوارض الامكان ولواحق الحدوث بدلالته على الصانع القديم
الواجب لذاته قطعا لسلسلة الحاجة ولكن لا تفقهون ايها القاصرون عن النظر الصحيح تسبيحهم
فى عبارته قوله تفقهون دلالة على ان تسبيحهم من جنس ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما
يدرك بالة السمع فتعين حمله على معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك بينها وبين
اللفظ انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على الغفلة والشرك غفورا لمن تاب منكم واذا
قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا يسترك عنهم عن اسماء بنت
ابى بكر رضى الله عنهما قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابى لهب اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب
وفى يدها فهر والنبى صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد ومعه ابو بكر رضى الله عنه فلما رآها
ابو بكر قال يا رسول الله لقد اقبلت واخاف ان تراك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
لن ترانى وقرأ قرانا فوقفت على ابى بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وهم انه
حجاب الفهم كانه ما فهم انه بينهم وبين القران لا بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم مستورا عن

اعين الناس اى ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم فى اكنة مع انه ابلغ فى تصوير المعنى المقصود للاشعار بانه امر
عارض كسبى لا ذاتى خلقى فان كل مولود يولد على الفطرة السليمة ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه والضمير لما يدعون اليه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على
قلوبهم اى منعناهم ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا لم يقل ان يسمعوه اكتفاء بما فهم بقرينة
قرينه وهذه حكاية لما كانوا يقولونه على ما دل عليه قوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون
وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فقوله فهم
لا يسمعون صريح فى ان عدم سماعهم بسبب اعراضهم لا لمانع فى اذانهم فقولهم وفى اذاننا وقر
اظهار كراهة منهم لا اخبار عن معارضتهم ومن غفل عن هذا قال ولما كان القران معجزا من
حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ولم يدر ان الاول
موقوف على الثانى فالجعل الثانى على تقدير كونه حقيقة كان فى الامرين وايضا مبنى ما ذكره
على ان يكون الضمير فى يفقهوه للقران ويأباه قوله واذا ذكرت ربك فى القران وحده للعدول
عن الضمير الى الاسم الظاهر وايضا ما فى الاية الاخرى قوله مما تدعونا اليه يدل ان يفقهوه
ظاهر فى خلافه وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم قال سيبويه وحده اسم موضوع موضع
المصدر وهو ايجادا والموضوع موضع الحال وهو موحد ولوا على ادبارهم نفورا نافرين من استماع
التوحيد على ان النفور جمع نافر كشهود فى جمع شاهد ويجوز ان يكون مصدرا على غير
المصدر لو لان قوله ولوا على ادبارهم بمعنى نفروا وهذا دليل على انهم قادرون على الاستماع
لا وقر فى اذانهم حقيقة نحن اعلم بما يستمعون به بسببه الداعى الى الاستماع من الهزء بك
وبالقران ومن اللغو اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى يتناجون بالطعن فى
القران اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع فى حالتى الاصغاء والاعراض التناجى ونجوى مصدر
ويحتمل ان يكون جمع نجى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم
نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور
من سحر فاختل به عقله انظر كيف ضربوا لك الامثال فى امر الحشر والبعث بدلالة
قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم وانما قال هنا الامثال
لانهم ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة وقيل مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن

والجنون

والجنون وبره انهم ما مثلوه صلى الله عليه وسلم بما ذكر بل قالوا تارة انه ساحر واخرى انه شاعر
الى غير ذلك وايضا لو كان المعنى ما ذكر لقيل فيك لا لك لانه صلى الله عليه وسلم حينئذ يكون من
ضرب فيه الامثال فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا ائذا كنا عظاما بيان
لما ضربوه ولولا الفصل بينه وبين المبين بالجمل التفريعية لكان حقها التصدير بالفاء التفصيلية
والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون تقديره انبعث اذا كنا عظاما والاستفهام للانكار
ورفاتا صدره بالواو العاطفة اخراجا له مخرج الاستقلال فى كونه منشأ للاستبعاد
والرفات الاجزاء المفتتة من كل شئ مكسر ولما فيه من زيادة معنى التفتت اوثر على
الحطام ولم يلتفت الى ما فيه من صنعة الجناس ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار و
الاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة وخلقا مصدر
او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا وقوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة
او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم واوثر فى الحجارة صيغة الجمع رعاية للمناسبة
لكونوا والعدول فى الحديد عن هذا السنن الى صيغة الافراد لما فى مفرده صنعة الجناس
مع الحديد او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ
منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا
كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اصل لما عهد فيه
مما لم يعهد فيه وانما قال فى صدوركم لان اثر الاستعظام البليغ يظهر فيها فان القلب يضطرب
عند ذلك لما يعتريه من الخشية فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وكنتم
ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك رؤسهم يقال انغض راسه اى حركه
كالمتعجب من الشئ وكل حركة فى ارتجاف نغض والعدول من التعدية الى اللازم لتضمنه
التوجه والالتفات ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا انتصابه على الخبر او الظرف
وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر اجابهم بقرب وقوعه لا لان كل ات قريب بل لانه
مضى اكثر الزمان وبقى اقله ولم يجبهم بتعيين وقته لان ذلك مما استاثره الله تعالى بعلمه
ولم يوردوا تلك الاسئلة استرشادا بل عنادا واستهزاء وقد اخرجنا جوابهم بطريق
الجد والتحقيق وعدم المبالاة باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر بحسن المجادلة الاتى ذكره
يوم يدعوكم بدل من قريبا والدعاء والنداء الى المحشر بكلام تسمعه الخلائق قال صلى الله

خلقا مصدر جديدا من نعته و
جديد فى المذكر والمؤنث على حال
واحدة وجديدة فى المؤنث لغة
ردية عند سيبويه جناس

عليه وسلم انكم تدعون يوم القيمة بأسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسمائكم فتستجيبون
الاستجابة موافقة الداعي فيما دعي اليه بالفعل لاجل دعائه بحمده حال منهم اي حامدين
لله تعالى على الاحيا او على كمال قدرته عن سعيد بن جبير رحمه الله ينفضون التراب
عن روسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا تظنون
معلقة عن العمل فالجملة بعد في موضع نصب وقل ما ذكر النحويون في ادات التعليق ان
النافيه وانتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اي الا زمانا قليلا كقولك قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لبثا قليلا وقل لعبادي يعني المؤمنين
يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يلقي بينهم الفساد بالوسوسة ويغري بعضهم على بعض لتقع منهم المشارة والمشاقة
وقدمنا في آخر الاعراف تحقيق معنى النزغ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة امروا بحسن المجادلة او نهوا على انه قد يكون من الشيطان اغراء واغواء وذكروا
بعداوته القديمة لهم ربكم اعلم بكم ان يشاء يرحمكم بالتوفيق للاسلام او ان يشاء يعذبكم
بالاماتة على الكفر وكلمة او للدلالة على الانفصال الحقيقي بين الشيئين والجملة تفسير للتي
هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل
النار فانه يهيجهم على الشر قيل مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وفيه ان الظاهر
عموم النهي للتصريح بما ذكر ولو كان موصولا بمعنى انه يعلم ما لا اهل النار وهذه الضميمة
لا تصلح علة له وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على ما امروا به
وانما قال عليهم دون اليهم افادة لمعنى القسر والالجاء وربك اعلم بمن في السموات والارض
فيختار منهم لنبوته ولولايته من يليق بها وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي
طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالرسالة وبكونه صاحب شريعة وبكونه من اولي العزم وبكونه خاتم الانبياء عليهم السلام
وآتينا داود زبورا يعني ان داود عليه السلام وان لم يكن من اولي العزم ولا صاحب
شريعة لكنه من جملة المفضلين بالرسالة حيث اوتي كتابا وقد مر ما يتعلق بالزبور
من الكلام في آخر سورة النساء قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملكة
وعزير والمسيح عليهم السلام فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر

والقحط

والقحط ولا تحويلا ولا تحويله منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون اي يدعونهم آلهة
يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا
بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها مخربوها
قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسير هذه الاية اما مكة فيخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال
بالصواعق والرواجف ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها اي معذبوا اهلها على ان المجاز
في الاسناد دون المسند والا لقيل او معذبو بهم عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية
كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات
المقترحة استعير المنع للترك للمبالغة ولا يجوز استعارته للصرف لانه ايضا ممتنع
في حقه تعالى والباء للتعدية فان ارسل يتعدى بنفسه وبالباء قال كثير

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم   بسر ولا ارسلتهم برسول

الا ان كذب بها الاولون الا تكذيبا مثلهم في الطبع من الامم السالفة كعاد وثمود يعني
انها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا الاستئصال على مقتضى
سنتنا وهو خلاف مقتضى الحكمة لا لان فيهم من يؤمن لانه غير مانع من استئصال
المعاندين خاصة كما وقع في قوم نوح عليه السلام بل لان فيهم من يلد من يؤمن ثم ذكر
بعض من كذب بالايات المقترحة فاستؤصل بقوله وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم
مبصرة نصب على الحال وهي قراءة الجمهور وقرئ بالرفع على اضمار مبتدا اي هو مبصرة
اضيف الابصار اليها مجازا لما كانت يبصرها الناس وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول
فظلموا بها اي جحدوا بها وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب
المستاصل وان لم يخافوا نزل واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط
بالناس فهم في قبضة قدرته واحاط بقريش اي اهلكهم يعني في وقعة بدر والتعبير
بالماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين
الا انها لما كانت بالليل سميت رؤيا كما يقال بان يفعل كذا اذا فعل ليلا فيسمي ما يفعله

سيوته وان لم يكن نوما فلا متمسك فيه لمن زعم انها كانت في المنام بل نقول ان تمسك
به يكون حجة عليه لا له لان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت تلك
الرؤيا فتنة على ما نطق به قوله الا فتنة للناس وهي ارتداد قوم من المسلمين حين
اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه اسري به والشجرة الملعونة عطف على الرؤيا
وهي شجرة الزقوم واللعن لطاعمها وانها وصفت به مجازا للمبالغة او قيل ذلك لانها
ابعد مكان من الرحمة وهي اصل الجحيم ولانها مكروهة وبابها قوله في القرآن
قال ابو جهل ومن معه هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر
والنار تحرق الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم ابو جهل جارية له فاحضرت
تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفاء وما يعلمون ان
من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان ياكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر
قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم التخويف
الا طغيانا عتوا كبيرا متجاوزا عن الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قد مر تفسيره قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على
نزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين انكار
وتعليل على ما صرح به في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين او من
الموصول اي ءاسجد له واصله من طين ويرد عليه انه ح تضييع قوله خلقته :.
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب على ما مر تحقيقه
في سورة الانعام وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة
صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته
علي والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل لئن
اخرتن الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
لاقودنهم حيث شئت من قولهم حنكت الفرس اذا جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنكته
الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان قال الحسن رحمه الله ظن ذلك لانه وسوس آدم عليه

السلام

اخترته ن

السلام فلم يجد له عزما قال اذهب بشانك الذي اخترته امر امرا اهانة و
عقبه بذكر ما جزاه بسوء فعله من جزائه وجزاء اتباعه فقال فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب جزاء نصب
على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله
موفورا مكملا لا انتقاص فيه عن قدر الاستحقاق من وفرته وفرا واستفزز و
استخف اصله القطع بشدة يقال فز الثوب اذا قطعه بشدة تحريق والمعنى
استفزه بقطعك اياه عن الحق من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك :.
الى الفساد واجلب عليهم الاجلاب السوق بجلبة من السياق وهو الصياح
بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والرجل اسم جمع لراجل كركب وصحب
اسم جمع راكب وصاحب وقرئ بكسر الجيم وهي لغة فيه كندس وندس وشاركهم
في الاموال بحملهم على جمعها من غير وجهها وانفاقها في غير حقها والاولاد بالحث على
تحصيلهم بالوجه المحرم والاشتراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى ونحوه و
التضليل بالحمل على الاديان الزائغة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور ما اغتر به ان عبادي يعني
المخلصين والاضافة للتشريف ليس لك عليهم على اغوائهم سلطان قدرة وكفى
بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة فيك ربكم الذي يزجي اي هو الذي
يزجي والازجاء السوق لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه
انه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر
خوف الغرق ضل من تدعون ذهب من اوهامكم من تدعونه في حوادثكم الا اياه
وحده فانه ح لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه وقيل ضل
كل من تعبدونه من اعانتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى لا اختصاص له بوقت
الخوف فلما نجاكم خلصكم عن هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص
في العبادة وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض ولم يخاطبهم بذلك بل
اسنده الى الجنس لطفا بهم افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف

تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف بكم جانب البر
الخسف ان ينهار الارض بالشئ وتعديته بنفسه وبكم حال اى مصحوبا بكم قال
الجوهرى خسف به الارض اى غاب به فيها وجانب البر ناحية الارض و
سماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب
اى ترمى الحصباء ورمياستا بها ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك وفى عبارة
ثم اشارة الى انه تعالى يحفظهم مرة ولا يعود اليه بعد الكفران والعود الى الشرك
ام امنتم ان يعيدكم فيه فى البحر لم يقل اليه اذ لا يلزم من العود الى الشئ المتلبس
به تارة اخرى بخلق الداعى الى ذلك فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشئ
الا قصفته اى كسرته بشدة فيغرقكم وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما
كفرتم بسبب كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به بسبب ما فعلنا بكم
تبيعا مطالبا به يتبعنا بانتصار قال الفراء التبيع طلب الثار ولقد كرمنا بنى
ادم تكريما مشتركا فيما بينهم بحيث لا يختص ببعض دون بعض آخر ولهذا اتى
بصيغة الجمع والمراد الكرامة البدنية ولهذا عبر عنهم بوصف البنوة وعبارة
وان كانت لم تتناول ادم عليه السلام لكن دلالة متناولة له عليه السلام و
ذلك ان ترتيب التكريم على وصف البنوة المضافة اليه لا تخلو عن دلالة على
انه عليه السلام منشاء التكريم ومبدأه فلا حاجة الى تاويل بنى ادم بنوع الانسان
بل لا وجه له اذ حينئذ تفوت الدلالة على التكريم المشترك ولما ابهم فى جهة التكريم
للتعظيم والى التعميم فى جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص فى التكثير
دون اسم الجنس المحتمل للقليل والكثير تضمن اول الكلام وآخره المبالغة فكان
احرى ان يصدر طرف الكلام بحرف التاكيد مرة بعد اخرى قيل ومن جملة كرامته
ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وفيه نظر
لان القردة مع انها من الحيوانات الخسيسة تشاركه فيما ذكر فلا يصلح كرامة ولا
ان يعد خاصية له وحملناهم فى البر والبحر اى حفظناهم فيهما فان الحمل
يتضمن الحفظ عادة حتى لم يخسف بهم الارض ولا يغرقهم الماء او حملناهم
على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه ورزقناهم من الطيبات

من ضروب

من ضروب الملاذ وفنون النعم ما لم نجعله لشئ لواحد من سائر الحيوانات لما فرغ
عن تفصيل بعض وجوه تكريمهم البدنى شرع فى الاخبار عن تكريمهم النفسانى واجل
فيه اشعارا بقصور العبارة عن تفصيله وفضلناهم تفضيلا مشتركا كذلك على
كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة اتى بالتاكيد هاهنا ايضا لكونه معنويا
بخلاف تلك الاحوال الثلثة ولان الاحكام المذكورة من شواهد هذا الحكم فكان شهادتها
تاكدت بعضها ببعض فظهر اثر تلك الشهادات فى الدعوى ولما كان سياق الكلام فى النعم
المشتركة بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما نبهت عليه آنفا فهو وجه
تخصيص الحكم المذكور بالكثير فان كل فرد من افراد الانسان غير مفضل على جميع
ما عداها وذلك ظاهر ولا دلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس الملكة
لان فى تفضيل جنس على جنس آخر لا حاجة الى تفضيل جميع افراد الثانى بل يكفى
تفضيل فرد من الاول على جميع افراد الثانى يوم ندعو نصب باضمار اذكر او
ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقيل هو على الابدال اى احذروا يوم ندعو وقرئ
يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا ويجوز
ان يقال انها علامة الجمع كما فى اسروا النجوى الذين ظلموا وضميره وكل بدل منه
والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما فى يدعى كل اناس كل جماعة من الانس والاناس اصل الناس وهو اسم جمع
وقد مر بيانه فى اوائل سورة البقرة بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى
الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم فانه يرجع اليه فى تعرف الاعمال ويرده
ان المدعو الى كتاب الاعمال كل واحد من الانس لا كل جماعة منه لعدم الاشتراك
بين الاثنين فى كتاب واحد وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف جمع خف والحكمة فى
ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسنين وان لا يفتضح اولاد الزنا
ويرده ايضا ما اشرنا اليه من ان الكلام ليس مما يشترك فيها جماعة من الانس
ثم ان ما ذكر من وجوه الحكمة مردود بما ذكر فى الصحيحين من الحديث الدال على ان
الناس يدعون فى الاخرة باسمائهم واسماء آبائهم فمن اوتى من المدعوين كتابه
بيمينه اى كتاب عمله فاولئك اورده جمعا على معنى من وقد حمل على اللفظ اولا

ما فرد في قوله كتابه وفي قوله بيمينه يقرؤن كتابهم لكمال صحوهم ووفور عقلهم
والذين يوتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وتردد هم لا يقرون كتابهم واشير اليه
في قوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه حيث
لم يذكروا القراة فيه وفي قوله ياليتني دلالة ظاهرة على انه لا يحبس السنتهم عن
التكلم وتعليق القراة على اتيان الكتاب باليمين لا يخلو عن الدلالة على ما اشير اليه
بعدم ذكر القراة في مقابله ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون عما يستحقون من الجزاء
ادنى شي وقد مر شرح الفتيل في سورة النساء ومن كان في هذه اعمى فهو في
الاخرة اعمى من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في آيات الله تعالى وغيره فهو
في الآخرة اعمى ولما نزلت هذه الاية جاء عبد الله بن ام مكتوم رضي الله عنه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة
اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
فلا دلالة فيما ذكر على ان من اوتي كتابه بشماله لا يقدر على القراءة لعدم بصره وقد مر
في تفسير قوله تعالى اقرا كتابك ما يقلع عرق الشبهة وقد جوزان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ويعضد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله واضل سبيلا ومن ثم قرا
ابو عمرو رحمه الله الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه من فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام واما الاول فلم يتعلق به شي فكانت الفه
واقعة في الطرف معترضة للامالة لانه منقوض الامالة في قوله تعالى الذي هو ادنى
بل لانه اراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما واجتمعا في اية واحدة وانما
امال الاول دون الثاني لما ذكرنا انه يصلح للاجازة وان لم يصلح للغلبة واضل سبيلا
منه لبطلان الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وان كادوا ليفتنونك ان هي المخففة
واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يخدعوك فاتنين بالاستنزال
عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك نزلت في
ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا
نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة وان قالت العرب لم

فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر
حتى تلم بالهتنا وتمسكها بيدك واذا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا و
خليلهم بريء من خلة الله تعالى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
قاربت تركن اليهم شيئا قليلا جواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما
قبله فمقاربته الشيء القليل من الركون وهو الميل اليسير لم يقع منه صلى الله عليه
وسلم فضلا عن وقوع ذلك الشيء القليل من الميل اليسير وها غاية المبالغة في تنزيهه
صلى الله عليه وسلم عن الميل الى هواهم والكون في صدد رغبته دلالة ظاهرة على ان
قوله تعالى ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله صلى الله عليه وسلم اذا اي لو قاربت
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الضعف بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام
لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيف الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف
الحياة وضعف الممات والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا
وما نؤخره لهم لما بعد الموت وفي ذكر الكيد ودنو وتقليل المباعدة بعد اخرى مع اتباعها
الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان من كانت درجته
ارفع ونعم الله تعالى عليه اسبغ كان وعد الله تعالى في حقه ابلغ ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا وان كادوا الضمير لاهل مكة
ليستفزونك قد مر تفسير الاستفزاز من الارض اي من ارض مكة ليخرجوك منها
متعلق بكادوا واذا اي لو اخرجوك منها لا يلبثون خلفك بعدك وقرئ خلافك
وهو لغة فيه اي لم يمهلوا الا قليلا الا قدر ما ينزل بهم العذاب وما اخرجوه صلى الله
عليه وسلم منها بل خرج بنفسه امتثالا لامر الهجرة ثم ازعجوه صلى الله عليه
وسلم لكن التعليق على الاخراج لا على الازعاج وقيل الضمير ليهود المدينة والارض
ارضها وذلك انهم ارادوا المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وكيدك تخافوا من الروم
فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله تعالى سيحميك كما حمى سائر الانبياء عليهم السلام
فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة مرحلة فانزل الله تعالى
هذه الاية وعلى هذا ايضا لم يوجد اخراجه صلى الله عليه وسلم كما هو الظاهر من قوله

واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على
قوله ان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل الا اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة
وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم والسنة للرسل والاضافة
الى المرسل لادنى ملابسة دل على ذلك قوله ولن تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم
الصلوة لدلوك الشمس لزوالها وقيل لغروبها واصله الميل وهو ينتظم المعنيين
قال ابن عطية الدلوك هو الميل فى اللغة فاول الدلوك هو الزوال وآخره هو
الغروب وقال الماوردى من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك
عينيه براحة لتبينها حالة المغيب ومن جعله اسما لزوالها فلانه يدلك عينيه
لشدة شعاعها عند ذلك واللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس الى غسق الليل
هو اجتماع الليل وظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخرة وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لبدء الوقت ومنتهاه على
ان الدلوك هو الغروب واستدل به على امتداد الوقت الى غروب الشفق وقران الفجر
وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا لذلك ولكن لا دلالة
فيه على ذلك كما لا دلالة فى تسميتها قنوتا على ان القنوت ركنها وكذا لا دلالة فيه على
وجوب القراءة فيها لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة فى الصلوة نعم لو كان المجاز
فى الفجر بان يكون المراد منه الصلوة فى ذلك الوقت لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها
عبارة و فى غيرها دلالة وانتصب قرانا عطفا على الصلوة قال الفراء او على الاغراء اى
فعليك بقراءة الفجر وقال الزجاج وعزاه الى البصريين ان قران الفجر كان مشهودا
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار رواه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث حسن صحيح والاية جامعة للصلوات الخمس
ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل فقط ان فسر بالغروب ومن الليل فتهجد من
للتبعيض والفاء ناسقة على مضمر اى قم فتهجد به اى بالقران والتهجد التيقظ من
النوم لا ترك النوم مطلقا قال الحجاج بن عمرو رضى الله عنه صاحب النبى صلى الله عليه
وسلم ايحسب احدكم انه اذا قام فى الليل كله انه قد تهجد ان التهجد الصلوة بعد

رقدة

رقدة ثم الصلوة بعد رقدة كذلك كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
من الهجود يقال تهجد اذا القى الهجود وهو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى
تحوب وتحرج وتعذر وتحنث وتنجس اذا القى ذلك عن نفسه نافلة لك زائدة
على ثلاث الفرائض المذكورة فى الاية السابقة والزائد حقه ان يكون من جنس المزيد
عليه فالتهجد من الفرائض وانما قال لك لانه ليس بفرض فى حق امته صلى الله عليه
وسلم وقد روى عنه ثلاث على فريضة ولامتى تطوع قيام الليل والوتر و
السواك ومن زعم انه تطوع فى حقه ايضا فسر النافلة بالزيادة اى زيادة لك
فى الدرجات وذلك لانه صلى الله عليه وسلم مغفور له فهو اذا تطوع بما ليس بواجب
عليه كان ذلك زيادة فى درجاته وغيره من الامة تطوعهم كفارات لذنوبهم وتدارك
لخلل يقع فى الفرائض عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما نصب على الظرف
على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يصلح للعمل فى مثل هذا الظرف الا فعل فيه معنى
الاستقرار ويجوز ان يكون حالا اى ذا مقام محمود وروى الترمذى عن ابى هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى
اشفع فيه لامتى وقال هذا حديث حسن والمقام الموضع الذى يقوم فيه الانسان
للامور الجليلة ومعنى كونه محمودا انه تعالى يقيمه صلى الله عليه وسلم فيه فيشفع
فيحمده الناس وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق المدخل
والمخرج بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج والصدق بمعنى المرضى يقال رجل صدق
اى مرضى الخلق وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول والخروج على
معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا وقيل المراد ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه عنها آمنا وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل
ادخاله المدينة واخراجه من مكة وفيه ان المناسب تقديم الاخراج على
الادخال وقيل ادخلنى فيما امرتنى به واخرجنى عما نهيتنى عنه والظاهر انه عام فى
جميع موارده صلى الله عليه وسلم ومصادره دنياوية واخراوية وقيل المراد
الادخال فى القبر والاخراج منه ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
واجعل لى من لدنك من عندك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى

على المخالف او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون
والنصير التمكين من الانتصار من العدو وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل اى ذهب
الكفر يقال زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اى لم يزل مضمحلا وننزل
قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله تعالى من الاوثان قدم على
المبهم اهتماما ما هو شفاء اى كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يستصلحون
به دينهم ويتعظون به فى دنياهم فموقعه منهم موقع الشفا من المرضى وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله او للتبعيض وليس
معناه انه ينقسم الى ما هو شفاء والى ما ليس بشفاء بل المعنى انه نزل شيئا فشيئا
فالنازل فى كل وقت بعض ما هو شفا وكله ورحمة للمؤمنين بتفريج المكروب و
تطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل به تعالى من الثواب فى تلاوته و
لا يزيد الظالمين الا خسارا اى نقصانا لتكذيبهم وكفرهم قال قتادة ما جالس
احد القرآن الا قام بزيادة او نقصان واذا انعمنا على الانسان بالصحة و
السعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض
لان الاعراض عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب اى يلوى
عنه عطفه ويوليه ظهره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة
المتكبرين وقرئ ناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر اى
من مرض او فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله تعالى قل كل يعمل
على شاكلته على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة يقال
طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه ويشهد لذلك قوله فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اسد مذهبا وابين طريقة ويسألونك عن الروح الذى يحيى به
بدن الحيوان ويدبره قل الروح من امر ربى من الابداعيات الكائنة بامر كن من غير مادة
ومدة وتولد من اصل كاعضاء جسده وفيه اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة
ذاته الا بعوارض تميزه عمن يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى
عليه السلام فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا القدر من
البيان لا ينافى الابهام المذكور فيما روى ان اليهود قالوا لقريش اسألوا عن

اصحاب

اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح لان السؤال
كان عن حقيقته وهى باقية على ابهامها وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل
خلق اعظم من الملك وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان
اكتساب العلوم النظرية من الضروريات المستفادة من المحسوسات غالبا ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما واكثر الاشياء لا يدركه الحس ولئن شئنا
لنذهبن بالذى اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء
الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه
عن الصدور والمصاحف ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اى لا تجد بعد الذهاب من يتوكل
علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك لكن لا نشاء ذلك
رحمة من ربك وقيل الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد
وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله
ان فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد آدم واعطاك المقام المحمود
وانزل عليك هذا الكتاب وابقاه محفوظا قل لئن اجتمعت الانس والجن لم يذكر
الملك معهم لا لانه قادر على الاتيان بمثله لانه مردود بقوله تعالى ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بل لان الفعل المذكور مما لا يليق بشانه ولا يجوز
ان ينسب اليه لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن فى كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة تاليفه لا يأتون بمثله جواب
قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون
الشرط ماضيا والعدول عن المضمر الى الاسم الظاهر لتفخيم شان ما عجز عنه
الثقلان ولما كان الاجتماع على امر قد يوجد بدون المظاهرة فيما بينهم كاجتماع
المجتهدين على حكم شرعى قال ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على ما
اتفقوا عليه من المعارضة باتيان مثله ولا يصلح هذا ان يكون تقريرا لقوله ثم لا تجد
لك به علينا وكيلا لان القدرة على الاتيان بمثله اصعب من القدرة على استرداد
عينه ونفى الشئ انما يقرر نفى ما دونه لا ما فوقه ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن

مر تفسيره في هذه السورة من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسن موقعه
فأبى اكثر الناس اي متناول بالنفي اي فلم يرضوا الا كفورا الا جحودا وقالوا تعنتا و
اقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات لن نؤمن
لك حتى تفجر قرئ بالتخفيف والتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا هو عين
ينبع ماؤه اي يفور يفعول من نبع الماء كيعبوب من عبة الارض اذا زخر او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار هذا بالتشديد بالاجماع لمكان الانهار خلالها
وسطها تفجيرا اي يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يعنون قول الله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع
لفظا ومعنى وقرئ كسفا بالسكون وهو فعل بمعنى مفعول كالطحن او مخفف من
المفتوح كسدر وسدر او تاتي بالله والملائكة قبيلا عيانا والقبيل بهذا المعنى المناسب
للمقام الخالي عن التعسف مذكور في الصحاح او يكون لك بيت من زخرف من ذهب
وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها يقال رقي في السلم اذا
صعد اليها ولن نؤمن لرقيك ولن نصدقك لرقيك واللام للصلة بيانا [illegible]
اذا ازعق له عليها مر في سورة يوسف عليه السلام حتى تنزل علينا كتابا من السما
تصديقك نقرؤه فلا نحتاج الى نقلك اياه وهذا العقيد لعدم اعتمادهم النبي صلى الله
عليه وسلم في تبليغ القران قل وقرئ قال اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه او تنزيها بالله تعالى من ان ياتي او يتحكم عليه
هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل عليهم السلام بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون
قومهم الا بما يظهر الله تعالى عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله تعالى
فما بالهم يتحيرون علي وما منع الناس قد مر تفسير المنع في هذه السورة ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى وما منعهم عن الايمان بعد نزول الوحي ومجيء القران الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا وكان المانع اعتقادهم بموجبها قالوا ان
الله تعالى اجل من ان يكون رسوله من جنس البشر الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا له
واخراجا عن حيز الاعتقاد قل في جوابهم لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
يتصرفون فيها بمشي قاطنين فيها وليس لهم قدرة الصعود الى السماء فيسمعوا

من اهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ليكون من جنسهم
فيفهمون كلامه ويسكنون اليه فاما انتم فبشر فيبعث الله اليكم بشرا مثلكم لتكون
قلوبكم اسكن اليه وانتم لكلامه افهم فان مقتضى الحكمة ان يكون الرسول من جنس
المرسل اليه وملكا حال من رسولا ويحتمل ان يكون موصوفا به وكذا الحال في بشرا
قل جوابا لهم حين قالوا من يشهد لك انك رسول الله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
نصب شهيدا على التمييز اي حسبي الله تعالى من الشهداء او على الحال اي كفى بالله تعالى في
حال شهادته والعدول من بيننا الى ما فيه التكرير للتاكيد انه كان بعباده خبيرا بخفيات
اسرارهم بصيرا مطلعا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل
فلن تجد لهم اي ضنا بضمير الجمع تنبيها على ان نسبة الضالين الى المهتدين نسبة الجماعة
الى الواحد ولذلك قال اولياء مع ان نفي الولي للواحد ابلغ من دونه يهدونهم ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم مسحوبين عليها او ماشين عليها روي في الصحيحين انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر
ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما انهم يحشرون على هذه الصفة ثم يخلق لهم ذلك
قبل دخولهم في النار فابصروا لقوله تعالى وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها و
تكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا
وقيل لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون ما يقبل منهم و
يرده ان قوله تعالى اليوم نختم على افواههم صريح في نفي القدرة على مطلق التكلم عنهم
وان قوله تعالى وتكلمنا ايديهم دل على ان ذلك في الموقف قبل الانصراف عنه الى
النار وبهذا اندفع احتمال ان يكون ذلك بعد الدخول فيها او عند المشارفة عليها
ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها الخبو سكون النار عن الالتهاب وما قيل بان
اكلت جلودهم ولحومهم يرده قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا لانه
صريح في النار لا يتجاوز في تعذيبهم عن حد الانضاج الى حد الاحراق والافنا زدناهم
سعيرا توقدا وانما قال زدناهم دون زدناها بناء على انهم وقودها على ما نطق به
قوله تعالى وقودها الناس والحجارة ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا

عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا قدم تفسيره في هذه السورة اولم يروا اي اولم يعلموا
ذلك علما يقوم مقام العيان في حق الايقان ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم واذا قدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا
ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون الا كفورا جحودا قل لو انتم تملكون انتم
فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون تملك وابدل من الضمير
المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ كقوله
وان هو لم يحمل على النفس همها وفيه دلالة على اختصاص المخاطبين في الامساك مع
الايجاز خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه اذا لامسكتم اي لامسكتموها خشية
الانفاق لاجل خوف الفقر وكان الانسان قتورا مضيقا للنفقة وزيادة كان
لبيان ان الانسان مجبول على الشح والضنة ومن يوق شح نفسه انما يوق بعصمة
الله تعالى اياه وما ذكر جواب قولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى تتوسع
في المعيشة اي لو توسعتم لبخلتم ايضا ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات قدم
تفسيره في سورة الاعراف وليس انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور منها بدلالة
ان الخطاب في قوله تعالى لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات لفرعون وهذه الآيات بعضها
بعد هلاكه وبعضها عنده فاسئل بني اسرائيل اي فاسئل علماء بني اسرائيل اذ جاءهم اي جاء
اسلافهم والعامل في اذ محذوف تقديره فاسئل عن حديث او قصة بني اسرائيل اذ جاءهم
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا قال الفراء وابو عبيدة فوضع المفعول
موضع الفاعل كما تقول هذا مشوم وميمون اي شايم ويامن ويشهد لذلك قوله قال
لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير فانه ظاهر في رد ان تكون
تلك الآيات سحرا قراء الكسائي علمتُ بالضم اي قال موسى علمتُ انا وقراء الباقون بالفتح
اي علمتَ انت يا فرعون لانه عاند مع علمه لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم يقول انك لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم ان ما جئتُ به من الآيات
ليس بسحر بل هي حجة الله تعالى التي من تاملها استبصر فيها اي تيقن انها من
عنده تعالى وانتصب بصاير على الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصاير
واني لاظنك يا فرعون مثبورا هالكا وخاسرا وقيل مصروفا عن الخير وكان موسى عليه

قوله تسع آيات بينات يجوز ان يكون بينات في موضع جر على النعت لآيات وفي موضع نصب على النعت للتسع مكي

السلام

السلام عالما بذلك بيقين وانما قال الظن اظهارا للتفريط وتقريرا لما ادعاه وفا تذند
دفع وهم المبالغة فيه ويسمونه عن مظنة الافراط فاراد فرعون ان يستفزهم اي
يخرج موسى عليه السلام وقومه بالنفي او القتل وقدمت ما يتعلق في هذه السورة بمعنى
الاستفزاز من الارض ارض مصر او الارض مطلقا فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق
به مكره وقلنا من بعده من بعد غرق فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض
التي اراد ان يستفزكم منها هذا على تقدير دخول موسى عليه السلام ومن معه من بني
اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ظاهر واما على تقدير عدم ذلك على ما ذهب اليه بعضهم
فلا بد من تعيين التعريف في الارض للجنس او القول بان الامر المذكور لاولاد من معه عليه
السلام لا لهم فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام يوم القيمة جئنا بكم لفيفا
مختلطين واللفيف ما اجتمع من الناس من قبايل شتى قال الاصمعي اللفيف جمع وليس
له واحد وهو مثل الجميع وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا القران الى سماء
الدنيا الا محفوظا عن اعتراء البطلان وما انزل على الرسول الا كذلك وتكرير الحق
باسمه الظاهر للتفخيم وما ارسلناك الا مبشرا بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب
للعاصين وليس لك شي وراء ذلك وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقري بالتشديد
لكثرة نجومه لتقراه على الناس على مكث تثبت وترتيل فانه ايسر للحفظ وقري
بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب ومقتضى الحكمة قل امنوا
به او لا تومنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان ايمانهم
بالقران لا يزيدهم فضلا وامتناعهم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم
وهم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام رضي الله عنه واضرابه تعليل له اي ان
لم تومنوا به فقد آمن به من هو خير منكم من قبله من قبل نزول القران اذا يتلى عليهم
القران يخرون للاذقان سجدا تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز وعده في الكتب
السابقة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم والخرور السقوط بسرعة وانما ذكر
الاذقان مبالغة في التحامل على الجبهة والانف حتى كانه يلصق الذقن بالارض واللام
بمعنى على وقيل للاختصاص وفيه ما فيه وانتصاب سجدا على الحال ويقولون في
سجودهم سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده
كاينا لا محالة ويخرون للاذقان كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول

للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن يبكون اذن هنا
بالفعل اشعارا بالتجدد فان منشاء البكاء التفكر والتذكر فيما يتجدد بخلاف
منشاء السجود ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله وقد
تفسير الخشوع في سورة البقرة قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه نهانا ان
نعبد الها آخر وهو يدعوه والمراد التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات
واحدة وان اختلفا في اعتبار الاطلاق
عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل الى ذاك الجمال يشير
والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه و
او للتخيير وقيل نزلت حين قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى
في التورية والمعنى انهما يستاد لحسن الاطلاق والافضاء الى المقصود ويعضده
قوله ايا ما تدعوا اصله ايا ما تدعوه فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال
والاكرام والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه واصله لتاكيد ما في اي من الابهام
والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلواتك
على حذف المضاف حتى لا يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها
ولا تخافت بها كل المخافتة حتى لا تسمع من خلفك من المومنين والمخافتة اخفض
الصوت وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان خير الامور اوساطها
وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال عزير ابن الله ولمن
قال المسيح ابن الله ولمن قال الملائكة بنات الله ولم يكن له شريك في الملك
في الالوهية وفيه رد للثنوية القائلين بتعدد الالهة ولم يكن له ولي
من الذل من اليهود لانهم اذل الناس ففيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
وقال الحسين بن الفضل يعني لم يذل فيحتاج الى ولي وناصر فيجيره من الذل
لعزته وكبريائه وهذا قول حسن يعضده قوله وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة

للغزب في معنى التعظيم والاجلال وانما اكده بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه ولما
كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتما من الذل وقد يكون
بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن ينتصر به من اجل
الذلة او كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي لاجل النقص بخلاف
الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق لعدم احتمالهما الوجهين في شانه تعالى
وانما رتب الحمد على وصفه بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه هو
الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق كل الحمد وهذه السورة الكريمة
ابتدئت بتنزيه الله تعالى واختتمت به والحمد لله على ذلك والله اعلم
بالصواب

سورة الكهف

بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب في ترتيب استحقاق الحمد على
انزال القرآن تنبيه على عظم شانه من بين النعم الجسام وذلك بهدايته الى ما فيه كمال
العباد ودعوته الى ما به انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد ولم يجعل له
عوجا من تتمة الصلة على انه عطف بيان او المعنى انزل على عبده الكتاب الكامل في
بابه قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود يقال فيه عوج بالفتح و
العوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش وما قيل انه بالكسر في المعاني مردود
بقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتنكيره لتعميم النفي انواع الانحراف عن
سنن الاستقامة من جهة الاختلال في التركيب والاختلاف في النظم والتنافي
في المعنى قيما على الكتب السابقة بالتغيير والتقرير او بمصالح العباد فيكون وصفا
له بالتكميل بعد وصفه بالكمال وقيل المراد اثبات الاستقامة والاعتدال فاتجه
عليه السؤال عن فائدة الجمع بينه وبين نفي العوج فان المفهوم من احدهما عين
ما فهم من الآخر واجيب بان فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة
لا يخلو عن ادنى عوج عند السبر والتصفح ويرد عليه بعد الاغماض عن ان ما ذكر
فيما تشهد له العادة ان ذلك انما يصح ذكر النفي عقيب الاثبات دون العكس وبعد
اللتيا والتي ان التاسيس خير من التاكيد والافادة اولى من الاعادة وانتصابه
على الحال من الكتاب لا من الضمير في له لما فيه من الركاكة التي تجب تنزيه كلام الله

تعالى عنها ولا حاجة الى تقدير مضمر لان مبناه ان يتعين عطف ولم يجعل على انزل
وقد عرفت فساد ذلك المبنى لينذر اطلقه لعموم الجنس وعدم اختصاصه
باحد الفريقين على ما افصح عنه قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا
وفي اطلاقه هنا دفع وهم الاختصاص السابق الى الفهم من قوله وينذر الذين
قالوا باسا عذابا شديدا تقدم الكلام عليه في سورة هود عليه السلام ويبشر
المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم بان لهم وان ضمن يبشر معنى يبين لم يحتج الى
الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا في الجنة واما نفس الجنة ففي التبشير بها يكفي الايمان
ولا حاجة الى العمل الصالح عند اهل الحق ماكثين فيه في الاجرا في محله ابدا
لا الى غاية وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالانذار بعد ما عم الجميع
لغاية فحش صنيعهم وبنيه على القول اشعارا بانهم استحقوا الانذار به مع قطع النظر
عن الاعتقاد وابهم المنذر به ليذهب الوهم كل مذهب وفيه ما لا يخفى من التهويل به ما
لهم به اي بما قالوا من علم شيء من العلم لاستحالة المعلوم والجملة في موضع الحال اي قالوا
جاهلين به ولا لآبائهم اي قلدوا فيه اياهم وهم مثلهم في الجهل كبرت كلمة تخرج عظمت
مقالتهم هذه في الافتراء على الله تعالى قراة الجمهور بالنصب على التمييز وقرئ بالرفع
على الفاعلية والاول اولى وابلغ لما فيه من الابهام والتبيين وفيه معنى التعجب وقريبه
الى تعظيم الامر في قلوب السامعين كانه قيل ما اكبر كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة
ووصفها بذلك مع ان العلم الضروري حاصل بان شان جنسها ذلك فلا بد له من فائدة
وهي الاشعار بانه لا ينبغي ان تتصف هذه الكلمة بقصد قلت لوضوح بطلانها فكانه
قيل تخرج بنفسها بلا اخراج منهم ففيه تأييد لقوله ما لهم به من علم ان يقولون
الا كذبا الا قولا كذبا فلعلك باخع نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق
في المحذور والبخع والبخوع الاهلاك من شدة الوجد على آثارهم عبر عن ادبارهم
وتباعدهم عن التصديق بالقران على وجه فصيح شبهه واياهم حين تولوا عنه
ولم يومنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم بمن فارقه احبته فهو
يتمشى قطحسرات على آثارهم ويبخع على نفسه وجدا عليهم فالاستعارة تمثيلية
وقرئ على الاضافة وهو الاستقبال ان قرئ ان لم يومنوا بالكسر وللمضي ان قرئ

بالفتح

بالفتح بمعنى لان لا يومنوا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية لتصوير تلك
الحالة في ذهن السامع واستحضارها بهذا الحديث القران اسفا مفعول له اي لفرط
الحزن ويجوز ان يكون حالا انا جعلنا ما على الارض من الزخارف يرشدك الى هذا قوله تعالى
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا و
يحتمل الحال على انه بمعنى اوجدنا لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وحسن العمل
الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا ترابا لا نبات فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز بمعنى القطع فيه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراء المومنين عما احتوته ايدي المترفين
من زينتها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف النقب المتسع
في الجبل وما لا يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي والرقيم اسم الجبل او الوادي او القرية
او لوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي
انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله وفي هذا خبر معروف اخرج في الصحيحين وقال
قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ويخبر عن اصحاب الرقيم بشيء كانوا في بقائهم احياء
مدة مديدة بلا غذاء من اياتنا عجبا اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من
اياتنا عجبا فليس كذلك بل كل اياتنا عجب وفي اياتنا ما هو اعجب منهم وقال القشيري
ازال موضع الاعجوبة من اوصافهم حيث اضافه الى نفسه بقوله من اياتنا وتقليب
العادة من الله ليس بمبتدع اذ اوى الفتية الى الكهف حين التجؤا اليه وروي انهم
كانوا شبانا من ابناء الاشراف ارادهم دقيانوس الملك على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة من خزاين رحمتك الموجبة للمغفرة
والرزق والامن وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير
بسببه مهتدين او اجعل امرنا كله هدى والرشد اصابة الطريق المودي الى
البغية وكذا الرُشد والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا
على اذانهم اي منعنا هم ان يسمعوا قال قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على
يد الرعية اي منعهم عن الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون اذا منعه
من التصرف وتخصيص الاذان بالذكر لان النوم قلما ينقطع الامن جهتها ولا يستحكم

قوله رقمت فيه اسماؤهم فالرقيم فعيل بمعنى مفعول سعدى

الامع تعطلها اشير الى ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل بال الشيطان فى
اذنه والذاهبون الى ان المعنى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع ذاهلون عن ان الحجاب
لا يناسب آلة السمع ولذلك ادخل السمع فى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة تحت الختم دون التغشية على ما اعترفوا به وذكروه فى تفسيره
فى الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا قال الزجاج اى يعد عدا لكثرتها لان القليل
يعرف مقداره من غير عد فاذا كثر عد واما قولهم دراهم معدودة فهو على القلة لانهم
كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم اى من نومهم يقال لمن احيى او اقيم من
نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف لنعلم عبارة عن خروج ذلك
الشئ الى الوجود ومشاهدته وهذا على نحو كلام العرب والا فقد كان الله علم ذكره
القرطبى فلا حاجة الى اثبات التعليق لعلمه تعالى حالى او استقبالى اى الحزبين
المختلفين منهم او من غيرهم فى مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم
والامد الغاية وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتداء واحصى خبره
وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول
واللام مزيدة وما موصول وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف
الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المزلق ورد عليه بان بناء اسم
التفضيل من غير الثلاثى المجرد ليس بقياسى فلا يقاس عليه ولان امدا لا ينصب بافعل لانه
لا يعمل ولا يلبثوا العدم سداد المعنى عليه فان زعمت نصبه باضمار فعل يدل عليه
احصى كما فى قوله واضرب منا السيوف القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو
قريب حيث ابيت ان يكون فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره ولكنه مردود اما اولا فلان
دعواه الشذوذ مذهب ابى على وعند سيبويه هو قياس وبه اخذ الزجاج وعلى اختيار
ابن عصفور ان الهمزة اذا كانت لغير النقل كما شكل الامر واظلم الليل يجوز ان يقال
ما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل والهمزة فى احصى ليست للنقل واما ثانيا
فلان قوله ان افعل لا يعمل ليس بصحيح لانه يعمل فى التمييز ومن زعم ان احصى اسم
تفضيل لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا ومثله مما يقال زيد اقطع الناس سيفا و
اما ثالثا فلانه يجوز ان يكون نصب امدا على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من امد على

ان

قوله القوانس جمع القونس وهو اعلى الراس وقيل اعلى البيضة سعدى

ان الامد بمعنى المدة ولعل هذا مراد الطبرى حيث ذهب الى نصب امدا بلبثوا
واما رابعا فلان اسم التفضيل ينصب المفعول به فى مذهب الكوفيين فلا اضطرار الى
تقدير فعل انما ذلك على تقدير ثبوت نزول القران على مذهب البصريين والى ذلك
نحن نقص قد مر تفسيره فى سورة يوسف عليه السلام عليك نبأهم النبأ خبر ذو
شان بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى كصبى وصبية آمنوا بربهم الرب السيد الناظر فى مصلحة عبيده وللاشعار بذلك عدل عن آمنوا بنا وزدناهم
هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم من المجاز ربط الله على قلبه صبره ومنه رابط الجاش
لمكان الخوف والقلق بزعج القلوب عن مقارها الاترى الى قوله تعالى وبلغت القلوب
الحناجر وقيل فى مقابلته ربط قلبه اذا تمكن وثبت وهو تمثيل والعدول من التعدية
الى على من باب يخرج فى عراقيبها للمبالغة اذ قاموا على قدم الصدق فى مجاز يقال قام
الى المعركة اذا عزم عليه بغاية الجد فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لم يقل ربا لان جهة توحده تعالى الوهيته لا ربوبيته لقد قلنا اذا شططا و
الله لقد قلنا اذا قولا شططا والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه يقال شط
منزل فلان اذا جاوز القدر فى البعد مصدر وصف به للمبالغة هؤلاء مبتدا قومنا
عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره وهو اخبار فى معنى الانكار لولا يأتون لولا
حرف تحضيض بمعنى هلا يمحضه الانكار عليهم على الوهيتهم بسلطان بين بحجة بالغة
ظاهرة فيه دليل على فساد التقليد فى اصول الدين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك اليه تعالى واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال
ليشمل الجسمانى والقلبى من مفارقة قومهم ومعتقداتهم وما يعبدون الا الله عطف
على الضمير المنصوب سواء كان ما موصولا او مصدرية والاستثناء متصل ان كانوا
يعبدون الله تعالى مع آلهتهم ومنقطع ان لم يعرفوه تعالى ويجوز ان يكون ما نافية
على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه تحقيقا لمضمون
الجملة فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته فى
الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا يرتفقون به اى ينتفعون به قالوا ذلك ثقة بفضل الله
تعالى وقوة فى رجائهم وقرئ مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء قال الجوهرى من قرأ مرفقا

قوله جمع فتى بكسر التاء و تشديد الياء سعدى

جعله مثل مقطع ومن قراءة مرتفقا جعله اسما مثل مسجد ويجوز مرفقا اى رفقا مثل
مطلع ولم يقرأ به وترى الشمس اذا طلعت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد
والمعنى انك لو رايتهم لرايتهم كذا لا ان المخاطب راهم على التحقيق تزاور عن كهفهم تنحى
وتميل فلا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاى وقرئ
بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل فان اليمين جهة
اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم قال الخليل في كتاب العين
اى تعدل عنهم في مسيرك قلت قرضته يمنة او يسرة في تعدية القرض اياهم دون
الكهف على خلاف تعدية التزاور دلالة على ان الشمس كانت تدخل الكهف اذا غربت الا
انه لا يقع شعاعها عليهم كيلا ينتبهوا فان لشعاع الشمس وحرها تاثيرا في الانتباه وهذا
من تتمة ما قصد بالضرب على اذانهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم
في فجوة منه اى هم في متسع داخل الكهف بحيث لا يراهم من كان ببابه وينالهم روح
الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف وهذا ايضا من تتمة ما ذكر قيل وذلك لان باب الكهف في
مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه
والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهي التي تلي
المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيها ويحلل عفونته ويعدل
هواه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم ومبناه التقول عما في تعرضهم من الدلالة
على دخول الشمس في الكهف عند غروبها ثم ان ما ذكره من حكم مقابلة بنات النعش يختلف
باختلاف الاقاليم طولا وعرضا ثم ان قوله ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم
اخراج لما وقع في شانهم من خوارق العادات عن حدها ببيان اسبابها العادية على ان ما
ذكره لا يصلح سببا كافيا ذلك من ايات الله قالوا ليس ذلك اشارة الى الايواء ولا
الى التزاور والقرض بل الى حفظ الله تعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة مع
تبرئه عن اختياره في احتياله وصدق رجوعه الى الله تعالى في احواله ولم يستعن بغير الله
من اشكاله اواه الى كهف اقصاه وكفاه جميع اشغاله وهيأ له محلا يتفيؤ فيه من برد
ظلاله بكمال اقباله من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم
جاهدوا في الله تعالى واسلموا له وجوههم فلطف بهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة

ومن

ومن يضلل الا ضلال من الله تعالى بخلق دواعي الاضلال وعند المعتزلة مأول بالخذلان
فلن تجد له وليا مرشدا من يكرمه ويرشده والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد
كما في السابق واللاحق وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم وتنفسهم واما تقليبهم فانما
يقع احيانا فلا يصلح سببا لحسبان كل من يراهم وايقاظ جمع يقظ بضم القاف وكسرها
وهو من اليقظان وهم رقود نيام ونقلبهم اضاف التقليب الى نفسه لانه بتخليقه خاليا
عن الاسباب العادية وشرايطها ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رضي الله عنهما
لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وذات منصوب على الظرف لما مر ان حقيقتها الجهة وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بالفعل يدل عليه وتحسبهم
اى وترى تقلبهم وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او زرعه
او غنمه ذكره القرطبي فلا تاييد في قراءة وكالبهم اى صاحب كلبهم لما قيل انه كلب راع
مروا به فتبعهم وتبعه الكلب بل التاييد بخلافه اذ الظاهر منها ان يكون الكالب من
الفتية وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وقد كان تقعد بباب الكهف
طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبا وقد حكى ابو عمرو المطرزي انه قرئ و
كالبهم وحمل على هذا الرجل اذ ابسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه
للتطلع هيئة الربيئة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يراد بالكالب الكلب باسط
ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية ولم يقصد الاخبار
عن فعل الكلب وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين كونه بمعنى المضي غير
مانع من العمل والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع بالوصيد بالباب ولم يكن
للكهف باب فالمراد منه موضع الباب ولذلك قال ابو روق فم الشعب لو اطلعت
عليهم اى لو شاهدتهم واصله الاشراف على الشيء ناظرا اليه ويكنى به عن المشاهدة
الكاملة والخطاب لمن في وترى الشمس وقرأ ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرئ
بضم الواو لوليت منهم فرارا لاعرضت بوجهك عنهم وانقلب فرارا على المصدر
اما لفررت محذوفة واما لوليت لانه بمعنى لفررت او على العلة او على الحال ول
ملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما البسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لطول
اظفارهم وشعورهم واجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وبابه قوله منهم والصحيح

فامرهم على ما قال ابن عطية ان الله تعالى حفظ لهم الحالة التى ناموا عليها ليكون لهم
ولغيرهم فيهم اية ولم يبل الثياب فضلا الى المدينة الا معالم الارض والبناء ولو كانت فى
نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم وايضا لما قال بعضهم لبثنا يوما او بعض
يوم وقيل لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وبالجملة كان الناس محجوبين
عنهم بالرعب لئلا يصلوا اليهم وقرئ لملئت بالتشديد للمبالغة ورعبا مفعول
ثان او تمييز وقرئ رعبا بضم العين وكذلك بعثناهم البعث التحريك عن سكون اى
ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئتهم لم يتغير شئ من ابدانهم وثيابهم
ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا
ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم
وليستبصروا بدا امر البعث قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال
الحسن دخلوا الكهف فى اول النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا
لبثنا يوما ثم راوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وكان عندهم كذلك فلم
يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكارا عليهم من
بعضهم استدل به ابن عباس رضى الله عنهما بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال
فى عددهم سبعة بناء على ان اقل الجمع ثلثة قيل انهم دخلوا الكهف غدوة وكان
انتباههم بعد الزوال وظنوا انهم فى يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قالوا ذلك وفيه نظر قدم وجهه ولما اخذهم ما ياخذ من نام طويلا من الحاجة
الى الطعام قالوا فابعثوا احدكم كانهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك الى الله
تعالى بورقكم قرئ بكسر الراء وبسكونها وبالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف
مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين على حدة والورق
الفضة المضروبة نص عليه الجوهرى والقاموس كانوا قد استصحبوا حين خرجوا
دراهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا اشاروا اليها بقولهم هذه الى المدينة
هى طرسوس فلينظر ايها الضمير للمدينة والمراد اهلها بطريق الاستخدام فى امثال والمصير
هذا الى الحذف من ضيق العطن ازكى طعاما اكثر بركة قال ابن عباس رضى الله عنهما
انه الارز فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير قليل البضاعة وفى تفسير القرطبى
قيل

قيل انهم امروه ان يشترى ما يظن انه طعام اثنين او ثلاثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا
طبخ كفى جماعة ولهذا قيل ذلك الطعام الارز فلياتكم برزق منه وليتلطف اى
وليتكلف فى استعمال دقايق التدبير فى دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به
فى ذهابه وايابه ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور بكم والضمير
فى انهم عائد على ما دل عليه المعنى من اهل تلك المدينة ان يظهروا عليكم ان يطلعوا
عليكم او ان يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم برمى الحجارة او يعيدوكم فى ملتهم يصيروكم
فيها وقيل العود على معناه الشايع لانهم كانوا اولا على دينهم ثم آمنوا وانما لم يقل
اليها لانه لا يلزم من العود الى الشئ التلبس به ولن تفلحوا اذا ابدا ولن تفوزوا
بخير ابدا ان رددتم وكذلك اعثرنا عليهم المفعول محذوف تقديره اعثرناهم عليهم اى
كما انمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرتهم اطلعناهم عليه واصله ان من عثر برجله على
شئ وهو غافل نظر اليه حتى يعلمه فاستعير العثور للاطلاع ليعلموا اى ليعلم الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان
حالهم فى نومهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة
لا ريب فيها وان القيمة لا ريب فى امكانها فان من توفى انفسهم وامسكها ثلثمائة سنين
حافظا ابدانهم عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليهم قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس
ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليهم اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا بينهم
امرهم امر الفتية حين اماتهم الله تعالى ثانيا فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون
ناموا نومهم اول مرة فقالوا ابنوا عليهم اى على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم
الناس والدواب ولا يتعرض لهم السباع ربهم اعلم بهم باحوالهم انهم ماتوا او ناموا
قال ولم يقل وقالوا لانه لم يذكر فى معرض المنازعة الذين غلبوا على امرهم اى قالت
عظماؤهم بعد الاتفاق على البناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه ويتبركون
بمكانهم سيقولون الضمير لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم هم ثلثة رجال رابعهم كلبهم اى
جعلهم اربعة بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم قاله النصارى وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب

يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قاله
المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام مليا اتباعه
اخراج هذا القول عن خبر الرجم بالغيب واما اتباعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم
فلا دخل له في الانباء المذكور ولا دلالة في قوله ما يعلمهم الا قليل ان ذلك القليل
من جنس الانس حتى يتمشى ان يقال اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال
الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد الرابع في نحو هذا المحل دليل العدم
مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بالاتباع المذكور ليتعين الثالث واما التمسك
بالواو بان يقال انها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت فضعيف لانها من المحكي لا من الحكاية فدلالتها على الثبوت عند القائل
لا عند الله تعالى نعم لو قيل انها تدل على تصديق القائلين بانهم سبعة لانها عاطفة
على كلام مصدق تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما اذا قال قائل زيد شاعر فقيل وفقيه
ايضا اي ونعم فقيه ايضا وفي الخبر سئل النبي صلى الله عليه وسلم انتوضأ بما افضلت
الحمر قال وبما افضلت السباع قال السهيلي يريد نعم وبما افضلت السباع وقال
جماعة ومنهم الامام ابو منصور الماتريدي لم يبين الله تعالى ذلك لاهل الكتاب ولا
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولو كان اعلمه لم يقل ولا تستفت منهم احدا لان علمه به يغنيه
عن السؤال عنهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب
الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص ما اوحى الله اليك فحسب من
غير تجهيل لهم ولا تعنيف لهم في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تستفتهم
من جهتهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم روي انه صلى الله عليه وسلم
سال نصارى نجران فنهي عن السؤال ذكره القرطبي ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم
عليه اني فاعل ذلك الشيء انما قال فاعل بالتنوين دون الاضافة لكان قوله غدا
ومبنى ذلك على قاعدة ذكرناها في تفسير اني جاعل في الارض خليفة الا ان يشاء
الله الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وهذا نهي
تاديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح

وعن

وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش فقوله غدا بمعناه الحقيقي لا بمعنى
ما يستقبل من الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة
عبارته واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال صلى
الله عليه وسلم ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا في تداركه التبرك
بالاستثناء والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا و
اظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا
فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا
المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرا لقوله
تعالى او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم يريد لبثهم فيها حيا مضروبين على
اذانهم ثلثمائة سنين قراء حمزة والكسائي بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا ومن قال على وضع الجمع موضع الواحد وحسنه
ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى
الجمع فقد تدافع طرفا كلامه لان مبنى قوله على وضع الجمع موضع الواحد هو ان يكون
الاصل الاضافة الى الواحد وقرا الجمهور بتنوين مائة ونصب سنين على انه عطف
بيان وحمله على البدلية ضعيف لانه يلزم ان لا يكون العدد مقصودا وازدادوا
تسعا قيل انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية بحساب الامم ولما كان الاخبار ههنا
للعرب ذكرت التسع اذ المفهوم عندهم من السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين
الحسابين فهو بيان لما اجمله تعالى قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم
اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة
وتسع سنين ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا لبثوا وقوله عز وجل

بيضاوي
هو جواب ان الاضافة الى الجمع اصل النظر
الى القياس قال الرضي الاصل في الجمع
والاضافة فيه لعلة وانما عدلوا الى المفرد
لعلة الاستثقال فلا تدافع
الواحد اصل سعدي

قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما
وانه هو وحده العالم به ابصر به واسمع امران معناهما انشاء التعجب والهاء في به
لله محله الرفع على الفاعلية عند سيبويه لان اصله عنده صار ذا بصر كاغدّ البعير
صار ذا غدة ثم نقل الى التعجب وغير الى صيغة الامر لانه انشاء والتعجب انشاء فبرز
الضمير لان ضمير الغائب لا يستتر في امر المخاطب وزيد الباء فيه لتاكيد التعجب
ولخلوه عن الضم لم تختلف صيغته بحسب اختلاف المخاطب افرادا وتثنية و
جمعا وعند الاخفش منصوب على المفعولية والفاعل ضمير المخاطب وهو كل احد
والهمزة للتعدية والباء مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة والباء للتعدية
والاتيان بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عما عليه ادراك
السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير
وكبير وخفى وجلى ما لهم لاهل السموات والارض من دونه من ولى من متول لامورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له مدخلا فيه وقرئ بالتاء و
الجزم على النهى واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لما يهذون
به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته اى لا يقدر احد غيره على تبديلها ولن تجد من
دونه ملتحدا ملتجئا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قد مر تفسيره في سورة
الانعام ولا تعد عيناك عنهم اى لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن
الامر صرفته عنه وما تصرفه العين ليس الا النظر فحذف لظهوره قيل ولا تجاوزهم
نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وفيه ان عدا بمعنى جاوز يتعدى
بنفسه وبعن قال الجوهرى عداه جاوزه وما لى عن فلان معدى اى تجاوز الى غيره
ثم ان معنى الصرف اشد مناسبة للمقام من معنى التجاوز وقرئ ولا تُعِدّ ولا تُعْدِ من اعداه و
عداه تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف على المشهورة ومن الضمير في الفعل
على غيرها والعامل على الاول ايضا الفعل السابق لما سبق في قوله فاتبع ملة
ابرهيم حنيفا ويجوز ان يكون حالا من الفاعل وتوحيد الضمير لانهما عضو واحد
في الحقيقة او لاتحاد الاحساس او للاكتفاء باحدهما عن الآخر واستبشاع لاسناد

قوله عند الاخفش ونسبه الرضى الى الفراء سعدى

قوله للدلالة على ان امره يعنى ليس المراد حقيقة التعجب لاستحالته على الله تعالى سعدى

بيضاوى

الاراده

الارادة الى العين مندفع بانها كناية عن ارادة صاحبها كما يقال يستلذه العين
او السمع وانما المستلذ الشخص ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن
ذكرنا اياه بالمؤاخذة واتبع هواه قيل نزلت في امية بن خلف وذلك انه دعا النبى
صلى الله عليه وسلم الى تبعيد الفقراء عنه وتقريب صناديد قريش وكان امره فرطا
اى تجاوزا فيه الحد ذكره الجوهرى وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم
حال مؤكدة او خبر بعد خبر اى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما
شئتم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ليس بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر
وانما هو وعيد وتهديد وجئ بلفظ الامر والتخيير لانهما لما مكن من اختيار ايهما شاء
فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين قيل هو لا يقتضى استقلال
العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة وكانه زعم ان الامر
بالايمان والكفر يكون امرا بجعلهما وايجادهما حتى قال ما قال والحق كون العبد
مامورا بالكسب فقط وماذا بعد الحق الا الضلال انا اعتدنا هيأنا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها هو ما يمد فوق صحن الدار ذكره الجوهرى فارسى معرب اصله
سراطاق لا سرا پرده كما توهم وما في حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه على ما خرجه
الترمذى وقال فيه حسن صحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لسرادق النار اربع جدر يعضد
ما ذكرنا ويرد ما قيل انه الحجرة التى تكون حول الفسطاط وما قيل انه الحائط وان
يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل اى يؤتوا بماء كالمهل وانما قال يغاثوا على
طريقة تحية بينهم ضرب وجيع تهكما والمهل هو ماء غليظ كدردى الزيت ذكره ابن عباس
رضى الله عنهما ويوافقه ما في حديث الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
كعكر الزيت يشوى الوجوه من فرط حرارته اذا قدم ليشرب وهو صفة ثانية
لماء او حال منه لانه قد وصف فحسن مجئ الحال عنه او من المهل او الضمير في الكاف
بئس الشراب المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو اى الماء اى الذى
يغاثون به وساءت النار مرتفقا متكأ واصله الاتكاء على المرفق وهذا لمشاكلة
قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان تكون كناية

قوله خبر مبتدا محذوف اى هذا الذى اوحى الى من ربى هو الحق من ربكم سعدى

عن عدم النوم كما في قوله   نام الحلى وبت الليل مرتفقا   ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا التنكير للتقليل اولئك لهم جنات عدن
اقامة اذ هو وسط الجنان واعاجى بلفظ الجمع لسعتها بحيث كان كل بقعة منها صالحة
لان تكون جنة ويجوز ان يراد بالجنات سائر الجنان واضافتها الى عدن لانه
معظمها والجملة خبر ان وما بينهما اعتراض اذ هو ايضا خبر على قيام من احسن
مقام الضمير لان من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمها معنى واحد
واما التقليل بان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا
وعملوا الصالحات فياباه التقليل المستفاد من التنكير في عملا او على ان الضمير مستغنى
عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد واما قد فيه
على ان المعنى من احسن عملا منهم ففيه انه يوذن تنوع الذين امنوا وعملوا
الصالحات الى من احسن عملا والى من لم يحسنه ولا وجه له او الخبر هو واولئك
كلام مستانف لبيان الاجر المبهم ويجوز ان يكون الثاني بدلا عن الاول فلا
يحتاج الاول الى الخبر كما في قول الشاعر

ان الخليفة ان الله سربله   سربال ملك به ترجى الخواتيم

تجري من تحتهم الانهار قد مر تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم حليا بنى
التحلية للمفعول اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بانفسهم فيها من
اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للتبيين صفة لاساور وتنكيرها
لابهام امرها في الحسن وهي جمع اسورة والاسورة جمع سوار بالكسر وهو
زينة تلبس في الزند من اليد وقال ابو عمرو واحد الاساور الاسوار بالضم
وهو بمعنى السوار لا جمعه ويلبسون اسند فعل اللبس اليهم لان الانسان يتعاطى
ذلك بنفسه خصوصا اذا كان بادي الصورة ثيابا خضرا لانها احسن الالوان
واكثرها طراوة وقد روى في ذلك اثر انها تزيد في ضوء البصر من سندس ما رق
من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب فارسية استبرك وجمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك
جمع اريكة وهي السرير في الحجال خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين نعم الثواب

الجنة

قوله لافراد كلتا فانه اسم مفرد اللفظ عند البصريين مثنى المعنى ومثنى لفظا ومعنى عند البغداديين وتاؤه عند البصريين غير الجرمى بدل من واو واصله كلوى والالف فيه للتانيث وزائدة عند الجرمى والالف منقلبة عن اصلها
سعدى

الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافرين و
المؤمنين مثلا رجلين حال رجلين مفروضين او موجودين جعلنا لاحدهما وهو الكافر
جنتين بستانين من اعناب من كروم والجملة بتمامها بيان التمثيل فلا محل لها من
الاعراب او صفة الرجلين وحففناهما بنخل اي جعلته مطيفا بهما وهذا مما يؤثره
الدهاقين ان يجعلوها موازرة بالاشجار المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا
جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها
ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت
اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والمختار هو الاول
ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا يعهد ما في سائر البساتين وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم شربها فانه الاصل ويزيد بهاؤها وكان له ثمر انواع المال من ثمر ماله
اذا كثره فقال لصاحبه الظاهر منه انهما لبسا باخوين وهو يحاوره اي يراجعه
في الكلام ويحاوره من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا اولادا دل على ذلك قول
صاحبه ان ترن انا اقل منك مالا وولدا والمراد الذكور لانهم ينفرون معه دون
الاناث ودخل جنته بصاحبه ليريه ما فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من
المال دونه وافراد الجنة تجريد الكلام لما سبق من الغرض وصونا له عما يخيل امرا
آخر والغرض هنا بيان ما قاله عند دخول جنته والتعرض لتعددها فضلة في ذلك
وهذا كما تقول اذا رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة لللابس طويل واللابس
قصير ولو قلت اللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم
يقع في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع في غرض وراءها وهو ظالم لنفسه
بتعريضها لسخط الله تعالى بعجبه وكفره وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد
ان تهلك هذه الجنة ابدا وهذا الاغترار بانتظام احواله واطراح النظر في
عواقب امثاله وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي اقسام
منه لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولى لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو معه ايما يلقاه على انه ان ارد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن خيرا منها من
جنته وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية

ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
بيضاوى

قوله لطول امله فان المراد بالابد هو المكث الطويل وهو مما حيرون الابد بمعنى الدوام اذ لا يظنه عاقل فيظهر انه نظول امله قوله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته وهما من اسباب طول الامل
سعدى

قوله لانها فانية وتلك باقية اذا اريد بالابد المكث الطويل على ما نبهت عليه لا يكون هذا الكلام مخالفا لقوله ابدا ان يجوز ان يكون هذا القول مبنيا على ما صاحبه ايضا كما لا يخفى
سعدى

وانتصابه على التمييز قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من
تراب اراد خلق اصله ادم عليه السلام او اصل مادته وذلك ان ماء الرجل يتولد
من اغذية حاصلة من تراب فنبهه اولاً على ما تولد منه بالواسطة ثم على ما
يتولد منه بالذات فقال ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم سواك رجلا
جعلك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال سويا قيل عدلك وبرده قوله تعالى
فسواك فعدلك جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى قدرة
الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من تراب كانه يقول من اعترف بخلقه
تعالى اياه من التراب لا ينكر اعادته منها لانها اهون منه فالانكار الثانى لا يجامع
الاعتراف بالاول لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا استدراك من قوله ا
كفرت لانه استفهام انكار وتوبيخ فهو فى الحقيقة اخبار عن كفره واصل لكنا لكن
انا فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وقرئ بالالف فى الوصل لتعويضها
من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
والجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدل وربى خبره والجملة خبر
انا وقرئ لكن هو الله ربى ولكن انا لا اله الا الله ربى ولولا اذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله ما موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتداء
محذوف تقديره الامر ما شاء الله او مبتداء خبره محذوف تقديره ما شاء الله كاين او
شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اى شئ شاء الله كان اقرارا بانها
وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله و
قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وان تيسر لك
من تعميرها وتدبير امرها فبمعونته واقداره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتداء والجملة مفعولا ثانيا لترن ومن نصبه
جعل انا فصلا وتاكيدا للمفعول الاول فعسى ربى ان يوتينى خيرا من جنتك فى الدنيا
او فى الاخرة لايمانى وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك بكونك حسبانا
من السماء مرامى واحده حسبانة قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابى
الصواعق فتصبح دل على اتيان الحسبان بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع

قوله لان منشأه الشك وشك فى صفة من صفاته المعلومة من الدين فهو انكار والطلق سعدى

قوله لتعويضها من الهمزة يعنى الحذف وقد قال اهل العربية اثبات الف انا فى الاصل ضعيف ولكن قراءة ابن عامر قوية بناء على انها للتعويض سعدى

ما عليها

ما عليها من النبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شعر مصدر بمعنى المفعول من
زلق راسه زلقا اذا حلقه او يصبح عطف على يرسل على تنويع ما ترجى الى آفة
سماوية وافة ارضية ماؤها غورا اى غايرا مصدر بمعنى الفاعل يقال غار الماء
غورا اذا سفل فى الارض فلن تستطيع له اى للماء الغاير طلبا لن تقدر على طلبه لعدم
بقاء الاثر منه واحيط بثمره الواو فصيحة عاطفة على مقدر وهو تحقق ظنه و
ثمرة امواله واحاطته عبارة عن اهلاكه بالكلية واصله من احاط به العدو
فان قوما قد احاط بهم العدو قلما يخو يخلص ثم استعمل فى كل هلاك فاصبح
يقلب كفيه كناية عن التحسر والندم فان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن فكانه قيل
يندم على ما انفق فيها فى عمارتها فهو متعلق بيقلب ويجوز ان يكون حالا اى متحسرا
على ما انفق فيها وهى خاوية ساقطة على عروشها بان سقط عروشها على الارض و
سقط الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتنى لم اشرك بربى
احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن
مشركا حتى لا يهلك الله تعالى امواله ويحتمل ان يكون توبة عن الشرك وندما على ما
سبق منه ولم تكن بالتاء والياء له فئة قدم ما يتعلق باشتقاق فئة فى العمران
ولما افتخر بعزة نفره اخبر تعالى انه لم تكن له جماعة يجدونه نفعا وحمل ينصرونه
على المعنى دون اللفظ اى يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان
الاتيان بمثله فليس من النصر لانه المعونة بالقهر والغلبة لا مطلق المعونة من دون
الله اى هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه
هنالك فى ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها
غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وقرئ بالكسر ومعناه السلطان
والملك اى هنالك السلطان والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع عنه وفى مثل
تلك الحالة الشديدة يتولى الله تعالى ويؤمن به كل مضطر فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كان عن اضطرار وجزع مما دهاه من شوم كفره ولولا
ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر بها اولياءه المومنين
على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من اعدائهم يعنى انه نصر فيما فعل بالكافر

اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي الاية وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اى فى
تلك الدار الولاية لله تعالى لقوله تعالى لمن الملك اليوم ويعضده قوله هو خير
ثوابا وخير عقبا وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرئ بالنصب على
المصدر المؤكد وقرئ عقبا بالسكون وبالضم وقرئ عقبى على فعلى وكلها بمعنى
العاقبة واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال
واحد مثل الحيوة الدنيا صفتها الغريبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها
واغترار الناس بها كما هو كماء انزلناه من السماء فاختلط به اى بالماء والباء
للسببية اى فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ويجوز ان يكون
للتعدية اى نجع فى النبات حتى روى ورف وحق هذه الباء ان تدخل فى اقل المختلطين
وسلك هنا مسلك القلب للمبالغة فى كثرة الماء فاصبح اى الى امر الله تعالى
فاصبح على ما افصح عنه فى سورة يونس عليه السلام فالفاء فصيحة نكتتها
الاشعار بسرعة الزوال هشيما متكسرا من اليبس متفتتا تذروه الرياح
تفرقه وقرئ تذريه والتشبيه تمثيلى شبه الهيئة المنتزعة من احوال الدنيا
بالهيئة المنتزعة من احوال النباتات الا ان الا قوله اداة التشبيه بالماء لانه
من نوع استعار شبه الدنيا بالماء فى ان قليله يروى وكثيره يردى كما ورد فى الخبر
قال صلى الله عليه وسلم ذر الدنيا وخذعنها كالماء فان القليل منها يكفى
والكثير منها يطغى وكان الله على كل شئ من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لان فى المال جمالا ونفعا والباقيات الصالحات
الاعمال الخيرات التى تبقى ثمرتها للانسان ابد الاباد من اى نوع كان من انواع
القول والعمل وقيل هى النيات والهمات لان بها يتقبل العمل ويرفع خير عند
ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا الرجال بها صاحبها فى الاخرة
ماكان يامل بها فى الدنيا ويوم اى اذكر يوم نسير الجبال من سيرت وقرئ
تسير من سيرنا وتسير من سارت اى تسير فى الجو كما تسير السحاب كما قال فى
اية اخرى وهى تمر مر السحاب وهذا بعد كونها كالعهن المنفوش ومن ذهب
الى انها تسير سير السحاب ذهب الى ان يكون المعنى تذهب بها بان تجعل هباء منبثا

ورف بالفاء اى اهتز وتم

وفى البنين قوة ودفع

بيضاوى

فذهب

فذهب عن صوب الصواب وترى الارض بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل
ولا شجر ولا بنيان وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم الحشر السوق من جهات
مختلفة الى مكان واحد ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر وقيل للدلالة
على ان حشرهم قبل التسيير ورؤيتها بارزة ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم كانه
قيل وحشرناهم قبل ذلك فلا حاجة فيه الى جعل الواو للحال باضمار قد بل لا وجه له
ويرده ما دل على ان ذلك قبل الحشر من الايات كقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور
نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا
بالنون والياء يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك الوفاء والغدير ما
غادره السيل وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان ولا حاجة العاقل لا ليعرفهم بل ليامر فيهم انما الحاجة اليه اذا شبهت
حاله بحال السلطان المعروض على جنده صفا مفرد نزل منزلة الجمع اى صفوفا
لما ورد فى الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد صفوفا
ومن غفل عن هذا قال مصطفين ولا يحجب احد احدا لقد جئتمونا معمول القول
محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون عاملا فى يوم تسير لما
عرفت انه قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف
اى مجيئا مثل مجئ خلقكم اول مرة اى عراة حفاة غرلا كما ورد فى الحديث
الصحيح وقيل عراة لا شئ معكم من المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة بل كلا اضراب بمعنى الانتقال من كلام الى كلام ليس بمعنى
الابطال زعمتم ان لن ان مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفى
كما فصل فى قوله ان لن نجمع عظامه نجعل لكم موعدا مكان وعد او زمان وعد لا يجاوز
ما وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام من البعث والنشور ووضع الكتاب
صحايف الاعمال فى الميزان او فى ايدى العباد واحدا ريد به الجمع لانه جنس فترى
المجرمين مشفقين الاشفاق الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ان لا يقع مما فيه من
السيئات ويقولون الواو للحال يا ويلتنا هذه اللفظة من وقع فى شدة والويل
الهلاك والنداء لمن بحضرتهم كانهم قالوا يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا ما لهذا

الكتاب ما استفهامية مبتدا ولهذا في موضع الجر تقديره اي شي لهذا الكتاب
تعجيب لشانه لا يغادر جملة حالية صغيرة سيئة صغيرة قدمها لانها ادخل
في التعجيب ولا كبيرة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها الاحصاء
هنا كناية عن الضبط والحفظ واسناده الى الكتاب مجاز ووجدوا ما عملوا
من خير وشر حاضرا موجودة في الخارج على ما دل عليه قوله يومئذ يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم لا بوجوده في الكتابة لانه اعادة للمعنى السابق ولا يظلم
ربك احدا باحضار ما لم يعملوا ولا بعدم احضار بعض ما عملوا واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لما بين حال المغرور بالدنيا وكان السبب تسويل
الشيطان زهدهم اولا في زخارفها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة
كان من الجن استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق
عن امر ربه فخرج عن امره تعالى بترك السجود والفاء للتسبيب ومن قال هذا الكلام
المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فقد سهى
حيث اساء في عبارة التعمد افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب والفاء للعطف على
مقدر تقديره اتعلمون انه عدو الله وعدو ابيكم فتتخذونه وذريته اولياء من دوني
تستبدلونهم بي قال الشعبي سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس
لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة
فقلت نعم وهم لكم عدو لم يقل اعداء في مقابلة اولياء انباء عن اتحادهم في امر العداوة
وشدة اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله تعالى ابليس وذريته ما اشهدتهم
وقرئ ما اشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي لا اشهدت بعضهم خلق
بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار
بعضهم خلق بعض توطئة لنفي الاعتضاد والذي ذكره بقوله وما كنت متخذ المضلين يعني ما
كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا
للاعتضاد بهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة
وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم وبرأيهم وما وافقتهم
على اسرار ملكي فلا فضيلة لهم دون غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت

الى

الى قولهم طعنا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده
قراءة وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يقال فيه رد لارباب
التنجيم واصحاب الهيئة والمتبحرين في علم الطب وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا
بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه والاصل
فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون والتقوية لان اليد قوامها العضد وانما
اوقع الواحد موقع الجمع لانه في سياق النفي ابلغ ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون
وانما لم يقل شركائنا على هذه القراءة لان المقام مقام اظهار التوحيد نادوا شركائي
في عبادتكم الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم من عذابي فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا حاجزا القول
فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شي حاجز بين شيئين فهو موبق او وجعلنا تواصلهم في
الدنيا مهلكا في الاخرة قال الفراء يقال وبق يبق وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان
او مصدر ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها رأوها من مكان بعيد فظنوا انها
تاخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر يرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين

سنة والمواقعة ملابسة الشي بشدة ومنه وقايع الحروب ولم يجدوا عنها مصرفا
انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل نوع
من انواع المعاني الغريبة وتصريفه تنقيله في وجوه البيان على تمكين الافهام وكان
الانسان اكثر شي جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدال والجدال شدة الفتل من
المذهب بطريق الحجاج ولا يلزم ان يكون بالباطل ولذا احتيج الى التقييد به في قوله ويجادل
الذين كفروا بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ
جاءهم الهدى الرسول او القران ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا انتظار
او طلب ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بضمتها
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى ضروب وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة وانتصابه على
الحال من احد المفعولين وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب
للمطيعين والعاصين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والتكا

كون البشر رسولا من الله تعالى ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا آياتي يعني القران وما انذروا والذي انذروه من العقاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بالسكون وهو ما يستهزء به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه اي لم يتذكر ما يترتب على فعله من العذاب والتعبير عن عدم التذكر بالنسيان للمبالغة وانما حسن التجوز عن الجملة باليدين لان المسند مما يكسب وهما اقوى آلته انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين كفروا على انه تعليل لاصرارهم على ما كانوا عليه وما بينهما من قوله ومن اظلم الخ جملة معترضة في تقبيح حالهم على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا قد مر تفسيره في سورة بني اسرائيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة لشدة تصميمهم اذا ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب للرسول عليه الصلوة والسلام على قوله ما لي ادعوكم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بامهال اهل مكة مع افراطهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد هو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا وآل اليه اذا التجا اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشعار لهم ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى الخبر واهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والقرى مجاز عن اهلها وذلك خير من تقدير المضاف ولا بد من احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وفيه اشعار بعلة الاهلاك تحذيرا منها وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلة وانما ترك مفعول ظلموا تنزيلا له منزلة اللازم ليذهب الوهم كل مذهب وجعلنا وضربنا لمهلكهم المهلك بضم الميم وفتح اللام الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر وقرئ بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة لهلاكهم واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه وهو يوشع بن نون بن اخت موسى عليه السلام وانما قيل لفتاه لانه

كان

قوله استهزاء فيكون من الوصف بالمصدر مبالغة قوله وهو ما يستهزء به ان المشهور الموجود في كتب الله تعالى ... نقلا وهذا التنقيح والتفتيش سعدي مصدر

تلك

كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم والعرب تسمي التلميذ فتى وان كان شيخا لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر حتى ابلغ على ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير والفعل وان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقاهما وهما الكر والرس بارمينية قاله السدي وقيل بحرا فارس والروم ويرد عليهما انهما لا يلتقيان ولا يقرب احدهما من الاخر وفي التيسير كان البحر الذي يعلون فيه اصحاب السفينة ما بين بحر فارس الى بحر الروم واذ لا اتصال بينهما فلا صحة لهذا الكلام ايضا ولعل فارس محرف فاس وهي بالغرب حاضرة البحر من اجل المدن القديمة ويعضده ما قاله محمد بن كعب ان مجمع البحرين عند طنجة وما قاله ابي بن كعب رضي الله عنه انه بافريقية وقول الخضر لموسى عليهما السلام حين سلم عليه وانى بارضك السلام ويدل على ان ملاقاتهما لم تكن بين بحر فارس والروم لان تلك الارض ارض بني اسرائيل وما يقرب منها وهي منشا السلام ومعدن الاسلام وقرئ مجمع بكسر الميم قال الجوهري الموضع مجمع ومجمع كمطلع ومطلع او امضي حقبا الحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل تسعون اي اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع بلوغ المجمع او مضي الحقب روي في الصحيحين ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمه فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر قيل اضطراب الحوت كان لما استيقظ يوشع عليه السلام وتوضا من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبين ظرف اضيف اليه على الاتساع نسيا حوتهما نسيا تفقد امره وما كان منه امارة على الظفر بالمطلوب ولا وجه لما قيل

نسي موسى عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع عليه السلام ان يذكر له ما
راى من حياته ووقوعه في البحر لان هذا النسيان منه قبل ذلك على ما دل عليه قوله
فاتخذ سبيله في البحر الفاء فصيحة تفصح عن مقدر يدل على حياة الحوت وسقوطه
في البحر على ما نقل فيما سبق سربا اي جعل سبيله في البحر كالسرب وهو النقب الذي
يدخل فيه فيسلك منه الى موضع وفي الحديث المار ذكره وامسك الله عن الحوت جرية
الماء فصار عليه مثل الطاق واما السارب في قوله تعالى وسارب بالنهار فبمعزل
عن هذا لانه بمعنى الظاهر صرح به الجوهري ودل عليه قوله مستخف بالليل مقابلة
ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما
جاوزا مجمع البحرين وفي الحديث المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلته حتى اذا كان
من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا قيل لم ينصب
موسى عليه السلام في سفر غيره ويويده التقييد بقوله هذا وقيل في الحديث
المذكور انه عليه السلام لم ينصب حتى جاوز الموعد نصبا تعبا وعناء قيل عني به هنا
الجوع ولا يخفى ان الفعل وتعديته انما يناسبان الاول ووجه الارتباط بين الكلامين
ان القعود للتغدي يتضمن الاستراحة فكانه قال اتنا غداءنا حتى نتغدى ونستريح
زمانا قال له فتاه ارايت اعلمت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة اي اقمنا عندها
فاني نسيت الحوت يعني امر ذكره في معرض الاعتذار لما جرى في الحوت من المعاهدة
وذلك على ما ذكر في صحيح البخاري ان موسى عليه السلام قال له لا اكلفك الا ان
تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره بدل من الضمير اي ما انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله رضي الله
عنه وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان اي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت
والحال وان كانت لغرابتها احق من ذلك الا انه لما اعتاد وشاهد هذه امثالها
عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بها فهو اعتذار عن نسيانه واتخذ
سبيله في البحر عجبا اي اتخاذا عجبا والمفعول الثاني الظرف وان كان عجبا لخروجه من
المكتل وحياته بعد كونه مشويا او ماكولا بعض منه وامساك جري الما عليه وقيل
سبيلا عجبا وفيه ان اكثر العجائب ليس بحال السبيل وايضا لو كان المعنى ذلك لقيل

واتخذ

واتخذ في البحر سبيلا عجبا وهو من كلام يوشع عليه السلام وقيل قال موسى عليه
السلام في جوابه عجبا اي تعجبا وقيل الفعل لموسى عليه السلام اي اتخذ موسى عليه السلام
سبيل الحوت في البحر ورده هنا خير قال عنه قال ذلك الاشارة الى فقد الحوت لما مر
في الحديث انه قيل لموسى حيثما فقدت الحوت فهو ثمة ما كنا نبغ تقديره نبغيه اي نطلبه لانه
امارة المطلوب فارتدا على آثارهما اي على طريقهما الذي جاءا منه قصصا اتباعا لذلك
الامر فانتصب على المصدرية باضمار يقتصان على ما افصح عنه النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث المار ذكره حيث قال في تفسيره فرجعا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل
مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى قال
موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا فوجدا عبدا من عبادنا هذه اضافة
تشريف واختصاص وهو الخضر اسمه بليا يشهد بذلك الحديث المذكور واتفق عليه
الجمهور وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضرا والفروة هنا
وجه الارض قاله الخطابي اتيناه رحمة من عندنا الرحمة هنا الوحي والنبوة كما في قوله
اهم يقسمون رحمة ربك وعلمناه من لدنا مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وقدرتنا
ما يتعلق بلدن في العمران علما هو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن
على هذه المصلحة بداءة بالاستفهام والاستيذان ووصف نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم
واظهر الرغبة فيما عنده من العلم وهذا غاية التواضع من موسى عليه السلام وتعليم لمن طلب
العلم من غيره ولا ينا سبه تقدير الشرط على ان يكون المعنى على شرط ان تعلمني مما علمت رشدا
علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول
تعلمني او مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك ومفعول علمت العائد المحذوف
وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك وكون
موسى عليه السلام صاحب شريعة لا ينافي ان يتعلم من غيره ما لا حاجة له في شريعته
قال انك لن تستطيع معي صبرا اراد نفي الصبر معه الا انه بالغ فيه حيث نفى استطاعته
على ابلغ وجه واكده كانه لا يصح ولا يستقيم دل على ذلك قوله وكيف تصبر والصبر تجرع مرارة
حبس النفس ومنعه عما تنازع اليه على ما لم تحط به خبرا اي ان صبرك على ما لا خبرة لك به

مستبعد وهذا كالتعليل للنفي السابق ومجيئه بالواو شايع وفيه تدارك لما عسى
ان يتوهم انه نسب اليه عليه السلام عدم التثبت قيل فيه ابداء له حيث لا يمكنه الصبر
لما يرى من المناكير لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز لهم السكوت عند ذلك وفيه ان ثنا لنها
ليس بمنكر شرعا ولا عقلا وايضا قد عرفت ان المنفي نفي الصبر معه لا استطاعته وخبرا تمييز
ومصدر على غير المصدر لان لم تحط بمعنى لم تخبره والخبير بالامور هو العالم بخفايا ها
وما يختبر منها قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشية
للاستثناء ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف فانه لا يجوز خصوصا في حق الانبياء عليهم
السلام ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي صابرا وغير عاص كقوله تعالى صافات ويقبضن
اي وقابضات او على ستجدني فلا محل له من الاعراب وفيه انه ح لا يكون مقيدا بالمشية ولا بد
منه كيلا يلزم الخلف المذموم حيث وعد ان لا يعصي له في امر وقد امره بترك السؤال ولم
يطعه فيه وانما قلنا فلا محل له من الاعراب مع انه معمول القول على هذا الوجه لانه لا
تاثير للعامل في المعنى وانما اثره ح بمجرد اللفظ والجملة هناك ليست واقعة موقع المفرد
ليكتسي حكمه محلا وهذا نوع تواضع آخر من موسى عليه السلام بعد تمنع كان من الخضر عليه السلام
ثم يحكم عليه بوجه آخر على ما افصح عنه قوله قال فان اتبعتني فلا تسألني وقرئ بالنون
الثقيلة عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك
ببيانه وهذا من الخضر عليه السلام تاديب وارشاد لو صبر وداب لراى العجب لكنه
اكثر من الاعتراض فتعين الفراق والاعراض فانطلقا اي انطلق موسى والخضر عليهما السلام
واما يوشع عليه السلام فقد صرفه موسى عليه السلام ورده الى بني اسرائيل وفي الحديث
السابق ذكره فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفي الحديث المذكور فمرت سفينة فكلموهم
فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة ركب مسند وانما قيل في السفينة
اظهار الماني ركوبها خاصة من بين الراكب من معنى الدخول خرقها قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث المذكور فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة
بالقدوم قال ابو العالية لم يرَ الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عبدا لا يراه الا
من اراد الله ان يريه ولو رآه القوم ح لمنعوه من خرق السفينة قال اخرقتها لتغرق اهلها
اي فعلت ذلك وغرضك اغراق اهلها وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ بالياء ورفع اهلها

اي فعلته

اي فعلته كي يغرق اهلها وقيل انها لام العاقبة والاولى اولى لانه في مقام الانكار لقد جئت
شيئا امرا منكرا ماخوذ من الامر لانه الفاسد الذي يحتاج ان يومر بتركه ومنه امر
القوم اذا كثروا اي احتاجوا الى من يامرهم وينهاهم ومنه الامر من الامور اي الشيء الذي
من شانه ان يومر فيه ولهذا لم يكن كل شيء امرا ومن هاهنا ظهر وجه ابدا رشيئا على امرا مع ما
فيه من صيغة الجناس ولو كان الامر هاهنا بمعنى العظيم كما قيل لروعي حسن التناسب لفظا
وقيل الامر الامر العدم المانع من جهة المعنى ح قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ظاهره
تذكير للقول السابق وباطنه تقرير لصعوبة الصبر معه واشارة الى منكرا تكبد موسى
عليه السلام وهو عدم محافظته الوعد فكانه قصد المعارضة بالمثل ولهذا ضمن كلامه
الاعتذار عن ذلك على ما افصح عنه قوله تعالى قال لا تؤاخذني بما نسيت من امري بسبب
نسياني والمواخذة على ترك التحفظ لا على النسيان لانه غير مؤاخذ ولذلك لم يقل على ما
نسيت فكانه قال لا اصدر مني ما صدر الا بسبب امر غير مقدور وصيغة النهي كغيرها
قد يجيء للالتماس وهو المناسب للمقام ولا ترهقني لا ترهقا ادراك الشيء بما يغشاه
ومنه غلام مراهق اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ من امري عسرا مفعول ثان ايا عسرا
اي ولا تغشني عسرا من امري بعني ولا تعسر علي متابعتك بالمواخذة على ما صدر بسبب
النسيان ويسرها على بالاغضاء وعسرا مفعول ثان لترهق وقرئ بضمتين فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما وفي الحديث السابق ذكره ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان على
الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه بيده فاقتلعه فقتله
ما قيل كانه قتله بفك عنقه او بضرب راسه بالحائط مردود بنص الحديث الصحيح
وكذا ما قيل اضجعه فذبحه والفاء هنا للدلالة على عدم تراخي القتل عن لقاء الغلام
بخلاف خرق السفينة فانه لم يعقب الركوب كذلك فلم يذكر الفاء ثمة ولما كان القتل قتل
معصوم حقيقة او ظاهرا على اختلاف في صغره لم يتمالك ان يعترض ولا دخل في ذلك
كدلالة الفاء على عدم التروي والاستكشاف قال اقتلت نفسا زاكية وقرئ زكية قال
الكسائي هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية
التي اذنبت وتابت ولذلك اختار الاولى وهذا على ما قاله الجمهور انه كان صغيرا غير بالغ
وقال الحسن والكلبي كان بالغا يقطع الطريق ويعضده بغير نفس اي من غير ان قتلت

بيضاوى

نفسا يفهم منه انه لو كان من قتل نفسا لم يكن به باس والظاهر منه كبر الغلام لان الصغير لا يقاد ولا تنبيه فيه على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صحة للحصر على ما ننبهت عليه في تفسير سورة الانعام لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ بضمتين اختلفوا ايهما ابلغ امرا او نكرا فقيل هنا القتل واقع وهناك مترقب فنكرا ابلغ وقيل هذا اهلاك واحد وذاك اهلاك جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي ان امرا افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه قد وقع ومن غفل عن هذا قال ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستانفا وفي الثانية جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فالوجه في التغيير ما قد عرفته من ان تعقيب القتل للقاء دون الخرق للركوب فتضحخ لك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا في زيادة لك مكافحة بالعتاب زجرا واغلاظا ليس في الاول لان مقاولة التساؤل في ثانيه بعد التقدم الى ترك السؤال والاعتذار بالنسيان اقطع وافظع في مخالفة ما كان اخذ على نفسه من الصبر وعدم العصيان قال ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه المرة او هذه المسئلة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك وقرئ فلا تصحبني قال الكسائي فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا اي بلغت من قبلي مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وضم الدال وبالتخفيف والسكون وفتح اللام وبضم اللام وسكون الدال وقرئ عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية بجزيرة الاندلس روى ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه وقيل بالجزيرة الخضراء وقيل انها برقة واما ما قيل انها انطاكية وما قيل انها ابلة وبيرها مبناه على ان يكون احد البحرين بحر فارس وقد عرفت ما فيه وقيل انها باجروان ارمينية و ذلك على ما قيل ان البحرين نهر الكر والرس استطعما الاستطعام سوال الطعام و المراد به هنا بقرينة اخر الكلام سوال الضيافة واليقربا فعلها كرر ذكر الاهل تقبيحا لهم ولان المراد من الاهل في الاول البعض كما هو المتبادر المعتاد والمراد منه في الثاني الكل فكان المناسب اعادته باسمه الظاهر لان الظاهر من الضمير عوده

على ما

على ما ذكر اولا بعينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لئام فطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ ان يضيفوهما يقال اضافه اذا كان له ضيفا و اضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه هذا حقيقة الكلام ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والاطعام وبهذا انطبق مقتضى المقام فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض الانتقاض السقوط بسرعة وانقض انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا والارادة مستعارة للمشارفة كالهم والعزم فاقامه ذكر في الحديث المار ذكره انه قال بيده اي اشار اليه بها فاقامه وهو الاشبه بسائر افعاله قال لو شئت لاتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت واختلفوا في اظهار الذال وادغامها عليه اجرا كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال ذلك وبما قررناه تبين وجه تقدير استطعامهما عن اهل القرية وابائهم من التضييف قال هذا فراق بيني وبينك اي هذا الاعتراض الاخير سبب فراقنا بحكم ما شرطت على نفسك واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل وتكريره بالاضافة الى احدهما مرة والى الاخر اخرى مع كفاية بيننا لمعنى التاكيد قاله سيبويه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان قول موسى عليه السلام في السفينة والغلام لله تعالى فلم يكن سببا للفراق وكان قوله في الجدار لنفسه في طلب شيء من الدنيا كان سببا له سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ساخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا او غير مناسب للحال بحسب الظاهر والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لقوم ضعفاء لعارضتهم البدنية كالزمانة والعمى و الخرس او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او خطب مسكين مرحمة لحاله وشفقة عليه فلا دلالة فيه على ان المساكين تطلق على من يملك مالا اذا لم يكفه يعملون في البحر قد عرفت ما يتعلق بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب تفريع كون السفينة للمساكين وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع وتجنيه

بالواو كثير في القران منها قوله تعالى وكان الانسان كفورا فعلى هذا نظم الكلام في غاية
الحسن ومن لم يتنبه له تكلف له في توجيهه وكان وراءهم امامهم وقد قرى بدل
خلفهم وكان رجوعهم اليه ملك ياخذ كل سفينة صحيحة صالحة وقد قرئ بكل
سفينة غصبا من صاحبها واما الغلام فكان ابواه فيه تغليب مومنين فخشينا
ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه ويلحق بهما شرا ويقرن بايمانهما عليهما
طغيانه وكفرانه فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما
بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان او بما لاته اياهما على طغيانه
وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وقرئ فخاف ربك اي كره كراهة
من خاف سوء عاقبة قيل ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قوله تعالى ولا
يلايمه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من
الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما الرحم والرحمة مصدران كالكثر والكثرة
اي رحمة وعطفا على والديه وقرى رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز وافعل
هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام لكافر لا زكاة فيه والمناسب للمقام انه لا
يكون فيه رحما ايضا على ان التفضيل بين التمييزين يحمل احدهما على التفضيل دون
الاخر لا يخ عن نوع خلل في حسن النظم واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في
المدينة هي القرية المذكورة قبلها وكان تحته كنز لهما هو كل مال مدخور من
ذهب وفضة وروي مرفوعا انه كان ذهبا وفضة وعن قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على انه كان للاب الصالح حتى يحتاج
الى الاعتذار بان الكنز المذموم ما لا يودى زكاته وكان ابوهما صالحا اعتداد
بصلاح ابيهما وحفظه لحقه فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما قربهما قال الجوهري هو ما بين ثمان عشرة الى
ثلثين والمراد الاهراك الى قوة الراي لا الى الحلم ويستخرجا كنزهما يعني اراد الله
تعالى بقاء ذلك المال مدفونا محفوظا عن ايدي التغلب الى زمان بلوغهما مبلغ
الرجال الكاملين في الراي القادرين على استخراج الكنز سالما عن تعدي الغير فان
الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير لا يقدرون على ذلك اسند الارادة

اولا

اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى نفسه والى الله تعالى لان التبديل
بمباشرته اهلاك الغلام وخلق الله تعالى البدل وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له
اصلا في بلوغ الغلامين اشدهما ولان الاول شر والثالث خير والثاني ممتزج ولك
ان تقول في اضافة الفعل الى نفسه على صيغة الانفراد نوع قصور في مراعاة ادب
الكلام فلا يلزم الا العلة وهي موجودة في الاول ومفقودة في الثاني ولا مجال له
للاضافة الى نفسه في الثالث وتلك العلة صون جناب العزة ان يعزى اليه
ما هو شر ظاهر رحمة من ربك نعمة منه وهي المال الحاصل بالسهولة الواصل
الى صاحبه بلا كلفة الكسب وانتصابه على الحال وقيل مفعول له على ان الرحمة
بمعناها الشايع او مصدر منصوب باراد ربك لانه بمعنى رحمهما واما تعلقه
بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا يلايمه قوله وما فعلته اي
ما فعلت ما رايته عن امري عن رايي انما فعلته بامر الله تعالى ذلك تاويل ما لم
تسطع عليه صبرا اصله تستطع فحذف التاء تخفيفا ويسئلونك اليهود
امتحانا او مشركوا مكة عن ذي القرنين هو اسكندر الملك اليوناني المقدوني
وتلقيبه بذي القرنين لما روي مرفوعا انه ملك قرني الدنيا شرقها وغربها قال
الشاعر وهو التبع اليماني قد كان ذو القرنين جدي مسلما
ملكا تدين له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
وما قيل انه اسكندر الرومي ملك فارس والروم مردود بانه تلميذ ارسطو ومذهبه
مذهب الفلاسفة وذو القرنين هذا لا شبهة في اسلامه وولايته انما الخلاف
في نبوته قال القرطبي والظاهر من علم الاخبار ان اسكندر اثنان احدهما على عهد
ابرهيم عليه السلام وهو الذي قضى له حين تحاكموا في بئر السبع بالشام والاخر
كان قريبا من عهد موسى قل في جوابهم سأتلوا عليكم منه من ذي القرنين ذكرا
خبرا انا مكنا له في الارض اي اعطيناه التمكين فيها وزيادة اللام للاختصاص
واتيناه من كل شيء من مهمات الملك سببا اصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى
صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض فاتبع سببا الفاء فصيحة تقديره الكلام اراد بلوغ
المغرب فاتبع طريقا توصله اليه حتى بلغ وقرئ بقطع الالف مخففة التاء حتى

اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة اي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء من حمئت البير حمأ بالتحريك اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة وقيل لا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او يكون حامية من الحماية بتخفيف الهمزة وقلبت ياء لانكسار ما قبلها وبا في عنوذلك ما جرى بين ابن عباس ومعاوية رضي الله عنهما وتفصيله على ما ذكره القرطبي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال اقرأنيها ابي رضي الله عنه كما اقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال معاوية رضي الله عنه هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وانا مع امير المؤمنين فجعلوا كعبا رحمه الله بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التورية فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق ابن عباس رضي الله عنهما فانه على تقدير التوفيق بين القراءتين على احد الوجهين المذكورين لا يمشي الخلاف المذكور ففيه تجهيل لهولاء الاعلام وما ذكره القفال ليس المراد انه انتهى الى الشمس غربا وشرقا حتى وصل جرمها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيونها بل هي اكبر منها اضعافا مضاعفة مبناه على اصول فلسفية لا تعويل عليها ومنهم من تمحق وقال لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح نظره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب في عين حمئة ولم يقل كانت تغرب ويرد عليه ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى على ما ذكر لقيل راها تغرب ثم ان في اطلاق العين على البحر المحيط ما لا يخفى على ذي بصيرة ووجد عندها عند تلك العين قوما كانوا كفارا فخيرهم فيهم بين الامرين قلنا يا ذا القرنين من قال انه كان نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن انكره قال كان الخطاب على لسان نبي في عهده واحتمال الالهام لا يجدي لان الدعوة الى الحق لا تكون الا من نبي او نائبه اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم لم يقل لهم دلالة على النبوت والاستقرار حسنا اي ذا الحسنى فيهم دعوتهم الى الله تعالى وتوحيده وما قيل خيره الله تعالى بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل يأباه قوله اما من ظلم اه لانه دل على انه اثر الدعوة وقد كان في التخيير بلفظ اما ان تتخذ فيهم حسنا واضمار متعلق التعذيب مع اظهار متعلق الحسنى ايماء الى ترجيح الشق الثاني فتنبه له وانه مما يحق الانتباه

قال

قال اما من ظلم اما من دعوته فظلم نفسه بعدم قبول الدعوة والاستمرار على الكفر فسوف نعذبه اتى بحرف التسويف اشعارا بما يتخلل بين اختيارهم عدم قبول الدعوة وتعذيبهم بالقتل من الامهال بتكرار الدعوة اظهارا لاصرارهم على الكفر ونون العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم نحن فعلنا ثم يرد الى ربه كان خطابه لاتباعه فانه تعالى لما خيره بين الامرين المذكورين اعلم بذلك اتباعه ثم فصل مخاطبا لهم لا لربه تعالى والا لقال ثم يرد اليك فيعذبه في الاخرة عذابا نكرا عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا بما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى جزاء الفعلة الحسنى وقرئ منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او على التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى الخبر وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا قولا ذا يسر وقرئ بضمتين قيل ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب ويأباه تصدير الجواب باما التفصيلية لانه يستدعي لسبق الاجمال وعلى ما ذكر لا اجمال في الكلام السابق ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا آخر وهو الذي يوصله الى المشرق وقرئ بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام قال الجوهري والمطلع ايضا موضع طلوعها فلا حاجة الى اضمار مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون به عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر ولا ماوى ولا لهم ثوب يسترهم فاذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في الاسراب وقيل في النهر فاذا ارتفعت عنهم خرجوا الى معايشهم كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك ولم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقد احطنا بما لديه من العدد والعدد خبرا كثيرا كذلك يعني ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا آخر وهو المعترض بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال

حتى اذا بلغ بين السدين هما على ما ذكره وهب جبلان منيفان في السماء املسان يلزق عليهما كل شيء وانما سميا سدين لسدهما فجاج الارض وكانت بينهما فجوة تلج فيها ياجوج وماجوج وهذا المكان في منقطع ارض الترك وما قبل هما جبلا ارمينية واذربيجان وهم وقرئ بين السدين بالضم قال الكسائي هما لغتان كالمكث والمكث وقال ابو عمرو السد بالفتح الحاجز بينك وبين الشيء وبالضم الغشاوة في العين ولهذا قال من قال ما كان من صنعة بني ادم فهو بالفتح وما كان من صنعة الله تعالى فهو بالضم وانتصب بين على انه مفعول به لانه من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شيء لا يكادون يفقهون قولا لا يفقهونه من اشارة ونحوها الا بجهد ومشقة فان زيادة يكاد قد يكون لافادة هذا المعنى كما في يكاد يبين وذلك لقلة فطنتهم واما غرابة اللغة فلا يصح علة لهذا وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه الا بمشقة لغرابة لغتهم او لتلعثمهم قالوا يا ذا القرنين دل هذا الخطاب على انه لقب تعظيم وفي المعنى الذي ذكرناه فيما سبق وغيره من المعاني المذكورة في التفاسير وقدرة ذي القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من جملة الاسباب التي آتاه الله تعالى ان ياجوج وماجوج اسمان لقبيلتين من ولد يافث ممنوعا الصرف ولا دلالة فيه على عجمتهما لوجود علتين اخريين التانيث والعلمية وقرئا مهموزين قال الاخفش من همز جعل الالف من الاصل لانه من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زائدة وقال ياجوج من يججت وقال ابو علي ان همز ياجوج فهو من اجيج النار وان لم يهمز فيمكن ان يكون خفف الهمزة فقلبت الفا مثل راس واما ماجوج فهو مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون على التخفيف وان يكون فاعولا من مج مفسدون في الارض بالقتل والتخريب والاتلاف قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك استفهام على جهة حسن الادب خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرئ خراجا قال اهل اللغة الخرج ما يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل كلاهما واحد كالنول والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم من الخروج علينا وقرئ سدا بالفتح والضم قال القرطبي قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم وبالفتح المصدر وقال عكرمة وابو عمرو

وابو

وابو عبيدة ما كان بخلق الله تعالى ولم يشاركه فيه احد فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقرؤا ههنا بالفتح وفيما سبق بالضم وهي قراءة حمزة والكسائي والعجب ان الكسائي ينكر الفرق بينهما بمعنى تحققه ان لا يخصص احدهما بموضع والاخر بموضع آخر وابو عمرو يعترف بالفرق وموجبه التخصيص المذكور فكل منهما اخذ ما هو حق صاحبه قال ما مكني فيه ربي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه وقرئ مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اراد معاونتهم بعمل اليد وبقوة البدن والتخصيص بقوة العمل من ضعف الفطنة فكانه قال رفعت عنكم مؤنة المعونة بالمال فاعينوني بخدمة بلا اجرة وهذا من تاييد الله تعالى له حيث اثر ما هو ايسر في حقهم وانفع في حقه واسرع في قضاء الحاجة اجعل بينكم وبينهم ردما الردم السد المتراكب من قولهم ثوب مردوم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد الزبر بفتح الباء وضمها جمع زبرة وهي القطعة العظيمة ولا يلزم ان يكون من الحديد دل قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ولذلك قيده بالاضافة الى الحديد واعطاؤه ما من قبيل تحصيل الالة بالخدمة لانها مما تحصل بمجرد العمل فلا ينافي رده الخراج فلا حاجة الى صرف الاتيان عن معناه الى معنى المناولة ولا دلالة على ذلك في قراءة ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير لان الاتيان في معنى الاعطاء غاية لا نعمه حتى اذا ساوى بين الصدفين في الكلام محذوف تقديره فاتوه بما طلب حتى اذا ساوى بعلو البناء بين الصدفين والصدف منقطع الجبل المرتفع ذكره الجوهري وقرئ بضمتين وبالضم والسكون وبالفتح والسكون وبفتح الاول وضم الثاني والكل بمعنى واحد قال انفخوا اي على زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله نارا اي جعل النفخ المنفوخ فيه كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا تنازعا فيه الفعلان فان الثاني في اتوني المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه اذ لو اعمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر في الثاني على الفصيح فما اسطاعوا حذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرئ بالادغام وهو على غير حده اذ لا يصح الا ان يكون قبل الادغام متحرك

او حرف مد ولين ولذلك قال ابو علي هي غير جائزة وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لصلابته و ثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي اى فاذا دنى مجئ يوم القيمة وشارف ان يأتي تفريع على ما ذكر يعني لما كان في وجوده رحمة ينعدم عند انتهاء زمان الرحمة بانتفاء المستحقين لها جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر القصة وتركنا جعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يضطرب في بعض يختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور هذه النفخة نفخة الانشاء لا نفخة الافناء دل على ذلك الفاء التعقيبية في قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وما هو لقيام الساعة انما هو نفخة الافناء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها لهم عرضا اشار بتنكيره الى خروجه عن حد التعريف والبيان الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري و كلامي لفرط صممهم عن الحق وهذا ابلغ من اثبات الصمم لهم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح افحسب الذين كفروا افظن الذين كفروا وقد قرأ كذلك ابن مسعود رضي الله عنه معطوف على قوله كانت وكانوا دلالة على ان الحسبان ناش من التعامى والتصام وادخل عليه همزة الانكار ذما على فهم وقطعا له عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المذكور للذم في قوله الذين كفروا من وضع الظاهر مقام المضمر زيادة للذم ان يتخذوا عبادي هم من عبد من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام من دوني اولياء يعني انهم لا يكونون اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرئ افحسب الذين كفروا اى فكافيهم وحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استيناف لبيان خطأ حسبانهم وفي جعل جهنم نزلا لهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف تهكم بهم وتنبيه على ان لهم وراءها

من العذ

من العذاب ما يستعذب وتستلذ جهنم بالنسبة اليه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وانكارهم الحشر قيل هم الخوارج اهل حروراء وقيل هم الرهبان اصحاب الصوامع ويردها قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا اذ ليس منهما من يكفر بلقاء الله تعالى والبعث والنشر ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على الوصف او على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة او بالقرآن ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون بها لا بنيل الثواب ولا بتخفيف العذاب فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا نضع لهم ميزانا يوزن اعمالهم لانحباطها وقيل فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا و اعتبارا ويرد عليه انه حقه ان يعطف بالواو وعطف احد القرينين على الاخر لانه منشأ الازدراء بهم كفرهم بآيات الله ولقائه لا حبوط اعمالهم ذلك اى الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى بسبب ذلك وقد تقدم تفسير الهزؤ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا قدم معنى النزل وما فيه من التنبيه والفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قاله الزجاج وروي انه وسط الجنة واعلاها خالدين فيها نصب على الحال ولما كان ما ذكر في سابق تقديره تعالى لم يحتج ههنا الى تقدير لا يبغون عنها حولا اى لا يطلبون عنها التحول اذ لا مزيد عليها حتى تنازعهم اليه انفسهم بل فيها جميع ما تشتهي انفسهم وهذه غاية الوصف والتحول التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهري وفيه تأكيد الخلود لانهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لا ينتقلون لعدم الاكراه قل لو كان البحر مدادا هو في الاصل اسم لما يمد به الشئ على التوالي شيئا بعد شئ على اتصال وصار اسما لكل ما يمد به الشئ على العموم والمراد ههنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لكلمات ربي لكلمات علمه

٢٧٤ ياپراقدر

وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحراى لم يبق منه شئ لتناهيه قبل ان تنفد
قرئ بالتاء والياء كلمات ربى لعدم تناهيها وفى نفاده قبل نفادها لا يلزم
تحقق نفادها بعد نفاده ولذلك يقع الطلاق الواحد اذا قال لغير المدخول بها
انت طالق واحدة ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا لنفد ايضا والكلمات
ايضا غيرنا فذة ضرورة ان كلما يدخل تحت الوجود متناه المقدار فلابد من نفاده
بخلاف ما لانهاية له فانه يستحيل نفاده ومددا تمييز وهو مثل المداد وقرئ
مِددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ بمثله مدادا
وسبب نزوله ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا و
تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة
من بحر كلمات الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم فى العجز عن الاحاطة عن كلماته الا انى
افارقكم بنزول الوحى على وبعض الاحاطة بسببه يوحى الى انما الهكم اله واحد
نبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بقولهم عزير ابن الله ثم حض على ما فيه النجاة
بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع الخير فى المستقبل وهو الطمع ايضا
لكنه يستعمل فى الامور المحمودة وفرق بين الرجاء والاغترار بان الرجاء يكون لمن
مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اخل بها والمراد من لقاء الله تعالى كرامته وتقدير
المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغنى عن هذا التجوز وهذا يعنى عنه
فليعمل عملا صالحا لايقا لذلك الرجاء ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن جبير
لا يراى فى عمله ولا يبتغى الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره روى ان جندب
ابن زهير رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اعمل العمل لله تعالى
فاذا اطلع عليه احد سرنى فقال ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت
تصديقا له صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا والاية جامعة لخاصيتى العلم والعمل وهما
التوحيد والاخلاص فى الطاعة وقرئ تشرك بالتاء التفاتا من الغيبة الى
الخطاب ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة فى ربه قد تم سورة الكهف

بعد واحدة
م